الدراسات التاريخية
نصوص يمنية

مفرح بن أحمد الربعي

سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين

نص تاريخي يمني من القرن الخامس الهجري

تحقيق ودراسة

... السيد
عبد الغني محمود عبد العاطي

سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين
القاسم ومحمد ابني جعفر ابن الإمام
القاسم بن علي العياني
نص تاريخي يمني من القرن الخامس الهجري

الطبعة الأولى

1413هـ - 1993م

دار المنتخب العربي
للدراسات والنشر والتوزيع
ص. ب : 113/ 6311 ـ بيروت ـ لبنان

توزيع

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع
بيروت ـ الحمرا ـ شارع اميل اده ـ بناية سلام
هاتف : 802428 -802407 -802296
ص. ب : 113/ 6311 ـ بيروت ـ لبنان
تلكس : 20680- 21665 LE M.A.J.D

مفرّح بن أحمد الربعي

سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين القاسم ومحمد ابني جعفر ابن الإمام القاسم بن علي العياني

نصٌّ تاريخيٌّ يمنيٌّ من القرن الخامس الهجري

تحقيق ودراسة

رضوان السيد
أستاذ الدراسات الإسلامية
بالجامعة اللبنانية

د. عبد الغني محمود عبد العاطي
أستاذ التاريخ الوسيط
بجامعة المنصورة

دار المنتخب العربي
للدراسات والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

ننشر هنا نصاً تاريخياً مهماً هو « سيرة الأميرين » لمفرّح بن أحمد الربعي ، يتعلّق بالتاريخين السياسي والاجتماعي للأجزاء الشمالية من اليمن في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري . أما الأميران القاسم ومحمد ابنا جعفر بن القاسم بن علي العياني اللذان تدور حولهما « السيرة » فقد تزعّما الحركة السياسية للزيدية في صراعها مع الصليحيين في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري .

والمعروف أنّ المصادر التاريخية شديدة الندرة فيما يتصل بالأحداث السياسية بشمالي اليمن طوال القرن الخامس . لكنّ « السيرة » ليست مهمةً لهذا السبب فقط . بل أيضاً لأنّ قادة تلك الحركة كانوا من الشيعة الحُسينية ؛ وهي انشقاقٌ ضمن الزيدية لا نعرف غير القليل عنه من المؤلَّفات الكلامية .

وقد قمت مع الزميل الدكتور عبد الغني محمود عبد العاطي ، الأستاذ بجامعة المنصورة بمصر بتحقيق نصّ « السيرة » على مخطوطةٍ فريدةٍ ، وألحقنا به ثلاثة نصوص من مصادر أخرى بعضُها معاصر للفرقة الحسينية توضّح ما غمض من تاريخها ، وانتشارها وعقائدها . وقدّمنا للسيرة بتقديمين :

أحدهما : ترجمةٌ لمقالٍ عن السيرة للأستاذ المعروف في مجال الدراسات الزيدية Wilferd Madelung كان قد نشره عام 1979 .

وثانيهما : تحليلٌ تاريخيٌّ ومضمونيٌّ لنصّ السيرة ، وعقائد الفرقة الحسينية ، ومصير الأشراف القاسميين الذين تزعموا الحركة . والله من وراء القصد .

رضوان السيد

تمهيـــد

سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين القاسم ومحمد ابني جعفر ابن الإمام القاسم بن علي العياني

ويلفريد مادلونغ

السيرة كمصدرٍ تاريخي(*)

I

سيـرةُ الأميـرين القـاسم ومحمـد ابني جعفـر بن القـاسم العيـاني ، عمـلٌ تاريخيٌّ ، يصفُ حقبةً متأخّرةً نسبياً من تاريخ الدولة العلوية باليمن ؛ تلك الحقبة الناجمة عن حركةٍ دينيةٍ تعودُ أصولُها إلى أواخـر القرن الـرابع الهجـري/العاشـر الميلادي .

وجدُّ الأميرين ، ومؤسِّسُ أسرتهما هو القاسم بن علي العياني . وهو حفيدُ محمد بن القاسم بن إبراهيم الرسّـي ، عمّ الهادي إلى الحقّ يحيـى بن الحسين مؤسِّس الدولة الزيدية باليمن . وكان القاسم العيـاني قد دعـا لنفسه لـوقتٍ قصيرٍ عام 383 هـ/993 م(1) ، والمعروفُ أنه كان يقيم بتَرْج من بلاد خثعم(2) ، ثم عاد

(*) نشر ويلفريد ماديلونغ Wilferd Madelung هذه المقالة عن السيرة في : Studies in the History of Arabia, Vol. I. Sources for the History of Arabia, Part 2, Riyad 1979, PP. 69- 87.

(1) يذكر المقريزي في **اتّعاظ الحنفا** (نشرة جمال الدين الشيّال ، القاهرة 1387 هـ/1967 م) ص 278 أنه في العام 383 هـ ظهر الشريف القاسم بن علي داعياً لنفسه في الحجاز . وقد هُزم بسرعةٍ وقُبض عليه لأنه في المحرَّم عام 384 هـ/فبراير ـ مارس 994 م وصل إلى القاهرة أمير مكة عيسى بن جعفر الحَسَني جالباً معه الشريف الأسير فاستقبلهما الخليفة العزيز بالترحاب (اتعاظ الحنفا 1/281) . وفي جمـادى الثانيـة /يوليـو ـ أغسطس ، غـادر عيسى بن جعفر القـاهرة ومعـه الشريف (اتعـاظ 1/282) . إذ يبدو أنه سُمح للأخير بالعودة إلى منزله بترْج بين مكة واليمن . وفي رسالةٍ كتبها أثناء=

للثورة عام 388 هـ/ 988 م ، ففتح صعدة واستولى على صنعاء ، وحكم متلقّباً بالمنصور بالله . وقد اعترف به أكثر الزيدية باليمن باعتباره إمام الوقت وإن لقي معارضةً من بعض أعقاب الهادي وعَلَويين آخَرين . وفي السنتين الأخيرتين من حياته وحكمه فقد السيطرة على صنعاء وصعدة ، وبقي بشكلٍ مستمرٍّ في مقرّه ببلدة عِيان [2] . وهناك دُفِن بعد وفاته في 9 رمضان 393/11 يوليو 1003 م .

وقد ادّعى وراثته وخلافته بدايةً أحد أبنائه الصغار المسمّى بالحسين المهدي لدين الله [3] . دعا الحسين لنفسه في صفر عام 401 هـ/سبتمبر ـ أكتوبر 1010 م ، ووجد أنصاراً بين قبائل وعشائر حمير وهمدان وأهل المغارب . واستطاع كوالده السيطرة على صعدة وصنعاء لفترةٍ قصيرة . وما لبثت المعارضة له بين أعقاب الهادي والأشراف الآخرين أن تزايدت وخاصةً بعد أن تجاوز دعوى الإمامة إلى ادّعاء

= ثورته عام 388 هـ/ 898 م ، وذكرها الحُسين بن أحمد بن يعقوب في سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي ؛ يذكر أنه سبق له أنْ كان باليمن ، وتلقّى البيعة من الناس ؛ لكنهم ما لبثوا أن غدروا وخانوا عندما عاد إلى تَرْج (سيرة الإمام المنصور ، مخطوطة المتحف البريطاني ، Or. 3816, fol. 2v) . وليس هناك تاريخٌ مذكورٌ لهذه الأحداث . وليس بعيداً أن يكون المقصود بتلك الثورة باليمن ما يتحدّث عنه المقريزي . وقد عمد أمير مكّة إلى احتجازه عقب عودته إلى ترج . لكنْ ليس في سيرته ما يشير إلى أسره وأخذه إلى القاهرة .

(1) تقع ترج على وادٍ فرعيٍّ غربيٍّ يصبُّ في وادي بيشة على مسافةٍ إلى الجنوب من واحة بيشة . ويسميها فيلبي تـرْق ، قارن : W.E. Mulligan , E.I[2]., art Bisha ; H. St. Philby , Arabian Highlands , Ithaca 1952 , 37 , 119

(2) قارن بيحيى بن الحسين : غاية الأماني (نشرة سعيد عبد الفتّاح عاشور ، القاهرة 1388 هـ/1968 م) 1/233 وما بعدها . ويبدو واضحاً من السياق أنّ البلدة التي اختارها القاسم بن علي لإقامته ، والتي تشير إليها نسبتُهُ هي عِيان بالجوف شمال شرق خَولان ، (قارن بالهمداني : صفة جزيرة العرب ، نشرة ميللر ، لايدن 1884 ـ 9 ، 83 ، 110 ، 244 ، والخريطة رقم 3 في Edward Glaser's Reise nach Marib ، نشرة د. هـ. ميللر و ن . رودوكاناكيس ، فيينا 1913 ـ ويظهر الاسم هناك باعتباره عَيَان) ؛ وهي غير العيّان في سَراة المصانع (الهمداني : صفة ، الفهارس) .

(3) يُشار إلى الحسين في سيرة والده باعتباره من أصاغر أولاده (السيرة ، ق 70) . ويذكر نشوان الحميري (الحور العين ، القاهرة 1367 هـ/1948 م ، ص 157) أنه وُلد عام 378 هـ/988 ـ 989 م . ويأتلف هذا مع وصف والده له باعتباره صبياً في رسالة عام 390 هـ/1000 م (سيرة الإمام المنصور ، ق 70) .

المهديّة ؛ وبذلك وضع نفسه فوق كلّ الأئمة السابقين . وانقلبت القبائل ضدّه فقُتل في معركةٍ عنيفةٍ مع همدان ، قاتل فيها مثل « أسدٍ مُغْضَب »[1] ، بذي عُرار على مقربةٍ من ريدة في الرابع من صفر 404 هـ/ 15 أغسطس 1013 م[2] . لكنّ الاعتقاد بمهديته لم يَمُتْ مع موته في المعركة السالفة الذكر . إذ ظلّ كثيرون من أنصاره يُنكِرون موته[3] ، ويتوقّعون رجعةً سريعةً له يملأ فيها الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً . ولهذا السبب فإنّ أقاربه الذين ثاروا من بعده لم يدّعوا الإمامة بل ظلّوا يعتبرون أنفُسهم أُمراء ووكلاء عن الإمام الغائب مستعدّين للتنازل عن السلطةِ ، وتسليمها للمهدي لدين الله بمجرَّد ظهوره . وقد عُرف أتباعُهُ والمتحزّبون لمهديته بعد وفاته بالحسينية أو الشيعة الحسينية ؛ وهو اسمٌ كانوا يستعملونه هم أيضاً عَلَماً عليهم كما تُظهر السيرةُ التي بين أيدينا[4] .

تولّى قيادة الحركة الحسينية بعد غياب القاسم المهدي أخوه جعفر بن القاسم[5] . وكان جعفر أكبر من أخيه الحسين بثلاثة عشر عاماً ، وقد تولّى على

(1) غاية الأماني 1/239 .

(2) يورد نشوان التاريخ الدقيق لذلك في **الحُور العين** ، ص 211 .

(3) يذكر يوسف بن محمد الحَجوري في كتابه **روضة الأخبار وكنوز الأسرار** (الذي يشارُ إليه عادةً باسم : روضة الحَجوري) أنّ جعفراً أخاه كان أول المنكرين لموته ، قبل أن تقبل الأسرة دعوى همدان بقتله . لكنّ جعفراً ما لبث أن وجد شاهداً سنّياً اسمه مدرك بن إسماعيل ، حلف سبعين يميناً أنه رأى المهديّ بعد الوقعة سالماً إلّا من جروحٍ طفيفةٍ في جبهته (روضة الحجوري ، مخطوطة باريس رقم 5982 ، ق 241) . وانظر عن هذه المخطوطة مقالتي في JNES (1973), PP. 179ff

(4) انظر عن الحسين المهدي والحسينية بشكلٍ عام كتابي : **الإمام القاسم بن إبراهيم** ، برلين 1965 ، ص ص 198 ـ 201 (بالألمانية) . ويذكر نشوان الذي كتب **الحور العين** بعد مائة عامٍ من التقارير التي توردها **السيرة** أنه كانت هناك في زمانه فرقتان من الحسينية ، تدّعي إحداهما أنها على اتصالٍ سراً بالمهدي ، الذي يزورهم ، وهم لا يأتون شيئاً أو يَذَرونه إلّا بأمره . أمّا الأخرى فترى أنه لا يُشاهَدُ في غَيبته حتّى يعودَ للظهور ؛ وهم يتّبعون أثناء غيبته ما ورد في كتبه (الحور العين ، ص 157) . وليس في **السيرة** ما يشير إلى مثل هذا الانقسام بين الحسينية ، وذهاب البعض إلى أنهم على اتصالٍ بالمهدي . وما يظهر في **السيرة** مراراً اقتناعٌ عميقٌ بعودته للظهور ، واتّباعٌ لآرائه الواردة في كتبه .

(5) لم يترك الحسين ذكوراً بل ترك ابنتين (المحلي : **الحدائق الوردية** ، مخطوطة فيينا ، مجموعة غلازر 101 ، ق 74) . وقد تزوّج إحدى البنتين فيما بعد الشريف الفاضل ابن عمّها ، وتُوُفّيت قبل مقتل زوجها (سيرة الأميرين ، ق 241) .

صنعاء في حُكْم والده عام 391 هـ/1001 م[1] . وفي إمامة أخيه الحسين ولي صنعاء وصعدة أيضاً[2] . ولا تذكر المصادر شيئاً معتبراً عن نشاطه بعد مقتل أخيه . إذ يبدو أنّ المتحدّثين عنه يستندون جميعاً إلى أخبارٍ في تاريخٍ لصنعاء لم يكن مؤلِّفُهُ يهتمُّ إلاّ لما يتصل بالمدينة مباشرةً . لكنهم يذكرون أنّ جعفراً وصل إلى صنعاء حوالي نهاية العام 413 هـ/مارس 1023 م قادماً من عِيان ـ التي يبدو أنها كانت دار المقام الدائم للأسرة ـ واستطاع دخولها بمساعدة حمير وهمدان . ثم ما لبث أن غادر صنعاء بعد شهرٍ متجهاً إلى صعدة التي دخلها وأمر بإحراق بعض المنازل فيها ؛ ربما لبعض أعقاب الهادي لموقفهم السلبي من ادّعاء الحسين للمهدية . ثم عاد من هناك إلى عِيان . ثم ما لبث أن استولى على صنعاء من جديدٍ في صفر 415 هـ/إبريل ـ مايو 1024 م[3] . وفي عام 416 هـ/1025 م ثار عليه الهمدانيون والحميريون وسيِّد مَسْوَر ، وحاصروه في بيت شُعيب لكنه استطاع الصمود[4] . وتذكر المصادر أنه عاد بعدها لدخول صنعاء بدعوةٍ من همدان في شهر ربيع 429 هـ/شتاء 1037 ـ 1038 م[5] . وعاد إلى المدينة مرّتين عام 431 هـ/1039 ـ 1040 م . لكنّ شريفاً ثائراً آخر هو أبو هاشم الحسن بن عبد الرحمن ما لبث أن استولى على صنعاء أواخر ذلك العام[6] . وتمر سنواتٌ سبعٌ ويأتي العام 438 هـ/1046 ـ 1047 م فيقدم جعفر إلى صنعاء من جديد مُعيناً هذه المرة للإمام الزيدي أبي الفتح الناصر

(1) غاية الأماني 1/233 .

(2) أمّا « صِنْو الإمام » (أخوه) الذي تذكر **غاية الأماني** 1/235 أنه وصل إلى صنعاء في نهاية العام 402 هـ/يونيو 1012 م فيبدو أنه جعفر . وقد عُيِّن نائباً عن الإمام بصنعاء ، ثم نُقل حاكماً لصعدة عام 403 هـ/1012 ـ 1013 م (غاية الأماني 1/237 وما بعدها) .

(3) غاية الأماني 1/242 ، والكتاب التاريخي الغُفل المتضمَّن في مخطوطة المتحف البريطاني رقم Or 4581 ، ق 182 ـ وهي تذكر تواريخ دقيقةً لأحداث صنعاء .

(4) غاية الأماني 1/243 .

(5) مخطوطة المتحف البريطاني السالفة الذكر ، رقم 4581 ، Or ، ق 183 ، دونما ذكرٍ للمَعْنيِّ بربيع ، هل هو ربيع الأول أو الثاني .

(6) غاية الأماني 1/245 ـ 246 . وتبدأ أخبار يحيى بن الحسين عن الأميرين تحت العام 431 هـ/1039 م ، لكنّ ما يذكره يتطابق مع ما في التاريخ الغفل أو المجهول لصنعاء تحت ربيع عام 429 هـ .

الديلمي ، الذي ما لبث أن سمّاه أميراً للأمراء ، ومنحه رُبع خراج البلاد . ولم يَطُلْ عهد الوئام بين العَلَويِّين فبدآ يتشاجران ، ونشبت بينهما « عدة معارك » في إقليم أثـافت وعجيب[1] . وما لبثت خصـومـاتُهمـا أن انتهت بـإعـلان علي بن محمـد الصُّليحي للدعوة الإسماعيلية بجبل مسار لصالح الخلافة الفاطميـة بالقـاهرة في جمادى الثانية 439 هـ/ديسمبر 1047 م . وقـد أدّى ذلك إلى تغيير جذريٍّ في الساحة السياسية باليمن .

II

تبدأُ « سيرةُ الأميرين » موضوع الدراسة هنا بثورة الصُّليحيين الإسماعيلية . ذلـك أنّ موضـوعها الـرئيسي هو صـراع الأميـرين ، ابني جعفـر بن القـاسم مـع الصُّليحيين . أمّا مؤلّفُ السيرة فيعلن أنه سيبدأ **سيرة الأميرين** من حيث انتهت **سيرة الإمام المهدي لدين الله**[2] . ويبدو أنّ السيرة المكتوبة للمهدي لدين الله ضاعت دون أن تترك أثراً في أعمال المؤرّخين اللاحقين لليمن . أمّا سيرةُ الأميرين ابني أخ المهـدي فقـد بقيت لحسن الحظّ ، دون أن تتـرك أيضـاً آثـاراً كثيـرةً في أعمـال الدارسين . إذ لم يذكرها بروكلمان Carl Brockelmann كما أنّ أيمن فؤاد سيّد غفل عنها في عمله الصادر حديثاً عن مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي[3] . ولم يشر يحيى بن الحُسين بن المؤيَّد بالله (ت 1100 هـ/1689 م) إلى **السيرة** حينما ذكر مصادره لعمله التاريخيّ أنباء الزمن في أخبار اليمن[4] . لكن من المؤكّد أنه استعملها في مختصره **لأنباء الزمن** المعروف **بغايـة الأماني** بشكـلٍ مباشـرٍ أو غير

(1) غاية الأماني 1/247 .

(2) السيرة ، ق 217 . وليس من الواضح ما إذا كانت السيرة تريد أن تشير إلى أنّ **سيرة المهدي** تتضمن أخبار حركة جعفر بن القاسم أيضاً حتّى ظهور الصليحيين ؛ وذلك لأنّ السيرة هنا تمضي في تلخيص الأحداث بعد وفاة المهدي بالقول إنّ الناس بعده غرقوا في الجهل والظلام ؛ وإن يكن قد بقي بين أقاربه وأبناء أُسرته أُناسٌ يمكن الرجوع إليهم .

(3) مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي ، القاهرة 1974 .

(4) مقتبس في الغاية 1/48 ـ 50 .

مباشرٍ ؛ بل إنه أشار إلى السيرة مرةً في أخباره باسم سيرة الشريف[1] . ولم يطّلع على السيرة في حدود علمي من بين المؤرّخين المُحْدَثين غير محمد الأكوع الحوالي في سياق نشرته لتاريخ اليمن لعُمارة[2] ، إذ أشار إليها باسم سيرة ذي الشَرَفين منبِّهاً إلى أهميتها كمصدرٍ لتاريخ مؤسِّس الدولة الصُليحية من حيث إنها تُكملُ وتُصحِّحُ المعلومات المأخوذة من المصادر المعروفة من قبل . ولم يُشِر الأكوع إلى ماهية المخطوطة التي استعملها للسيرة[3] . ولستُ أعرفُ الآن إن كانت للسيرة مخطوطةٌ أُخرى غير الحاضرة في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء ، المصادرة بعد الثورة اليمنية عام 1962 وتقعُ ضمن مجموعٍ متنوِّعٍ .

وتحتفظُ دار الكتب المصرية بصورةٍ فلميةٍ عن مخطوطة صنعاء تحت رقم 1077[4] . وقد حصلْتُ على صورةٍ عن ذلك الفيلم[5] .

ويبدو لي أننا لا نعرفُ عن مؤلِّف السيرة مفرِّح بن أحمد الرَبَعي غير ما ذكره هو نفسُهُ في السيرة . أما نسبتُهُ : الرَبَعي ؛ فيبدو أنها قَبَليةٌ[6] وقد تُشير إلى ربيعة خَولان في ناحية صعدة . ويُذْكَرُ هؤلاء مراراً في السيرة بين أنصار الأميرين . لكنّ هناك عدة

---

(1) غاية الأماني 271/1 : قال صاحب سيرة الشريف ، . ويتوافق النصُّ مع ما ورد في السيرة ، ق 290 . وعليّ هنا أن أُشير إلى أنّ مخطوطة برلين رقم 1304 ، والتي يُشار في صفحة عنوانها إلى أنها كتاب أنباء الزمن ، والتي كان يُظَنُّ أنها تتضمن النصّ الكامِل للكتاب ، هي في الحقيقة مختصرٌ له .

(2) القاهرة 1387 هـ/1967 م .

(3) يشير الأكوع في مقدمته (ص 9) إلى المعلومات الواردة في ثبت المصادر . لكنّ الثبت غير موجودٍ في نهاية نشرته للكتاب .

(4) انظر قائمة المخطوطات العربية المصوّرة بالمايكروفيلم من الجمهورية اليمنية ، القاهرة 1967 ، ص 24 . ويقع نصُّ السيرة في 87 ورقة وليس 98 كما يذكر المفهرس . ذلك أنّ الصفحات الإحدى عشرة الأخيرة تتضمن ديوان أبي طالب . وهكذا فإنّ نصَّ السيرة يقعُ بين الورقة 217 والورقة 304 من ضمن الترقيم الشامل للمجموع .

(5) أودُّ أن أشكر هنا للدكتور حسين مؤنس تدخُّله الذي مكّنني من الحصول على صورةٍ عن مايكروفيلم دار الكتب .

(6) ياقوت : معجم البلدان ، نشرة فيستنفلد ، لايبزغ 1866 ـ 1873 ، 752/2 ـ ويذكر قلعةً في ذَمار اسمها الرَبَعة . لكن من غير المرجّح أن يكون المؤلّف منسوباً إلى هذه البقعة الضئيلة الشهرة ، والتي لا تذكرها المصادر قبل ذلك .

بطونٍ قَبَليةٍ أُخرى باسم ربيعة باليمن . ويظهر مفرِّح باعتباره شاهدَ عيان في كثيرٍ من الوقائع والأحداث التي يقُصُّها ابتداءً من العام 461 هـ/1069 م[1] . والمرجّح أنه دخل في خدمة الأميرين قبل هذا التّاريخ كخطيبٍ وكشاعرٍ رسمي . وتُذكر في السيرة أشعارٌ كثيرةٌ له نَظَمها في الانتصارات ومناسباتٍ أُخرى . وقد كلّفه الشريف الفاضل مرةً بنظم شعرٍ باسمه للأمير جيّاش بن نجاح ، حاكم زَبيد ؛ يشكره فيه على مساعداته العسكرية والمالية ، وقد أرسله من قِبَلِهِ لِيُنشِدَ جيّاشاً تلك القصيدة ، فعاد بهدايا كثيرةٍ للأميرين من عندِ جيّاش[2] . وعندما استولى الفاضل على صعدة عام 463 هـ/1071 م طلب من مفرِّح إنشاء خطبةٍ وإلقاءَها بجامع الهادي بصعدة[3] . وعندما قُتل الفاضل قام مفرِّح بإلقاءمرثية الدفن بالحَضن[4] . وعندما نشب نزاعٌ بين الأمير ذي الشرفين وأخيه سنان الدولة أحمد قام مفرِّح بالتوسُّط في النزاع بين الطرفين[5] . وفي رجب 485 هـ/أغسطس 1092 م كلّفه الأمير عمدة الإسلام جعفر ابن ذي الشَرَفين وخَليفته بكتابه السيرة[6] ، وأتاح له استعمال رسائلَ ووثائق تتّصل بتاريخ الأميرين . وقد اقتبس مفرِّح فعلاً من بعض الوثائق بشكلٍ مطوَّلٍ في السيرة .

ويورد مفرِّح بالإضافة إلى تلك الوثائق والرسائل أقوالاً وتقارير لشهود عيان يذكر أحياناً أسماءَهم . كما أنه يستخدم في كثيرٍ من الأحيان تقارير ومعلومات أخذها من الأميرين نفسيهما . أمّا مصدراه الرئيسيان للأحداث والوقائع السابقة على دخوله في خدمة الأميرين فهما نصيرا الشريف الفاضل وصاحباه : الفقيه أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن أبي الجيش ، وسلامة بن علي بن محمد المُحَلّي[7] . ويبدو أنّ هذين الرجلين رافقا الشريفَ الفاضلَ منذ بداية حياته

---

(1) السيرة ، ق 247 .

(2) السيرة ، ق 256 ـ 257 .

(3) ق 258 .

(4) ق 283 .

(5) ق 288 ـ 289 .

(6) ق 281 .

(7) تشكيل الاسم غير مؤكّد .

السياسية ؛ إذ كانا معه في الهِرابة أثناء صموده الشجاع في وجه حصار الصُّليحيين عام 448 هـ/1056 م ، وظلّا معه بعد احتجاز الصُّليحيين له . وكان سلامة مهتماً بتأمين غذائه ، وحاجاته الشخصية الأُخرى(1) . ورافقه سلامةُ في منفاه الاختياري بعد خروجه من الأَسْر ، ومُضيّه من اليمن إلى تَرْج ومكّة (451 ـ 459 هـ/1059 ـ 1067 م) .

أمّا المخطوطةُ الباقيةُ من السيرة فيبدو أنها عبارةٌ عن مختصرٍ للسيرة نفسها . ففي نهاية المخطوطة يـذكر النـاسخُ أنهـا « مختصرٌ من كتـاب السيرة »(2) . وفي الحديث عن الحملة على صنعاء يُحيلُ المختصِرُ المجهولُ على السيرة الكاملة أو كتاب السيرة من أجل تفصيلٍ أكبر للأحداث(3) . وفي بعض المواطن يُشـارُ إلى إغفال بعض التفاصيل دون أن نعرفَ إن كان الإغفالُ قد أتى من جانب المؤلّف أو المختصِر . ولا نستطيع أن نحدِّد مدى مسؤولية كلٍّ من المؤلِّف والمختصِر في كثيرٍ من الأحيان ؛ من حذف بعض جزئيات المعارك وحتى نهايـة النصّ(4) . ويمكن القولُ إنّ اختصارات النهاية حدثت بعد كتابة السيرة لكنها يمكن أن تكون قد أتت من جانب المختصِر كما يمكن أن تكونَ قد أتت من جانب الناسخ . ويذكر مفرِّح نفسه في بداية السيرة أنه سيُعْرِضُ عن تفاصيل كثيرة في عَرْضه(5) . لكنّ من جهةٍ ثانيةٍ ، فإنّ الصيغة التي بين أيدينا للسيرة هي من التفصيل بحيث يصعُبُ وصفُها باعتبارها موجَزاً لها .

III

سأُحاولُ هنا أن أعرض موجزاً لأحداث حيوات أشراف بني القاسم كما أوردتها

(1) ق 288 . كان هناك أيضاً أحد محرَّري آل القاسم واسمه أحمد بن طريف ، ضمن الذين لازموا الشريف الفاضل في فترة احتجازه .

(2) ق 304 .

(3) ق 243 : « . . . اختصرتُ ذكره لأنه مشهورٌ ، وهو في كتاب السيرة مذكور » .

(4)) ق 204 حول الحملة إلى أَقْر ، والأخبار الواردة في الفقرة تتّصل بما يرد في ق 285 من أنباء ، وكان ينبغي أن تَرِدَ من قبل .

(5) ق 217 : ومِلْتُ إلى الاختصار والتلخيص .

السيرة . كان عبد الله أحد أبناء جعفر بن القاسم أول الثائرين على علي بن محمد الصُّليحي في ناحية الحَيمة متزعِّماً تحالفاً قبلياً[1] . وقد أرسل الصليحي جيشاً لمواجهته فهُزم عبد الله وأُسِرَ واقتيد إلى مَسَار ، مقرّ الصليحي . وبعد بعض الوقت أطلق الصليحي سَراحَهُ بعد أن استحلفه وواثقه أن لا يثورَ عليه من جديد . ولا نسمعُ شيئاً بعد ذلك عنه . ثم ثار الأبُ جعفر بن القاسم ، بمساعدة وجهاء حمير وهمدان . لكنه ما لبث أن هُزِمَ وأُسِرَ في بيت بَرَار (؟)[2] . وقد اقتيد إلى مَسَار ، وأُطلق سراحُهُ بعد حين على أثر تعهُّده بعدم الثورة ثانيةً[3] . وغادر الشريف إلى الحجاز ، وكان قد بلغ من العُمُر عتياً ، فخرج من الحياة السياسية .

وفي عام 444 هـ/1052 ـ 1053 م هَزم الصُّليحيُّ أولاً أبا حاشد بن الضحّاك ، زعيم همدان ، وحاكم صنعاء ، في معركة صَوف[4] ، ثم الإمام أبا الفتح الديلمي في **نجد حاج**[5] . عندها تحوّلت أنظار التحالف القَبَلي المُعادي للصليحيين إلى الشريف الفاضل وحمزة ، ابن الإمام السالف الذكر أبي هاشم . وقد تنبَّه الصليحيُّ إلى الاتجاهات الجديدة للرياح فأرسل رسالةَ تحذيرٍ إلى الشريف الفاضل من تهامة ؛ فأجاب عليها الفاضلُ برفضٍ قاسٍ . وفي عام 447 هـ/1055 م ثار الشريف الفاضل واحتلّ صعدة ؛ لكنه سرعان ما انسحب منها إلى بلاد بني صُريم عندما وصل إلى علمه زحفُ الصليحي من تهامة باتجاه

---

(1) يبدو أنّ المقصود الحَيمة الواقعة بين حَضُور وحَرَاز (غاية 1/249) .

(2) القراءة غير مؤكّدة.

(3) ق 218 . هذه الأحداث ، التي لا تُذكر في مصادر أخرى ، تورِدُها السيرةُ بعد ذكر الخروج القصير المدة الذي قام به جعفر بن عبّاس الشاوري في مغارب اليمن الأعلى عام 439 هـ/1048 م . وفي المصادر الأخرى أنّ منطلق الثورة الأخيرة كان محاصرة جعفر بن القاسم لحصن الأُخروج الذي كان بيد أنصار الصليحيين . لكنّ جعفراً اضطُرّ للانسحاب بعد هزيمة الشاوري ومقتله (قارن بالهمداني : الصليحيون ، القاهرة 1955 ، ص 78 ؛ وغاية الأماني 1/249) . ولا تذكر السيرة حصار الأخروج .

(4) الصليحيون ، ص 81 . وتؤرّخ السيرة المعركةَ في ربيع الأول عام 444 هـ/يوليو 1052 م . وفي غاية الأماني 1/243 تُذكر الموقعة خطأً تحت العام 439 هـ .

(5) الصليحيون ، ص 82 ، والغاية 1/250 . ولا تذكر السيرةُ المعركة .

صنعاء . وقد عانى الشريف الفاضلُ هزيمةً قاسيةً أمام الصليحيين بقَراتيل على مقربةٍ من حاز ، فتراجع مع أُسرته بما في ذلك أخوه ذو الشرفين ، وأعوانه ، وألفا مقاتلٍ مع أُسَرِهم إلى حصن الهِرابة ببلاد وادعة ، حيث تحصّن وعزم على المقاومة حتى النهاية . وهناك استطاع أن يصمد للحصار الصُّليحي سبعين يوماً (منذ بداية جُمادى الأولى وحتى العاشر من رجب 448 هـ/من منتصف يوليو حتى 23 أكتوبر 1055 م) . وتُوردُ السيرة وصفاً حياً مؤثّراً للقتال الشرِس ، والمصاعب والمجاعات التي نزلت بالمحاصَرين[1] . وفي النهاية ضمن لهم الصُّليحي انسحاباً حراً ، وصادر أسلحتهم ووزّعها على جنده ؛ ولم يحتفظ في يده بغير الشريف . وأُرسل الفاضل إلى صنعاء حيث بقي هناك محتَجزاً زُهاء عامٍ ونيِّف . وقد وُضع في البداية تحت حراسةٍ مشدَّدة ؛ لكن عندما تبيَّن للصُّليحي أنّ شبهة الائتمار من جانب الشريف للهرب غير صحيحةٍ ؛ سمح له بحرية حركةٍ محدودة . واصطحبه الصُّليحي معه في المحرَّم من العام 450 هـ/مارس 1058 م في حملته على يَعْفُر بن أحمد الكرندي خلال تهامة فالقُحمة[2] فَزَبيد وعَرد (؟)[3] طوال تسعة أشهر . وقد أرسل الشريف رسالةً إلى والده جعفر من هناك عندما علم بمجيء الأخير إلى اليمن من الحجاز وبلوغه الجبجب لزيارة أُسرته ، راجياً أن يجيءَ إلى معسكر الصليحي ليعمل على إطلاق سراحه . وعند وصول جعفر إلى عَرَد في رمضان 450 هـ/أكتوبر ـ نوفمبر 1058 م استسلم الكِرندي للصليحي ، وسقط الشريف جعفر وابنه الفاضل مريضَين ، وعاد الجميع إلى صنعاء حيث أمر الصليحي طبيبه الخاصّ بمعالجة الشريفين . ومات جعفر بن القاسم في ذي الحجّة 450 هـ/يناير ـ فبراير 1059 م عن عمرٍ يُناهز الخمسة والثمانين عاماً . فانتهز الصليحي حَدَث الوفاة ليطلق سراح الشريف الفاضل من أجل تعزية أُسرته عن وفاة الوالد ، وزوّدهُ بما تحتاجه الرحلة ، كما أعطاه مخصّصاً شهريّاً[4] .

---

(1) ق 225 ـ 228 . يستند تقرير **غاية الأماني** عن العام 448 هـ بما في ذلك حصار الهِرابة (1/251 ـ 252) إلى السيرة بطريقةٍ مباشرةٍ أو غير مباشرة . قارن : الصليحيون ، ص 82 وما بعدها .

(2) الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ص 53 ، 119 .

(3) عرد ـ التشكيل غير مؤكَد .

(4) ق 228 ـ 233 .

ولم يمكث الشريف الفاضل طويلاً مع أُسرته بل آثر أن يغادر اليمن ، ليس خوفاً على نفسه ، كما تؤكّد السيرة ، بل تورُّعاً من أن يبقى تحت سيطرة الصليحيين ، الذين كانوا ينتظرون منه أن يظهر في بلاطهم بين الحين والآخَر ، وأن يُصاحبهم في غزواتهم . وهكذا خرج مع أخيه ذي الشرفين ، وقلّةٍ من أتباعه سراً باتجاه مذاب بالجَوف ، ماضياً خلال بلاد بني بحر ، متجاوزاً صعدة ، خائفاً أن تؤذيه بعضُ القبائل أو تحتجزه تقرُّباً للصليحي ، مُتابعاً مسيرته السريعة عبر بدر إلى بلاد عنز بن وائل حتّى وصل إلى تَرْج ببلاد خثعم ؛ وهي المقرُّ القديمُ للأُسرة منذ عهد جدّه . وكان بعضُ أفراد الأُسرة ما يزالون يقيمون بترج ، ولهم صِلاتٌ حسنةٌ بالبطون القَبلية بالمنطقة . وهناك تزوّج ذو الشرفين بابنة عمّه سليمان بن القاسم بن علي ؛ أمّا هو فتزوّج امرأةً من آل صُهيب .

وما أن استقرّ به المقامُ بترج حتّى أرسل أخاه إلى مكّة بهديةٍ عبارة عن فَرَسين وبغلتين لشريفها السليماني شكر بن أبي الفتوح ، أمير مكّة . وكان شكرٌ من أصدقاء الأسرة ، لذا فقد كاتبه الشريف الفاضل أثناء الصراع مع الصليحي طالباً مساعدتَهُ لكنه لم يحظ بجواب[1] . سار ذو الشرفين ومُرافِقوه قاصدين مكّة عبر تُربة وذات عِرْق في رجب 452 هـ/أغسطس 1060 م[2] . ثم أدّوا العمرة وانتظروا فلمّا حضر الحجُّ أدّوا الفريضة أيضاً . وفي النهاية استقبلهم الأمير شُكْر بالترحاب ، ومنحهم ذَهَباً وهدايا أُخرى مقابل هديتهم . كما أرسل رسالةً إلى الشريف الفاضل مع ذي الشرفين لم تذكر السيرةُ محتواها . لكن يبدو أنّ الشريف شكر أبدى في الرسالة رغبةً في أن يزور الشريف الفاضل مكّة في موسم الحجّ المُقْبل ؛ لأنّ الفاضل عبّر ـ عَقِبَ قراءته للرسالة ـ عن الأمل في تغيير الأُمور حتّى الموسم المقبل . وربما عنى الفاضل بذلك ما كان الشريف شكر متورّطاً فيه ؛ إذ نعلمُ من مصادر أُخرى أنّ شكراً قام عام 453 هـ/1061 م بقطع الخطبة للفاطميين بمكّة ، وتعرّض من جرّاء ذلك

---

(1) ق 228 . لام الصليحي الشريفَ الفاضلَ بوجهٍ خاصٍّ بعد استسلام الهِرابة لطلبه المساعدة من شكرٍ وبني الحسن .

(2) لا تحدَّدُ السنةُ في السيرة (ق 235) ، لكن يمكنُ تخمينها من سياق الأحداث وترتيبها على السنين .

لمضايقاتٍ وتهديداتٍ من جانب الصُّليحي[1] . لكنّ شكراً ما لبث أن تُوُفّي[2] قبل حلول موعد الحجّ المقبل ؛ وعندما وصل الشريف إلى مكّة للحجّ في العام التالي كانت الخطبة قد عادت للخليفة الفاطمي بالحَرَم[3] . واعتزم الشريف الفاضل أن يمضي من مكة إلى الكوفة ، واتّفق مع أحد بني هلال أن يكونَ دليله عبر الصحراء . لكنّ الجمال التي كان ينبغي أن تحمل الشريف وصحبه تأخّرت في الوصول من عرفات فمضى الهلاليُّ وتركهم مما أدّى إلى تحوُّل عزم الشريف عن السفر إلى الكوفة واعتزامه العودةَ إلى تَرْج . وفي ترج انهمك الشريفُ في إقامة مشروعٍ زراعيٍّ إذ كان مُغْرَماً بالعمل في الأرض ؛ وهو ميلٌ ربما ورثه عن جدِّه القاسم بن عليٍ[4] . وقد عمد الشريف في البداية إلى إحياء الأرض التي كان قد مهّدها جدُّهُ . لكنّ سيّد تَرْج خشي على الشريف من أهل الناحية التي كان قد ازدرعها فعرض عليه قطعة أرضٍ أخرى وبئراً كان يملكهما ؛ فانصرف الشريف وأتباعُهُ إلى استغلال تلك القطعة الممنوحة .

وفي عام 454 هـ/1062 م وصلت إلى الشريف الفاضل معلوماتٌ عن اعتزام الصليحي القيام بحملةٍ إلى الحجاز[5] . ولأنّ الشريفَ لم يكن متأكداً من مقاصد الصليحي من وراء الحملة . فقد عزم على التحوُّل إلى اليمامة تجنباً للقيا الصليحي ؛ في حين عاد أخوه ذو الشرفين إلى أهله باليمن . ولا تذكر السيرةُ شيئاً عن رحلة الفاضل إلى اليمامة ؛ لكن يبدو أنّه عاد إلى تَرْج فور عودة الصليحيِّ

(1) الصليحيون ، ص 88 وما بعدها .

(2) يثبتُ القلقشندي في صبح الأعشى ، القاهرة 1912 ـ 1917 ، 4/269 وفاة شكر عام 453 هـ/1061 م .

(3) ق 236 : الدعوةُ في هذا اليوم إسماعيلية . لكنّ الفقرة تشير ، على أيِّ حالٍ ، إلى أنّ الخطبة كانت للفاطميين في يومٍ محدّدٍ وليس بشكلٍ دائم . ويتفق هذا التخمين مع سلوك أمير مكّة محمد بن جعفر بن أبي هاشم فيما بعد ، الذي اعتاد على تبديل الخطبة بين الفاطميين والعباسيين ؛ قارن : الصليحيون ، ص 92 .

(4) في غاية الأماني 1/227 أنّ القاسم بن علي ترك بلاد خثعم لبعض الوقت ، وأقام زراعةً مسقيةً في تبالة . فلا بدّ أنّ ذلك يشير إلى مشروعٍ زراعيٍّ آخر له غير مشروعه بناحية تَرْج .

(5) عن تاريخ حملة الصليحي إلى مكة ، التي لا تُذْكرُ في السيرة ؛ قارن : الصليحيون . وأكثر المصادر تذكر خطأً تاريخ الحملة العام 455 هـ .

لليمن . أمّا ذو الشَرَفين فقد ثارت حوله وحول أخيه الحسن بن جعفر شكوكٌ من جانب الصليحيين في اعتزامهما الثورةَ مع الشيعة الحسينية بالظاهر فمضيا إلى صنعاءَ لتطمين السُّلُطات هناك ، والحصول على أمانٍ مجدَّدٍ منهم . وفي صنعاء استقبلهما الأمير أحمد بن مظفَّر لكنهما لم يستطيعا إقناعه ببراءتهما . وعندما رُفع الأمر إلى علي بن محمد الصُّليحي رفض هو بدوره تجديد « الأمانَ » لهما ؛ فاشتدّ الخوفُ بذي الشَرَفين ، وخشي حدوثَ الأسوأ ، فاختفى أياماً بصنعاء ثم خرج منها على استخفاءٍ بمعاونة بعض الأتباعِ الأُمناء حتّى وصل إلى عِيان التي قضى فيها أسبوعاً مختفياً حتّى عن أعين أفراد أُسرته . ثم غادر عيانَ عائداً إلى تَرْج التي وصل إليها دونما مزيدٍ من الإزعاج[1] .

وعندما تجمّع بترج آخرون من رجالات الشريف الفاضل ، اقترح عليهم الانصرافَ الكاملَ والمنعزل لقراءة وتدارُس « كتب الأئمة » لمدّة عام . وقد بلغ من قسوة تلك العزلة الدراسية أن فقد سليمان ابن الشريف الفاضل عقله ، وتُوُفّي على أثر ذلك . وبعد فترةٍ بلغت الشريفَ الفاضلَ أنباءٌ جعلتْهُ يخافُ على سلامته بترج فتجدّد عزمُهُ على المُضيّ إلى العراق . وصل الشريف الفاضلُ إلى مكّة في رجب 459 هـ/مايو ـ يونيو 1067 م وأدّى العمرة . وكانت مكةُ وقتها قد عادت للسيطرة الصُّليحية فلم يَعُدِ الشريفُ آمِناً على نفسه فيها ؛ وبخاصّةٍ أنّ شريف مكّة آنذاك (محمد بن جعفر) بن أبي هاشم اعتذر عن استقباله . وهكذا خرج الشريف الفاضل من مكّة قاصداً المدينة ووصلها في شعبان / يونيو ـ يوليو وقد شارفت أزوادُهُ وأزوادُ مُرافقيه على النَفاد . فاتّجه الشّريف الفاضل إلى نائب أمير المدينة الحسين بن مهنّا الحُسيني طالباً المُساعدة ؛ ذلك أنّ الأمير نفسه محيط (؟)[2] بن أحمد الحَسَني كان غائباً بمصر . فاستجاب نائب الأمير لطلبهم وخصّص لهم مسكناً ضيّقاً مجاوراً لبيتٍ كانت تؤتى فيه المنكراتَ ، ومنحهم أطعمةً ضئيلةً ومتواضعة . وانصرف الفاضل لمتابعة خططٍ بالسفر إلى الكوفة ومن هناك إلى بيت المقدس . ثم

(1) ق 237 ـ 238 .

(2) الاسم غير مفهوم .

ما لبث الفاضل أن ترك تلك الخطط لظروفٍ متعدّدة . فقد وصلت للمدينة قافلةٌ من العراق سطا عليها الأعرابُ في الطريق . كما عاد أمير المدينة إليها وتبيّن أنه أكثر بُخْلاً من نائبه ، وأقلّ استعداداً لتأمين متطلبات الرحلة من الأزواد والرواحل . وأخيراً فإنّ اعتزامَ الشريف الفاضل زيارةَ بني حَسَنٍ بالصفراء لم يصل به إلى شيءٍ لأنّ أحد الذين وعدوا بمرافقته ما لبث أن اختفى دون أن يترك أثراً .

لهـذه الأسباب كلّهـا استقرّ رأي الشـريف الفاضـل على العـودة إلى اليمن للاستتار بين أفراد أُسرته وبدأ رحلةَ العودة بالمرور بمكّةَ دون أن يدخلها لما بلغه من أنّ غريب بن البقاء وزير الصليحي وصل إليها برجالٍ ومالٍ إعداداً لزيارة سيّده للبلد الحرام . وعندما مضى قُدُماً في رحلته بدأت تصل إليه إشاعاتٌ عن مقتل علي بن محمد الصليحي (11 ذو القعدة 459 هـ/22 أكتوبر 1067 م) . ومـا لبثت تلك الإشاعاتُ أن تأكّدت عند بلوغه تَرْجاً . وأراد الفاضل بدايةً أن يقيم لبعض الوقت بتَرْج ؛ لكنّ طول بعاده عن أُسرته وأصدقائه وأتباعه ، كلٌّ ذلك دفعه للإسراع بالعودة إلى اليمن . وأثناء حركته جنوباً ماراً بجُرَش بلد بني حيّ من خَولان ، والحقل ؛ وصلته رسالةٌ من أخيه ذي الشَرَفين ، الذي كان قد سبقه في العودة لليمن ، تخبره بثورة الشريف حمزة بن أبي هاشم وتدعوه لمساعدته . وقد وجدت مقترحاتُ أخيه قبولاً لديه فبدأ يجمع حوله الأنصار والأتباع من وادعة وخولان وبني مالك والربيعة . لكنه عندما وصل إلى البَطنة لقيه أخوه ذو الشرفين مع جماعاتٍ من أتباعه ، وبعض أعقاب القاسم بن علي ، وأخبره بهزيمة الشريف حمزة ومقتله في معركة الملوى (22 ذو الحجة 459 هـ/2 نوفمبر 1067 م)[1] . وأحدثت تلك الأخبار المؤسية خيبة أملٍ كبيرةٍ لديه فترك كلّ خطط الثورة والخروج ومضى إلى عِيان[2] .

وفي عيان لم تتركه القبائل بسلام ، فحـوالي نهايـة العام 459 هـ/نـوفمبر 1066 م أتته بطون بني **الدعام** ، وبني بحير[3] ، ووجهاء نِهم إلى عيان ، وطلبت

---

(1) الصليحيون ، ص 117 وما بعدها ؛ والغاية 1/255 وما بعدهـا حيثُ تُذكـر المعركـةُ خطأً تحت العام 458 هـ .

(2) ق 240 ـ 241 .

(3) الاسم في هذه الفقرة غير منقوطٍ لكنه مشكَّلٌ بضمةٍ وفتحة . وفي المواطن الأخرى فإنه مكتوبٌ

إليه الخروجَ والدعوة . وتردّد الرجل لبعض الوقت ، ثم خضع للضغوط وتبعهم إلى الجَوف . قرابة هذا الوقت وصله رسولان من سعيد (الأحول) بن نجاح ، حاكم زبيد ، الذي كان المسؤول عن قتل الصليحي ، ونقلا إليه دعوة سيّدهما لحملةٍ مشتركةٍ على صنعاء . فأرسل الشريف الفاضلُ معهما أخاه سنان الدولة أحمد ، والقاضي عيسى بن الحُسين بن أحمد ، لإنجاز التحالُف مع ابن نجاح . لكن في الوقت نفسه تقريباً مضى الأمير ذو الشرفين بضغطٍ من أخيهما حسن إلى صنعاء لمحاولة الاتّفاق مع الصليحيين . وهناك استقبلهما إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي استقبالاً حسناً ، ثم ما لبث حاكم صنعاء أحمد بن مظفّر أن عاد إلى المدينةَ ودعاهما أيضاً للقائه . كان الصليحيون وقتها يعدُّون لحملةٍ ضخمةٍ على زبيد للثأر لمقتل علي بن محمد الصليحي ، ولتحرير زوجته الملكة أسماء من الأسْر ؛ ولذلك كانوا على استعدادٍ لإعطاء تنازُلات في العلاقة مع الأشراف . وهكذا أكّد أحمد بن مظفّر للشريفين أنه في حال فشل الصليحيين في حملتهم فإنّ البلاد كلَّها ستقع في يد الأشراف ؛ أمّا إذا نجحوا فإنّ الفضل في ذلك سيعود للسادة أيضاً . وهكذا أعاد الرسولين إلى عيان مع هدايا للشريف الفاضل ، ورسولٍ من جانبه اسمه دُلهام بن عبد الله الحَرازي يحملُ رسالةً للفاضل . لكنّ الفاضل ـ الذي كان ما يزال مع القبائل في الجوف يستعدّ للثورة ـ رفض محاولات التقارُب مع الصليحيين أولاً ، ثم رضي بمقابلة رسولهم . وفي النهاية جرى التوقيع من جانب الشريف الفاضل على ثلاث وثائق ، كان أخوه ذو الشرفين قد تفاوض عليها مع الصليحيين بصنعاء وأكّد مضامينها إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي ودلهام الحرازي[1] . أمّا الوثيقة الأولى فتنصُّ على التسليم بأرض وادعة وبكيل للشرفاء ويحدّها نقيل عجيب . وأمّا الوثيقة الثانيةُ فتؤمّن حرية الحركة والإقامة للشيعة الحسينية حيث كانوا . وأمّا الثالثة فتؤكّد

= ب ح ي ر . أمّا الهمداني (الصليحيون ، ص 127) فيسمّيهم تبعاً للداعي إدريس : بنو جُبير ـ وهذا لا شكّ تحريف .

(1) لا يتضح من تقرير السيرة ما إذا كانت الوثائق قد كُتبت بصنعاء ، ووُقّعت من إسماعيل بن أبي يعفر ، أو أنها كُتبت بعِيان ثم أُرسلت إلى صنعاء للتوقيع . ويبدو أنّ الاحتمال الأول هو الأرجح ؛ وبخاصةٍ أنّ السيرة تكرّر اضطرار الفاضل للموافقة على ما سبق لذي الشرفين أن اتفق عليه مع الصليحيين .

ملكية الأشراف لبعض المدن والبلدات مثل حمودة وحاز وبيت شُعيب وبيت سود . ولم يكن يسع الشريف الفاضل رفض تلك الوثائق التي وافق عليها أخوه فوافق عليها أيضاً ، وأرسل ابنه محمداً إلى صنعاء رهينةً لدى الصليحيين حيث بقي هناك طوال حملتهم على زبيد (19 صفر ـ 26 ربيع الثاني 460 هـ/28 ديسمبر 1067 ـ 2 مارس 1068 م) .

أمّا الداعي الإسماعيلي إدريس المُوالي للصليحيين فيزعُمُ في كتابه : **العيون** أنّ الشريف الفاضلَ هو الذي نقض العهد مع المكرَّم بتهديده لصنعاء خلال غياب الصليحيين عنها ، وهو يعتبر ذلك بين أسباب تخلّي المكرَّم عن ملاحقة سعيد الأحول ، وإسراعه في العودة إلى صنعاء[1] . لكن مؤلّف السيرة يُصِرُّ على رعاية الفاضل لتعاقُده مع الصليحيين ، ويتّهمهم بنقض العهد بمجرَّد فوزهم على الأحول وعودتهم من زَبيد . والحقُّ أنّ الاتهامات ضدّ الشريف الفاضل لها ما يُسوِّغُها في استمراره في الإعداد للإغارة على صنعاء كما سبق أن اتفق على ذلك مع سعيد الأحول ؛ لكنّ لا شكّ أنّ ذلك كان من جانبه لاحتمال انتصار الأحول على الصليحيين . وكان رسولاه إلى سعيد الأحول قد عادا من زبيد بتفاصيل حول الحملة المشتركة وكان هو ما يزال مرابطاً بخرفان[2] ، وما كادا يصلان إليه حتى بلغته أخبارُ هزيمة سعيد وهربه[3] . وسارع الشريف الفاضل بالانسحاب إلى عيان . ولذا كان بوسعه الادّعاء أنه لم يخالف شروط التعاقُد مع الصّليحي ، وأنّ الصليحيين هم الذين بدأوا بالهجوم . وكان الصليحيون من جانبهم عقب عودتهم من تهامة قد فقدوا الاهتمام بالحفاظ على العهد مع الفاضل أو تجديده وبخاصةٍ أنّ ذلك العهد تضمن تنازُلاتٍ عن أراضٍ وبلادٍ للشرفاء اضطر إليها الصليحيون لكي لا يقاتلوا على

---

(1) الصليحيون ، ص 120 وما بعدها ، 125 . ومما يلفت الانتباه أنّ الداعي إدريس لا يذكر التنازلات السياسية المعتبرة التي وافق عليها الصليحيون لصالح الشريفين ؛ بل يكتفي بالقول إنّ المكرَّم أمر للشريفين « بكسوةٍ فاخرةٍ ودنانير كثيرة » .

(2) تقع خِرفان في جنوب شرق خَيوان (قارن : Edward Glaser's Reise nach Márib , Maps 2, 3) وهكذا فإنّها بعيدةٌ عن صنعاء .

(3) ق 243 . وتتحدّث السيرة خطأً عن مقتل سعيد بن نجاح ، الذي لم يُقتل في الحقيقة إلاّ في الحملة الثانية للمكرّم على تهامة عام 461 هـ/1069 م (الصليحيون ، ص 13) .

جبهتين . سارع الصليحيون بمجرد عودتهم للإغارة على الجَوف الأعلى فخرَّبـوا الحدائق والكروم ، وقطعوا أشجار النخيل ، وكتبوا رسالةً إلى بني الدِعام يتهددونهم فيها ، ويحاولون صرفهم عن الاستمرار في الانتصار للشـرفاء . ولم يتـراجع بنـو الدِعام بل أعلموا الشريف الفاضل بما كان ، ورفضوا عرض الصليحيين للتقارب معهم . ونجح المكرَّم الصليحي أكثر مع بني ذيبان الذين هزمهم وأرغمهم على عقدٍ معه لمساعدته عسكرياً ، والامتناع عن مساعدة الأشراف أو إيوائهم[1] .

أمام تحديات الهجوم الصُليحي ، قرّر الفاضل البحث عن قلعةٍ جبليةٍ يستطيع عند الضرورة الانسحابَ إليها والصمودَ فيها مع أتباعه . فوقـع اختياره على قـرية شهارة الجبلية الواقعة في بلاد الأهنوم . وهكذا أرسل أولاً أخاه ذا الشرفين للسيطرة على الجبل ؛ لكنه لم يكن قادراً على القيام بتلك المهمة إذ لم تجر مشاوراتٌ مُسْبَقةٌ بينه وبين السكّان المحليّين . لذا أرسل الفاضل بعدها الفقيه علي بن أحمد بن أبي الجيش والشيخ يعقوب بن سليمان العُبيدي مع جماعةٍ من الأنصار ، حيث استطاعوا الحصول على موافقة وتعاون بعض شيوخ الأهنوميين والظُليميين : وتحرك الفاضل إلى حُـوث ، وأرسل أخـاه سنان الـدولة مـع عشرة رجـالٍ لكي يصعدوا إلى قمـة جبـل شهارة فيوقدوا عليها النيران علامةً على نجاح مهمتهم إن كان ذلك . وأخفى الرجال أنفسهم في بيت أحد المتعاونين معهم من الأهنوم . وفي ظلمة الليل تسلّقوا الجبل وانصرف أحدهم لمشاغلة حرّاس باب سُور القرية ، وقرع الآخرون الباب فلمّا سارع بعضُ أهل القرية ليلاً ورأوا خارجه الشريف وشيوخ الأهنوم الموافقين لهم خـافوا وتفرّقوا . ودخل الشريف وأتباعه القرية ؛ وفي الليلة المقبلة أوقدوا النيران على قمة جبل شهارة . فعاد الشريف الفاضل بسرعةٍ إلى الجوف الأسفل ، ومضى بعد أيامٍ بخيلٍ ورجالٍ من بني نِهم وسُفيان ، والشيعة الحسينية ، إلى شهارة . وصعد إلى الجبل ودخل القرية في آخر أيام رمضان عام 460 هـ/2 أغسطس 1068 م . بذلك صارت شهارةُ حصْنَ الشرفاء القاسميين ، والمقرّ الدائم للأمير ذي الشرفين ؛ بينما

---

(1) يتحدّث الداعي إدريس عن انتصار المكرَّم (الصليحيون ، ص 127) . وقد عُقدت المعاهدة في 24 جُمادى الأولى عام 460 هـ/ 28 مارس 1068 م .

بقي الفاضلُ غالباً في الجَوف الأسفل . وقد مكّن جبل شهارة وحصنها الشرفاء من الثبات في وجه هجمات الصليحيين رغم تفوُّقهم العسكري الواضح . ويبدو أنّ نقطة التحوُّل في الحرب بين الطرفين كانت فَشَل الصليحيين في الاستيلاء على شهارة بعد حصارهم الكبير لها . قاد الحصارَ على شهارة كُلٌّ من المكرَّم وأحمد بن مظفَّر مع صليحيين آخرين عام 462 هـ/1070 م بعد عودة المكرَّم من حصاره الثاني لزَبيد . وصمد ذو الشرفين للحصار الذي استمرّ زهاء الخمسة الأشهر[1] ؛ والذي لم يستطع الفاضلُ الوقوفَ فيه إلى جانب أخيه لشغل الصليحيين له بميادين أخرى . لكنه تمكّن من إيصال أموالٍ لذي الشرفين كان قد تلقّاها من جيّاش بن نجاح حاكم زَبيد الجديد[2] الذي استمرّ في دفع مبالغ شهريةٍ للشرفاء . وقد أوصلها مع وفدٍ سمح له الصليحيون بالوصول عبر خطوطهم لأنه كان يحملُ رسالةً من الفاضل إلى ذي الشرفين ينصحُهُ فيها بالاستسلام[3] . وانتهى الحصارُ بهجومٍ مُباغتٍ قام به المحاصَرون على الصليحيين فقتلوا منهم ثمانمائة رجل ، أو تسعمائة رجل حسب روايةٍ أخرى ، بمنطقة الرحْبة بأسفل الجبل ، ولم يفقد المحاصَرون غير ثلاثة رجال . ومنذ ذلك الحين صار بوسع الشرفاء رفض عروض الصليحيين للتعاقُد والتقارب[4] .

وتُورِدُ السيرة بتفصيلٍ كثيرٍ أخباراً وتقارير عن حملاتٍ ومعارك في حياة وحكم الشريف الفاضل قبل حصار شهارة وبعده . ولن أتتبّع ذلك هنا إذ يحتاج الأمر لدراسةٍ منفصلة[5] . ويذكر صاحب **غاية الأماني** كثيراً من تلك الأحداث والمعارك ، بين

---

(1) ق 251 . ولا تذكر السيرةُ تاريخاً لحصار شهارة . لكنها تذكر وصيةً لذي الشرفين كُتبت أثناء الحصار ؛ وهي مؤرَّخةٌ في رجب 462 هـ/إبريل ـ مايو 1070 م (ق 249) .

(2) هرب جيّاش إلى الهند بعد أن هزم المكرَّم آل نجاح في رمضان عام 461 هـ/ يوليو 1069 م (الصليحيون ، ص 131 وما بعدها) . ويذكر عُمارة (نشرة الأكوع ، ص 136) أنه عاد إلى زبيد بعد ستة أشهر .

(3) ق 251 ـ 252 .

(4) ق 242 .

(5) هناك مشكلةٌ ناجمةٌ عن أخبار حملة العام 461 هـ/1068 ـ 1069 م يحسُنُ التعرضُ لها هنا . فخلال الحديث عن تحركات الفاضل ذلك العام تذكر السيرة وصول الشريف أبي الفتح الناصر بن =

العامين 463 و 478 هـ بإيجاز معتمداً في ذلك على السيرة اعتماداً كاملاً تقريباً[1] . ولا شكّ أنّ ذُروة انتصارات الشريفين كانت استيلاء الفاضل على صعدة في رمضان عام 463 هـ/يونيو 1071 م حيث أُقيمت الخطبةُ باسمه في جامع الهادي هناك ، وأُخذ زعيم أنصار الصليحيين بالمدينة أسيراً[2] . ثم الاستيلاء على جبل مَسْوَر في رمضان عام 464 هـ/مايو ـ يونيو 1072 م[3] ـ وهو الانتصار الذي خلّده ذو الشرفين بإنشاء دارٍ لِسَكِّ النقود بمَسْوَر[4] . لكن لم تكن كلُّ الغارات التي ذكرتْها السيرة غاراتٍ على الصليحيين . فمع مُضِيّ السنوات صار ضرورياً في كثيرٍ من الأحيان إخماد تمرداتٍ كانت تنشب ضدّهم بين القبائل الموالية لهم . وكانت الضرائب الثقيلة التي يستصفيها الأميران السبب الرئيسي لأحداث التمرد بين رعاياهم . أمّا

= الحسين الحَسَني الديلمي من العراق ، ونشاطاته خلال العام (السيرة ، ق 247 ـ 248) . لكنْ كلّ المصادر الأخرى تذكر أنّ الإمام الزيديَّ أبا الفتح الناصر الديلمي كان قد أتى إلى اليمن قبل أكثر من عقدين من السنين ، وقُتل في معركة نجد حاج عام 444 هـ/1052 ـ 1053 م . ولذا فإنّ ذكره في السيرة في العام 461 هـ/1069 ـ 1069 م مدعاةٌ للاستغراب . فهل يرجع ذلك إلى خَلْطٍ بينه وبين أحد أبنائه ؟ يبدو هذا الاحتمال غير مرجّح لأنّ مفرِّحاً كان حاضراً بنفسه في بعض تلك الأحداث . أو أنّ الرجل ادّعى أنه الإمام أبو الفتح العائد ؟ ولا يمكن الحكم على مدى جدية هذا الاحتمال استناداً إلى السيرة لأنها لا تذكُرُ الإمام أبا الفتح من قبل . لذا فلا أستطيع في الوقت الحاضر تفسير أخبار السيرة المتأخّرة هذه عن أبي الفتح .

(1) غاية الأماني 1/262 ـ 270 .

(2) ق 258 وما بعدها . وتبعاً للخبر الذي تورده غاية الأماني 1/262 فإنّ الخطبة كانت قد جُعلت « لبني الهادي » في فترة « سابقة » حتّى كسب أنصار الصليحيين الجَولة على آل الهادي هناك . ولا تذكر السيرة ذلك بالتحديد . لكنّ هذه لم تكن المرة الأولى التي يُخْطَبُ فيها للصليحيين بالمدينة . فالسيرة تذكر أنّ « مُجاب بني الصليحي » كان يسيطر على صعدة إبّان هرب الشريف الفاضل من اليمن عام 451 هـ/1059 م (السيرة، ق 242) . فربما أمكن لآل الهادي بصعدة أن يحوّلوا الخطبة لصالحهم بعد فشل الصليحيين في حصار شهارة قبل ذلك بعام . ويظهر أنّ أكثر الناس والتجار بالمدينة كانوا موالين للصليحيين . أمّا زعيم الحزب الصليحي جعفر بن الحسن الشميري (الإعجام غير مؤكّد) فقد بقي أسيراً بشهارة لستّ سنين إلاّ شهرين ، أي حتى العام 469 هـ/1077 م (ق 283 ، وليس حتى العام 470 هـ كما في ق 259) حيث أُطلق سراحُهُ من جانب ذي الشرفين بناءً على رجاء أهل صعدة ، بعد أن دفع فديةً قدرها ثلاثة آلاف دينار .

(3) ق 261 ؛ والغاية 1/264 .

(4) ق 266 . جمع الشريف الفاضل الفضّة من أتباعه وأقاربه لهذا الغرض .

الشريفان فكانا يبرّران تلك الضرائب بضرورات ونفقات الجهاد ضدّ « الكفرة » من الصليحيين ، الذين كانوا ينبزونهم باسم القرامطة . وتُورِدُ **السيرة** بالتفصيل أقوالاً واقتباساتٍ للأميرين من تراث الأئمة في تسويغ تلك الضرائب الاستثنائية لمجاهدة أولئك الملحدين القُدامى . ومن جهةٍ ثانية ، فإنّ هذه الحملات ضدّ القبائل الثائرة كانت أقلّ شعبيةً لدى الجيش من الحرب مع الصليحيين ؛ إذ كانت الغاراتُ على أولئك تَعِدُ بمغانم أكبر . ولا تُخفي **السيرة** تذمُّر الجيش من قرارٍ اتخذه الفاضل في المحرَّم عام 467 هـ/سبتمبر 1074 م بالقضاء أولاً على تمردٍ في ناحية مسور بدلاً من غارةٍ كان قد خطّط لها ضدّ الصليحيين . وقد أطاع الجيش أوامر الفاضل بعد تردُّدٍ ، وانتهت تلك الحملةُ بالفشل ، وبخسائر كبيرةٍ للشريفين[1] .

وفي مطلع العام 468 هـ/ أغسطس 1075 م استولى على الشريف الفاضل من جديدٍ غرامه القديم بالزراعة ، وقرّر أن يحوِّل منطقة عَمران بوادي الخارد[2] من جديد إلى بيئةٍ زراعيةٍ لصالح المسلمين والإسلام . وهكذا جمع عمالاً ومتطوعين واستعداداتٍ أخرى ، ومضى إلى تلك المنطقة بحريمه وخيله ومتطوعيه ، آخِذاً على بني الدِعام أهل تلك المنطقة العهودَ والأيمان بحسن الجوار . وقُسِّمت منطقة عَمران إلى ثلاثة أقسامٍ ؛ الثلث الأول لبني نِهْم ، والثلث الثاني لبني الدِعام وبني نِشْق ؛ الذين كانت لهم المنطقة في غابر الزمان[3] ، والثلث الثالث للفاضل وذي الشرفين . وبقي ذو الشرفين بشهارة مع أتباعه ورفاقه . ولم يكن بعضُ بني نهم راضين عن الثلث الذي جُعِلَ لهم ؛ وقد عبّروا عن عدم رضاهم بإشعال النيران على جبلٍ قريب . وتلقّى الفاضل من جديدٍ أيماناً وتأكيداتٍ من بني الدعام بالحماية وحسن الجوار واستقرّ بعَمران . ولم يكد الفاضل ينتهي من جرّ ساقية ماءٍ ، ودرب للمساكن بالناحية حتّى هوجم من جانب بعض رجال القبائل وقُتِلَ في 23 صفر 468 هـ/5 أكتوبر 1075 م[4] . وعلى مقربةٍ منه قُتل الشريف القاسم بن

(1) ق 275 ـ 276 .

(2) الهمداني : صفة ـ الفهارس . وانظر أيضاً : عَمران

(3) الهمداني : صفة ، ص 82 ، 127 .

(4) ق 241 : كان عمره سبعةً وخمسين عاماً . وفي غاية الأماني 1/268 فإنّ تاريخ وفاته يُذكر خطأً باعتباره ذا الحجة عام 468 هـ .

إبراهيم ابن سليمان ، وسُلبت أفراسُهُم وأسلحتُهم . أمّا محمد ابن الشريف الذي كان حينها في السَكَن مع الحريم فقد أخذ مع الحريم من جانب رجال القبائل مع سلاحه وخيله . وتـوبع القَتَلةُ السـالبون تلك الليلة من جـانب الجحّاف بن مـانع ونُباتة بن ربيع الدعاميين ، حيث نجحا في إطلاق سراح محمدٍ والحريم . ودُفن الشريفان المقتولان أولاً بحُوث لدى الحسن بن الدعام[1] . وتذكر **غاية الأماني** أنّ المكـرّم الصليحي كان وراء حـادث الاعتداء . أمّـا مُفَـرِّح فـلا يـذكـر شيئـاً عن الصليحيين ، ويعتبر نهماً وبني الدعام المسؤولين الوحيدين عن ذلك .

ترك مقتلُ الشريف الفاضل الأمير ذا الشرفين متفرداً بالسلطة ؛ لكنّ موقفه كان محفوفاً بمصاعب كثيرة . واتّجه في حركته الأولى للثأر للشريفين القتيلين . وفي سبيل ذلك كتب رسالة استصراخٍ واستنجادٍ إلى سائر القبائل المُوالية طالباً العون والمُساعدة ، وواصفاً القتلة من بني نِهم بأنهم « أشرّ وأخبث مَنْ علمتُ من جميع الناس »[2] . ولا تذكر **السيرة** إن كان القتلةُ قد أُدركوا أو عوقبوا ؛ مع أنها تُسمّي واحـداً منهم[3] . وبـدلاً من أن يصغي ذو الشـرفين لاعتبـارات استقـرار السلطة ومستقبلها ، تحوّل إلى كتلةٍ من الغضب المشتعل بالرغبة في الثأر ، ومال إلى إيقاع عقوبات « جماعية » ببني نِهم ، وبني الـدعام ؛ رغم أنّ الأخيـرين كانـوا العمود الفقري لجيشه . وكانت قبائلُ أخرى قد خرجت على طاعته عندما قُتـل الشريف الفاضل[4] . ويبدو محتَملاً أنه في هذه الظروف عاد ذو الشرفين للتعاقُد وتحديـد الحدود مع أحمد بن المظفّر الصليحي رغم أنّ **السيرة** لا تـذكر تـاريخاً للمهـادنة الجـديدة[5] . وصـارت حملةُ الثأر مستعـدةً للانـطلاق أخيراً في جُمـادى الأولى عام 469 هـ/ يناير 1077 م . وكانت أعدادٌ كبيرةٌ من المقاتلين قد تجمّعت خارج شهارة للانطلاق في غارةٍ إلى الشَرَف الذي ظهر فيه ثائرٌ إباضيٌّ يدعو إلى نفسه .

---

(1) في المخطوطة : في حَرْث الحسن بن الدعام . ويبدو أنه هو الصحيح (المترجم) .

(2) ق 278 ـ 279 .

(3) ق 278 .

(4) ق 288 .

(5) ق 303 . وتُذكَرُ في هذه الفقرة محاولاتٌ سابقةٌ لتجديد التعاهد والتعاقُد بين الطرفين دون إيضاحٍ لظروف ذلك .

لكنّ ذا الشرفين أخبرهم قبل الانطلاق مباشرةً بالاتجاه الحقيقي للحملة . وفي البطِنة حاول نُباتةُ بنُ الربيع الدعامي الانضمامَ إلى الجيش ، وسأل الوصولَ إلى ذي الشرفين من أجل الاعتذار والأمان . وأبى الشريف استقباله ، واضطُرّ للهرب مع رجاله عندما ساورهم الخوفُ على حيواتهم . واخترق الجيش أراضي بني نهم وبني الدعام مُخرِّباً ومُحَرِّقاً وقاتلاً كلّ مَنْ لم يهرب . واستُخرجت جثّتا الشريفين المقتولين ، وتنازعت القبائلُ شَرَف دفنهما بأرضها . وجرى الاتفاقُ أخيراً على دفن الشريف الفاضل بالحَضن من بلاد وادعة بالظاهر ، والشريف القاسم بن إبراهيم في عيان .

وكما كان متوقّعاً فإنّ القبائل المُطارِدَة انتقمت لنفسها بممالأة العدوّ . فقد كتب بنو الدعام إلى الصليحيين عارضين عليهم الانضمامَ إلى قواتهم . وسارع الصليحيون بعد موت السلطان أحمد بن مظفّر إلى نقض العهد[1] مع ذي الشرفين ؛ وصار بوسعهم الاندفاع عميقاً في شمالي اليمن . وهكذا اجتاح سليمان ابن عمير الزواحي البَون[2] وشَرَف البياض من مخاليف شَهارة . أمّا خيلُ المكرَّم فقد وصلت إلى أقَر على مقربةٍ من شهارة مقرّ ذي الشرفين[3] . واستطاع ذو الشرفين مؤقتاً استعادة زمام الأمور . فقد اتجه للاستعاضة عن قبائل الجَوف ببني مالك وربيعة خَولان من قبائل نواحي صعدة ، كما استعان بالصعديين . وهناك تفاصيل في السيرة عن تحركات ذي الشرفين العسكرية لن نعود إليها هنا . بل نريد أن نذكر فقط حملة ذي الشّرفين ضدّ الثائر الإباضي الحَطيط بن عبد المجيد في ذي القعدة عام 469 هـ/يونيو 1077 م . وقد نجح في إخضاع الثوار مع الحطيط ، وعيّن نشوان بن نشوان سلطاناً على الشّرَف . لكنّ السيرة لا تذكر شيئاً عن مصير الحطيط نفسه[4] .

(1) ق 303 . ولا نعرف تاريخ وفاة أحمد بن المظفّر . أمّا غاية الأماني 1/269 فتذكر أخبار الهجوم الصليحي بالكامل تحت العام 469 هـ . ويبدو ذلك ملائماً بالنسبة لبداية الهجوم ، أمّا حملة المكرّم فيبدو أنها كانت بعد ذلك .

(2) ق 285 .

(3) ق 303 .

(4) ق 284 ـ 286 ؛ وغاية الأماني 1/269 .

كان ذو الشرفين قد أُصيب بمرضٍ خطيرٍ عام 473 هـ/1080 ـ 1081 م لكنه ما لبث أن أبلّ منه ليسقط مريضاً مرةً ثانيةً في ذي القعدة عام 477 هـ/مارس 1085 م . ويوردُ مفرِّح تقريراً مفصَّلاً عن تطورات مرض ذي الشرفين أخذه من عن ابنه عمدة الإسلام ، الذي يذكر حالات إغماءٍ طويلةٍ لوالده أثناء المراحل الأخيرة من المرض[1] . ومات ذو الشرفين أخيراً في 23 محرَّم 478 هـ/19 مايو 1085 م عن عمرٍ يُناهز السبعة والأربعين عاماً[2] .

وتكتفي السيرة بعد هذا بإيراد تعازي القبائل للأمير عمدة الإسلام جعفر ابن الشريف وخليفته ، ثم تتوقّفُ عند هذا الحدّ من السرد التاريخي[3] .

أمّا **غاية الأماني** فتذكر أنّ جعفراً كان آخِر الحكّام من آل الإمام القاسم العياني . وقد انتهى حكمهم في عهده بسبب الخلافات التي نشبت فيما بينهم[4] . لكنّ السيرة التي كُتبت بعد وصول جعفر للسلطة باثني عشر عاماً لا تذكر شيئاً عن ذلك . فقد كانت هناك خلافاتٌ بين ذي الشرفين وأخيه سنان الدولة أحمد لأسبابٍ مجهولةٍ ، أدَّت إلى افتراقٍ مؤقَّتٍ بينهما وتمردٍ للأخير بصعدة[5] . لكنّ الأزمة ما لبثت أن انتهت ، و السيرة تذكر سنان الدولة بين المعزّين لجعفر والمُبايعين له . وكان محمد ابن الشريف الفاضل يملك حظوظاً طيّبةً للخلافة بعد وفاة ذي الشرفين . وفي السيرة وصيةٌ منسوبةٌ لذي الشرفين تُسمّي محمد ابن الفاضل ، وجعفر ابن ذي الشرفين باعتبارهما قد صارا « كبيري هذه الذرية »[6] . وكان عمدةُ الإسلام جعفر قد عيّن محمداً آمراً على قلعة شهارة . وليس في السيرة ما يفيد أنّ محمداً تسبّب بعدها بأيّ إزعاجٍ لابن عمّه . ويصف مفرّح شهارةَ زمن كتابته للسيرة باعتبارها مدينةً شديدة الازدهار ؛ فقد بلغ عددُ منازلها 511 منزلاً . وكان الأمير

---

(1) ق 291 ـ 293 .

(2) ق 297 . ومولده في رجب عام 430 هـ/إبريل 1039 م .

(3) ق 292 ـ 293 .

(4) غاية الأماني 1/270 .

(5) ق 288 .

(6) ق 293 : قد صرتما كبيري هذه الذرية .

عمدة الإسلام قد أمر بتمهيد طريقٍ من أسفل الجبل يمكّن من وصول الجِمال إليها . كما بنى قبةً بثلاثة أبوابٍ على قبر والده[1] .

IV

ومما يدعو للأسف أنّ السيرة لم تُتابَعْ بعد ذلك . لذلك فإنّ تاريخ الأشراف القاسميين المتأخّر ، ومصائر الشيعة الحسينية التي نعرفُ أنها استمرت حتى القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي[2] ، لا بُدَّ أن تُجمع قطعةً قطعةً من أخبارٍ عارضةٍ بالمصادر الأخرى عن تاريخ اليمن . أمّا بالنسبة لعقود السنين الواقعة أواسط القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ؛ فإنّ سيرة الأميرين تُعتبر مصدراً معاصراً وتفصيلياً من الطراز الأول ، ليس للتاريخ السياسي والديني لشمالي اليمن فقط ، بل وللجغرافية التاريخية وللحياتين الدينية والاجتماعية بتلك النواحي من اليمن . ورغم أنها مكتوبةٌ أصلاً لتخليد أعمال الشريفين ، وإبراز معاناتهما وإنجازاتهما ؛ فإنها تتّسم عموماً بطابعٍ حَدَثيٍّ تقريريٍّ ، تمكن الثقة به والاعتماد عليه[3] . لذا فلا حاجة لمزيدٍ من التأكيد على أهميتها كمصدرٍ تاريخيٍّ وضرورة نشرها كاملة . ومما يؤسَفُ له أنّ المخطوطة التي وصلتنا (من مختصرها) متأخرة النّسْخ[4] ، وسيّئة النوعية ، وحافلة بمواطن البياض ، ووجوه التشويه ، والأسماء غير المعجمة . فالمرجوّ أن تظهر نسخةٌ أخرى لها أحسن نوعاً تسهِّلُ عمل الناشر . لكنْ حتّى في حال عدم وجود النسخة الأُخرى ؛ فإنّ نشرةً جيّدةً للسيرة تظلُّ ممكنةً إذا توافرت لنصّها العناية الضرورية ، والجهد الكافي .

---

(1) ق 260 . وهناك معلوماتٌ عن نباتات شهارة وأشجارها ومعادنها في السيرة ، ق 244 ـ 245 .

(2) W. Madelung ; Der Imām al- Qāsim , P. 201

(3) لا أستطيع موافقة القاضي محمد الأكوع في حكمه على مؤلّف السيرة بأنه : « يطوي انتصارات الصليحي ويذويها بينما يطبّل ويزمّر لمولاه في أضاليل وكرامات هي بالخرافات أشبه . . . » (ص 110 من الطبعة الأولى ، وص 95 من الطبعة الثانية) . فمؤلّف السيرة لا يكتب تاريخاً لآل الصليحي . أمّا في سياق تاريخ الشريفين فإنّه لا يتردّدُ في ذكر انتصارات الصليحيين وهزائم الأشراف . ولذا فإنّ أيّ مقارنةٍ لمؤلّف السيرة بعمارة والداعي إدريس ستكون لصالح صاحب السيرة ؛ إذ إنّ الآخَرين يتجاهلان تماماً هزائم الصليحيين ، وإخراجهم من المناطق الشمالية باليمن في عهد المكرّم .

(4) تاريخ الانتهاء من نَسْخ المخطوطة هو 1 رجب 1066 هـ/ 25 أبريل 1656 م .

فـي التقديـم

سيرة الأميرين الجليلين الشريفين والشيعة الحسينية باليمن

I

يبدأُ تقليد كتابة « السِيَر » عند الزيدية بثائـرهم الثالث بعـد زيد بن علي بن الحسين (ـ 122 هـ) وابنه يحيـى (ـ 125 هـ) محمد بن عبـد الله بن الحسن بن الحسن ، الملقّب بالنفس الزكية القائم على المنصور (136 ـ 159 هـ) مع أخيه إبراهيم عام 145 هـ .

لكنّ « سيرة » أو « سِيَر »[1] النفس الزكية تدخُلُ في جنسٍ آخَر من أجناس التأليف غير التراجم الشخصية اشتهر في القرن الثاني على الخصوص . ويُعنى هذا الجنس « بسيرة المسلمين في المُعاملة مع المشركين من أهل الحرب ، ومع أهل العهد منهم من المستأمنين وأهل الذمة ، ومع المـرتدّين الـذين هم أخبَثُ الكفّار بالإنكار بعد الإقرار ، ومع أهل البغي الذين حالُهُم دون حال المشركين وإن كانوا

(1) تختلف المصـادر الزيـدية في تسميـة الكتاب ؛ فيسمّيـه أبو طـالب يحيـى بن الحسين بن هـارون (ـ 424 هـ) في **الإفادة في تاريخ الأئمة السادة** (مخطوطة ضحيان) ص 22 ـ 23 : **كتاب السِيَر** ؛ وقارن **بالحدائق الوردية** لحُميد المحلّي ، 1/155 . وفي **الجامع الكافي** لأبي عبد الله محمد بن علي الحَسَني العلوي (ـ 429 هـ) (مخـطوطة الجـامع الكبيـر بصنعاء) م 5/ق 279 ب تسميتـه **بالسيرة** ؛ وقارن **بالروض النضير** 4/666 . وانظر عن كتاب النفس الزكية وفكره ؛ رضوان السيد : محمد النفس الزكيـة ورسالتـه في السيرة في أهـل البغي ؛ مجلة كلية الآداب بجـامعة صنعـاء ، م 11/1990/ ص 105 ـ 132 . وقد جمع رضوان السيد كتاب « **السيرة** » للنفس الزكية ، ويصدر قريباً عن دار المنتخب العربي ببيروت .

جاهلين وفي التّأويل مُبْطلين »[1] . أمّا « السيرة » بالمعنى المفهوم لها اليوم (أي الترجمة الشخصية) فقد افتتح التأليفَ فيها علي بن محمد العلوي ، صاحب الهادي إلى الحقّ يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم (245 ـ 298 هـ) مؤسِّس الدولة الزيدية باليمن[2] . فقد كتب العلويُّ سيرةً للهادي ، لا تعرض لحياته قبل دخوله الأول إلى اليمن عام 280 هـ ؛ لكنها تتحدّث بالتفصيل عن أعماله باليمن ، ودعوته فيها ، وعلاقاته بالقبائل ، وما أُصيبت به دعوته من انتكاساتٍ أواخر حياته . ولسيرة العلوي ـ كما هو شأنُ سِيَر أصحاب الدعوات ـ طابعٌ أيديولوجي وأخلاقي ؛ لكنّ ذلك لا ينفي حدّثيّتها وموضوعيتها السردية . فهي ليست « سيرة » داخليةً لأفكار المترجَم ومشروعاته ، بل إنها تتبع أحداث حياة الهادي باليمن ، وامتداد سلطانه ، وصراعاته مع القبائل ، والقبائل التي تحالفت معه لأسبابٍ دينيةٍ أو جغرافيةٍ أو مصلحية . وهي تُظهرُنا على بيئةٍ شديدة التعقيد والتفاوت من النواحي كافة . وتحفل بكلمات الهادي وخُطَبه ورسائله التي ينبغي الاستنادُ إليها في معرفة العقائد الزيدية آنذاك ، وعلاقات تلك العقائد بفقه الهادي أو فتاواه الفقهية ، وصِلات ذلك كلّه بما كان في الحجاز والعراق آنذاك .

والسيرة الثانية من سِيَر الزيدية باليمن ؛ تلك التي كتبها عبد الله بن عمر الهمداني لمحمد المرتضى وأخيه الناصر أحمد بن الهادي[3] . وهي لا تكاد تختلف

(1) **المبسوط** للسرخسي م 10/ص 2 .

(2) نشرها سهيل زكّار بدار الفكر ببيروت عام 1972 بعنوان : « سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه وآله السلام . رواية علي بن محمد بن عبيد الله العبّاسي العلوي ابن عمّ الهادي وصاحبه » .

(3) لم تصلنا سيرةُ المرتضى والناصر للهمداني مستقلةً ؛ بل وصلت مشذَّبةً ضمن الجزء الباقي من تاريخ مسلَّم اللحجي (ـ 552 هـ) ـ وقد نشرها الأستاذ ويلفريد ماديلونغ W. Madelung بعنوان : سيرة الإمام أحمد بن يحيى الناصر لدين الله ـ منتزعة من كتاب أخبار الزيدية من أهل البيت عليهم السّلام وشيعتهم باليمن . تأليف أبي الغمر مسلّم بن محمد بن جعفر اللحجي ، Ithaca Press. Exter مع المعهد الشرقي بجامعة أكسفورد ، الطبعة الأولى 1990 . ويقول مسلّم في المقدمة (ص 4 ـ 5) : «وأوردُ هنا لُمَعاً ونُكَتاً من من أخبار الإمامين الفاضلين أبي القاسم محمد وأبي لحسن أحمد ابني الهادي إلى الحقّ يحيى بن الحسين عليهما السّلام : رواية الشيخ عبد الله بن عمر الهمداني صاحبه ؛ وهو كتابٌ عظيم القدر في الدين . وقد كاد ينقطع ويعدم لضعف هِمَم كثيرٍ من الناس في اقتنائه لا سيما أهل اليمن . . . » .

من حيث طرائق السرد ، والتركيز على الأحداث لا على شخصية المترجَم نفسه ؛ عن سيرة الهادي للعلوي . بيد أنها تعرض لإشكاليةٍ تتعلق بالشرعية عند الزيدية الأوائل ، ما كانت مطروحةً من قبل . فالمعروف أنّ محمداً المرتضى خلف أباه الهادي عند وفاته . على أنه تحت وطأة النكسات المتتابعة اعتزل الأمر عملياً دون أن يتنازل عنه صراحةً ؛ فتولّى أخوه الناصر النهوض بأعباء الدعوة والدولة مع بقاء الأمور على شيءٍ من الغموض حتى وفاة المرتضى عام 310 هـ إذ لم ينقض إمامة أخيه المرتضى ، ولم يصرّح بدعوةٍ جديدةٍ غير دعوته . لذلك يحاولُ الهمداني التأكيدَ على تفوُّق الناصر العلمي ، وتوافر شروظ الإمـامة فيـه على الوجـه الأكمل . ثم ينصرفُ للتدليل على أنّ أعمال الناصر السياسية والعسكرية في حياة أخيه كانت بموافقته بعد أن مال هو نفسه للاعتزال ، ويئس من إخلاص القبائل له في وجه مصاعب مصارعة القرامطة ، الذين قاتلهم الناصر عندها بكفايةٍ منقطعة النظير . وبذلك تُضاف « الضرورة » المتمثّلة في الدفاع عن الإسلام والمسلمين إلى مؤهّلات الناصر وأسباب شرعيته . وقد تكفّلت كتب التراجم الزيدية فيما بعد بضبط الصورة تماماً عندما ذهبت إلى أنّ الناصر ما ادّعى الإمامة ، إلاّ بعد وفاة أخيه عام 310 هـ ، مع أنه قاد الجيش والدولة منذ العام 302 هـ[1] . وفيما عدا ذلك ينصرف عبد الله بن عمر الهمداني لِسَرْد أعمال النـاصر العسكـرية ضـد القرامـطة وغيرهم من أعـداء الدولة . وتدعم إطالتُهُ في ذلك دعواه في كفايات الناصر الدينية والشخصية .

وتظلُّ مسألةُ الشرعية هماً رئيسياً بين هموم كُتّاب سِير الأئمة من الزيدية بعد

---

(1) أمّا أبو العباس أحمد بن إبراهيم الحسني (ـ 352 هـ) في كتاب **المصابيح من أخبار المصطفى والمرتضى والأئمة من ولدهما** (مخطوطة السيد أحمد بن محمد الشامي بصنعاء) ، ق 116 أ (بترقيمنا) ، والسيد أبو طالب في **الإفادة** (مخطوطة ضحيان) ، ص 83 فيقولان إنه « تسلّم الأمر من أخيه في صفر سنة 301 هـ » . وأمّا حُميد المحلّي فيقول في **الحدائق الوردية** 1/46 : « واعتزل رضي الله عنه الأمر وخلا بربّه . . . وأقام الأمر على حاله ولم يُظهِروا له خلافاً ولا كراهةً لأمره . . . وكان أخوه الناصر . . في الحجاز فقدم بعد ذلك ، فأشار المرتضى عليه بالقيام بالأمر ، وكانت مدة انتصاب المرتضى للأمر نحو سنتين . وتوفي بصعدة سنة عشرٍ وثلاثمائة . . . » . ويوردُ مفرِّحُ بنُ أحمد صاحب **سيرة الأميرين** ، في المخطوطة ق 92أ ـ 94 ب رسالةً طويلةً للمرتضى كتبها للريان (؟) الهمداني في تسويغ سلوكه في الاعتزال ، لكنه لا يصرّح بترك الإمامة .

الهمداني ؛ دون أن يقلّل ذلك من طابعها السردي الحَدَثي . فقد كانت مشكلةُ الحسين بن أحمد بن يعقوب كاتب سيرة المنصور بالله القاسم بن علي العياني (310 ـ 393 هـ) أنّ الأخير لم يكن من سُلالة الهادي[1] ، بل من سُلالة عمِّه محمّد بن القاسم بن إبراهيم ، ولذا فقد لقي مُعارضةً من بعض أعقاب الهادي . ومن هنا جاء تأكيد كاتب السيرة على أمرين اثنين لمواجهة تلك المعارضة : النظرية الزيدية في الإمامة التي لا تعترف بالوراثة في السلطة ، والكفايات البارزة للقاسم بن علي وبخاصةٍ الاجتهاد والشجاعة . ثم إنّ « السيرة » تذكر بالتفصيل مصيرَ اليمنيين إليه عاماً بعد عامٍ بمقرِّه بترج يدعونه للمجيء لبلادهم وقيادتهم . وعندما جاء للمرة الثانية عام 388 هـ سارع يوسف الداعي ، أحد أعقاب الهادي ، والذي كان قد ثار ودعا لنفسه عام 369 هـ ، إلى مُبايعته والانضواء تحت لوائه وإن خرج عليه فيما بعد . وتبرز من خلال « السيرة » رؤيةُ المنصور العِياني لنفسه وكفاياته . فقد قضى بترج ببلاد خثعم زَهاء العشرين عاماً متفرّغاً للعبادة والعلم قبل أن يقدم لليمن ، ولذلك فإنه بخلاف أعقاب الهادي وابنه الناصر كان أعلم أهل زمانه ، وأحقّهم بالإمامة . وقد ترك كتباً عديدةً في الفقه والأصول وعلم الكلام . ومع أنّ آراءه الفقهيّةَ والأصولية لا تخرج بشكلٍ عامٍّ عمّا عُرِفَ من تُراث الهادي وجدّه القاسم بن إبراهيم ؛ فقد كان أكثر انفتاحاً على زيدية الشمال بجيلان والديلم وطبرستان . فهو لا يرى أنّ الاختلاف في الفروع بين الأئمة مدعاة للنزاع . بل إنه لا يرى مانعاً من قيام إمامين اثنين شرعيين في وقتٍ واحدٍ ؛ هذا وإن لم يكن واضحاً متى ألّف كتاب

---

(1) قارن عن تلك السيرة : A, Madelung; Der Imam al Qāsim b. Ibrahim, P. 194- 197; ders Al- Hamdani's Descripition of Northern Yemen in the Light of Chronicles of the 4th/ 10th and 5th/11th Centuries; in: Al- Hamdani, a great Yemani Scholar -(ed.Y.M. ʿAbdallah, Sanaa 1986); P. 131-132.

وانظر عن سيرة ابن دعثم للمنصور بالله عبد الله بن حمزة ؛ دراسة عبد الغني محمود عبد العاطي : « أبو فراس ابن دعثم وكتابه السيرة المنصورية » في مجلة كلية الآداب بجامعة صنعاء ، م10/1989/ ص 224 ـ 263 . وقد حقّق د. عبد العاطي السيرة، وتصدر قريباً عن دار الفكر بدمشق .

« التفريع »[1] الذي يعبّر فيه عن هذا الرأي أقبل دعوته وإمامته أم بعدها . ثم إنه ليس واضحاً هل يرى إمكان تعدُّد الأئمة باختلاف البلدان أم في البلد الواحد ؛ وإن كان ذهابُهُ إلى أنّ ذلك مشروطٌ بألاّ يحدُثَ خلافٌ بين أتباعهما مُشْعِرٌ بإمكان ذلك في البلد الواحد .

وتعاصرت دعوة القاسم بن علي العِياني مع دعوةٍ أخرى بالديلم هي دعـوةُ المؤيّد بالله أبي الحسن أحمد بن الحسين بن هارون ، من سُلالة الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (333 ـ 411 هـ) . وللمؤيَّد بالله « سيرةٌ »[2] كتبها المُرشَد (أو المرشِد ؟) بالله أبو الحسين يحيـى بن الحسين بن إسماعيل الحسني الشجري الجرجاني (ـ 477 هـ) . وكان الحسين الموفَّق بالله والد المرشد صديقاً للمؤيّد بالله . وعنه ، وعن آخرين من تلامذة المؤيَّد وزملائه نقل أكثر أخباره . عُرف عن المؤيَّد بالله وأخيه أبي طالب يحيـى بن الحسين الهـاروني (340 ـ 424 هـ) قُربُهما من مـذهبي القاسم والهـادي في الأصول والفـروع ، ولذلـك وجدا أكثـر أنصارهما بين القاسمية بديلمان . لكنّ اختلاف البيئات العلمية والسياسية بين اليمن من جهة ، والعراق وإيران من جهةٍ ثانيةٍ دفع كاتب سيرة المؤيَّد للتركيز على نواحٍ أخرى في شخصية المؤيَّد وسلوكه غير تلك التي أبرزها كُتّاب سِيَر الأئمة باليمن . فأبرز أسباب شرعية إمامة المؤيَّد عنـد المرشـد كاتب «السيـرة» : زهده وورعـه وعلمه . ولذا تطغى أحداث العلم والورع في « سيرة » المؤيَّد حتّى على الأحداث السياسية والعسكرية التي كان المؤيّد على أيِّ حالٍ غير موفَّقٍ فيها . فبخلاف أبيه وأفراد أُسرته انتقل المؤيّد من مذهب الإمامية إلى المذهب الزيدي في شبابه لا لشيءٍ إلاّ لترجّح ذلك عنده بالأدلّة . وعرف المؤيَّد الاعتزالين البصري والبغدادي ، والفقه الحنفي

(1) كتاب التفريع (مخطوطة المتحف البريطاني ، رقم 3977) ، ق 244 (عن ماديلونغ) .

(2) رجّح الأستاذ ماديلونغ ضياع سيرة المؤيَّد بالله (أخبار أئمة الزيدية ، القسم الإنجليزي ، ص 20 ـ 21) لذلك اعتمد في أخبار المؤيَّد على ما نقله حُميد المحلي في : الحدائق الوردية (أخبار أئمة الـزيديـة ، القسم العربي ، ص,ص 261 ـ 292) . لكننـا وجدنـا للسيرة مخطوطتين باليمن ؛ إحداهما بملك السيد أحمد الشامي ، والأخرى بضحيان بجوار صعـدة . وسننشر السيـرة استناداً للمخطوطتين مع تقديمٍ ودراسةٍ لفقه المؤيّد بالله .

من كبار شيوخ الاعتزال بتلك الديار (آمُل والـري حاضـرة البويهيين) . وربـطته صـداقةٌ عميقـةٌ بـالصـاحب بن عبّاد (وزيـر البـويهيين المشهـور) ، وبالقـاضي عبد الجبّار بن أحمد الأسد أبـادي المفكّر المعتـزلي الكبير . ومـا أن بلغ المؤيَّد الخمسين من عمره حتى كان كبير علماء عصره في الفقه والأصولَين . ولذا رأى واجباً عليه أن يخرج داعياً لنفسه كما هو مذهبُ الزيدية في الإمامة . ومع أنه لـم يوفَّق في اجتذاب أنصارٍ كثيرين في خروجه الأول عام 380 هـ ؛ فإنّ ذلك لم يثنه عن الخروج مـراراً بعد ذلـك بمقتضى ما افتـرضـه الله على المجتهـدين المحتسبين من أهـل البيت[1] .

II

وتذكر « سيرة الأميرين » التي نعرضُ لها هنـا ، وننشر نصَّهـا وملاحق معـه « سيرةً » للمهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي العياني . ولا يذكر مفرِّحُ بنُ أحمد مؤلِّفَ تلك « السيرة » ، التي يبدو أنها ضاعت دون أن تُخَلِّفَ أثراً في أعمال المؤرّخين وكُتّاب التراجم من اليمنيين . وعلى الـرغم من ضياع « سيـرة المهدي لدين الله » فلا بُدَّ من ذكر شيءٍ عن الحسين بن القاسم ودعوته وفكره لما كان له من أثرٍ بعيدٍ على مصائر القاسميين العيانيين ، وبالتالي على كاتب سيرة الشـريفين . فـالمعـروف أنّ همـدان قتلت الحسين بـن القـاسم بـذي عَـرَار[2] بجـانب ريـدة عام 404 هـ . لكنْ كان من بين أبناء أسرته وأتباعه مَنْ رأى أنه لـم يَمُتْ ، وأنه سيعود ليملأ الأرضَ عدلاً كما مُلئت جوراً . وليس هناك خلافٌ بين مؤرّخي الزيدية في وجود « الفرقة الحسينية » التي زعمت ذلك ، واستمرّت إلى حدود القرن التـاسع الهجـري . إنما الخـلافُ في عقيدة الحسين بن القـاسم نفسه . فـأكثر الـزيديـة

---

(1) تقع سيرة المؤيَّد بالله للمرشد بالله في مخطوطة السيد أحمد الشامي ، في 11 ورقة ضمن مجموعٍ متنوّع ، نُسِخَ بمحروس شهارة عام 1054 هـ . وقد استوعبها المحلّي فعلاً في أهمّ أجزائها .

(2) يُسمّي الأستاذ ماديلونغ المكان : ذو عَرر . لكنّ ابن الوزير (في تاريخ بني الوزير ، مخطوطة الجامع الكبير بصنعاء ، ق 106) ، وابن مظفّر (ـ 925 هـ) (في الترجمان المفتح لثمرات كمائم البستان ، مخطوطة الجامع الكبير بصنعاء ، ق 71أ) ، وناصر بن عبد الحفيظ بن المهلاّ (ـ 1081 هـ) (في عَلَم الإفادة في تاريخ ذوي الشرف والسادة ، مخطوطة الجامع الكبير بصنعاء ، ق 55 ب) يسمّون الموضع : ذو عَرار ـ ويبدو أنه الاسم الصحيح .

المتأخّرين يميلون إلى نفْي هذه العقيدة عنه ، نعني عقيدة المهدية ، والرجعة . أمّا « السيرة » ، نعني سيرة مفرِّح بن أحمد للأميرين فتُثبتُ وجودَ هذه العقيدة لدى الأميرين ـ وإن مال الشريف الفاضل إلى إخفائها وخالفه أخوه ذو الشرفين في إظهارها والتأكيد عليها ـ، كما تُثبتُ وجود الشيعة الحسينية القائلة برجعة المهدي الحسين بن القاسم كفرقةٍ أو فريقٍ في جيش الأميرين ؛ لكنها لا تقولُ شيئاً عن عقيدة المهدي الحسين نفسه . وقد ترك الحسين بن القاسم مؤلّفاتٍ كثيرة (يقال إنها بلغت ثلاثةً وسبعين كتاباً ورسالة) ظننا أنه بالرجوع إليها يمكن الوصولُ إلى حقيقة المسألة . لكنّ المخطوطتين اللتين رجعنا إليهما لكتبه الباقية [1] تشير إلى اختيارٍ واختصارٍ من جانب المتأخّرين بحيث يصعُبُ عن طريقها تبيُّنُ اعتقاده على وجه الدّقة . والمختصراتُ الباقيةُ ضئيلةُ القيمة من الناحية الفكرية [2] ، وأكثرها في أصول الدين وعلم الكلام لا في الفقه . وفي المصادر ما يشير إلى أنه كتب كثيراً وبسرعةٍ للردّ على خصومه ممن أنكروا عليه استحقاقه للإمامة وهو ما يزال في مقتبل العُمُر (وُلد عام 378 هـ ، وقُتل عام 404 هـ) ، قليل العلم ، وهو يصرّ ـ رداً على خصومه ـ على أنه موافقٌ في المذهب للهادي وابنه المرتضى [3] ، لكنه من جهةٍ ثانيةٍ

---

(1) أما **المخطوطة الأولى فهي** ضمن مجموع بمكتبة العلاّمة السيد محمد بن محمد المنصور بصنعاء ، وتتضمن الكتب (أو المختصرات ؟) التالية له : كتاب المعجز الباهر ، وكتاب التوحيد ، وكتاب التناهي والتحديد ، وكتاب الردّ على المُلْحِدين ، وكتاب شواهد الصنع ، وكتاب الردّ على عَبَدة النجوم ، وكتاب الطبائع ، وكتاب التوكل على الله . وأمّا **المخطوطة الثانية فهي مجموعٌ** متنوّعٌ بمكتبة السيّد صلاح الهاشمي بضحيان بجوار صعدة ، وتتضمن الكتب التالية للحسين بن القاسم : كتاب الولاء والبراء ، كتاب الفرق بين الأفعال والردّ على الكفرة الضُلاّل ، وكتاب الأدلّة ، وكتاب الأكفاء ، وجزء من كتاب الردّ على مَنْ أنكر الوحي بعد خاتم النبيين ، وكتاب التوفيق والتسديد ، وجزء من كتاب السبيلين ، وجزء من كتاب تفسير الصلاة . وذكر سزكين CAS, I, PP. 569-570 مجموعةً لمؤلفاته ببرلين تبلغ أربعةً وعشرين كتاباً . أما عدد الثلاثة والسبعين لمؤلفاته فيذكره المحلّي في **الحدائق الوردية** 2/ 64 . ويعود السيد حُميدان إلى أكثر من عشرين كتاباً ورسالةً للحسين في رسالته للدفاع عنه ؛ قارن عن ذلك الملحق الثالث للسيرة المنشورة هنا بعد المقدمة .

(2) قارن بدراسة الأستاذ ويلفرد ماديلونغ السالفة الذكر : الإمام القاسم بن إبراهيم (بالألمانية) ، ص 198 .

(3) قارن بهذا القول منقولاً عن كتابين للحسين بن القاسم في الملحق الثالث لهذه النشرة ، كتاب « بيان الإشكال » للسيد حميدان .

يُشيدُ بمؤلّفاته ويعتبرها متفوِّقةً على كلِّ ما كتبه السابقون من الأئمة وغيرهم ، فالمرجّحُ من موازنة ذلك كلّه ومحاكمته أنه كان يذهبُ للقول بأنه المهديُّ المنتظَر الذي بشّر به النبي ﷺ . صحيحٌ أنّ تلقُّبه بالمهديّ لدين الله لا يشير ضرورةً إلى ذلك ؛ فقد تلقّب بذلك أحد كبار علماء أهل البيت الثائرين بالديلم من قبل دون أن يدّعي المهديّة [1] . لكنْ هناكَ إلى جانب اللقب أمورٌ أخرى هي بمثابة قرائن تدعم شكوكَ مسلّم اللحجي (ـ 552 هـ) ، والمتوكّل على الله أحمد بن سليمان (ـ 566 هـ) ، وابن الوزير [2] ؛ هذا وإن اختلفت تعليلاتُهم لذلك . من تلك الأمور ، اتّساع دعواه مع ازدياد المعارضة له ، وقسوته ضدّ منافسيه من آل الهادي ، ومزاجيته الخاصّة ـ وهي شيمةٌ معروفةٌ عن والده ، وتظهر أيضاً لدى الشريفين في سيرة مفرِّح لهما ـ، وذهاب ابني عمّه ومجموعة من أنصاره بعد مقتله إلى أنه لم يُقتل وسيعود ، وعدم ادّعاء أحدٍ من أبناء أسرته الإمامةَ بعده بل الإمارة والاحتساب ترقُّباً فيما يُظنُّ لعودته ، وانتشار دعاوى المهدية على رأس القرن الخامس وأفكار وتيارات الغُلُوّ بشكلٍ عامٍّ . أمّا اتّساع دعواه فيظهر في عناوين كتبه مثل المُعْجِز ، والتحدي للعلماء والجهّال والردّ على الزنيم وغيره من الضُلّال الكَفَرة الفَجَرة الأوباش (والزنيم ، رجلٌ اسمه يوسف بن عقيب اتّهم الحسين بالجهل !) ، والردّ على

---

(1) هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن القاسم ، المعروف بأبي عبد الله ابن الداعي . خرج إلى الديلم ودعا إلى نفسه عام 353 هـ ، ولم يلق نجاحاً كبيراً ، وتوفّي عام 360 هـ عن سنٍّ عالية . قارن عنه : **أخبار أئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان** ، نصوص تاريخية جمعها وحققها ويلفريد ماديلونغ ، بيروت 1987 ، ص 103 ـ 118 .

(2) عن رأي مسلّم اللحجي ؛ قارن بالنصوص التي أوردناها عنه في الملحق الأول لهذه النشرة لسيرة الأميرين . وعن رأي المتوكّل على الله أحمد بن سليمان ؛ قارن بكتابه **حقائق المعرفة** (مخطوطة ضحيان) ق 251 ـ 253 ، **والحكمة الدرية** (مخطوطة عبد الوهّاب بن محمّد أحسن المتميّز بضحيان) ص ص 323 ـ 325 . وعن رأي محمد بن العفيف ابن الوزير ؛ قارن بتاريخ بني الوزير (مخطوطة الجامع الكبير بصنعاء) ق 5 . أمّا السيد حُميدان بن يحيى (النصف الأول من القرن السابع) فينفي أن يكون الحسين بن القاسم قال إنه المهدي (قارن بنشرتنا لكتابه : بيان الإشكال ـ في الملحق الثالث) ، وكذا يفعل السيد أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي (ـ 1055 هـ) في اللآلي المضية (مخطوطة ضحيان) م 2/ص 145 ـ 146 . وقارن بأحمد عبد الله عارف : مقدمة في دراسة الاتجاهات الفكرية والسياسية في اليمن فيما بين القرنين الثالث والخامس الهجريين ، نشر المؤسسة الجامعية ، بيروت 1991 ، ص 186 ـ 187 .

الملحدين ، وكتاب الرحمة ، والردّ على مَنْ أنكر الوحْيَ بعد خاتَم النبيين ، والولاء والبراء . . . الخ . وكان يمكن التحقُّق من غُلُوّه أو عدمه من مؤلَّفاته لولا أنها نُظِّفت من قبل وربما في عصر الشريفين ابني عمّه لأنّ المتوكّل على الله أحمد بن سليمان (ـ 566 هـ) يأخذ عليه من ضمن ما يأخذ تسمية أحد كتبه **بالمعجِز**[1] ، بينما **المعجز** كتابُ الله وحده . وأخذه عليه التسمية فقط يدلُّ على أنه لم ير في الكتاب في عصره ما يزعج أو يثير القلق غير الاسم . والكتاب ـ أو ما بقي منه ـ بين أيدينا اليوم هو بالفعل غير مشكلٍ إذ اسمُهُ الكامل : « كتاب المعجز الباهر في العدل والتوحيد لله العزيز القاهر » ـ وهو عبارةٌ عن إجاباتٍ على أسئلةٍ عن وجود الله ، وذاته ، وصفاته ، على طريقة البغدادية من المعتزلة ، وبعنفٍ يذكّرُ من بعيدٍ بأسلوب القاسم بن إبراهيم في الكتب المنسوبة إليه . فالظاهر أنّ الكتاب نُظِّف وتعرّض للحذف والاختصار قبل انتشاره فما استطاع الخصوم الاستناد إلى غير اسمه في الحطّ على الحسين بن القاسم . وربّما استناداً إلى عنوان هذا الكتاب بالذات ، كان ذهابُ مَنْ ذهب إلى أنّ الحسين زعم أنه أفضلُ من رسول الله ﷺ ، وأنّ كلامه « أبْهَرُ » من كلام الله ، ومعنى « أبهر » عندهم : أي أقطع للخصوم الملحدين من كلام الله ! وهناك عنوان كتابٍ آخَر من بين كتبه هو : « الردُّ على مَنْ أنكر الوحْيَ بعد خاتم النبيين »[2] . ويبدو أنه على أساسٍ من هذا الكتاب قال عنه محمد بن العفيف ابن الوزير (وهو غير مُعادٍ له ولأسرته إذ ينوّه بأنّ جدته لأبيه عاتكة بنت محمد بن إبراهيم من ولد علي بن القاسم بن علي العياني) : « وعرض معه **اختلالٌ** لأجله صدرت منه أفعالٌ وأقوالٌ لا تصدُرُ من العقلاء . فادّعى أنه أفضلُ من رسول الله ﷺ ، وأنّ كلامه **أبهر** من القرآن ، وأنه **يُوحى إليه في** المنام . . . »[3] .

---

(1) **الحكمة الدرية** ، ص 323 : « . . وألّف في التوحيد كتاباً وسمّاه كتاب **المعجز** ـ وهذا أول الخطأ في تسمية الكتاب لأنّ المعجز كتاب الله . وكان أكثر ما فيه أنه احتجّ على عُبّاد الدهرية . . ثم قال بعد ذلك إنّ العرش هو الله . . . !» . وقارن بالملحق الثاني .

(2) هذا هو اسم الكتاب في المخطوطة التي بين أيدينا . لكنّ السيّد حُميدان يسمّيه في « بيان الإشكال » (الملحق الثالث لهذه النشرة) : « كتاب الردّ على مَنْ أنكر الوحي في المنام »!

(3) تاريخ بني الوزير ، ق 5أ .

ومع شدة اختصار الكتاب فيمكن التبيُّن منه فعلاً أنّ الوحْيَ في نظره عدة أنواع[1] : « فمنه ما يكون على ألْسُن الملائكة المقرَّبين ، ومنه ما يُخْلَق في أسماع المُرْسَلين ، ومنه ما يُقـذَفُ في القلوب ، ومنه مـا يُرى في المنـام . . . » . وهو ينفي إمكـان الخطاب عن طريق الملائكة بعد خاتم النبيين ، كما ينفي إمكان الخَلْق في الأسماع بعد النبي محمدٍ ﷺ أيضاً[2] : « وأمّا الوحي الذي جعله الله في المنام فلا ينقطعُ أبداً عن أهل الفضـل والإسلام . **ولأئمـة الهدى من ذلـك ما لا يكـونُ لأحدٍ من المخلوقين** . ولا يمكن أن يُلقى إلى أحدٍ من المؤمنين **لأنّ الأئمة شركاء النبيين** وفي ذلـك مـا يقـول أميـر المؤمنين الهـادي إلى الحقّ المُبين عليـه صلواتُ ربّ العالمين ، بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الرؤيا الحسنةُ من الرجل الصالح جزءٌ من ستةٍ وأربعين جزءً من النبوة . . . » . ثم يتابع متحدّثاً عن تجربته الشخصية[3] : « ولقد شاهدنا بحمد الله من عجائب الأسرار المكتوبة ما لو ذكرناه لما صدّق به إلاّ مَن امتحن الله قلبه بالإيمان . وإني لأحتاج إلى الحاجة فأطلبها من مـولاي تبارك وتعـالى فأرى في المنـام قائـلاً يقول : إنّ حـاجتك التي تـطلب في موضـع كذا وكذا . . . وربما تحيّرتُ في سببٍ فأطلب منه البيان فما ألبثُ في منامي إلاّ يسيراً حتّى أرى قائلاً يقول : قد استُجيبت الدعوة . . . »! .

وتبدو قسوته ومزاجيتُهُ في كثرة الناس الذين قتلهم بين عامي 401 و 404 هـ . وبينهم أناسٌ من أعقاب الهادي ، كأنما ليقضي على مُنافسيه من بينهم . ويذكـر يحيى بن الحسين تخريبه لدورٍ كثيرةٍ بصنعاء وصعدة ، وحملته على رجالٍ وعشائر كـانوا من أنصـاره في الأصل[4] . ويـذكر المتـوكّل على الله أحمـد ابن سليمـان

(1) كتاب الردّ على من أنكر الوحي بعد خاتم النبيين ، ص 345 ـ 346 .
(2) المصدر السابق ، ص 346 .
(3) المصدر السابق ، ص 346 .
(4) يحيى بن الحسين بن القاسم : كتاب **أنباء الزمن في تاريخ اليمن** (مخطوطة العلاّمة السيد محمد بن محمد المنصور بصنعاء) م 1/ص 143 ، 144 ـ 145 . يقول يحيى بن الحسين (ص 145): « وقد كان بعض البلاد خالفت عليه لمّا عقد سيره إلى الهان ، فلمّا عاد فعل بهم مـا لم يفعله إلاّ الظلمة ، ولـزم مشايخهم وصلبهم منكّسين ، ووهب خيلهم وسـلاحهم للشيعة ، وألـزم جماعتهم الجزية وقبضها منهم . وسار إلى صعدة في جيشٍ عظيمٍ فخرّب دُورَها . . . » . وقارن **بغاية الأماني** =

(ـ 566 هـ) قصةً وقعت له مع إمام مسجد الهادي بصعدة المحسِّن بن محمد بن المختار ، أحد أعقاب الناصر تصبٌّ في مصبّ التطرف الذي عُرف عنه . فقد بلغه عن المحسِّن أنه ينعي عليه سوء تصرفه وقسوته ، وينصحُ بالتورُّع والتواضع في الدعوى العلمية ؛ فأجابه الحسين شاتماً ولاعناً وزاعماً أنّ كتاباته أكثر وضوحاً وإقناعاً من الإنجيل والتوراة والقرآن[1] . وعندما طلّق إحدى نسائه فعمدت إلى الزواج من جديدٍ ، انتزعها من زوجها محتجاً بقوله تعالى في نساء النبي : ﴿ **وما كان لكم أن تؤذوا رسولَ الله ، ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إنّ ذلكم كان عند الله عظيماً** ﴾[2] . هذا الغُلُوّ البادي في الأقوال والتصرفات دفع مسلَّماً اللحجيّ ـ خصم الشيعة الحسينية لا خصم الأشراف القاسميين ـ إلى الزعم بأنّ المهديّ الحسين بن القاسم ووالده المنصور كانا يريان أشياء تقضي بمخالفتهما لمذاهب أسلافهما ، وأنهما ربما يسترجحان أشياءَ من مذهب الفاطميين[3] . على أنّ المعروف أنّ الإسماعيلية لا يقولون بمهديٍّ منتظَر ؛ وإن كانوا يرفعون القائم من أئمتهم إلى مراتب

= ليحيى بن الحسين ، م 1/ص ص 235 ـ 239 . والفروق ضئيلةٌ بين « **أنباء الزمن** » و « **غاية الأماني** » مع أنّ السائد أنّ الغاية اختصارٌ للأنباء مما دفع الأستاذ ماديلونغ للقول إنّ نسخة برلين من **أنباء الزمن** مختصرٌ أيضا (قارن بالحاشية في ص 12 من مقاله المترجَم في التمهيد). ويذكر ابن العفيف في **تاريخ بني الوزير** (ق 106) قصة قتل الحسين بن القاسم لمحمد بن القاسم بن الحسين الزيدي الثائر عليه مستهجِناً؛ وبخاصةٍ قوله بعد الوقعة : « إنما صُلْتُ بأوباشٍ على أوباش» ! .

(1) **الحكمة الدرية** ، ص 323 ـ 324 : « وهذا الكتاب صحيح منه . وهو في أيدي أصحابه إلى اليوم . وهو أيضاً عندنا في كتب بني الهادي . . المبتدأ والجواب ، ولا يمكن نفيه عنه لتواتر الأخبار ، ولقرب العهد ، ولإجماع المخالف والمؤالف أنه منه . . » . وفي **حقائق المعرفة** ، ق 251 أ أنّ المحسِّنَ كتب إليه يسأله عن مسائل ، وينهاه عن أمور فأجابه ذلك الجواب . وقارن بالملحق الثاني لنشرة السيرة .

(2) **حقائق المعرفة** ، ق 251 أ . والآية في سورة الأحزاب/53 . وربما كتب لهذا السبب كتابه **الأكفاء** (في مخطوطة الهاشمي بضحيان ، ص 343 ـ 345) ؛ وهو يقيم فيه الكفاءة على أساسي : المنصب والدين ، ويتهدّد من يخالف ذلك في منطقة سيطرته بالنكال : « . . . ومن لم يزدجر من أولئك بآدابنا وكلامنا فسنردُّه إلى الحقّ بسيوفنا ورماحنا . وقد عرّضْتُ لمن عقل بالتلويح قبل المباينة والضرب والتصريح . فمن قبل ما أمرنا به من حكم القرآن وإلاّ قتلْتُهُ بحدّ السيوف والمران . . . ! » .

(3) ليس فيما بين أيدينا من تاريخ مسلّم تصريحٌ بذلك بل هناك اتهامٌ لبعض المتظاهرين بالتعصّب لمهدية الحسين بن القاسم بأنهم كانوا جواسيس للإسماعيلية لفتنة عوامّ الزيدية (قارن بالملحق الأول ، ص ؟). لكنّ الزُحيف ، محمد بن علي بن يونس (ـ 916 هـ) ينقل ذلك عن مسلّم (في اللّواحق =

من الخشوع والتقدير والطاعة لا تعرفُها الزيديةُ على الإطلاق . ويكون علينا هنا أن لا ننسى أنّ الحسين ابن القاسم جاء على رأس القرن الخامس ، ورؤوس القرون يظهر عليها وفيها المجدِّدون والمهديّون ، وأصحاب الأحلام الكبرى في تاريخنا كلّه . والشبهُ قويٌّ بين الحاكم بأمر الله (386 ـ 411 هـ) الخليفة الفاطمي المعاصر بمصر ، والحسين بن القاسم باليمن . فكلاهما وصل للسلطة وهو فتىً صغير . وكلاهما ووجه بمعارضةٍ قويةٍ من الطامعين بالسلطة . وكلاهما أحسَّ بالغربة في محيطه فغاص في عالمٍ خاصٍّ به بدت آثارُهُ في تصرفاته . وكلاهما كان قاسياً ، متقلّب المزاج ، بالغ العنف مع الخصوم والأصدقاء . لكنّ النظرية الإسماعيلية في الإمامة والأئمة تملكُ من إمكانيات المُضيّ والغُلُوّ ما لا يتوافر حتّى في حدّه الأدنى في الإمامة عند الزيدية . ومن هنا وصل الحاكم إلى ادّعاء الألوهية ـ أو قيل ذلك عنه[1] ، بينما لم يتجاوز الحسين بن القاسم تلميحاتٍ وخواطر كان لا بُدَّ أن يستعيرها من الفِرَق الشيعية الغالية لانعدامها في الفرقة الزيدية ، ولتشدُّد أهل اليمن

= الندية للحدائق الوردية ، أو مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار ، مخطوطة ضحيان ، ص 178) ، ويأخذ ذلك عنه الشرفي (ـ 1055 هـ) في اللآلي المضية (مخطوطة ضحيان ، م 2 ، ص 145) . فربما ذكر مسلّم ذلك في القسم الثالث الضائع من تاريخه . وقارن بأئمة اليمن للسيد محمد زبارة 1/ 85 . ويذكر يحيى بن الحسين في **أنباء الزمن** م 1/ص 144 أنّ الحسين بن القاسم أغار على صنعاء مع أخيه عام 402 هـ : « فهدم دوراً لأهل صنعاء ، واصطفى أموالهم ، وأخذ **أخماسها موافقةً للعبيدية . . .** » .

(1) الدراسات حول الحاكم بأمر الله كثيرةٌ ، وهي تختلف اختلافاً شاسعاً في تفسير تصرفاته خلال فترة حكمه ، كما تختلف في تفسير وتأويل حَدَث اختفائه أو مقتله . وأحدث تلك الدراسات وآخرها اثنتان ؛ إحداهما : ليوسف فان أس J. van Ess بعنوان : **الأحلام النشورية ومغامرة التألُّه : الخليفة الحاكم** (386 ـ 411 هـ) (هايدلبرغ / بالألمانية / 1977) . وهو يوافق فيها مذهب القائلين بادّعاء الحاكم للألوهية لعلتين : الإمكانيات الكامنة لذلك في النظرية الإسماعيلية ، وانتظارات الناس والقرانات الفلكية على رؤوس القرون . والثانية : لهاينز هالم H. Halm بعنوان : **أمين الله في الأرض** : مراسيم الخليفة الحاكم (مجلة Der Islam م 63 ، 1986 ، ص ص 11 ـ 72) وهو يذهب إلى استبعاد ذلك عنه ، ويحاول بالرجوع إلى المصادر الأصلية المعاصرة أو شبه المعاصرة له ، إثبات وجود سوابق كثيرة لدى الفاطميين لمثل تصرفاته ؛ وإن تكن كثافة تلك التصرفات تشي بإمكان وجود تشكّكٍ وخوفٍ مَرَضيَّيْنِ لديه تجاه محيطه للظروف التي أحاطت بسنيّ وصوله الأولى إلى السلطة في صِغَره ؛ بالإضافة إلى نزعةٍ متأصّلةٍ لديه للزهد والتطهر والسياحة ، وإحساسه الحادّ بأنه « خليفةُ الله » والمؤتَمَنُ على الناس ، والرادع لهم عن التردّي في مهاوي الغفلة والفساد .

في الارتباط بالهادي ومذهبه . فبينما يشكّل كُلّ حاكمٍ أو إمامٍ جديدٍ عند الإسماعيلية عهداً جديداً تماماً يستطيع فيه أن يفعل ما يشاء ، ويذر ما يشاءُ ، فإنّ زيدية اليمن ما كانوا وقتها يسمحون بالخروج على مذهب الهادي في الأصول والفروع . والمعروف فيما استقرّ عليه الأمر منذ القرن الثالث الهجريّ أنّ المهديّ لا يموتُ قبل أن يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً ، لكنه عند بعض محدّثي أهل السنة والجماعة أمارةٌ من أمارات يوم القيامة ؛ بينما هو عند الشيعة الإثني عشرية الإمام الثاني عشر ، الذي لم يمت ، بل غاب غيبةً كبرى ، ويعود ليملأ الأرضَ عدلاً كما مُلئت جوراً . لذلك كان من المنطقيّ ـ ما دام من المرجّح أنّ الحسين ادّعى المهديّة ـ أن يذهبَ أتباعُهُ إلى أنه لم يمُت وإنما غاب امتحاناً وابتلاءً . فإذا كانت في أفكاره بعض وجوه الشبه بالفكر الإسماعيلي ـ كما تَنَبه لذلك مسلَّم اللحجي ـ؛ فإنّ فكرة الغيبة ليست إسماعيلية[1] بل هي من تُراث الشيعة الإثني عشرية .

* * *

بدأ الإنكارُ على المهدي الحسين بن القاسم في حياته من جانب بعض علماء اليمن ، والأشراف من أتباع مذهب الهادي[2] . ثم نعرفُ حملة مسلَّم اللحجي المفكّر والمؤرّخ والمطرَّفي على اعتقادات العيانيين ، وشيعتهم الحسينية . وقد أورد

---

(1) يورد هاينز هالم في دراسته السالفة الذكر (قارن بالملاحظة رقم 26) (ص 72) نصاً درزياً يقول إنّ الحاكم غاب ولم يُقتل : « اعلموا أنّ غيبتي عنكم غيبةُ امتحان » . بل إنّ هناك نصاً إسماعيلياً (وليس درزياً لأنّ الحاكم يُسمّى فيه : وليّ الله ـ ولا تُدّعى أُلوهيته) انتشر في القاهرة بعد اختفائه يقول إنه غاب بسبب معاصي الناس ، وفقد الأعوان على الحقّ (قارن بدراسة هالم ، ص 11 ، حاشية رقم 1 ، وص 70) . ولذا ربما كان هناك تيارٌ جانبي ضمن إسماعيلية مطالع القرن الخامس يقول بالغيبة والرجعة . والطريف التشابُهُ الواضح في تعليل الغيبة بين النصين السالفين ، ونصّ مفرِّح بن أحمد في السيرة (ق 6أ) : « لمّا كان من غيبة إمام العصر وصاحب الدهر المهدي لدين الله الحسين بن القاسم . . وكان امتحاناً لأولياء الله ، ونقمةً على أعداء الله . . بقي الناس في ظلمةٍ وفِتَن . . » .

(2) يذكر الشرفي في اللآلي المضية (مخـ. ضحيان، م 2/ص 145 ـ 146) نقلاً عن مسلَّم اللحجي أنّ الداعي الباطني حسين بن عامر بن طاهر الحميري كان بين أوائل من أنكروا على الحسين ؛ فقال من قصيدة :

يا مدعي الوحي إنّ الوحي قد خُتما ... بالمصطفى فأَمِطْ عن نفسك الوهما

وليس للحسين بن عامر ذكرٌ بين دعاة الفاطميين باليمن ؛ قارن : الصليحيون ، ص 59 ـ 60 .

المتوكّل على الله أحمد بن سليمان مآخذ عدة على الحسين في « **حقائق المعرفة** » و « **الحكمة الدرية** » عقّب عليها بالقول : « . . . وبأقلّ قليلٍ مما تكلّم به تسقط إمـامتُهُ اللّهم إلاّ أن يكـون الكلامُ مكـذوبـاً عليـه »[1] . ويـذكـر حُميـد المُحَلّي (ـ 652 هـ) في « **الحدائق الوردية** » أنه ألّف رسالةً في ذَمّ غُلُوّ الحسينية عنوانها : « الرسالة الزاجرة لذوي النُهى عن الغُلُوّ في أئمة الهُدى »[2] . والمُلاحَظُ من العنوان أنه يحملُ فيها على الحسينية وليس على المهديّ الذي يعتبره من « أئمة الهدى » ويُثني على كتبه . أمّا السيّد حُميدان (من النصف الأول من القرن السابـع) فقد خاض مهمةً أصعب عندما ألّف رسالةً بعنوان : « كتاب بيان الإشكال فيما حُكي عن المهديّ من الأقوال » وصلت إلينا ضمن مجموعه المعروف[3] . وهو يعمدُ إلى كتب المهديّ الحسين فيقتبس منها ما يدلُّ على حُسْن إسلامه ، وغزارة علمه وهديه ؛ ذَاهباً إلى أنّ الأقوال الغالية المنسوبة إليه ؛ إمّا أنها ممكنة التأويل ، أو أنها من تشويه خصومه ووضعهم . وقد أشار المهديُّ نفسه إلى إمكان تشويه أقواله ومقاصده في حياته فكيف بالأمر بعد مماته ؟! لكنّ السيّد حميدان لا يرى أفضلية المهدي على « السَلَف » من أئمة آل البيت . وقد وضعْنا رسالة السيد حميدان ملحقاً للسيرة لذا نعودُ لتحليلها بالتفصيل فيما بعد .

ولا تخرج معلوماتُ نشوان بن سعيد الحميري (ـ 552 هـ) كثيراً عمّا أورده الآخرون من قبلُ ومن بعدُ عن الحسين المهدي والحسينيـة . ويبدو أنّ الأكثـرين يستنـدون في ذلك إلى مسلّم اللحجي والمتـوكّـل على الله أحمـد بن سليمـان ، ونشوان . يقول نشوان[4] : « ومنهم ـ أي من الزيدية ـ فرقةٌ يُقالُ لها الحسينية يقولون إنّ الحسين بن القاسم . . . حيٌّ لم يمُتْ ولا يموت حتّى يملأَ الأرضَ عدلاً ، وأنه

---

(1) حقائق المعرفة ، ق 252 أ . وقارن بالحكمة الدرية ، ص ص 323 ـ 325 . وقد نشرنـا نصي أحمد بن سليمان كملحقٍ ثانٍ آخِر السيرة .

(2) الحدائق الوردية 2 / 64 .

(3) قارن عن السيّد حميدان ورسالته ما يأتي بعد في سياق المقدمة .

(4) الحور العين ، ص 208 ، 211 . وانظر فيما بعد نصاً في تاريخ بني الوزير (ق 106) يفيد أنّ والد نشوان ونشوان ـ في بدء أمره ـ كانا من الحسينية !

القائم المهدي المنتظَر عندهم . وكان قُتل يوم السبت الرابع من شهر صفر سنة أربعٍ وأربعمائة . وكان مولده في سنة ثماني وسبعين وثلاثمائة ؛ قتلته همدان في موضعٍ من أعمال صنعاء . ويقولون في الحسين هذا إنه **أفضَلُ** من رسول الله ﷺ ، وإنّ كلامه **أبْهَرُ** من كلام الله . ويروون أنّ مَنْ لم يقل بقولهم هذا فيه فهو من أهل النار . ثم افترقوا فرقتين ؛ فرقة تزعُمُ أنه يأتيهم في السرّ ولا ينقطع عن زيارتهم في حال مغيبه ، وأنهم لا يفعلون شيئاً إلاّ بأمره . وفرقة تُبطل ذلك ؛ ويقولون إنه لا يُشاهَدُ بعد الغيبة إلى وقت ظهوره وقيامه وإنما يعملون بما وضع في كتبه » . الجديد عند نشوان قسمته الحسينية (ربما في عصره) إلى فرقتين . وسيرة مفرِّح بن أحمد لا تشير إلى شيءٍ من ذلك . لكنّ مسلَّماً اللحجيَّ يذكر في **تاريخه** ما يُشْعِر بذاك الانقسام ؛ فهو يذكر شريفاً اسمه يحيى بن عيّاش الرسّي القاسمي ، وآخر اسمه محمد بن إبراهيم الصبري ، كانا في عهد ولاية الشريف جعفر بن محمد بن جعفر بن القاسم على شهارة يزعُمان ظهوره لهما . وقد اختصّ الشريف ابن عيّاش بالقول إنه يظهر له أيضاً الخضر وعيسى بن مريم[1] : « وكان قد استعمل استعمالاتٍ واحتال بحيلٍ قبلها القوم من عوامّ الحسينية ؛ **ولم يلتفتوا مع ذلك إلى تكذيب مَنْ كذّبه من الأشراف والشيعة** ، وما قالوا فيه من الشعر لا سيّما أمير شهارة يومئذٍ جعفر بن محمد بن جعفر بن القاسم بن علي . . . وكان ابن عيّاش قد واعد الناسَ لظهور المهدي الحسين بن القاسم وقيامه بالأمر وقتاً عرّفه إليهم بابيضاض المَطْو ـ يعني عذق الذُرة وهو سنبلتها ـ . فمضى ذلك الوقت ولم يروا شيئاً مما قال فكذّبه بعض . . والمعروف أنّ نشوان الحميريّ نفسه اشتبك مع الأمير عبد الله ابن القاسم بن جعفر في نزاعٍ حول حياة المهدي ورجعته اللتين نفاهما الحميري . وقد تهدّده الشريفُ بالموت فاعتذر نشوان بأنّ أبيات الذمّ للمهدي ليست له ؛ لكنه لم يخفِ عدم إيمانه برجعة الحسين بن القاسم[2] .

---

(1) تاريخ مسلّم اللحجي م 4/ص 256 ، 260 . وقارن بنصوص مسلّم في ذلك في الملحق الأول لنشرة السيرة هذه .

(2) تاريخ بني الوزير ، ق 106 ، واللواحق الندية على الحدائق الوردية للزحيف ، مخطوطة ضحيان ، ص 177 ـ 178 ، واللآلي المضية ، م 2/ص 232 ـ 233 ، ومطلع البدور لابن أبي الرجال =

أمّا أوسع المعلومات عن مصائر الشيعة الحسينية في جيلها الثالث ، أي في النصف الأول من القرن السادس الهجري ، فيملكها مسلَّم اللحجي في الجزء الرابع الباقي من تاريخه . ولذا نعود إليها بالتحليل فيما بعد وننشر فقراتٍ منها كملحق أول مع نصوص مفرِّح بن أحمد وحُميدان وأحمد بن سليمان .

III

ويريد يحيى بن الحسين (ـ 1099 هـ) إرجاعَ النزاع بين الهادوية والأشراف العيانيين إلى أيام القاسم بن علي العياني ، أي قبل ظهور فكرة مهدية الحسين بن القاسم .

يقول يحيى بن الحسين في « طبقات الزيدية »[1] : « القاضي عبد الملك بن غطريف الصائدي . ممن عاصر الإمام القاسم بن علي العياني . وهو الذي كاشف الإمام بالنكر ، وتخلّف عن إمامته هو وَمَنْ تبعه ؛ وذلك بسبب مخالفة القاسم في مسائل الفروع للهادي . لأنّ الزيديّةَ كانوا يعتقدون في ذلك الوقت أنّ المُصيب في الاجتهاديات واحدٌ والحقّ معه إلى زمن المتوكّل على الله أحمد بن سليمان . . . » . وقد يكون فيما ذكره يحيى بن الحسين بعض الحقّ . لكنّ الواقع أنّ الزيديّة مذهباً ودولةً كانت قد تضاءلت وانكمشت منذ وفاة الناصر أحمد

= م 4/ص 225 ـ 226 . وفي طبقات الزيدية ليحيى بن الحسين (1/ 117) ذكرٌ للشريفين عبد الله بن جعفر بن القاسم و « صنوه سليمان بن عبد الله بن جعفر بن القاسم (؟) » وأنهما كانا من سكّان الأهنوم ، وعاصرا الإمام المنصور بالله ، وبايعاه وأطاعاه . وفي اللآلي المضية م 2/ص 229 ذكرٌ لشريفٍ اسمه فليتة من الأشراف القاسميين ، ادّعى الإمامة أيام المتوكّل أحمد بن سليمان فعيّره الأمير الحسين بن بدر الدين بمخالفة مذاهب آبائه في القول بمهدية الحسين بن القاسم ! والمعروف أنه أسر الإمام بعد ذلك (ص 229) .

(1) طبقات الزيدية 1/ 63 . وفي تاريخ مسلّم م 4/ص 284 : « والذي كان عليه مشايخ في عصره (عصر أبي السعود ابن المنصور بن أبي ثور ، النصف الأول من القرن الخامس الهجري) ، تقليد الهادي إلى الحقّ عليه السّلام في الفقهيات لا يعرفون غير مذهبه ، ويستنكرون التصويب لغيره » . والطريف ما يذكره ابن الوزير من أنّ الحسين بن القاسم نفسه « كان إذا مرّ بقبر أبيه ركضه برجله وقال : هو خالف مذهب الهادي !» (تاريخ بني الوزير ، ق 106أ) .

عام 322 هـ . ولم يخرج من أعقاب الناصر من استطاع إثبات وجوده حتى أواخر القرن الرابع . وعندما استدعت القبائلُ القاسم العياني ـ في عمليةٍ تشبهُ استدعاء الهادي من قبل ـ كانت اليمن تغصُّ بثوار آل الهادي الذين لم يحظوا بأيِّ نجاح . ورغم أنّ العيانيّ ما استطاع فعل الكثير بسبب قِصَر مدّته ؛ فلا شكّ أنه اعتُبر ناجحاً تماماً مُقارنةً بالخارجين السابقين والمُعاصرين . ونحسبُ أنّ هذا كان السبب الرئيسي لنزاعات القاسم العياني وأولاده وأحفاده مع آل الهادي وهادوية الزيدية . فقد أسّس العيانيُّ أُسرةً حاكمةً استمرّت حتّى أواخر القرن الخامس تلعبُ دوراً ملحوظاً في السياسات بشمالي اليمن .

* * *

وعانت البلاد اليمنية كلُّها من فوضى ضخمة في النصف الأول من القرن الخامس الهجري ، لسقوط الدويلات القوية بالتهائم وأعماق الجنوب ، واستشراء الفوضى القبلية في الشمال .

يقول صاحبُ « أنباء الزمن »[1] : « من سنة 405 إلى سنة 448 هـ عمَّ الخَرابُ صنعاء وغيرها من بلاد اليمن لكثرة الخلاف والنزاع وعدم اجتماع الكلمة الواحدة . . . وأظلم اليمن وكثُر خرابُهُ وفسدت أحواله . . وكانت صنعاء وأعمالها كالحرقة ، لها في كلّ سنةٍ أو شهرٍ سلطانٌ غالبٌ عليها ، حتى ضعُفَ أهلُها وانتقلوا إلى كلّ ناحية . وتوالى عليها الخراب وقلّت العمارة في هذه المدة حتى أصبح عددُ دُورها ألف دار بعد أن كانت مائة ألف دار في عهد الرشيد . . . إلاّ أنّ صنعاء تراجعت بعضَ التراجُع في زمن الصليحيين لمّا اجتمع لهم مُلْك اليمن » . وزاد الطين بلّةً استشراءُ القحط والمجاعات ، والتخريب القَبلي والسلطوي المتبادَل للحياتين الحَضرية والريفية في غزوات الاستعادة ، وإغارات السلْب والنهب . وبسببٍ من ذلك كلِّه وُفِّق علي بن محمد الصليحي الذي أعلن الدعوة للفاطميين عام 439 هـ إلى اكتساح أكثر أجزاء اليمن في وقتٍ قصيرٍ . فقد كان عمادُ جيشه من المؤمنين بالدعوة الإسماعيلية ؛ لا من المرتزقة أو القبائل المتقلّبة الولاء . ومع أنه

---

(1) أنباء الزمن م 1/ص 146 ـ 147 . وقارن بغاية الأماني 1/ 240 .

كان همدانياً من بطن الأُصلوح ؛ لكنه اصطدم في بدايات دولته ، وهو يحاول بسط سلطته على البلاد ببطون همدان الكبرى ، وبعض بطون حِمْيَرَ وخولان والحارث . وكانت وطأته على همدان بالذات بالغة الشدّة ؛ رمى من ورائها إلى كسْر شوكتها وإخضاعها تماماً لسيطرته . وهكذا خاض معها ومع حلفائها ثلاث معارك في سِنيّ حكمه الأُولى . وكانت آخِر تلك المعارك (وقعة صَوف) أقساها عليها إذ افتتح الصليحيُّ بعدها صنعاء التي كان أميرها الهمداني أبو حاشد بن يحيى بن أبي حاشد قد قُتِلَ فيها مع ألفٍ من شجعان فرسان همدان وأشرافهم من مختلف البطون . يقول مفرِّح بن أحمد في « سيرة الشريفين »[1] : « ونزل بالناس بلاءٌ عظيمٌ ، وخَطْبٌ هائلٌ جسيم . . . » . ويقول مسلَّم اللحجي[2] : « . . . كانت وطأةُ الصليحي على همْدان وطأة المتثاقل حتّى لم يَذَرْ لهم طِباخاً لأنهم كانوا أهمَّ أجناد اليمن عليه لوجوهٍ ؛ أحدها : لشدّتهم وفراستهم وشموخِ أنوفهم عن الخضوع للملوك حتى أنّ الملوك لَتُداريهم ، وتقبل المسالمة منهم ، وتُحمل إليهم الجوائز والأموال الجمّة من زبيد وغيرها من ممالك شيعة بني العبّاس باليمن وغيرهم من المتغلّبين على المخاليف . . . » . ثم يعودُ مسلَّم للمقارنة بين وضعهم تحت وطأة الصليحي ، وأوضاعهم السابقة فيقول[3] : « . . . فأخبرني مسعود قال : أدركْتُ همدان قبل خروج الصليحي ودعوته وهم ألف فارس في صنعاء والبَون وأعمالهما غير وادعة وبَكيل ويام وحَجور . وأدركْتُ عنساً وهم ألف فارس أيضاً ، وبني الحارث بالرحبة وفيهم خمسمائة فارس . . . فلم يَزَلْ الصُّليحي بهم حتى تركتهم دولته رحمةً للعالمين ، وعِبرةً للناظرين . وقسّم ابنُهُ بعده بلاد همدان وبلحارث والأبناء وعنس بين جنب وسنحان ونهد والحجازيين ، وبين (من) كان من همدان من جنده » .

ويعلِّلُ هذا كلَّه مصير تلك القبائل للتحالف مع الأشراف القاسميين في محاولاتها للثّأر من بني الصُّليحي واستعادة أرضهم وبلادهم التي سُلبت منهم[4] .

---

(1) السيرة ، ق 7أ .
(2) تاريخ مسلّم ، م 4/ ص 14 ـ 15 . وقارن بص 174 .
(3) تاريخ مسلّم ، م 4/ص 15 .
(4) السيرة ، ق 13 ب .

لكننا نعلم أنه كانت للأشراف القاسميين آنذاك عصبيتهم الخاصّة المتمثّلة في الشيعة الحسينية . ونعرفُ الآن من أخبار مسلّم الكثيرة عنهم أنّ المؤمنين بمهدية الحسين ورجعته في الجيل الأول كانوا في الأكثر من وادعة (من خولان) [1] . أمّا من بين الأشراف فقد انحصر الأمر في أعقاب القاسم بن علي العياني ، وشريف اسمه عيسى بن عيّاش الرسّي القاسمي يذكره مفرِّح في « السيرة » بين أوائل أنصار القاسم بن جعفر ، ويذكر مسلّم اللحجي ابنه يحيى بين الشيعة الحسينية بعد ذلك بخمسين عاماً [2] . وكنّا من قبل قد تحدّثنا عن الأسباب التي قد تكونُ كامنةً وراء اعتقاد الحسين ابن القاسم لمهديته ؛ أمّا دوافع أنصار الفكرة من بين أفراد أسرته ، وبعض البطون القَبَلية فقد تكمن في بعض خصوصيات شخصية الحسين بن القاسم نفسه ؛ فقد قدّمته الأُسرةُ على أخيه الأكبر جعفر بعد والده رغم صِغَر سِنِّهِ ؛ وتُظهر أخبار مسلّم اللحجي عنه [3] ـ من خلال ذكريات أتباعه على الأقلّ ـ أنه كان يتمتع بشخصيةٍ كارزميةٍ تثير الإعجاب والانجذاب من بعض فئات الناس . والمعروف أنّ القاسم بن علي العياني نفسه عانى من تجذُّر تقاليد السلطة والمذهب باليمن في أعقاب الهادي والناصر ؛ فكان لا بُدَّ من تأسيسٍ آخر للقاسميين خاصّ بهم يستطيعون بناءً عليه تثبيت دعائم سلطانهم الديني والسياسي .

---

(1) جاء في السيرة ، ق 99 ب ضمن كتاب لذي الشرفين : « وأما بلد وادعة الصريمي منهم والآخر فأكثرهم شيعتنا ومحابّنا . وبينهم المنازل والأموال . وأكثرنا عندهم من قديمٍ وحديث حال . . . » . وقارن عن ديار وادعة : صفة جزيرة العرب للهمداني (نشرة الأكوع) ص 225 ـ 226 .

(2) قارن بنصّ مسلّم في الملحق الأول، ص 336 . وفي **تاريخ بني الوزير** (ق 5) أنّ القاسم بن علي العياني أعقب خمسة أولاد : علي ، وسليمان ، والحسين ، وجعفر ، ومحمد . أمّا أعقاب عليٍّ فكانوا في القرن الثامن بهجرة دار معين بالقرب من صعدة ـ وقد انقرضوا . وأمّا أعقاب سليمان فكانوا بخيوان . وأمّا الحسين بن القاسم (المهدي) فلم يُعْقِب غير ابنتين . وأمّا جعفر بن القاسم فله أولاد منهم أحمد بن جعفر جدّ أهل براقش ـ وابنه القاسم بن جعفر له عقبٌ منهم بعض أهل غربان (؟) . وأمّا محمد بن جعفر « فمن أولاده أكثر أهل غربان وشهارة ، وقبره بشهارة . . » . ويذكر **ابن الوزير** (التاريخ ، ق 106 ب) أميراً اسمه فُليتة بن القاسم لزم (= أسر) المتوكّل أحمد بن سليمان بأثافت وكان من الحسينية . ويذكر المتوكل أحمد بن سليمان (**في الحكمة الدرية** ، ص 325) شريفاً اسمه القاسم بن محمد بن القاسم بن جعفر « زعم أنه يشافه المهدي ويكالمه » .

(3) قارن بالملحق الأول للسيرة ، ص 330 وما بعدها .

لكنّ العصبية الشيعية الحسينية وحدها لم تكن كافيةً لقيادة حركةٍ سياسيةٍ ناجحةٍ لضآلة انتشارها ، ومقاومة آل الهادي والزيدية الهادويين لها . وقد أثبتت ذلك المواجهة العنيفة بين الصليحيين وأصحاب الشريف الفاضل من الحسينية حول حصن « الهِرابة » الذي حاصره الصليحيون ، وأرغموا من خلاله الشريف على الاستسلام رغم المقاومة البطولية للمحاصَرين[1] . بل إنّ الشريف الفاضل نفسه عبّر في مناسباتٍ عدّةٍ عن اقتناعه بعدم إمكان القضاء على الصليحيين بهذه الثُلّة من الأنصار[2] . وقد اضطرّتْه هزيمةُ « الهِرابة » لمغادرة اليمن لسنواتٍ عدّةٍ ؛ ولم يتجدّد أملُهُ بإمكان مقاتلة الصليحيين بفعالية إلاّ بعد مقتل علي بن محمد الصليحي عام 459 هـ ، وإقبال همدان وحمير عليه لقيادتهم في استعادة أرضهم وكرامتهم . ولم تُظْهِرْ سنواتُ غياب الشريف الفاضل وأخيه ذي الشرفين عن المسرح السياسي باليمن (451 ـ 459 هـ) بين أعقاب الهادي مَنْ يمكن الاعتمادُ عليه فظلّ الأمر على النحو الذي كان عليه في أربعينيات القرن . يقول مفرِّح بن أحمد ـ كاتب السيرة ـ، وينقلُ عنه ذلك مسلَّم اللحجي[3] : « فلمّا اشتدّ البلاءُ عليهم فزِعوا إلى آلِ رسول الله صلواتُ الله عليه ، والتمسوا الفَرَجَ من عندهم . فالتمسوا الأفضلَ منهم ، وَمَنْ يُشارُ إليه فيهم ، ووجدوا الفضل في الشريفين الفاضلين الطاهرين الكاملين القاسم بن جعفر بن الإمام القاسم بن علي رضي الله عنه ، وحمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن ؛ وسألوهما القيامَ فيهم والجهادَ لأعدائهم ، وعقدوا لهما بذلك بَذْلَ النفوس والأموال ، والمُواساة في الإكثار والإقلال ، وأعطوا على ذلك مواثيقَ وعهوداً ، وأزِمَّةً وعقوداً » . وقُتل حمزةُ بن أبي هاشم إبّان عودة الشريف الفاضل إلى اليمن في المنوى[4] فلم يبق غير الأخَوين : الشريف الفاضل

---

(1) قارن بالسيرة ، ق 13 ب وما بعدها .

(2) قارن بنصّ مسلم اللحجي في ذلك ، الملحق الأول . وفي السيرة (ق 12 ب) أنه قال لأحد أنصاره : « لو ملأتُ هذا الوادي رماحاً ما كان بد القرامطة من ملكه . . » .

(3) السيرة ، ق 7 أ ، وتاريخ مسلَّم اللحجي ، م 4/ص 208 وما بعدها .

(4) يذكر الأستاذ ماديلونغ (نصه المترجَم سابقاً ص 20 ، وكتابه بالألمانية : الإمام القاسم بن إبراهيم ، ص 206) ، أنّ اسم مكان استشهاده : الملوى ـ لكنّ سائر المصادر تسمّي المكان :

القاسم بن جعْفر ، وذي الشرفين محمد بن جعفر .

وكما كان حِصارُ « الهِرابة » عام 448 هـ من جانب علي بن محمد الصُّليحي ذروة فشل القاسميين ، فإنّ فَشَل المكرَّم ابنه في اقتحام معقلهم بشهارة عام 462 هـ كان ذروة انتصاراتهم .

ويبدو أنّ الشريف الفاضلَ كان يتمتّع بحسٍّ واقعيٍّ أكثر من أخيه ذي الشرفين . فهو الذي أصرّ على اتخاذ شهارة معقلاً للأسرة وللشيعة الحسينية ؛ بينما كان ذو الشرفين ما يزال متردّداً خوفاً من كابوس « حصن الهِرابة » من قبل . وقد أثبتت التجربةُ صدق إحساس الشريف الفاضل عندما حوصر الحصن بعدها بعامين دون أن يسقط ، بل إنّ المحاصِرين انهزموا بعد معركةٍ خلّفت منهم أكثر من ثمانمائة قتيل . وانطلق الأشرافُ بعدها في حملاتٍ وإغاراتٍ على المناطق الجبلية الواقعة ضمن مثلَّث : صعدة ـ حَجّة ـ صنعاء ، وهذا أمرٌ مفهومٌ ؛ ففضلاً عن الغنائم التي كانت القبائل تتوقُ إليها ؛ كان هؤلاء يريدون استعادة ما أخذه منهم الصليحيون أو تثبيت أقدامهم في مواطن جديدة . بيد أنّ « السيرة » تشير إلى انسحاب الشريفين من أكثر تلك الحصون فيما بعد أواخرَ حياة الشريف الفاضل . وحُجّةُ الشريفين في ذلك أنّ الإنفاق كان يفوقُ الواردات[1] . ولم تحدُثْ بعد « معركة الرحبة » تحت شهارة مواجهاتٌ مهمةٌ مع الصليحيين رغم أنّ الشريفَ الفاضلَ ـ كما يتردَّد في عدّة مواطن بالسيرة ـ كان يعتبر ذلك مهمة حياته الأساسية . وربما عاد ذلك إلى اقتناع الشريف القديم بعدم إمكان القضاء على الصليحيين . بل إنّ « السيرة » تذكر حماس القبائل إحدى المرّات للهجوم باتّجاه صنعاء للحصول على غنائم أكبر ، في حين آثر الشريف استعادة بعض نواحي مَسْوَر[2] . بل إنّ الشريف الفاضل ومن بعده خليفتُهُ وأخوه ذو الشرفين عقدا عدة معاهداتٍ للصلح وتحديد الحدود مع الصليحيين[3] ،

= المنوى . يقول مسلّم اللحجي في التاريخ م 4/ص 213 ـ214 : وقُتل بالمنوى في بلد بوسان من ناحية الخشب من شرق بلد همدان .

(1) السيرة ، ق 56 ويكرّر مسلّم نقل ذلك عن سيرة مفرِّح ؛ م4/ص 191 ، 211 ـ 212 .

(2) السيرة ، ق 58 .

(3) قارن بمقدمة الأستاذ ماديلونغ ، ص 22 ، وق 31 أ ـ 31 ب من السيرة .

وازدادت مناطقُ سلطتهم انكماشاً بعد مقتل الشريف الفاضل إذ لم يقم ذو الشرفين إلّا بعمليةٍ انتقاميةٍ لمقتل أخيه . وهكذا اقتصرت حركتهم في النهاية على المنطقة الواقعة بين شهارة وصعدة . وكان الشريف الفاضل قد قام عام 463 هـ بعمليةٍ ذات طابع رمزيٍّ إذ أخرج الصليحيين من صعدة حمايةً لقبر الهادي ومسجده[1] إظهاراً منه للوفاء لذكرى مؤسِّس الدولة باليمن ، وتوبيخاً لآل الهادي هناك لموقفهم المتحفظ من أُسرته ، وتنبيهاً إلى أنه صار حامي حُماة آل البيت باليمن .

بيد أنّ مواقف الشريفين المتردّدة من الصليحيين لها ولا شكّ سببٌ آخَر غير قوة الصليحيين . فالسيرة تشكو باستمرار من تقلُّب القبائل المقاتلة مع الشريفين في الولاء . وعلينا أن لا ننسى أنّ قَتَلَة الشريف الفاضل كانوا من نِهم عندما كان هو في جوار بني الدِعام ـ والقبيلتان شاركتا بدايةً في كلّ المعارك تحت قيادتهما . وربما كان ذلك وراء انعزال ذي الشرفين بشهارة بين أنصاره من الحسينية لا يخرجُ منها إلّا نادراً حتّى في حياة أخيه . فيبدو أنـه بعد الفـورة الأُولى للصليحيين أيام علي بن محمد ، والسنوات الأُولى من سيطرة ابنه المكـرَّم ؛ فإنّ هؤلاء مـالوا للتسـويات والتنازُلات ليس مع الشريفين فقط ؛ بل ومع القبائل أيضاً . فلم تَعُدْ لتلك القبائل دوافع قويةٌ للقتال ما دامت قد استعادت مواطنها وحرياتها وبخاصةٍ أنها في أكثرها لم تكن من الشيعة الحسينية . لكنّ المؤرّخ مسلَّماً اللحجيَّ ـ الذي لم يكن على أيّ حالٍ صديقاً للشيعة الحسينية ـ يذكر سبباً آخَرَ لفتور القبائل ؛ بـل وتمرُّدهـا على آل القاسم أحياناً . فقد كان الشريف الفاضل يفـرضُ عليهم ضرائبَ ثقيلةً بلغت أحياناً ـ في زمن الحرب ـ تسعة أعشار أموالهم[2] . وفي « السيرة » ما يؤيِّدُ مسألة الضرائب وثقلها على الناس من خلال تلك الفتاوى والآثار التي تُورِدها « السيرة » عن الشريفين باعتبارها جـزءً من تُراث المـذهب ، ويقتبس الرجـلان بعضها عن الهادي بالذات كأنما ليحتجُّوا بها على سائر الزيدية[3] . ويُورِدُ مفرِّح بن أحمد في « السيرة » رسالةً طويلةً كتبها محمد المرتضى بن الهادي إلى الريّان (؟) الهمداني ،

(1) السيرة ، ق 86 ونقل ذلك مسلَّم عن سيرة مفرِّح مُشيداً بالحملة ، م 4/ 209 وما بعدها .
(2) تاريخ مسلّم ، م 4/ص 190 .
(3) السيرة ، ق 9 ب وما بعدها ، 91 أ وما بعدها .

يعلّلُ له فيها اعتزاله قتالَ القرامطة بتوقُّف القبائل عن القتال وعن الإنفاق على الحرب(1) . والقياسُ واضحٌ فهو يضعُ الأميرين في موضع المرتضى ، ويضعُ شيعة الفاطميين أيامه في موضع القرامطة . أمّا فتوى « التسعة الأعشار » فتوردُها « **السيرة** » عن القاسم العياني وابنه الحسين لكنها لا تذكر إنْ كانت قد طُبّقت أم لا(2) . ويذكر مسلَّم اللحجي أنّ القاسميين كانوا قُساةً وظَلمةً منذ أيام الحسين بن القاسم . وهو يذكر بالتحديد حوادثَ جرت مع الحسين والشريف الفاضل ، كان **أولهما** فيها رؤوفاً بالحيوان غير رفيقٍ بالإنسان . أمّا **الثاني** فكان فيها غليظاً مع أنصاره ، غاضّاً للطرف عن نهب القبائل وسلبها للناس حتى لو كانوا من الزيدية(3) . ويتّهم مؤرّخون آخَرون جعفر بن القاسم ، والقاسم العيانيّ نفسه بالقسوة الشديدة أيضاً(4) .

وتُشيد « **السيرة** » كثيراً بوَرَع الرجلين في المال ، وتوردُ في ذلك رسائل ووصايا وأحاديث لهما . ولا تشير بشيءٍ إلى مدى اعتقاد الشريف الفاضل بالذات في حياة المهدي ورجعته . لكنّ مسلَّماً اللحجيَّ يذكر قصةً عن رجلٍ عنه تفيد اعتقاده بذلك(5) . ثم إنه لم يكن يتدارسُ مع أتباعه وتلامذته غير كتب الحسين بن القاسم فيما يبدو(6) . ومع ذلك فقد تحفَّظ في الحديث عن حياة المهدي أمام علي بن محمد الصليحي عندما كان في أُسْره(7) . أمّا ذو الشرفين فيبدو أنه كان ثابت الاعتقاد في ذلك كما تشير رسائل ووصايا له في « **السيرة** » . بل إنّ إحدى وصاياه تذكر ما يفيدُ أنّ مصير الصليحيين متروكٌ للمهديّ عند عودته سواءٌ أكان ذو الشرفين ما يزال

---

(1) السيرة ، ق 92 وما بعدها .

(2) السيرة ، ق 10 أوما بعدها .

(3) تاريخ مسلَّم ، م 4/ص 208 وما بعدها ، وص 266 ـ 267 .

(4) غاية الأماني 1/227 وما بعدها .

(5) تاريخ مسلَّم ، م 4/ص 208 .

(6) السيرة ، ق 28أ .

(7) السيرة ، ق 19 ب . ويقول الهادي بن إبراهيم بن علي بن المرتضى (768 ـ 822 هـ) في هداية الراغبين إلى مذهب العترة الطيبين (مخطوطة ضحيان) ص 489 : « وطالعت سيرة الأميرين الشريفين صاحبي شهارة فوجدتُ كلامهما فيها مصرِّحاً بهذا الاعتقاد ، وبقيا عليه إلى يوم المعاد » .

حياً أم لا[1] . ولعلّه كان يسوِّغُ لنفسه بذلك إعراضَهُ عن الاستمرار في مواجهتهم . أمّا مسلّم اللحجي الذي قابل في شبابه الشريف جعفراً ابن ذي الشرفين وخليفته ، وروى عنه عدة أخبار ، فيريدُ أن يُشْعِرَ بأنّ الأمير جعفراً لم يكن يعتقد ذلك في قرارة نفسة[2] . لكنْ كان ما يزال هناك شيعةٌ حسينيون كثيرون أيام مُسَلّم ، في النصْف الأول من القرن السادس الهجري ؛ وعن هؤلاء واعتقاداتهم الساذجة الباطلة يُفيضُ مسلّم في الحديث على سبيل التهويل والتشهير والتعجيب[3] ! . ويذكر محمد بن العفيف بن الوزير[4] أنّ والد نشوان بن سعيد بن أبي حمير الحميري (ـ 573 هـ) كان من الحُسينية ؛ وكذا نشوان في بَدء أمره ، ومن شعره في ذلك آنذاك قوله :

بـريتُ إلى الـرحمن من كـلِّ مُـدَّعٍ ... لمهـديَّـةٍ غيـر الحُسيـن بن قـاسـم

لكنه رجع بعد ذلك « ووقع بينه وبينهم خصامٌ وكلامٌ وأشعـارٌ » . وكان من شعرائهم في النصف الأول من القرن السادس الهجري الجعيد[5] (؟) صهر نشوان زوج ابنته ! « وكان أهلُ هذا المذهب من الحسينية منتشـرين في كثيرٍ من البـلاد كالظواهر والأودية وشظب والشّرَفين وصنعاء وبلاد جهة الجيمة . . . وكذلك بلاد سنحان ومذحج . . وإنْ كانوا في بعضها غالبين وبعضها مغلوبين . ومنهم الأميـر فُليتة بن قاسم الذي لزم الإمام المتوكِّل على الله بأثافت وهو القائل :

أنـا شـاهـدٌ بـالله فـآشهـد يـا فتى ... بفضـائـل المهـدي على فضـل النبي

وطالت مدة أهل هذه المذاهب كانت من زمن الحسين بن القاسم إلى زمن الإمام يحيى بن حمزة . وحكى الفقيه عبد الله الورد أنه يعرفُ قبل الفناء الأعظم (الطاعون) الواقع في سنة أربعين وثمانمائة رجلاً في ثُلا من الكبراء يعتقد حياة الحسين بن القاسم ويرى رأْيَ الحسينية . . . » . لكنّ **أحمد بن يحيى المرتضى** (ـ 840 هـ) يقول في معرض ذكره لفرق الزيدية إنّ الحسينية التي اختصّت « بأن

---

(1) السيرة ، ق 98 .

(2) تاريخ مسلّم ، م 4/ص 258 ـ 260 .

(3) تاريخ مسلّم ، م 4 وقد جمعنا النصوص في الملحق الأول لهذه السيرة .

(4) تاريخ بني الوزير ، ق 106 ـ 107 .

(5) هو الجعيد بن حجاج الوادعي ؛ قارن عنه لواحق الزحيف على الحدائق (من ضحيان) ص 177 .

زعمت أنّ الحسين بن القاسم بن علي المقتول بَرَيدة لم يُقْتَلْ ، وأنه لا بد أن يظهر قبل موته . . »[1] قد انقرضت كما انقرضت الفرقة المطرفيَّة ، ولم يبق إلّا **المخترِعة** من فِرَق الزيدية باليمن .

وقد عمدنا إلى إثبات ملاحق آخر نشرتنا هذه للسيرة . يتضمّنُ **الثالث** نصاً للسيّد حميدان (من النصف الأول للقرن السابع الهجري) يدافعُ فيه عن عقيدة الحسين بن القاسم من خلال نصوصٍ من كتبه . ويتضمّن **الأول** نصوصَ مسلَّم اللحجي في القسم الرابع الباقي من **تاريخه** في « أخبار الزيدية » عن حُسينية عصره واعتقاداتهم . ويتضمّن **الثاني** نصين للإمام المتوكّل على الله أحمد بن سليمان من كتابيه : **حقائق المعرفة** ، **والحكمة الدرية** في معلوماته عن الحسينية وعقائدهم . وسنتحدث في هذه المقدمة عن تلك الملاحق بعد الحديث عن سيرة مفرِّح بن أحمد للأميرين .

IV

عقد يحيى بن الحسين (ـ 1099 هـ) في كتابه « طبقات الزيدية » فصلاً قصيراً ذكر فيه « مَنْ عُرِف » « من أعيان **الحسينية** من الهدوية أصحاب الإمام الحسين بن القاسم العياني »[2] . والعلماء الذين ذكرهم هم : الشريف **قاسم بن جعفر** : « وكان هذا الفاضل في درجة الإمامة لكنه لم يدْعُ . قالوا لأنه رُوي عنه أنه كان يعتقد أنّ عمّه الحسين حيّ ، وأنه المنتظر » ، و« كان مع صِنوه (أخيه) محمد بن جعفر آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر على صورة المحتسِب » ؛ وأخوه

---

(1) المنية والأمل ، ص 98 ـ 99 . وفي **العسجد المسبوك** فيمن ولي اليمن من الملوك للخزرجي ، مخطوطة مصوَّرة ، سلسلة وزارة الإعلام والثقافة ، طبعة ثانية 1981 ، ص 52 : « . . . وفي جَهَلة الشيعة من يزعم أنه حيٌّ لم يُقتل ، وأنه المهدي الذي بشّر به النبي ﷺ . وكان على هذا الاعتقاد كثيرٌ من الأشراف . ثم انقرض **أهل هذا الاعتقاد** ؛ وكانوا خلقاً كثيراً في مغارب صنعاء . والأئمةُ من أهل البيت وعلماؤهم باليمن مجمعون على أنّ الحسين بن القاسم اختلط عقله في آخِرِ عُمرِه لأنه ظهرت منه أشياء من الأقوال والأفعال تخالف الشرع الشريف . . » .

(2) طبقات الزيدية ، ص 97 ـ 98 .

محمد بن جعفر ، الذي « كان يعتقد اعتقاد أخيه في الحُسين » ؛ **والشيخ محمد بن أحمد النضري** (؟) و « كان عالماً على مذهب الحسينية يعتقد أنّ الحسين بن القاسم حيٌّ لم يَمُتْ وأنه المهديُّ المنتظَر ، وله في هذا رسالةٌ وكلامٌ طويلٌ لا فائدةَ في ذكر شيءٍ منه ، وردٌّ على اعتراضات الشيخ عامر التي اعترض بها الحسين بن القاسم في سيرته » ؛ **وأحمد بن بُريه** « وقتله الحسين بن القاسم » ؛ ومحمَّد بن حُميد « العالم المشهور الذي قيل فيه : لو صلحت الإمامةُ في العامّة لصلحت فيه . . . » ؛ والقاضي العلاّمة **أبو نضر** (؟) **ابن أبي طالب** ابن أبي جعفر « فقيه الزيدية وعالمهم اجتمع في خزانته من فنون العلم اثني عشر ألف كتاب . وكان ممن عاصر الإمام أبا طالبٍ الأخير يحيى بن أحمد بن الحسين ابن الإمام المؤيَّد بالله ، ووصل من جهته إلى صعدة . . » ؛ والشريف العلاّمة **سليمان بن حمزة** . ولا ينسى يحيى بن الحسين صاحبنا مفرِّحاً لكنه يقول عنه فقط[1] : « الشيخ مفرِّح بن أحمد : كان رأيُهُ رأيَ الحسينية وهو صاحبُ سيرة الأميرين المذكورين : الفاضل وصنوه » . ومصدرا يحيى بن الحسين الأساسيان لهذه المعلومات عن الشيعة الحسينية هما : كتاب **تاريخ بني الوزير** الذي يسمّيه « **الفضائل** » ، **واللآلي المُضيّة** لأحمد بن محمد الشرفي (ـ 1055 هـ)[2] . والمصدران المذكوران لا يذكران فعلاً غير ذلك عن الشّيخ مفرِّح بن أحمد . لذا فقد حاولنا أن نجد شيئاً عنه في أكثر المصادر الباقية أخباراً عن الشيعة الحُسينية ؛ وهو **تاريخ** مسلَّم اللَّحجي .

يترجم اللحجي[3] ضمن الطبقة **الرابعة** من علماء الزيدية لمن يسمّيه : أبو القاسم (محمد؟) الرَّبَعي . ويذكر ضمن الترجمة مفرِّح (أو مفرِّج؟) بن أحمد الرَّبَعي فيقول عنه : إنه « القاضي الأديب الشاعر . وأظنه أخاً لأبي القاسم بن أحمد . وطالت صحبته للأشراف الرسّيّين بشهارة ، وهو مصنّفُ **سيرتهم** . وله فيها

---

(1) طبقات الزيدية ، ص 98 .

(2) تاريخ بني الوزير ، ق 5 ، 100 ، 106 ، واللآلي المضية ، مخطوطة ضحيان ، م 2/ص 149 . وقد رجع يحيى بن الحسين أيضاً إلى «المنصور بالله في سيرته . . وكان المطرّفية والحسينية والقاسمية من رافضة الشيعة يسبّون الصحابة ، ولهم قواعد أربعٌ ، ولهم كتب وتصانيف ورسائل وأشعار . . . » .

(3) تاريخ مسلَّم اللحجي ، م 4/ص 249 ـ 252 ، 272 .

من الأشعار ما يُستحسَنُ ويُستجاد . . . »[1] . أمّا معلوماتُهُ عن الأُسرةَ فَتَرِدُ خلال الترجمة الطويلة نسبياً لأبي القاسم ؛ وتتلخَّصُ في أنهم كانوا ينزلون من البَون الأسفل ببلد همدان بنحو رَيدة ، وبناحية بلد الصيد . فهم من ربيعة همدان[2] . وكانوا في النصف الأول من القرن الخامس الهجري « من بيوتات العلم والشعر ببلاد همدان » ، وقد خرج منهم عدةُ شعراء امتدحوا « الصليحيين والشهاريين » ؛ يذكرهم مسلَّم ، ويورد بعض أشعارهم . ولم يكن أبو القاسم نفسه شاعراً محترفاً ؛ لكنه كان يقول الشعر ؛ كما أنه لم يكن سيِّىء العلاقة بالصليحيين فقد تولّى ابنه أحمد ابن أبي القاسم القضاء برَيدة ونواحيها للصليحيين . ويضيف مسلَّم إنّ صناعة قومٍ من آل الربعي كانت « تعليم القرآن » بالناحية التي يقيمون بها . فيبدو أنّ تقاليد الأُسرة المتوارثة في الأدب واللغة والشعر والخطابة والكتابة والعلم بالقرآن ؛ هي التي كانت وراء اتّصال جماعةٍ منهم بالقاسميين ؛ شأنهم في اتّصالهم بالصليحيين ـ ومن هؤلاء مفرِّح بن أحمد . لكن رغم تردُّد ذكر الرجل في السيرة أو مختصرها ، وعند مسلَّم ؛ فإننا لم نتوصَّلْ لرأيٍ قاطعٍ في شأن ضبط اسمه وهل هو مفرِّح (بالحاء غير المعجمة) أو مفرِّج (بإعجام الحاء) إذ يرد الاسم تارةً بنقط الحاء وطوراً بإهمالها في السيرة وعند مسلَّم . وكان الأستاذ ولفريد ماديلونغ قد آثر القراءة بالإعجام ، أما نحن فنؤْثِرُ القراءة بالإهمال : مفرِّح ، لا لشيءٍ غير أنّ اسم مفرِّج ـ بالإعجام ـ نادرٌ باليمن .

وفيما عدا ذلك فإنّ فيما كتبه الأستاذ ماديلونغ في المقالة السالفة الإثبات مقنعاً . وقد اعتمد كما هو ظاهر على السيرة فقط ، ولم يستطع الرجوع إلى القسم الرابع من تاريخ مسلَّم رغم معرفته بوجوده باليمن . وقد قام الأستاذ ماديلونغ أخيراً بنشر جزءٍ من القسم الأول من تاريخ مسلَّم مختصّ بسيرة أحمد الناصر ابن الهادي

(1) تاريخ مسلّم ، م 4/ص 251 .

(2) في منتخبات في أخبار اليمن (من كتاب شمس العلوم لنشوان بن سعيد الحميري) ص 40 : « ربيعةُ في قبائل اليمن كثير . **والربيعة** ـ بالألف واللام ـ حيٌّ من اليمن من قُضاعة . . يُنْسَبُ إليهم ربيعي ـ بإثبات الياء ـ ويُنْسَبُ إلى غيرهم رَبَعي بحذفها » . فمفرّح من ربيعة همدان لا قُضاعة أو خولان قُضاعة ؛ وبخاصةٍ أنّ أسرته كانت متوطنةً بديار همدان . وقارن ما توصلنا إليه بما رجّحه الأستاذ ماديلونغ في دراسته التقديمية هنا (ص 12 ـ 13) .

إلى الحقّ[1] . وكنا قد لاحظنا في حواشي هذا التقديم بعض الهنات في دراسة الأستاذ ماديلونغ . ونضيف هنا أنّ قول الأستاذ ماديلونغ بعدم معرفة أحدٍ بسيرة مفرِّح غير يحيى بن الحسين قديماً ، والعلّامة الأستاذ محمد الأكوع حديثاً ، غير دقيق . ففي القديم نقل عنها بكثرة مسلّم اللحجي كما يظهر من حواشينا على السيرة المنشورة بعد هذا التقديم . كما نقل عنها الشَرَفي في « اللآلي المضية » بعد يحيى بن الحسين[2] . وقد تتبَّعْنا مواطن إفادة هؤلاء جميعاً في حواشي نشرة السيرة . وفي العصر الحديث نعرفُ مصدرين اثنين أفادا منها كثيراً قبل العلّامة الأكوع هما : محمد بن إسماعيل الكِبْسي (ـ 1308 هـ) في : اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمانية[3] ، والعلّامة الشهيد أحمد بن أحمد المُطاع في : تاريخ اليمن الإسلامي من سنة 204 هـ إلى سنة 1006 هـ[4] . أمّا الكبسي فلم يذكر السيرة غير مرةٍ واحدةٍ ؛ لكنه لخّص معلوماتها تلخيصاً جيداً ربما لم يكن عن السيرة مباشرةً بل عن طريق يحيى بن الحسين[5] . وأمّا الشهيد المُطاع فقد عرف السيرة جيداً ونقل عنها كلّ الأخبار المتصلة بتاريخ شمالي اليمن في القرن الخامس ، وثوار آل البيت ، وصراع القاسميين الطويل مع الصليحيين[6] . ويكملُ المطاع

---

(1) The Sira of Imam Ahamadb. Yahay Al- Nasir li- Din Allah from Musallam al-Lahji's Kitab Akhabar Al- Zaydiyya bi L-Yaman. Edited by Wilferd Madelung, Ithaca Press, Exeter, Oxford 1990.

(2) لخّص الشرفي (ـ 1055 هـ) في اللآلي المضية (مخ ضحيان) م 2/149 ـ 186 سيرة مفرّح تلخيصاً كاملاً . وهو يعتمد في ذلك على المختصر ، بينما يرجع مسلّم ـ فيما يبدو ـ إلى السيرة بصيغتها المبسوطة .

(3) اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية . تم طبعه ونشره بعناية السيد عبد الله بن محمد بن عبد الله الكبسي ، أحد أحفاد المؤلف . مطبعة السعادة بمصر ، بدون تاريخ .

(4) تاريخ اليمن الإسلامي من سنة 204 هـ إلى سنة 1006 هـ ، تحقيق عبد الله محمد الحبشي ، نشر دار التنوير ، بيروت ، الطبعة الأولى 1986 .

(5) يبدأ الكبسي بنقل أخبار القاسم بن علي العياني منذ العام 389 هـ (ص 20) عن يحيى بن الحسين فيما يبدو في « أنباء الزمن » أو « غاية الأماني » . ويلخّص أخبار أولاده متبعاً في ذلك يحيى بن الحسين . ولا يصرّح بذكر السيرة غير مرةٍ واحدةٍ (ص 37) إذ يقول : قال « صاحب السيرة » ـ وهو المكان نفسه الذي يذكر فيه يحيى بن الحسين السيرة (غاية الأماني 1/270) ، وأنباء الزمن 1/ق 176أ : قال صاحب سيرة الأشراف) مما جعلنا نرجّح أنّ الكبسي لا ينقل عن السيرة مباشرة بل عن تلخيص يحيى بن الحسين لها .

(6) يبدأ المطاع أخباره عن دولة القاسميين عام 388 هـ (ص 186) بدعوة القاسم بن علي العياني الذي ينقل =

المعلومات عن تلك الأحداث بعد ذكر سيرة مفرِّح ؛ باللجوء إلى تاريخ مسلَّم اللحجي ، واللآلي المُضِيَّة للشرفي ، والعسجد المسبوك للخزرجي ، وأنباء الزمن ليحيى بن الحسين .

* * *

ولا نعرف لسيرة الأميرين لمفرِّح غير مخطوطٍ واحدٍ بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء . وهي ضمن مجموعٍ متنوِّع [1] . أمّا المخطوطة الأخرى للسيرة التي

= أخباره ـ فيما يبدو ـ عن سيرته لابن يعقوب ، واللآلي المضية ، والعسجد المسبوك (يقول مثلاً : قال في سيرة الإمام المنصور . . الخ . وانظر عن سيرة القاسم ما تقدم عند ماديلونغ ، وفي تمهيدنا في الصفحات الأولى) . وفي صفحة 187 يصرّح بالنقل عن أنباء الزمن ليحيى بن الحسين والخزرجي (قارن ص 187 ـ 203) . ثم يعود (ص 203) للتصريح بالنقل عن سيرة المنصور (وقارن ص 206) . أمّا أخبار المهدي الحسين بن القاسم فينقلها عن الحدائق الوردية ، والخزرجي (ص 215 ـ 218) . وينقل أخبار المُعيد لدين الله الظاهر عام 418 هـ عن أنباء الزمن ، والعسجد المسبوك ، واللآلي المضية (ص 220 ـ 222) . ويصرّح (ص 221) بالنقل عن تاريخ مسلَّم اللحجي (ص 221) لكن يبدو أنّ ذلك كان بواسطة اللآلي المضية . ويصرّح بالنقل عن « سيرة الأمير ذي الشرفين » (ص 229 وما بعدها) في سياق ذكره لإذلال همدان وسيطرة الصليحيين . وعلى الصفحة 231 يقول : فلنرجع إلى سيرة ذي الشرفين (أحداث العام 444 هـ) . وينقل بعدها المراسلة الأولى الموجودة في السيرة والتي تمت بين الصليحي والشريف الفاضل (ص 231 ـ 233) . ويركّز بعدها في النقل عن سيرة الأميرين (حصار الهرابة : 234 ـ 237 ، محاربة الصليحي لآل الكرندي واصطحابه للشريف الفاضل معه : 237 ـ 238) . وبعد نقلٍ طويلٍ عن أنباء الزمن يعود لسيرة الأميرين (التي يسميها دائماً : سيرة الأمير ذي الشرفين)(ظهور حمزة ابن أبي هاشم : ص 245 ـ 246) . ومنذ انتقال الأشراف إلى شهارة يصرّح المطاع (ص 251) بالاعتماد على ما في سيرة ذي الشرفين . ولأنّ التفاصيل التي يوردُها لا توجد في غير السيرة من المصادر ، ذهبنا إلى أنّ المطاع اطّلع على مخطوطةٍ من سيرة الأميرين ربما كانت هي الموجودة بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء الآن .

(1) فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء ـ إعداد أحمد محمد عيسوي ، ومحمد سعيد المليح . ط . منشأة المعارف بالإسكندرية ، 1978 ؛ ص 675 : سيرة ذي الشرفين محمد بن جعفر (تاريخ 117) . ولم تعد أرقام المجاميع والمخطوطات المفردة بالمكتبة الغربية صحيحةً بسبب التغير الذي طرأ عليها نتيجةً لاستعادة الأسر الصنعانية بعض مخطوطاتها المُصادَرة سابقاً ، ولإقبال إدارة المخطوطات على اقتناء عددٍ كبيرٍ من المخطوطات تعمل الآن على إعداد فهرسٍ شاملٍ لها . وكان الأستاذ عبد الله محمد الحبشي ، العالم المعروف في مجال التراث اليمني قد ذكر مخطوطة السيرة في كتابه : مراجع تاريخ اليمن (1972) . ثم عاد لذكر المهدي الحسين بن القاسم ، وسيرة الأميرين بتفصيلٍ أكبر في كتابه : مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ، نشر مركز الدراسات اليمنية ، صنعاء ، بدون تاريخ ، =

رجع إليها العلّامة الأكوع في حواشيه على تاريخ عُمارة ؛ فإنها منسوخةٌ بذي سفال عام 1935[1] . وقد تبيّن لنا أنها تتضمن الأخطاءَ نفسها ، ومواطن البياض نفسها ، التي بمخطوطة الجامع الكبير ؛ مما يقطع بأنّها منسوخةٌ عنها . ولم نرقّم مخطوطة الجامع الكبير من السيرة ضمن المجموع كما فعل الأستاذ ماديلونغ بل رقّمناها على حِدةٍ فجاءت في 100 ورقة . وتاريخ الانتهاء من نسخها : شهر ذي الحجة آخِر شهور سنة 1026 هـ ، وليس كما ذكره الأستاذ ماديلونغ .

وقد استطعنا بالعودة لمختلف المصادر التاريخية والجغرافية والنَسَبية ضبط الغالبية العظمى من أسماء الأماكن وتحديدها ، وأكثر أسماء الأعلام . لكنْ لم تكن لنا حيلةٌ في مواطن البياض وبخاصةٍ في الشعر وأكثره لمفرِّح والأمير ذي الشرفين .

V

نشرنا في الملحق الأول لسيرة الأميرين نصوصاً مأخوذةً عن كتاب **أخبار الزيدية** لمسلَّم بن محمد بن جعفر اللحجي (ـ 545 هـ أو 552 هـ) . وكان يحيى بن الحسين (ـ 1099 هـ) في **طبقات الزيدية** أو **الطبقات الكبرى** قد أوضح ترتيب مسلَّم لكتابه المهمّ هذا فقال[2] : « وله تاريخٌ جعله طبقات وأكثر في ذكر حال المطرَّفية من أصحابه . وذكر أولادَ الهادي المرتضى والناصر . وهو أربعة أجزاء لِطاف يأتي جميع الكتاب في مجلَّدين متوسطين . وجعله خمس طبقات . **الطبقة الأولى** : في أحوال ابنَي الهادي استوفى ذكر الحروب بين الناصر وبين القرامطة وغيرهم . **والطبقة الثانية** : في ذكر أحوال المختار وأولاده وبني الضحّاك ، وذكر

= ص 526 ـ 529 . وقد ذكر 31 أثراً كتابياً للحسين بن القاسم أكثرها ببرلين ، وشهيد علي باستانبول ، وعند زبارة في **أئمة اليمن** . لكنه لم يعرف بوجود كتبٍ للمهدي الحسين بن القاسم في مجموعاتٍ خاصةٍ باليمن . (قارن بالصفحة 37 من تمهيدنا هذا) . وانظر ثبت المصادر والمراجع .

(1) D. Thomas Gochenour : A Revised Bibliography of Medieval Yemeni History in Light of Recent Publications and Discoveries ; in Der Islam , Bd. 63, 1986, PP/ 309- 322.

(2) طبقات الزيدية ، ص 97 .

فيها ترجمةً وافيةً للشيخ أحمد بن موسى الطبري . **والطبقة الثالثة** : مَنْ أخذ عن الطبري مثل مطرّف بن شهاب وابن أبي الفوارس والإمام القاسم العياني وسائر العلماء ممن أخذ عن أهل الطبقة الثانية واختلاف الزيدية . **والرابعة** : مَنْ أخذ عن مطرّف بن شهاب مثل نهد بن الصبّاح وابن صعتر وغيرهم . . . **الطبقة الخامسة** : مَنْ كان في عصر مسلّم من العلماء المطرّفية . وأول من بدأ (بـه) **في تاريخه** المرتضى محمد ابن الهادي . . ولم يذكر من سِيَر الهادي ومن تقدمه اكتفاءً بالسيرة له ، **وبالمصابيح** لأبي العبّاس الحَسَني ، **والإفادة** ، وغيرها من التواريخ »

وكان المعتقد أنه لم يبق من الكتاب غير قسمٍ من المجلّد الأول ، يتضمَّنُ أخبار المرتضى والناصر ، وقسماً من أخبار الشيخ أحمد بن موسى الطبري[1] . ثم ظهرت مخطوطةٌ قديمةٌ ناقصةٌ من المجلد الثاني ، منسوخة عام 566 هـ ، وتتضمن بقية الطبقة الثالثة ، والطبقتين الرابعة والخامسة (من حوالي العام 450 هـ وحتى حوالي العام 520 هـ)[2] . وقد عاصر شيوخ مسلّم لا مسلّمٌ[3] نفسه حقبة الازدهار

---

(1) في مخطوطةٍ من مجموعة Glaser بمكتبة الدولة ببرلين ، رقمها 1300 (= 9644 بالفهرس) ؛ قارن : Verzeichnis der arabischen Handschriften der Königlichen Bibliothek zu Berlin, 1887- 99, IX, 209. Fol 38b- 70b.

وقد نشر الأستاذ ويلفريد ماديلونغ القسم الأكبر من مخطوطة برلين ، والمتضمن لترجمة الناصر أحمد ابن الهادي (ـ 322 هـ) ، وبعض الأخبار عن أخيه محمد المرتضى (ـ 310 هـ) ـ لندن 1990 .

(2) أخبرنا الأستاذ عبد الله محمد الحبشي ، كما كان قد أخبر Gochenour من قبل أنّ جالب المخطوطة إلى صنعاء ، زيديٌّ من نجران . ويظن الأستاذ الحبشي أنّ الرجل باعها فيما بعد لجامعة الملك سعود بالرياض (قال لنا بعد ذلك أنّ الذي باعها ربما كان رجلاً من آل الوزير) ، ومنها عدة صُوَرٍ بصنعاء ، إحداها لدى عبد الله الحبشي . وهناك مصوَّرةٌ عنها بالمكتبة المركزية بالجامعة ، وأخرى لدى الدكتور عبد الرحمن شجاع أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة صنعاء ، وقارن : ; Gochenour ; Revised Bibliography op. cit. 315-317.

(3) هو مسلّم بن محمد بن جعفر اللحجي الشّظَبي . وُلد حوالي العام 485 هـ ، وتوفي عام 545 هـ أو 552 هـ . يبدو أنه اهتمّ في فتوته باللغة والأدب والشعر ، وألّف في ذلك كتاباً سمّاه الأُتْرُنْجة في شعراء اليمن . ويظهر أنّ ياقوت الحموي (معجم البلدان ، مادة لحج) اطّلع على نسخةٍ منه مكتوبة عام 530 هـ بخطّه فاستنتج أنه كان ما يزال حياً آنذاك . وبدأ اهتمامه بآراء الفرقة المطرّفية من الزيدية (510ـ 515هـ) . ويظهر أن ذلك هو الذي دفعه لكتابة تاريخ للزيدية ورجالاتها وأفكارها باليمن هدفه إثبات الصورة المطرّفية عن تُراث المذهب بالبلاد تدليلاً لكونهم أتباع الهادي الحقيقيين . وكانت الفرقة قد بدأت تواجه تحدياتٍ حقيقية منذ مطالع القرن السادس من جانب الأشراف ، والعلماء المرتبطين بالتقاليد السلطوية =

للفرقة الحسينية حين استطاع الشريف الفاضل والأمير ذو الشرفين تجاوز مأساة الهرابة ، والتحصُّن بشهارة ، وتحدّي الصليحيين تحدياً حقيقياً . لكنّ تلك الحقبة كانت أيضاً حقبة ازدهار فرقة المطرَّفية من الزيدية ، التي كان مسلَّم اللحجي (المولود حوالي 485 هـ) ينتمي إليها . وواضحٌ أنّ مسلَّماً كان معنياً بتتبُّع أخبار علماء المطرَّفية بالذات ، والترجمة لهم . لكنه يستطردُ لذكر المخترِعة من الزيدية ، أعداء المطرَّفية الرئيسيين ، كما لا يفوتُهُ أن يذكر أخبار الحسينية في جيلهم الثاني . ويتّضح من الطرائف والنوادر الكثيرة التي يُوردُها عنهم أنه كان لهم انتشارٌ واسعٌ بين العوامّ في مناطق شهارة والجوف ، وصنعاء . ولا نعرفُ شيئاً عن رأي مسلَّم في الحسين بن القاسم نفسه من خلال تاريخه لأنّ القسم الأول من المجلد الثاني من تاريخه لم يُعْثَرْ عليه بعد[1] . كما أنّ معرفته بعصر الأميرين وعقائدهما ضئيلة لأنه لم

= لأعقاب الهادي بالبلاد . وبلغ ذلك ذروته بدعوة المتوكّل على الله أحمد بن سليمان ، وعودة القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام من العراق وجلبه لكثيرٍ من كتب زيدية الجيل والديلم ، والمعتزلة معه . وفي مخطوطة نجران من تاريخ مسلّم معلوماتٌ ثمينةٌ جداً عن تفاصيل الصراع بين المطرّفية وخصومهم من المخترعة . كما يمكن استنتاج الكثير عن حياة مسلّم من خلال أخباره . وهناك معلوماتٌ كثيرةٌ جداً عن العلاقات القبلية والدينية في شمالي اليمن ، وآثار السيطرة الصليحية على التحالفات بين القبائل ، ومواطن استقرارها وانتشارها ، والنواحي التي كان المذهب الزيدي ينتشر فيها في القرن الخامس وبداية السادس . فضلاً عن معلومات لسانية وأنثروبولوجية وديموغرافية وحَضَرية متناثرة في ثنايا التراجم والأخبار . وليست هناك دراسةٌ مستوعبةٌ عن مسلّم حتى الآن ؛ ولكن قارن ؛ ياقوت : معجم البلدان (مادة : لحج) ، وطبقات الزيدية ليحيى بن الحسين 1/ 96 ـ 97 ، وإنباه الرواة للقفطي 1/ 326 ، وتاريخ بني الوزير ، ق 109 ب ، Gochenour :op.cit. 315-317 ;W.Madelung :DerImam ,203-204 . وعبد الله الحبشي : مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ، ص 405 ـ 406 ، وأيمن فؤاد سيّد : مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي ، القاهرة 1974 ، ص 106 ، ولنفس المؤلّف : تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة 1988 ، ص 36 .

(1) لكنّ الزحيف والشرفي يذكران (في لواحق الحدائق الوردية ، ص 178 ، واللآلي المضية م 2/ ص 145) أنّ مسلّماً اللحجيّ « حكى في تاريخه عن الإمام المهدي وعن والده القاسم بن علي عليهما السلام ما يشوّش خاطر المغرب عن معرفة فضلهما . فإنه حكى أشياء كثيرةً تقضي بمخالفتهما لمذاهب أسلافهما ، وأنهما ربما يسترجحان شيئاً من مذاهب العبيديين الذين ملكوا مصر والمغرب وغيرهما من بلاد الإسلام وكان الصليحيون يدعون لهم . وذلك لا يُسلّمُ للشيخ مسلّم ! . . . » . وتابع الشرفي قائلاً : إنّ مسلّماً اتهم الحسين بن القاسم بأنّه ادّعى أنه ينزل عليه الوحي « . . . وأكثر الطعن عليه ، وملأ الأوراق من سبّه . . في كلامٍ كثير . . » .

يعاصرهما ؛ ولذا يعمد لينتظم سِياقُ خبره إلى أخبار شيوخه عن عصرهما ، وإلى سيرة الأميرين لمفرِّح بن أحمد الربعي [1] . ويبدو أنه لم يدرك مفرِّحاً نفسه حياً ؛ لأنه يوردُ أخباراً واسعةً نسبياً عن أسرته في جيلها الثاني أيضاً (أي جيل القاضي أحمد بن أبي القاسم الربعي ، ابن أخ مفرّح) . لكنه عرف الأمير جعفر بن محمد بن جعفر ، آخِر أُمراء آل القاسم بشهارة [2] . ويعني هذا أنّ عمدة الإسلام جعفر بن محمد بن جعفر كان حياً حوالي العام 510 هـ على وجه التقريب.

تتبَّعْنا استطرادات مسلَّم اللحجي ، ونوادره ، عن الشيعة الحسينية ، فجاءت في اثنتي عشرة فقرة . وتهتمّ الفقرات الأربع الأولى بآل القاسم في عصر الشريفين . وأكثر الأخبار فيها منقولةٌ عن السيرة لمفرّح . وقليلها الباقي مأخوذٌ مشافهةً عن القاضي أحمد بن عبد السلام بن أبي يحيى ، والد جعفر بن أحمد بن عبد السلام (ـ 573 هـ) . وأُسرة القاضي جعفر إسماعيلية كما هو معروف ؛ فقد كان والده قاضياً للصليحيين ، كما يقال إنّ جعفراً نفسه كان إسماعيلياً في شبابه [3] . ويظهر من هذه الأخبار الواردة ضمن تراجم علماء المطرّفية ، تقديره العالي للدور الكبير الذي قام به الشريفان في مناهضة الصليحيين . لكنه يأخذ عليهما اعتقادهما بمهدية الحسين بن القاسم عمّهما ، وقسوتهما على الناس ، وفتور همتهما النضالية بعد الاستقرار بشهارة مما أدّى إلى انسحابهما من كثيرٍ من الحصون لأسبابٍ مالية .

أمّا الفِقَر الثماني الباقية فتنشغل بإيراد نوادر وطرائف وقصص وغرائب عن الشيعة الحسينية أواخر القرن الخامس ، ومطالع القرن السادس الهجريين . وتتناولُ تلك الطرائف والغرائب اعتقاداتهم في حياة الحسين بن القاسم ، وصحبته لعيسى بن مريم والخضر في الغيبة ، وظهوره أحياناً لبعض الأشخاص [4] . ويطيل

---

(1) أشرنا في حواشي السيرة إلى مواطن نقل مسلَّم والمصادر الأخرى عنها .

(2) استطعنا العثور على موطنين في م 4 من تاريخ مسلَّم يذكر فيهما لقاءه بالأمير جعفر بن محمد بن جعفر (ص 72 ، 139) .

(3) W. Madelung : Der Imam al-Qasim b. Ibrahim 204, 212-216

(4) رغم التشنيع الكثير من جانب مسلَّم على الحسينية ؛ فإنه لا يذكر شعيرةً من شعائرهم يذكرها المتوكّل أحمد بن سليمان في الحكمة الدرية (ص 325) : « ومنها ـ أي من عقائدهم ـ أنّ رجلاً من بني أخيه يقال له

مسلّم في إيراد حكاياتٍ عن استغلال بعض الخبثاء لاعتقاد غيبة الحسين وقرب رجعته لإيهام أولئك أنهم رأوه ، وأنه يريد كذا وكذا ، ليحصلوا بهذا الطريق على الأموال منهم .

تقع المخطوطةُ في 355 صفحة . والخطّ منقوطٌ ومشكولٌ وواضحٌ في الأصل ؛ لكنّ صورة المخطوطة الموجودة بمكتبة جامعة صنعاء سيئة ؛ وقد أثّر ذلك في قراءتنا لبعض الكلمات ، كما أنّ كلماتٍ أُخرى سقطت أو امّحت في التصوير .

VI

ونشرنا في الملحق الثاني نصَّين للإمام المتوكّل على الله أحمد بن سليمان (ـ 566 هـ) عن المهدي الحسين بن القاسم ، والحسينية . والمعروفُ أنّ المتوكّل عاصر بعض أتباع الفرقة ، وعرف جماعةً من آل القاسم كانوا ما يزالون يؤمنون بمهدية الحسين بن القاسم وظهوره . وقد اصطدم بهم في أواخر سنيّ إمامته ، فأسروه واقتادوه إلى مقرّهم بأثافت ثم أطلقوه بوساطةٍ من صاحب صنعاء ؛ كما تذكر سيرتُه للثقفي[1] . أمّا النصُّ الأولُ فهو من كتاب **حقائق المعرفة** له . وهو مؤلَّفٌ مبكّرٌ نسبياً قبل أن يختلف مع القاسميين . وهو يوردُ فيه أقوال خصوم الحسينية في اعتقاداتهم واعتقادات المهدي . ويذكر صدام المهدي مع آل الهادي بصعدة . لكنه بعد أن يُطيلَ في ذكر أوهام المهدي كما وردت في كتبه ، وأوهام أتباعه ، يعودُ لنفْي

= قاسم بن محمد بن قاسم بن جعفر زعم أنه يشافهُه ويكالمه . وحدّثني مَنّ أثق به أنه قال له : هل رأيتَ المهدي أنت ؟ قال : نعم ! قال : كان معي في بيتٍ ثم قام وتهيأ للخروج فانفلق له جدار البيت فخرج منه ولم يخرج من الباب ! وقال ؛ إنه أمره بالحج إلى عيان ، ونسخ شريعة الحجّ من مكة إلى عيان ؛ فأقام يحجُّ سنين كثيرة هو وقومٌ من أصحابه قدر مابة رجلٍ أو يزيدون . وكانوا يفعلون ذلك في أيام عيد عرفة حتى قال فيهم (شا)عرٌ ممن (. . .) :

حـجَّ الأنـام إلى المحصَّب من مِنًى ... وإلى مـذاقـة (؟) حَـجَّ آلُ القـاسِمِ

وقارن بالنصّ بكامله في ملاحق هذه النشرة للسيرة .

(1) سيرة المتوكّل على الله أحمد بن سليمان لسليمان بن يحيى الثقفي ، مخطوطة الجامع الكبير بصنعاء ، مبتورة من أولها وآخرها ، ق 261 وما بعدها .

ذلك عنه ، وينسبُ الضلال إلى بعض بني إخوته ، وعوامّ شيعته ، ويُطيلُ في قَصّ أوهامهم والردّ عليها .

والنصّ الثاني من كتاب **الحكمة الدرية** للمتوكّل . وهو أقصَرُ من الأول لكنه أكثر حِدّة وإن لم يختلف كثيراً في المضامين . ويتميّزُ إلى جانب حِدّته بتصديق نسبة تلك الأقوال الغالية إلى المهديّ نفسه . ومع أنه ألّفه قبل أسره من جانب آل القاسم ؛ لكنْ يبدو أنّ الخصومة كانت قد دبّت بينه وبينهم فلم يعد يرى ضرورةً لمجاملتهم أو رعاية ذكرى عميد أسرتهم .

اعتمدنا في نشر النصّ عن مخطوطة كتاب « **حقائق المعرفة** » على نسخةٍ حديثةٍ تعودُ للعام 1377 هـ ، وتقع في 370 صفحة . والنصُّ عن الحسين بن القاسم والحسينية على الصفحات (247 ـ 251) . أمّا مخطوطة « **الحكمة ـ الدرية** » التي أخذنا منها النصّ الثاني فهي من نسخ العام 1254 هـ ، وتقع في 329 صفحة . والنصُّ فيها على الصفحات (323 ـ 325) .

VII

ونشرنا في الملحق الثالث كتاب « بيان الإشكال فيما حُكي عن المهديّ من الأقوال » . وواضحٌ أنّ هذا الكتيّب كان نتيجةً من نتائج الصراع مع الفرقة الحسينية وعليها . ويندرجُ في محاولات تبرئة الحسين بن القاسم من دعوى المهدية ، والادّعاءات الأخرى التي شاعت عنه . فغرضُها حَصْرُ النزاع مع « الفرقة الحسينية » ، بالأتباع أنفسهم ، وتبرئة آل القاسم وزعيمهم الحسين بن القاسم من تُهمة الخروج على تُراث آل البيت باليمن . وللمؤلّف حُميدان بن يحيى همٌّ شخصيٌّ أيضاً . فهو نفسه من آل القاسم . يقول صاحب « تاريخ بني الوزير »[1] : « حُميدان بن يحيى القاسمي ، من ولد جعفر بن القاسم العياني . ممن عاصر الإمامَ المهديَّ أحمد بن الحسين (ـ 656 هـ) وناصره . وكان علّامةً في الكلام ،

(1) **تاريخ بني الوزير** ، ق 59 ب ، وتمام نسبه عند يحيى بن الحسين في **طبقات الزيدية** ، ص 123 : حميدان بن يحيى بن حميدان بن القاسم بن الحسن بن إبراهيم بن سليمان بن القاسم بن علي . . الخ .

مطّلعاً على أقوال أهله ومُتبحّراً في ذلك متقناً غاية الإتقان . وكتابُهُ هو المجموعُ المشتمل على أقوال الناس وحكاية مذاهبهم» .

ويقصد صاحب « تاريخ بني الوزير » بالمجموع ما عُرف في تراث المذهب الزيدي بمجموع السيّد حُميدان ؛ وهو يتضمن عدة رسائل صغيرة تبلُغُ اثنتي عشرة رسالة ، يحكمُها همٌّ مُحافظٌ مؤدَّاهُ الدعوةُ للتمسُّك بتُراث الهادي إلى الحقّ يحيى بن الحسين ومذهبه ، وإظهار وجود خطٍّ غالبٍ ومستمرٍّ منذ الهادي وحتّى عصر السيّد حُميدان ، يملكُ مبادىء وعقائد هي المذهب الصحيح ، وهي تُراث الفرقة الناجية . بعيداً عن التطرف المنسوب (باطلاً في نظر السيّد حميدان) إلى الحسين بن القاسم ، وبعيداً عن الاعتزال الذي تغلغل في أوساط الزيدية نتيجة اتّصالهم بزيدية الجيل والديلم وفي سياق صراعهم مع المطرّفية[1] .

وكتابُ « بيان الإشكال فيما حُكي عن المهديّ من الأقوال » هو الرسالةُ التاسعةُ ضمن المجموع . يعترفُ السيّد حميدان في مطلع الرسالة أنّ هناك من الناس مَنْ غلا في الحُسين بن القاسم حتّى فضّله على السَلف . وهناك مَنْ تطرّف في الحطّ عليه حتّى نسبه إلى الجهل أو الجنون . ويريد هو أن يوضّح ـ استناداً إلى الصحيح من كتبه ـ أنه « قد كُذب عليه في كثيرٍ مما يُنْسَبُ إليه » . وقد رجع السيد حُميدان فعلاً إلى عشراتٍ من كتب المهدي ورسائله لإثبات دعواه في أنه إمام هدًى وحقّ ، وأنّ ما نُسِبَ إليه مكذوبٌ عليه .

بدأ ذلك بفصلٍ أوردَ فيه أقوالاً من عدة كتبٍ للمهديْ حَذّر فيها من التقول عليه ، ونسبة ما لم يُقلْهُ إليه . ويُثبتُ هذا من وجهة نظر السيّد حُميدان أنّ الحسين بن القاسم عانى من البهتان والظلم في حياته ، فكيف بعد مماته ؟!

لكنّ المشكلة أنّ كثيراً مما قيل عنه موجودٌ في كتبه التي أخذها عنه أقاربُهُ وأعقابُهُم . بيد أنّ السيد حُميدان يتجاوز المشكلة بالقول إنّ أولئك الأقارب

(1) في طبقات الزيدية ليحيى بن الحسين ، ص 123 ـ 124 : « وكان مرماه تقرير عقيدة الهادي ومن تبعه دون غيره من أهل البيت السابقين قبل الهادي فلهم عقائد أُخَر ؛ كما تضمنه الجامع الكافي جامع آل محمّد وغيره » .

متوهّمون ، مدسوسٌ عليهم . وكُلّ بشرٍ يجوزُ عليه الخطأُ والتصديق بما ليست له حقيقةٌ ، ولسنا مُلْزَمين بتصديق الشواذ التي وردت عن المهديّ ولو رواها أقاربه لجواز التوهُّم عليهم . وبخاصةٍ أنه هو نفسه حذَّرنا من تصديق ما يرد عنه وعن غيره من الأئمة مما يخالف صريح مذهب الهادي ، أو صريح الكتاب والسنة .

ثم يعودُ السيد حميدان لتفصيل الأُمور التي قيل إنّ المهديّ ادّعاها . **وأولها** : الادّعاء أنه فضّل نفسه على النبيّ ﷺ . **وثانيها** : الادّعاء أنّ كلامه أبهرُ من كلام الله سبحانه . **وثالثها** : الادّعاء بأنه قال إنه لا حُجَّة بعده . **ورابعها** : الادّعاء بأنه زعم أنه مهديُّ عيسى . **وخامسها** : الادّعاء عليه أنه قال إنه لا يموتُ ولا يُستشهَدُ حتّى يقومَ في آخِر الزمان . **وسادسها** : ما ادُّعي عليه أنه قال إنه يُوحى إليه في المنام . وطريقتهُ في ردّ كلّ تلك الدعاوى إيراد فِقَر من كتب الحسين بن القاسم يرى السيّد حميدان أنها تكذّب ذلك تماماً .

ثم تأتي الخاتمةُ وتشتمل على عدة أسئلةٍ وإشكالاتٍ أهمّها أنه ثبتت للمهديّ كتبٌ وأقوالٌ ، كما أنّ هناك أقوالاً مختلفاً عليه فيها . وهو يرى أن نردّ المختَلَف عليه فيه إلى الثابت عنه .

وما أورده السيد حُميدان في كتابه ليس مقنعاً كلّه ؛ لا لأنه ينتزع الأقوال أحياناً من سياقاتها ، ويؤوّلها على غير الظاهر منها أحياناً أخرى ؛ بل لأنّ الحسين بن القاسم نفسه تختلف أقوالُهُ وتتناقضُ تبعاً لحالاته النفسية فيما يبدو ، ولطبيعة اتهامات الخصوم له . فقد كان مضطراً أحياناً للتراجُع عن بعض ما ادّعاه أمام هجمات الطاعنين ، ثم يعودُ في رسالةٍ أُخرى أو كتابٍ آخر لإثبات ما أنكره من قبلُ .

ويبدو أنّ محاولة السيّد حميدان لتصوير المذهب الزيدي بصورةٍ معيَّنةٍ ، بما في ذلك رأْيه في الحسين بن القاسم وتُراثه ؛ لم تحظ بالاستحسان الكامل من جانب الزيدية المعاصرين واللاحقين ؛ وإن قرّظها بعض المعاصرين[1] . يقول يحيى بن الحسين (ـ 1099 هـ) في « طبقات الزيدية » إنّ الإمام الناصر لدين الله

(1) قارن بتقريظ ابن شُبيل له آخِر هذا التمهيد .

صلاح الدين محمد بن علي (ـ 793 هـ) لمّا قرأ مجموع السيّد حُميدان كتب للهادي بن إبراهيم[1] : « مجموع السيّد حميدان قد وقفْتُ على شيءٍ منه . وفي كلامه حِدَّةٌ . وهو من فضلاء أهل البيت . والأقوالُ تختلف . ولقد وقفنا على شيءٍ في علوم آل محمّد لأحمد بن عيسى بن زيد وغيره مما يخالف القواعد الأصولية الكلامية . وفيه أشياء من كلام أهل البيت منسوبةٌ إلى أهل البيت ادّعى أنها عقيدة أهل البيت كافّة . وفي النفس أنّ ذلك غير متّسِق . ثم إنّ كلامه وإيراده على وجه الإلزام . وبنى على ذلك قاعدة التعليل . .والتعليل الحقيقي لا يقعُ بالإلزام والإفحام . ولعلّه حذا حَذْوَ القاسم (بن علي العياني) في كتاب **الدعامة في تثبيت الإمامة** ؛ فإنه على هذا النحو . . . » .

* * *

اعتمدنا في نشر كتاب « بيان الإشكال » في الملحق الثالث على مخطوطتين اثنتين ؛ **إحداهما** : تتضمّن مجموع السيّد حُميدان (بالجامع الكبير ، المكتبة الغربية ، رقم 8 ـ مجاميع)[2] . من نسخ العام 1040 هـ . ويقع كتاب بيان الإشكال فيها على الورقات (92 ـ 97) . **والمخطوطة الثانية** : بملك العلاّمة السيّد محمد بن محمد المنصور بضنعاء ، وتتضمّن ثمانيةً من كتب مجموع السيّد حميدان ، وفي مقدمة المخطوطة كتاب الأنوار في معرفة الله ومعرفة رسله لأبي الحسين أحمد بن موسى الطبري (توفي حوالي 325 هـ) صاحب الهادي . و « بيان الإشكال » يأتي سادساً بين كتب هذه المخطوطة ، ويقع على الصفحات (118 ـ 130) ؛ بينما يبلغ مجموع صفحات المخطوط (بما في ذلك كتاب **الأنوار**) 146 صفحة . وهو من نسخ العام 1054 هـ (الرابع عشر من ذي القعدة) . وقد ذكرنا في نشرته هنا أرقام صفحاته .

وفي نهاية مخطوطتي « بيان الإشكال » تقريظٌ للكتاب ، ولمجموع السيّد حُميدان ؛ نصُّه : « وفي الأمّ المنقول منها ؛ قال القاضي الأوحد الأفضل العالم

(1) طبقات الزيدية ، ص 124 .

(2) فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء ، ص 717 ـ 718 .

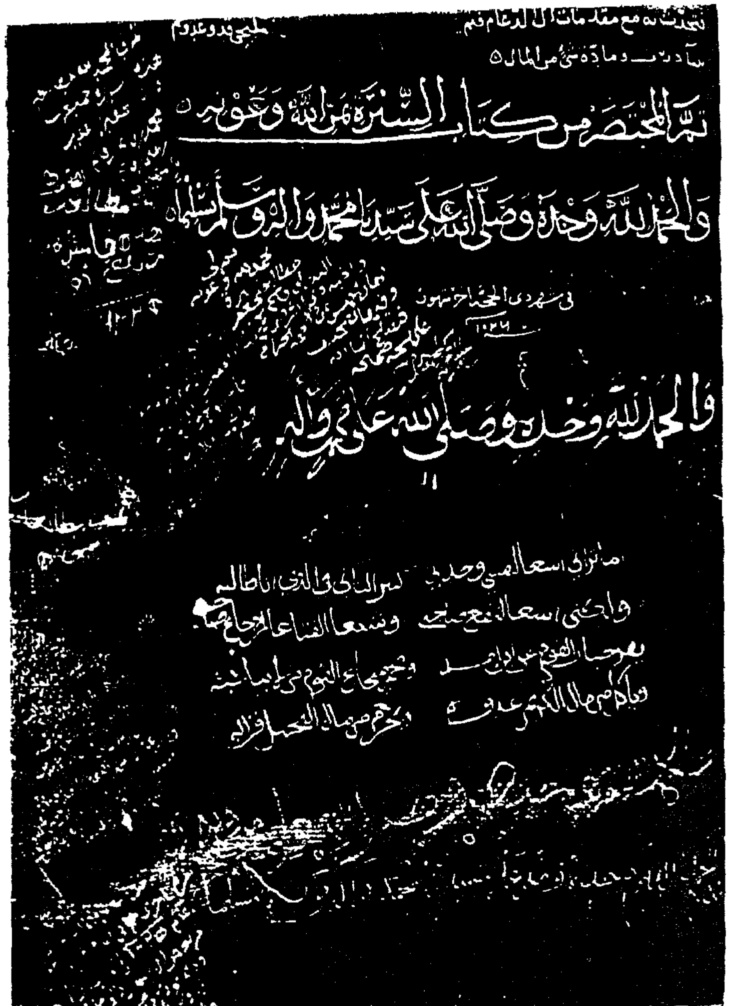
العاملِ الأكمل أبو عبد الله محمد بن جعفر بن الشُبيل بن عبد الله[1] رحمه الله : لمّا سمعتُ من السيّد الشريف الفاضل حُميدان بن يحيى هذه المجموعات التي جمعها وذلك بعد أن نسخْتُها من الكراريس التي بخطّه ، ومن جملتها هذا الذي من كلام مولانا الإمام المهديّ لدين الله الحسين بن القاسم سلامُ الله عليه ورضوانه قلتُ فيه أبياتاً وهي هذه :

هـذا إمـامٌ عـالـمٌ عـامـلٌ	أبـرا إلى الـرحمن من بُغْضِـهِ
ومـن مُـوالاةٍ لأعـدائـه	ومـن غُـلُوٍّ فـيـه أو رَفْـضِـهِ
قـف واتّـق إلّـه الـسـمـا	يـا أيُّها الـطاعنُ في عِـرضِـهِ
إن تـكُ منه اليـوم مستقرضـاً	ففي غـدٍ تـنـدمُ من قـرضِـهِ
أديـنُ أنّ الـحـقَّ مـا قـالـه	من صفـة البـاري ومن فـرضِـهِ
وأنّ مَـنْ في فـضـله قـد غـلا	أكبـر جُـرْمـاً من ذوي بُغْضِـهِ
فَخَفْ إلّـه الخَلْق يـا مَنْ غـلا	في خَلْطِ ما قد شيبَ في مَخْضِـهِ
مثـل ابن غطريف الـذي لم يَقُلْ	فـي كُـلّه الـحـقّ ولا بـعـضِـهِ
قـال ابنُ غـطريف الـذي قـالـه	فشمّـر المهـديُّ فـي نقـضِـهِ
وردَّ مـا قـال ولـم يَـرْضَـهُ	إذ أسـخط الـلّهَ ولـم يُـرْضِـهِ
صـلّى عـليـه الله مـن راحضٍ	طاب فطاب الدينُ من خطّه (؟)

(1) قارن عنه : طبقات الزيدية ليحيى بن الحسين ، ص 124 .



الصفحة الأولى من المخطوطة



الصفحة الأخيرة من المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

/ قال مفرِّح بن أحمد ـ وفّقه الله لمسالك الجنّة وأعانه على العمل بالكتاب [م ق 6أ] والسنّة ـ: رأيتُ أن أُثْبِتَ أخبار الدولة الفاطمية الحسينية ، وأذكر أقاصيص الحضرة القاسمية اليمنية . وأبتدىءُ ذلك بأخبار الشريف المبارك الأمين من حيث كان انتهى[1] سيرة الإمام المهدي لدين الله صلوات الله عليه . وملتُ إلى الاختصار والتلخيص ، وأخذ ما كان من عيون الأخبار والأقاصيص ، ولو ذهبْتُ إلى ذكر ما كان من جميع الفتن ، وما لاقى آل رسول الله صلوات الله عليهم من البلايا والمِحَن ، لطال به الكتاب وبَعُدَ فيه الخطاب . وقد أجريتُ في تأليفي هذا أسباباً ، وجعلْتُ فيه رواياتٍ وأبواباً . فمنها ما رويتُهُ لمعرفة عِظَمِ المحنة التي امتُحن بها الشريفُ الفاضل وما كان بسببه . ومنها ما رويتُهُ ليكون لأوليائه القدوة به < ليعلم ذلك من لم يدركه من آله وعقبه . ومنها ما رويته >(*) لإبانة فضله لمن جهله ليعرف غائبٌ ويتوب مناصب ؛ ليعلم من لم يختبره أنه لم يكن له في الحُطام رغبة ، ولو كانَ له في الدنيا رغبة لكان قد بلغ إلى أقصى رتبة . بل همَّ بشيءٍ ففعله ، وكان لـه غرضٌ فوصله . وفي كلٍّ من آله وذويه فضلٌ فلكثيرٍ من عظماء هذه الدولة مكانٌ وفعلٌ ولكلِّ شيءٍ(**) من موضع ومحلّ . وأنا إن شاء الله مُثْبِتٌ كلَّ شيءٍ من ذلك في أوانه ،

(*) ما بين الحاصرتين عن الهامش الأيمن من الصفحة .

(**) سقط في الأصل بمقدار كلمة .

(1) كذا في الأصل ، وربما كانت : انتهت .

ومبيّنٌ فضلَ كلِّ ذي فضلٍ في مكانه ، قال :

لمّا كان من غيبة إمام العصر وصاحب الدهر المهدي لدين الله الحسين ابن القاسم صلوات الله عليه[1] ، وكان امتحاناً لأولياء الله ونقمةً على أعداء الله فلمّا < . . . >(*) وأراهم برهانه فما عقلوا؛ بقي الناسُ في ظلمةٍ وفِتَن ، وزلازل ومِحَن من سنة أربعٍ وأربعمائة سنة إلى سنة تسعٍ (**) وثلاثين ، خرج عدوُّ الله علي بن محمد الصُّليحي متوجِّهاً إلى الحرم ودعا إلى مذهب الإسماعيلية[2] بالحجاز < وأجابه إلى ذلك طوائف من حراز وجعل طريقة نجد في مبتداه ، وجعل طريقه تهامة في منتهاه . وفي هذه السنة أخذ حاجّ اليمن **بجازان**[3] وتابع من يأتي من الحجاز>(***) وغيرهم على وصولهم إليه ليوم ذي أمار . وطلع في رأس الحول من قابل في شهر جمادى من هذه السنة مسار[4] . وتألَّب أهل المغرب إلى رجلٍ من بني

(*) سَقَطَ في الأصل .

(**) في الأصل : سبع .

(***) ما بين الحاصرتين عن الهامش الأيمن من الصفحة .

(1) أعلن الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني قيامه في سنة 389 هـ وظل إماماً للزيدية إلى أن توفي في شهر رمضان سنة 393 هـ. انظر يحيى بن الحسين : غاية الأماني جـ 1 ص 229 ، 234 .
أما الإمام الحسين بن القاسم فقد أعلن القيام بعد وفاة أبيه سنة 393 . وقتل بالقرب من ريدة في صراعه مع ابن الضحاك . يقول يحيى بن الحسين : « وفي جهلة الشيعة من يزعم أنه حي وأنه المهدي المنتظر » ؛ غاية الأماني 1/239 ، وقارن بالمقدمة والتمهيد .

(2) كان علي بن محمد الصليحي شافعياً ثم تحول إلى المذهب الإسماعيلي . وفي سنة 439 هـ أعلن الثورة في مسار إيذاناً بقيام الدولة الصليحية . انظر : عمارة ، تاريخ اليمن ، ص 101 ، ويحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، جـ 1 ص 247 ، وحسين الهمداني ، الصليحيون ، ص 75 .

(3) وادي جازان من أكبر أودية تهامة ، وعلى مصب الوادي مدينة جازان التي كانت عاصمة للمخلاف السليماني ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 98 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 1 ص 171 ؛ البلادي ، بين مكة وحضرموت ، ص 179 ـ 189 .

(4) مسار بفتح الميم والسين ، قرية وعزلة في ناحية مناخة وبني إسماعيل ، قضاء حراز . وبها حصن مسار المشهور الذي يطل على مدينة مناخة ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 133 ، جـ 1 نفس الصفحة ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 4 ص 707 ؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، جـ 1 ص 42 ـ 44 ؛ خريطة ج . ع . ي . 1 : 500000 قطعة رقم 1 .

شاور[1] المعيّل يقال : إنه جعفر بن عبّاس[2] ، واجتمع معه على قتال الصُليحي كثيرٌ من الناس ، فلمّا خفّوا إليه قتلهم وكسرهم ، وفجع قلوب الناس وبهرهم . وقتل منيع بن إسحاق الهمداني من بني حمادٍ[3] في جماعةٍ من بني عمّه بالجحادب[4] . وصار للصليحي في تلك النواحي طوائل على جميع مَنْ بها من العرب في تلك المغارب . ثم إنّ رؤساء الناس من همدان[5] وحمير[6] ورؤساء المغرب ووجوه الأحبوب[7] ضربوا لقاءً إلى بيت معدي كرب[8] / حضر فيه الأميران جعفر بن القاسم وولده عبد الله بن جعفر وأبو حاشد بن يحيى بن أبي حاشد بن الضحّاك[9] . فسألوا الأمير عبد الله بن جعفر التقدم إلى نواحي الحَيمة[10] لفتنة الصليحي لأنه كان له بها خِبْرة ، وكان أهلها له عشيرة فأجابهم إلى ذلك ونهض فيمن

---

(1) بنو شاور : من قبائل همدان ويمتد نسبهم إلى كهلان من قحطان . ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص 47 .

(2) ذكر يحيى بن الحسين أنه كان هناك تحالف بين الأمير جعفر بن الإمام القاسم وبين جعفر بن عباس . وقد انتصر الصليحي وقتل جعفر بن عباس وتفرق الناس عن الأمير جعفر بن القاسم ؛ غاية الأماني ، جـ 1 ص 249 .

(3) بلاد بني حماد ذكرها الهمداني من مساقي وادي مور بالقرب من مسور ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 134 .

(4) الجحادب وعلسان : عزلة في ناحية الحيمة الخارجية قضاء صنعاء . والجحادب قرية من عزلة البشاري وبني حبش ناحية الطويلة ؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، جـ 2 ص 196 ؛ التوزيع السكاني في محافظة المحويت ، ص 1 .

(5) همدان : أشهر قبائل اليمن ، وتنحصر قبائل همدان في البطنين حاشد وبكيل ابني جشم بن خيران . . . بن همدان . انظر ، الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 4 ص 752 ـ 759 .

(6) حمير : بكسر الحاء ، شعب عظيم في اليمن من ولد حمير بن سبأ بن قحطان . وينقسم إلى عدة قبائل . انظر ، ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص 50 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 2 ص 282 ـ 298 .

(7) الأحبوب : عزلة من ناحية الحيمة الداخلية قضاء صنعاء ؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، جـ 2 ص 215 ـ 216 .

(8) بيت كرب : من مخلاف شبام أقيان (كوكبان) ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 213 .

(9) أبو حاشد بن الضحاك كان صاحب السلطة الفعلية في صنعاء . وكان يطلق عليه أحياناً اسم سلطان أو ملك صنعاء . انظر ، يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، جـ 1 ص 249 ؛ عمارة ، تاريخ اليمن ، ص 107 .

(10) الحيمة هي ما يطلق عليها الآن الحيمة الداخلية والحيمة الخارجية وهما جهتان تابعتان لقضاء صنعاء .

تبعه من الناس وبالغ في الفتنة إلى جهده . وكان في موضع يقال لـه المحارم[1]، بالحدب فَجَرَّد له الصُليحيُّ منسراً فخذله الناسُ وأسلموه ، فقُتل مَن استقـام معه وأُسِـر إلى مسار فأقام هناك مُدّةً ثم سَرّحه وَمَنَّ عليه بعد أن حَمّله العهود وأكّد عليه العقود أن لا يفاتنه . ثم أجمعت رؤساء حمير ورؤساء همدان إلى والده جعفر ابن القاسم وسألوه القيام في بلدانهم والمحاماة على أوطانهم ، فنهض معهم إلى صيد البرار[2] فبالغ في الفتنة هنالك إلى جهده ، ثم أخرج له الصليحي عسكراً وانهزم عنه جمهور الناس وأسلموه ، واستقام معه نفرٌ من أصحابه فاستُشهدوا رحمةُ الله عليهم ؛ منهم : أَنَسُ بنُ يعقوب الهمداني وعبـد الرحمن بن حسّـان الحوالي[3] وعلي بن عبـد الله الأكبر، ورجـلٌ يقال لـه : المعقّر ـ في جمـاعةٍ من وجـوه حميـر زهـاء ثـلاثين فارساً ، وأُسر الأمير جعفر بن القاسم إلى مسار ، فأقام هنالك ما علم الله . ثمّ حَمّله العهود وأكّد عليه العقود على سراحه أن لا ينصب له حرباً ولا يقاتل له حِزْباً/ [م ق 6ب]

وروى لي جهضم بن أبي الحروب ـ وهو من أهل الورع والدين ـ عن الأمير جعفر بن القاسم أنّ الصُليحيَّ قال له : أنـا أسأَلُـكَ أن تكفيَني وَلَدَكَ القاسم بن جعفر ! رواها لي عنه سماعاً والقاسمُ بنُ جعفر في ذلك الوقت حَدَث السن ما نصبَ لحربٍ ولا قام فيه .

فلمـا كان في سنـة أربعٍ وأربعين وأربعمـائة طلع الصُّليحي ينـاع[4] وقتل

---

(1) في الأصل : (المحادم) . والمحارم: قرية من عزلة الحدب ناحية الحيمة الداخلية قضاء صنعاء ؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، جـ 2 ص 214 ، والتقسيمات الإدارية لعام 1985 : عزلة الحدب .

(2) البرار الأسفل والبرار الأعلى من قرى عزلة حمدة ناحية ريدة ؛ قارن بالتوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، جـ 2 ص 313 . ويرجح الأكوع أن يكون المكان المقصود هو « صيد حضور » ؛ انظر : عمارة ، تاريخ اليمن ، ص 108 .

(3) الحوالي : بكسر الحاء المهملة أفصح من فتحها . والحواليون من قبائل حمير ؛ انظر ، الهمداني ؛ صفة جزيرة العرب ، ص 211 ، جـ 12 ، نفس الصفحة ؛ والحجري : مجمـوع بلدان اليمن ، جـ 2 ص 299 .

(4) يناع : حصن في أسفل جبل حضور بالحيمة الداخلية . انظر : الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 210 ؛ الحجري : مجموع بلدان اليمن ، جـ 2 ص 277 ، جـ 4 ص 806 ؛ عمارة : تاريخ اليمن ، ص 110 .

الأحبوب وأهل الجبل في يفاعة[1] ، وظافَرَهُ في أموره أبـو الحسين بن مهلهل بن جناح وكان < . . . >[*] موضع بني الصُّلَيحي بالأخروج[2] يوم < . . . >[**] ودافع العشائر على ما خلَّفوه من مالٍ أو دارٍ وقتل ابني أبي العسكر والعطّاب في جماعةٍ من وجوه أهل ذلك الجناب ، وبسببه كان قتل الأحبوب وأهل الجبل وطلوع بيت خولان[3] . وتعاظمت المِحَن وارتاع أهل اليمن ، واجتمعوا إلى حاشـد بن يحيـى ـ وهو يومئذٍ الرئيس والسلطان من حمير وهمدان وبني الحارث[4] وخولان[5] في عددٍ من رؤسائهم وكثرةٍ وقوةٍ ووفرةٍ وأجمعوا على مُكاسرة الصليحي ، وساروا بأجمعهم إليه . وكان عبد الأكبر بن وهيب الهمداني من أهل الرئاسة والشدة والبأس والنجدة قد نهض مقدّمةً لعسكر الهمدانيين وطلع الجبل وغنم ، وقتل ، وراح سالماً غانماً . فكان فيمن قتله ذلك اليوم محمد بن جعفـر بن راسان ، وكـان لسان بني الصُّليحي وشـاعرهم وخـاصتهم . وسار أبـو حاشـد بن يحيـى في بقيـة العسكـر وجمهـوره حتى إذا كانـوا بيازل[6] من وادي صَـوف نزل عليهم عسكـر الصليحي فقُتل

---

[*] في الأصل : أحـ ، والباقي ساقط .

[**] في الأصل بياض .

(1) يفاعة : قرية من عزلة الجحادب ناحية الحيمة الخـارجية محـافظة صنعـاء . التقسيمات الإداريـة لعام 1985 ، عزلة الجحادب .

(2) الأخروج : بلد الأخروج بن الغوث ، وتقع ما بين حضور وهوزن من حراز وهو ما يسمى بالحيمة . انظر ، الهمداني ؛ صفة جزيرة العرب ، ص 122 جـ 6 ؛ الحجري ؛ مجموع بلدان اليمن ، جـ 2 ص 255 ، ص 277 .

(3) بيت خولان : قرية على قمة جبل حضور إلى الغرب من صنعاء ؛ الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 122 ج 6 .

(4) بنو الحارث بن كعب حي ، من مذحج يسكنون عدة مناطق منها منطقة في شمال صنعاء وأخـرى، بالقرب من رداع ؛ الهمـداني ، صفة جـزيرة العـرب ، ص 181 ؛ نشوان : منتخبـات في أخبار اليمن ، ص 25 ؛ كحالة : معجم القبائل العربية ، جـ 1 ص 227 ـ 228 .

(5) خولان : هم ولد خولان بن عمرو . وتنقسم خولان إلى ثلاثة أقسام خولان صعدة ، وخولان العالية شرقي صنعاء ، وخـولان بني الخياط ؛ انـظر ، ابن رسول ، طـرفة الأصحـاب ، ص 78 ـ 79، والحجري : مجموع بلدان اليمن ، جـ 2 ص 313 ـ 322 .

(6) يازل : قرية من عزلة بني سوار ناحية بني مطر قضاء صنعاء ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحـافظة صنعاء ، جـ 1 ص 88 ؛ التقسيمات الإدارية لعام 1985 .

أبو حاشد بن يحيى في عِدَّةٍ من الرؤساء والسلاطين ، وقُتل في ذلك اليوم خَلْقٌ كثير
[م ق 7أ] وغُنم ما كان معهم من الخيل / والسلاح والعدد والرماح . ونزل بالناس بلاءٌ عظيم ، وخَطْبٌ هائلٌ جسيم ؛ وذلك بسبب أعمالهم وقُبْح أفعالهم واعتزالهم لآل نبيِّهم وما كان منهم في أيام مهديِّهم: **﴿وليمحّص الله الذين آمنوا ويمحَقَ الكافرين ﴾**[1] ، وكان ذلك في يوم الأحد من شهر ربيع الأول سنة أربعٍ وأربعين وأربعمائة سنة . فلما اشتدّ البلاءُ عليهم فزِعوا إلى آل رسـول الله صلواتُ الله عليه والتمسـوا الفَرَج من عندهم وبهم . فالتمسوا الأفضل منهم وَمَنْ يُشارُ إليه فيهم ، ووجدوا الفضل في الشريفين الفاضلين الطاهرين الكاملين القاسم بن جعفر بن الإمام القاسم بن علي رضي الله عنه ، وحمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن[2] . فأقبلوا إليهمـا مسـرعين ، ومدّوا أعنـاقهم لهمـا خـاضعين ، وسـألـوهمـا القيـامَ فيهم والجهـادَ لأعـدائهم ، وعقدوا لهمـا بذلـك بذل النفـوس والأمـوال والمُـواسـاة في الإكثـار والإقْلال ، وأعطوا على ذلك مواثيق وعهوداً وأزِمّةً وعقوداً .

واستعاد[3] الصُّليحيُّ من بيت خولان إلى تهامة فافتتحها وأقام بها إلى سنة سبعٍ وأربعين وأربعمائة . وكتب إلى الشريف الفاضل عليه السّلام من هنالك كتاباً يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم .

أمّا بعد ؛ فإنّ الله لو أراد للنملة صلاحاً ما جعل لها جناحاً< . . . . >(*) بعد ذلك على كلامٍ قال فيه : وأنـا في استدعـاء الفرسـان ، وسَنّ الرمـاح ، وصقل الصفاح . ثم أنا ناهضٌ إليه ومُطِلٌّ بمشيئة الله عليه فكأني به وقد رأى الأمر في خلاف ما رتّب فاستشار أهل خلّته في أمره أيُحارب أم يُسالم فقال قائلٌ منهم : المسالمة سلامة ، ويقول منهم من يريد بذل روحه من جسده في طاعته : والله لنخوضَنَّ المنيّة حتّى نبلُغَ الأُمنيّة أو نذهب قتلاً بالكلية ! فيميل هو إلى هذا القول اتّباعاً للهوى وسبباً لحلول المنية والردى . ثم أتى بعد ذلك على كلامٍ وكتب أبيات شِعْرٍ يقول فيهنّ :

(*) بياض في الأصل مقدار كلمتين .

(1) سورة آل عمران/141 .

(2) نقل مسلّم اللحجي في م 4/ص 210 هذا النصّ عن مفرّح .

(3) يستخدم الكاتب هذا الفعل بمعنى : « رجع » دائماً .

هـذا اليقين وخيل الحق مقبلةٌ تحثّ في نقعها جَرْيَ السراحينِ
هناك لا تنفع الرسِّي ندامتُهُ وعضّ إبهامه في الوقت والحينِ
فيا لهمدان لا يغرُرْكُمُ طَمَعٌ إنّ الغرور حِبالاتُ الشياطينِ

ثم قال : ألم تعلم أنّ خيلي منصورةُ المقاصد ، وأني أُرتّبُ فيها القواعدَ بعد القواعد ، وأُوردها سمّ الأسود والأساود ، فليدبّر الشريف في نفسه رأياً . والسلام .

فلمّا قرأ الشريف الفاضل كتابه أعاد على يد رسوله جوابه يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم وحمد الله وأثنى عليه وصلّى على محمّدٍ صلّى الله عليه / ثم قال : [م ق 7ب] وقفْنا على كتاب رجلٍ قد طما في بحر الغرور وعلا في أسفل الأمور يخبط العشوى في تجبُّره ، ويمشي الخُيَلاء بتكبُّره والكبرياء لذي العِزّة المنّان الذي غمر العاصين بالجود والإحسان حتّى يستدرجَهُم في أقرب أوانٍ : ﴿ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوتَ وأُخِذوا من مكانٍ قريب ﴾[1] . ذكر كثرة كتائبه ومن يتألّفه برغائبه ؛ وتلكم العُصَبُ أول أنصارنا وأكبر أعضادنا لأنّهم من ولد قحطان[2] وأبناء حمير وكهلان[3] الذين لهم عُلُوّ الشأن في قديم الزمان وحدوث الأوان فبادّعائه إلى نحلتنا أكرموه وعظّموه ، واللّهُ يفتحُ بصائرهم بنور الهدى وبرهان التُّقى حتّى يعودَ الحقُّ منصوراً والباطل مقهوراً بأنصار الدين وتقارب الأجناد المعاضدين فلا يغره يازل وما قُتل فيه من فارس وراجل فإنها أمنيةٌ خدعَتْهم وعدوةٌ فاجأتْهم فلو تأهّبوا لقتاله وأخذه ونزاله لضاق به الفِجاج وكثُر منه الارتجاج . وقد علم مقامَ شيخهم عبد الأكبر بن وهيب لمّا استيقظ في عصبةٍ يسيرةٍ تركت مَنْ قاتله صريعاً ، وخرج بأصحابه سالمين جميعاً . وهم الآن فقد أصلحوا السلاح وثقفوا الرماح انتظاراً ليوم الكفاح واثقين بإزالة الدولة عنه للبراهين التي قد لاحت وللأمور التي أتى وقتها وفاحت لِما أتى في مُحْكَم التنزيل

---

(1) سورة سبأ/51 .

(2) قحطان : هو الجد الجامع لقبائل اليمن . وآل قحطان في بلاد صعدة ؛ الحجري : مجموع بلدان اليمن ، جـ 4 ص 647 .

(3) كهلان : بنو كهلان هم الأزد بن الغوث وينسبون إلى كهلان بن سبأ . . . بن قحطان ؛ ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص 54 ـ 55 ؛ الحجري : مجموع بلدان اليمن ، جـ 4 ص 673 ـ 674 ؛ الويسي : اليمن الكبرى ، ص 239 ـ 241 .

وفسّره أمير المؤمنين . فالأمر صائرٌ إلى أربابه حقّاً ، والفرع عائدٌ إلى نصابه صِدْقاً . فكأنّي به قد رأى الأمر في خلاف ما رتّب فقام وقعد وانحدر وأصعد . وكتب أبياتاً يقول فيهن :

هـذا الـيقـين وإبـلائـي عن الـديـن ... ليس الـوعيـد ولا الإرجـاف يثنيـني
عـزمي وثيـقٌ وقلبـي غيـرُ مـرتـعبٍ ... إذا ألـمَّ نـواميـس الـدهـاقـيـنِ
لا بـدّ مـن وقعـةٍ مـنّي تـظلّ بـهـا ... أشـلاؤكم مِـزَقـاً بيـن السـراحينِ
تـظلّ فيكـم سيـوفُ الـهنـد راتعـةً ... يـطيـر من وقعهـا قُـطْنُ الخفـاتيـنِ
هنـاك تـعـرفُ لـلرّسيّ صـولـتَـهُ ... إذا رأيتَ قـريص المـوتِ في الحيـنِ
وإنّ هـمـدان لا تغضـي عـلى قـذاً ... ولا تـلاقـيـه إلاّ فـي الـمـيـاديـنِ
بـكـلّ أجـرَد سبّـاحٍ وسـابـحـةٍ ... عـلى منـاكـبهـا شُـمٌّ الـعـرانـيـنِ
فـلا يغـرُّك مـا قـد نِلْتَ من لـمَم ... حـرائـة مـا(*) وأصحـاب الـدكـاكين
ولا يصيبـك مـا قـد قلت مـمتثلاً ... إنّ الـغـرور حِبـالاتُ الـشيـاطيـنِ
لا تحسبـوا في لُقَيّـانـا لكم فَـرَجـاً ... بـنـا تَبيـدون يـا رَكْبَ الـبـراذيـنِ / [م ق 8أ]
بـإسمـنـا نـلتُـمُ الـسلطان لا بِـكُـمُ ... كمـا تُصـاد القُماري بـالشـواهيـنِ
ونـحـن نُـنْـزِلُـكُـم عنـه بـمقـدرةٍ ... منّـا عليكم بتسهيـلٍ وتمكيـنِ
كـأنـي بـك والـخـيـلانُ مـقـبـلةٌ ... تـأتـي وتـذهب أوسـاطَ العثـانـين
قـد غصّـك الـريقُ واستعبـرْتَ منتحِباً ... بكـلّ صـوتـك تسميني وتـكنيـني
تـود أنـك لـم تـحـمـلك نـاجـيـةٌ ... ولا آدّعيت إلى اسمِ الـسـلاطيـنِ

ثم ختم كتابه يقول : ألم تعلم أنّا أهل بيت نقمع من ناوأناه ، ونـدمغ مَنْ عاديناه في أوقاتٍ إذا عرفها الفاضل وأطْرد الجحافل وأسر القبائل ونحن من ذرية ذلك الشخص اليتيم الذي كان في كفالة عمٍّ فقير كان يقـول : أنا أُدوّخُ مُلْكَ كسـرى وقيصر ! فيقول السامعون : ساحرٌ كذّاب ومعلّمٌ مجنون ! وأنا في رباب ما غرسه وتشييد ما أسسه . وتلك البركة تطرقني ، وذلـك التوفيق يؤيّـدني . والسلامُ على رسول الله .

(*) كذا في الأصل .

ولمّا وصلهُ كتب إلى الشريفين المقدَّم ذكرُهُما كتاباً جميلاً يستعفيهما من القيام مع العشائر ، ويعتذر في قتل همدان ، ويبالغ في الإجمال ، ويصفُ كراهيته لدماء الشرفاء ، ويحذّرهما عواقب الأمور .

رواية الشيخ الفقيه أبي الحسن علي بن محمد بن أبي الجيش قال : لمّا استعاد الصُّليحي إلى تهامة كثُر اختلاف أهل اليمن إلى الشريف الفاضل عليه السّلام وإلحاحهم ومطالبتهم له يسألونه إثبات الأمر والنهي والمناصبة لأعداء الله ويُلِحّون ويطلبون ويأتون ويذهبون فيدافعهم وهو في خلال ذلك يديرُ الفكر ويناقش نفسه وينظر في كتب آبائه ويستخير الله ويستشير إخوانه في جميع آرائه . فلمّا أجمع شيعتُهُ على أنّ الله لا يعذره من مدافعة الظلمة مع ما وجده من الآثار عن الأئمّة وتحقّق أنّ ذلك فرضٌ قد لزمه لا يطيق له ردّاً ولا يجدُ من القيام به بُدّاً إذ كان الفَذَّ من جميع أهل زمانه والمشار إليه بالصلاح في جميع أفنانه .

* * *

قال مفرِّح بن أحمد : لمّا نشأ الشريف الفاضل القاسم بن جعفر عليه السّلام كان منشؤه طاهراً وورعه ظاهراً عفيفاً كفيفاً قريباً لطيفاً رحيماً رؤوفاً ، ليس له همةٌ إلاّ تعليم الدين ومجالسة الموحِّدين ، ودراسة كتب آبائه الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين .

يلبس خشِناً ، ويأكُلُ يسيراً ، ويصوم طويلاً ، معتزلاً للقُرى ابتنى خارج حمدة[1] منزلاً ، ثمّ صار إلى يشيع[2] فابتنى عنها معزلاً ، ثم صار إلى أثافت[3] فانفرد منها جانباً فشخصت إليه العيون وقصده المتعلّمون ، وعُرف بالفقه والفهم ،

---

(1) حمدة : بفتح الحاء وكسر الميم : قرية من عزلة حمدة ناحية ريدة قضاء عمران ، وتقع على بعد 8 كم غربي ريدة ؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، جـ 2 ص 312 ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، جـ 2 ص 490 ؛ خريطة ج. ع. ي . 1 : 50000 ، القطعة 1543 B2

(2) يشيع : قرية من عزلة الظاهر ناحية خمر ، تقع على بُعد 9 كم شمال غرب حمدة . التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، جـ 1 ص 64 ؛ خريطة ج. ع. ي . 1 : 50000 ، القطعة 1543 B2

(3) أثافت بضم الهمزة وكسر الفاء ، وقد ذكرها البعض بفتح الهمزة . بلدة بالقرب من دماج شرقي خمر ؛ الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 114 ـ 115 ؛ البكري : معجم ما استعجم ، جـ 1 ص 105 ؛ ياقوت : معجم البلدان ، جـ 1 ص 89 .

واشير إليه بالفضل والعلم . فلمّا فزع الناس مما أظلّهم فزِعوا إليه فأبى عليهم فأبَوا عليه ، وتباعد منهم فقرُبوا منه . فلمّا قرب منهم / تباعدوا عنه وذلك سبيل الناس فيه [م ق 8ب] وفي مثله من آبائه الطاهرين وخَلَفه الغابرين : ﴿ والله يحكم لا معقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴾ ، ﴿ وهو خيرُ الحاكمين ﴾[1] .

قال مفرّح بن أحمد : رُويَ لي أنّ الشريف الفاضل عليه السّلام لمّا بلغ إلى مكّة والمدينة يسأل الله أن يرزُقه الجهادَ في سبيله فسألْتُهُ عن الرواية وأردْتُ أن آخذها عنه سماعاً فقال لي عليه السّلام : أُعْلِمُكَ لمّا وصلْتُ مكّة أو قال المدينة ومكة رُوي أنّ بها موضعينِ لا يسأل الله بهما حاجة إلاّ قضاها . فآليتُ على نفسي أن لا أسأل اللّهَ فيهما حاجةً من حوائج الدنيا ؛ وأكْنَى عني مسألته لربّه ؛ ثمّ قال : ما أظنّ ذلك إلاّ ما تراني فيه ! وكان عليه السّلام لا يلوي على مالٍ ولا ولدٍ ولا يلتذّ من العيش إلاّ باليسير ولا يطعَمُ النومَ إلاّ الحقير ولا يأوي منزلاً إلاّ أقلّ عمره ، قد أنْحَفَ السيرُ ركابه ، وأنهك الحطُّ والارتحالُ أصحابه . يجاهد ليله ونهاره وآصاله وأبكاره ولا يأكل شيئاً من الجبايات دقيقاً كان أو جليلاً ، ولا يلبس منها ثوباً ولا يدخّر منها ديناراً ولا درهماً . ولقد كان رحمةُ الله عليه إذا داخله شكٌّ في شيءٍ مما يجوز ليأكُلَهُ ويسمح له بذلك الشيء أهله يعيده إلى بيت مال المسلمين وإن كان أحوجَ المسلمين إليه في الوقت والحين وَرَعاً منه وتكفُّفاً عنه . ولقد زُرعت له زراعةٌ < نواحي صنعاءِ > (*) من خاصته وماله ، فلمّا كان قريباً من حصاد الزرع وكماله بعد أن بالغ فيها عملاً وأنفق فيها من خاصّته جُمَلاً ذُكر له أنه استوهب له من الرعية سقو فردين من الغيل المعروف بربقين فكره ذلك وأعاده إلى بيت مال المسلمين . ولقد روى لي القائد مقبل السحرتي وهو من أهل الورع والدين أنه التامّ له بُرٌّ من وادي صَناف وحُمل على جملين وسار في جملة قطارٍ لبيت مال المسلمين . فلما صاروا بأقَر[2] خالطهم الشكّ فقيل هو هذا بل هو هذا فصرف جميع ذلك إلى بيت مال المسلمين .

(*) عن الهامش الأيسر للصفحة .

(1) سورة الرعد/41 : ﴿ والله يحكم لا معقّب لحكمه وهو سريع الحساب ﴾ . وفي سورة الأعراف/87 : ﴿ فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ﴾ .

(2) أقر : بفتح الهمزة وكسر القاف وراء مهملة : وادٍ شرقي شهارة في بلاد حاشد ؛ الحجري : مجموع بلدان اليمن ، جـ 1 ص 87 .

وروى لي أيضاً أنّه لمّا صار ببيت الجالد[1] مجهَّزاً إلى مصنعة ذمرمر[2] مخرجاً أتاه أهل بيت الجالد بِبُرٍّ قد جمعوه له وهو شبه عشرين ديناراً فصرف ذلك إلى بيت مال المسلمين فَسُئل عن ذلك فقال : لم تجر العادةُ منهم لنا ببرٍ وأنا أخشى أن يكون هذا لمكان هذا الأمر . ورواها لي عنه القاضي يعقوب بن عيسى سماعاً . وروى لي الشيخ الفقيه علي بن محمد أنه أتى له بدينار وسأله صاحبه كتاباً فقال : اصرف الدينار إلى بيت مال المسلمين واكتب له بما سأل فإني أخشى أن يكون الدينار لمكان الكتاب . وروى لي أيضاً سلامة بن علي أنه جعل معه وديعةً تسعة عشر ديناراً براً وديناراً من الزكاة وأمره أن يشتاط[3] له بدنانير البرّ طعاماً ثم سأله عن دينار الزكاة فقال له قد خلطْتُهُ بتلك الدنانير ناسياً واشتطْتُ بالكُلّ والسعر معروف . فأمره بصرف الكلّ إلى بيت مال المسلمين . ولقد كان / يؤتى بطعام فارغ(*) يتبرع به أهله فيقول : لم [م ق 6ب] تجر لنا العادة منهم قبل هذا الأمر بهذا فلا يأكله ، ثم يؤتى بطعامٍ مثله من بعض من كان يعرف ذلك منه قديماً فيأكله . ولقد كان له فرسٌ في خاصّته وحسكةٌ من بيت مال المسلمين فصرفه بنفسه إلى بيت مال المسلمين . ولقد ملك رحمه الله البيضاء

---

(1) الجالد : قرية من عزلة الخميس ناحية أرحب قضاء صنعاء ؛ الحجري : مجموع بلدان اليمن ، جـ 1 ص 66 ، ص 172 ؛ التقسيمات الإدارية لعام 1985 ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، جـ 1 ص 65 .

(2) ذمرمر : ذمرمر أو ذي مرمر ، حصن في أعلى قرية شبام الغراس على بعد 18 كم شمال شرق صنعاء وتقع ما بين : 05 31 °15 شمالاً ، و14 19 44 شرقاً : قارن : الهمداني : الإكليل ، جـ 8 ص 150 - 151 ؛ خريطة ج . ع . ي . 1 : 50000 ، صفحة 1544 A4 .

(3) ذكر لنا كل من الدكتور عبد الله الشيبة والدكتور إبراهيم الصلوي الأستاذين بجامعة صنعاء أن : شيط بمعنى باع وبمعنى اشترى ، جاء ذلك في نقش قتباني دوّن فيه قانون عرف باسم : « قانون سوق تمنع » ، وقد استمر استخدام هذه الكلمة حتى اليوم في العامية اليمنية ؛ يقول المثل اليمني : « الحب الغابش يدي الله له مشتط أعمى » .
Ricks , David ; Lexicon of the Epigrafic Qatabanian (1982) , مادة شيط S.D.F. Goitein ; JEMENICA Sprichwörter und Redensarten aus Zentral-Jemen , Leiden (1940) , P. 58 . A.F.L. Beeston , « Notes on old South Arabian Lexicography » , Le Musèon , 67 , PP. 311 - 322 .

(*) كذا في الأصل . وربما كانت : فاره .

والصفراء وتعرضت له الدنيا من حِلِّها فما راقه ذلك ولا شاقه بل انزوى عنه انزواء الشويّة عن النار . ولقد أملاني إلى شيعته بشهارة كتاباً وسمعْتُهُ منه إليهم خطاباً يأمر أهل الصناعات بالأكل من غلل أموالهم وإن لم يكن غلّة أمرهم بالبيع للمصون من رحالهم ويقول من ذخر من ماله قليلاً أو كثيراً أو أكل من هذه الجبايات كثيراً أو يسيراً فهو كمن أكل ميتةً أو دماً أو خنزيراً .

ولا تَحِلُّ إلا لمن أُلْجِيءَ إليها واضطر عليها فإذا لم يجد غيرها مالاً ، ولم يُحْسِنْ عنها انعدالاً جاز له أن يأكل منها بالمعروف والإرشاد ، ويستعين بها على ما قد اشتغل به من أمور الجهاد .

وقد شرحْتُ من فضائله يسيراً وأَغفلْت كثيراً . وروى غيرُ واحدٍ من أصحابه أنه قال : مَثَلُ مَن يتناول من هذه الأشياء شيئاً ومعه غيرها مثل رجلٍ مسافرٍ في طريق معه رغيفان في جيبه ثمَّ مرَّ بميتةٍ فقال : أتغذّى من هذه ، وأُخَبِّأُ هذين الرغيفين < للعشاء ثم يدركه الموت وقد أكل الميتة وترك الرغيفين >(*) دلالةً منه عليه السّلام أن لا يدخّر أحدٌ شيئاً من حلاله ويتناول شيئاً من هذه الجبايات وهو يعلم غيرها دقيقاً كان أو جليلاً . لا أقول ذلك إلاّ وقد علمه الداني والقاصي وشهد به المُطيعُ والعاصي . وروى لي الشيخ الفقيه علي بن محمد أنه كان له بُرٌّ فتُرِك في بيتٍ في جانبه شيءٌ لبيت مال المسلمين فكره ذلك وصرفه إلى بيت مال المسلمين . وروى لي أيضاً أنه جمع إخوته محمداً وأحمد وعلياً أولاد جعفر في مرضٍ له مرضه بشهارة وأشفى فيه على التعب(1) ثم قال لهم : ما تعلمون لي من الطين ؟ قالوا : ما نعلم لك إلاّ يسيراً قد أخرجْتَهُ في حَقٍّ لزمك ! فقال : فما تعلمون لي من السلاح والدوابّ والآلة ؟ قالوا : لا نعلم . ثم قال : هذا الظاهر وأمّا الباطن فإنّي أُقسمُ لكم بالله اليمين البالغة ما أملك ديناراً ولا درهماً ولا عَرَضاً ولا منتقلاً إلاّ سبعين درهماً أرسل بها لي محمد في ميلاد ولدي جعفر وقد أنفقْتُ فيما يُصْلِحُهُ بعضها . ثُمّ قال :

(*) ما بين الحاصرتين عن الهامش الأيمن للصفحة .

(1) كذا في الأصل ، وربما كانت : التلف .

أردْتُ أن تعلموا أنّي لم أتعلّقْ بشيءٍ من الدنيا لتسلكوا بها مسلكي .

ثمّ كان رحمةُ الله عليه يدبّر في ما وقع من بيت مال المسلمين في يده ولا يعطيه رياءً ولا سُمْعةً ولا يتّقي به خوف كلامٍ ولا شنعةٍ ، يعطي الأجناد فيجزل وينفق في الجهاد / فيفضل . وإذا سأله سائلٌ لا يعلم فيه للإسلام نفعاً ولا يرجو فيه في حالٍ [م ق ٩ب] من أحوال الجهاد حَرَمهُ اليسيرَ وزوى دونه الحقير . ولقد روى لي غيـرُ واحدٍ من أصحابه أنّ سائلاً سأله مراراً فقال له بعضُ أصحابه : هَبْ له ديناراً ! فقال : وبمَ أعتذِرُ إلى الله إذا لقيتُهُ غداً ؟! والله لا فعلْتُ هذا أبداً . وروى لي بعضُ أصحابه أنّه هتف إليه غزلاً(1) هُتافاً عظيماً فسأله بعضُ أصحابه أن يهب لهم من المعز فطيماً ! فقال : لستُ أُعطي مال الله مَنْ ليس به حقيقاً ، ولا أُداهن في الله عدواً ولا صديقاً . وهو يعطي على الجهاد الخيل الشنوفية والحلل الموشية والهبات السنية ويتفقّد ببِرّه البائس الفقير ، ويؤْثر من قوته بالكثير ، ويستمتع منه باليسير معروفاً بأُسوة الصاحب لا بل بأثرته ، موصوفاً بالبِرّ واللين لأهل عشيرته . أرعى الناس للصاحب وأوصلهم للأقارب . ولقد رأيتُهُ لا يترك منزلاً من منازل ذوي رَحِمه إذا آب وينتقل إلى منازل أهله وحريمه إذا خرج راجلاً ، ويتفقّد ذلك من أقصى الشرفاء وأدناهم ويوجِبُ حقّ رَحِم آل رسول الله صلوات الله عليه وعليهم ويرعاهم ويحرص على صلة قاطعهم وقرب شاسعهم . ولقد رأيته يشمّر مدرعة صلاته ، ويرقّع ثياب بدنه بيديه في بعض أوقاته . ولقد رأيتُهُ يستخليه للصغير والكبير والرفيع والحقير . ولقـد رأيتُهُ من لين جانبه لإخْوانه يَمُدُّ إليهم في حال ما < . . . . >(*) عليه بحنانه . ولقد رأيتُهُ من تكرُّمه يَهَبُ نعله من قدمه . ولقد رأيته يهسُّ الجفان بيديه لضيفانه الوافدين عليه ، ولا يقنع بمقام كُفاته حتى يقومَ في ذلك بذاته . ولقد رأيتُ من شدّته في الفِتَنِ وصبره على المِحَن وتدبيره ودهائه وإصابته للمعاني وذكائه ورصانة رأْيه وتمييزه وتيقُّظه من كيد العدو وتحرُّزه ما يطول به القولُ لو سطّرتُهُ ، ويكثرُ فيه الأثر لو أثرته . وما عسيتُ أن أصِفَ من جميل خلائقه ونبيل طرائقه ولو ذهبْتُ لأحْصي الروايات في مناقبه والجميل من مذاهبه ما أتيتُ على ذلك ولا أحطْتُ بما هنالك فرحمةُ الله وسلامُهُ

(*) طمسٌ في الأصل .

(1) كذا في الأصل .

وصَلَواتُهُ وإكرامه على تلك الشَيبة الطاهرة في ثراها المخضّبة في سبيل الله في دمائها والله يحكُمُ بينه وبين خاذليه ولعنةُ الله على قاتليه .

* * *

قال مفرِّح بن أحمد : سألْتُ الشريف الفاضل عليه السّلام عن الحُجّة في جواز هذه الجبايات المجموعة وما يؤخَذُ من غير هذه الأعشار المشروعة فقال لي : < إنّ الهادي إلى الحَقّ > عليه السّلام لمّا ظهر القُرْمُطي(*) ابن فضل[1] على الإسلام جمع أهل صنعاء وسألهم أن يعينوه بشيءٍ من أموالهم يدفع به عنهم ما أَلَمَّ بهم . فتكلّم أُناسٌ من جهالهم وقالوا قد رغب هذا العَلَويُّ في أموالنا ولحقه الطَمَع في رجالنا ! فمضى وخلّاهم . فلمّا أجاز بالهادي عليه السّلام هزيم مَنْ بقي منهم
[م ق 10أ] بكى لما / لحقهم وتأسف على أن لا يكون خيرهم[2] على أخذ شيءٍ من أموالهم والمدافعة عنهم بشيءٍ من رجالهم والرواية في ذلك مشهورة والحُجَج عن الأئمّة عليهم السّلام في ذلك مأثورة . وقد كان من احتساب الناصر عليه السّلام ، وما أمره به المرتضى في أيامه وهو الإمام ما علم به الخاصُّ والعامُّ . وكذلك رأى الإمام القاسم بن علي وكذلك فعله إمام عصرنا المهدي لدين الله صلوات الله عليه وعلى آله[3] الكرام .

وهذه نسخة روايةٍ عن المهدي عليه السّلام أخذتُها من كتابٍ لسلامة ابن علي بن محمد المحلي ، وهو من أصحاب الشريف الفاضل عليه السّلام ، أخذها

(*) عن الهامش الأيسر من الصفحة .

(1) علي بن الفضل الحميري ، كان داعياً لعبيد الله المهدي في اليمن ، واتخذ من بلاد يافع مركزاً للدعوة وتمكن من إقامة دولة إسماعيلية في اليمن مركزها المذيخرة . ثم توسع على حساب باقي القوى المحلية . ثم انشق ابن الفضل على الخليفة الفاطمي عبيدالله المهدي واستقل عنه . وقد اشتهر بالعنف وسفك الدماء ، كما اتهم بأنه ادعى النبوة وأباح كثيراً من المحرمات . انظر : يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، جـ1 ص 191 ـ 197 ؛ حسين بن فضل الله الهمداني : الصليحيون ، ص 35 ـ 46 .

(2) كذا في الأصل . وربما كانت صحتها : أجبرهم .

(3) كذا في الأصل . وكُتب فوقها : آبائه . وقد حكم الهادي حتى وفاته عام 298 هـ . وخلفه ابنه محمد المرتضى المتوفى عام 310 هـ ، ثم ابنه الثاني أحمد الناصر المتوفى عام 322 هـ ، وتوفي القاسم بن علي سنة 393 هـ . كما قُتل ابنه المهدي الحسين بن القاسم سنة 404 هـ .

عن وليد بن محمد الحرادي ، أخذها وليد من كتاب وجد بالشرف شرف البياض[1] فيه مسائلُ مشهورةٌ للمهدي صلوات الله عليه : وأيّما زمانٍ ظهرت فيه القرامط على الأُمّة فأحلّوا ما حَرّم الله وحَرّموا حلاله وأحلّوا الزنا وأكلوا الربا وسفكوا الدماء وبدّلوا الأحكام ، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، وأنكروا الوعد والوعيد والعدل والتوحيد ؛ ثم ظهر عليهم ظاهرٌ من آل الرسول يريد التغيير عليهم وكان ليس معه أموالٌ يجاهد بها وكان أهل الأرض له خاذلين وغير باذلين ولا مجاهدين ؛ كان له أن يأخذ الأعشار من أموال الناس فإنّ كفت جيشه والدواوين التي تكون معه وإلّا أخذ السهم الثاني فإن كفى وإلّا أخذ السهم الثالث فإن كفى وإلّا أخذ السهم الرابع فإن كفى وإلّا أخذ إلى تسعة أسهُمٍ مما في أيدي الناس ووضعه في الجند والرساتيق ، ويعفّف منه أهلُ الدين والورع والاحتساب إلّا من قُطع به الشيء وألمّت به الحاجة وهو مقيمٌ في الحضرة كان له أن يأكل ما يقوتُهُ ولا يدن[4] في ذلك بالتحليل ، وكذلك للمسلمين أن يشتروا من تلك الخراجات الخيلَ والسلاحَ وما كانوا يُجْلِبون به على القرامط فإذا أطفأ الله نار الحرب وأوهن الكَفَرةَ والمردة لم يَحِلَّ لإمامٍ كان أو أميرٍ إلّا سهم الله الذي فرض على عباده يضعُهُ حيث وضعه اللّهُ تبارك وتعالى .

* * *

وروى لي الشيخ الفقيه علي بن محمد أنّ الشريف الفاضل عليه السّلام قال : القرامطة تطالب الناس بأربعة بأنفسهم وأموالهم وحريمهم وأديانهم . وأنا أرى < أن >[3] أجبر الناس على اثنتين لسلامة اثنتين يُجبَرون على الجهاد بالنفوس والأموال دون الحريم والأديان . وروى لي أيضاً أنه سمعه يقول في شهارة حرسها الله ويُقْسِمُ بالله أنّ أَخْذ تسعة أسهُمٍ مما في أيدي الناس لأَصلَحُ لهم وأعدلُ من تخلية هذا الأمر لأنه لو يُخلّى صاحبه لأخذ الكُلَّ مع النفس والدين والحريم .

* * *

(1) شرف البياض : من بلاد خولان من جهة صعدة ؛ الحجري : مجموع بلدان اليمن ، جـ 3 ص 451 .

(2) كذا في الأصل . وربما كان صحة الفعل : يدين .

(3) زيادة من المحققين .

ذكر دعوة الشريف الفاضل عليه السّلام :

[م ق 10ب] هذا كتابٌ كتبه / الشريف الفاضل القاسم بن جعفر بن الإمام القاسم بن علي رضي الله عنه فيه كلامٌ واسعٌ واحتجاجٌ قاطعٌ كتبه إلى كافّة النّاس عند ظهور القرامطة باليمن عليهم لعنةُ الله يدعو الناس إلى القيام معه والحضور إليه ويحقُّ لهم الواجب الذي أوجب ذلك عليه.

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله على ما ألهم من شكره وعلم من مكنون سرّه وعَرّف من زواجر أمره ونهيه وأصبغ من غمير نعمه وحميد آلائه ومِنَنه واتّسع بالرحمة لِخَلْقه وجاد بالمِنّة على عباده وبسط المواهب بجوده ومنح عوائد المزيد من عنده بغير ما طلب ويعطي الجزيل بغير ما أرب ونافي الفاقة لغير نصب وباذل العطاء من فضله وقابل الشكر من أهله وجازي المحسن بإحْسانه أحمَدُهُ حمداً يكون للوسيلة سبباً ، وبما لديه تقرُّباً ، ولرضائه مُوجِباً وأشهد أن لا إله إلا هو شهادةَ من اعترف بوحدانيّته وأقرّ بربوبيته ، < وشكر على هدايتَه >(*) وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله أرسله في حين فترةٍ والناس في حيرةٍ وغفول غمرةٍ فهدى به إلى السبيل وأوضح بنور هدايته الدليل صلّى الله عليه وعلى آله الطاهرين وسلّم تسليماً . سلامٌ عليكم أيُّها الإخوان الأولياء والخاصّةُ الأصفياء ورحمةُ الله وبركاته .

أمّا[1] بعد أكرمكم الله كرامةَ الأبرار ونجّانا وإيّاكم من عذاب النار فقد أصبحتم بدين سلفنا متمسكين وبمذهبهم متعلقين وبإمامتهم قائلين وبحبلهم ملتزمين رجاءً لثواب ربِّ العالمين .

ولا بُدّ لكل عملٍ من عمارة ، ولكلِّ حرثٍ من إثارة وقد هجم(**) على الإسلام ما قد علمتم من تحليل الحرام وركوب الآثام ودخول العوامّ والطغام مع هؤلاء القرامطة الملاعين وما هم يحاولون من سفك دماء المسلمين وسبْي حريم المؤمنين

(*) عن الهامش الأيسر من الصفحة .

(**) في اللآلي : هجمكم .

(1) اقتبس الشرفي في اللآلي المضية م 2/ص 149 ـ 150 بعض هذه الرسالة .

وقتل الأجناد والسلاطين وذلك بتخاذل أهل الدين وافتراقهم وقِلّة نظرهم في أمورهم وأمور غيرهم واشتغالهم بالخلاف في أديانهم وكان يسعهم عند الله ترك الإِحَن والإقْبال على هذا الفنّ الذي هو يفسد على الجميع اعتقادهم وتُسبى به حريمهم وتُقتل أولادهم ولم أر لكم أيها الإخْوان ثَمَّ غرضاً ولا اهتماماً ولا اجتماعاً وقد يجب علينا وعليكم الفرض دون الناس أجمعين والدفع عن الأديان والحريم فلم أر لأحدٍ منا عند الله عذراً من القيام والمدافعة والاهتمام وقد رأينا تعريفكم بذلك . وإنّا بعد خيرة الله تعالى ناهضون لقتال هؤلاء القرامطة الملاعين مستعدّون فيمن رغب في معونتنا وكان من أهل الإسلام ثار معنا وأَعَدَّ السلاح والزاد وأخذ الأُهْبة للجهاد ومقاتلة أهل العناد والزَّيغ والفساد ، ولسنا ندعوهم إلى سلطنةٍ ولا جِباءٍ ولا إمامةٍ ـ وقد وجبت لنا بالسبق ـ، ولا إلى استعطاف أحدٍ من اعتقاده / ومذهبه بل ندعوهم إلى المعاونة [م ق 11أ] في جهاد الباغين القرامطة المشركين لما لزمنا من ذلك ولولا ما ذكره أئمّتنا عليهم السّلام من الواجب علينا لما تعلّقْنا بمالٍ مُحرَّم ولا دخلْنا أبداً في مأْثمٍ بل قد ذكر الهادي إلى الحقّ صلواتُ الله عليه أن يأخذ جزءً من أموال المسلمين ليدفع به عنهم جَور المشركين الطواغيت الباغين وأوضح ذلك في مسائل عبيد الله بن يحيى الطبري[1] فيما قد وقفْتم عليه من قوله عليه السّلام قال[2] : ومما سأَلْتَ عنه وأحببْتُ الجواب فيه ما كان من مجيء كبراء أهل صنعاء إلينا ومشايخهم وما سألونا من التقدم إليهم والمصير إلى بلادهم فأخبرْناهم بقلّة ذات اليد وأنّا لا نُطيقُ الإنْفاق على العساكر ولا نجدُ إلى ذلك سبيلاً . فذكروا أنهم يعينون ويجتهدون وأنّ أهل البلد على ذلك مُجْمِعون . فلمّا صِرْنا إليهم كتب على الناس على قدر طاقتهم بل دون طاقتهم فكتب على صاحب العشرة الآلاف مائة دينار ، وعلى صاحب عشرين ألف مائتان ، وعلى صاحب الخمسين ديناراً ديناران ، وعلى صاحب الثلاثين ديناراً وشبيهاً بذلك فكُلُّهم إلى ذلك مُسارع ، وكلُّهم رأى فيه المنفعة لنفسه في ماله وحريمه . وقد علمتَ كيف كان فعل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله

(1) في اللآلي المضية : مسائل عبد الله بن محمد الطبري !

(2) مجموع كتب الإمام الهادي (المجموعة الفاخرة) (مكتبة اليمن الكبرى ، بدون تاريخ) : جواب مسائل الحسن بن عبد الله الطبري (؟) ، السؤال الثالث ، ص 439 وما بعدها .

عليه[1] بعد حرب طلحة والزبير فوجد في بيوت المال من أهل البصرة مالاً كثيراً من الفيء الذي هو للصغير والكبير والمرأة والرجل والطفل والطفلة ، فدعا كبراء البلد ووجوه أهله ثم قال لهم : إنّ في بيوت مالكم مالاً وبأصحابنا حاجة شديدة فأطلِقوا إليَّ قسمتَهُ على أصحابي دونكم ففعلوا وأطلقوا له القسمة على أصحابه فوقع لكل إنسانٍ منهم خمسمائة درهم قفلة[2] ولم يَدْعُ أوساط الناس ولا النساء ولا الصبيان ولا كلّ مَنْ يملكه واجتزأ برأي كُبَرائهم إذ كان في ذلك صلاحٌ لهم ومنفعةٌ لبلدهم وعائدة في العاقبة عليهم فافهم هذا المعنى وسنشرحُ لك في ذلك حُجّةً أخرى قويةً نيِّرةً بيِّنةً عند أهل العلم والفهم واضحة . نحن نقول ؛ وكل ذي فهمٍ وبصيرةٍ من العلماء : إنّ الإمام المُحقّ المستحقّ العادل له أن يأخذ من المسلمين العفو من أموالهم اليسير الذي لا يَضُرُّهم فيردّه على صلاحهم وصلاح بلادهم ، ويدفع به العدو القاهر على أموالهم وحريمهم ودمائهم ، أحبّوا أم كرهوا ، أطاعوا أم أَبَوا . ثمّ نقول : إنّ ذلك من حسن النظر لهم الذي لا يجوز له عند الله غيره ولا نجد منه بُدّاً ، ولا عن أخذه مندفعاً وإلّا لم يكن إلّا انفضاض عسكره وهلاك المجاهدين الذين معه . أو أخذ ما يأخذ من رعيته لأنه إن قصَّر في ذلك انفضّ العسكرُ وافترقت الجماعةُ وذلّ الإمام والمؤمنون ، وهلكت الرعية المستضعَفون /، وقويت عليهم الأعداء الفاجرون ، [م ق 11ب] وملكهم الجبابرة الطاغون . وأخذوا الأموال ، وقتلوا الرجال ، وأهلكوا الأطفال ، ومات الحقّ ، وظهر الباطل والفسق . فهذا ما لا يَحِلُّ لإمام الحق أن يفعله . ولا يجوز هذا إلا لإمـام حقٍّ مستحقٍّ بموضعٍ نافذٍ حكمُهُ في الأمة ، حاكم بالكتاب والسنة لأنّ في فعله ذلك نجاةً للمسلمين وفي تركه له هلاك جميع المؤمنين . فإذا كان ذلك كذلك فأخذ جزءاً من أموال المسلمين فرض عليه في ذلك ، فإنّ قصّر فيه فقد شارك مهلكهم في هلكتهم[3] ولم يُحسن النظر لهم . وكان قد تحرّى في تركهم صلاحاً ورشداً فوقع من ذلك في هلكة وارتكب إدّاً . وسنضرب لك في ذلك مثالاً نقول فيه بصوابٍ إن شاء الله مقالاً يصحُّ رشده لذي لُبٍّ ، ويتبيّنُ صِدْقُهُ لكلِّ ذي

(1) في مجموع كتب الهادي ، ص 440 بعد هذا : حين دخل البصرة .

(2) القفلة تزن 1/10 من الأوقية ، انظر : يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، جـ 1 ح 4 ص 388 .

(3) في مجموع كتب الهادي ، ص 441 بخط مختلف : مهلكتهم .

تمييزٍ وفهم . ما يقول من أنكر علينا ذلك في نفسه لو(*) كان في قريةٍ من قُرى المسلمين وكان أمره فيها نافذاً جارياً ، وقوله فيهم جائزاً ماضياً ، ثم دلف إليها طاغيةٌ من طواغي المشركين أو طاغوت من طواغيت الباغين ؛ يقتل رجالها ، ويَسْبي نساءها ، ويأخذ أموالها ، ويهدم ديارها ؛ ووجد هذا الإنسان الرئيس عليها النافذ أمره فيها أعواناً ، يدفع(**) بهم عن القرية ما قد غشاها ، ويزيح عنها من الهلكة ما أتاها ، كان الواجب عليه بحكم الله وفيما يجب للمسلم على المسلم أن يأخذ من أموالهم طرفاً يقوت به هؤلاء الذين يدفعون عنهم حتّى يَسْلَموا من الهلكة أو يخلّيهم حتى يهلكوا ويُستباحوا ويُقْتلوا . فإنْ قال قائلٌ : بل يخلّيهم فيُقتلوا قبل أن يأخذ منهم يسيراً يحييهم به ؛ فقد أساء في القول ، وجار بالحكم ، وخالف الحقَّ لأنّ الله سبحانه يقول في كتابه : ﴿ **تَعَاونوا على البِرِّ والتقوى ولا تَعَاونوا على الإثم والعدوان** ﴾(1) ومن فعل ذلك فقد أعان على الإثم وترك المعونة على البرِّ والتقوى . وإن قال : بل الواجب أَنْ آخُذَ منهم ما أُدْفَعُ به عنهم أحبُّوا أم كَرِهوا ، وأُقيم فرض الله عليّ فيما يلزم للمسلمين ، ولا أنظر إلى قولهم إذا أبوا النظر لأنفسهم واستدعوا الهلكة إليهم إذ كنتُ منفّذاً أمرهم بنفاذ حكمي عليهم فقد أصاب في قوله واحتذى وسلك الطريقة المُثْلى . ومن الحُجّةِ في ذلك على من أنكره وقال بغيره ورفضه أن يقال له : أخبِرْنا عنك لو سرتَ في قافلةٍ من قوافل المسلمين وأَمْرُكَ فيهم نافذٌ فوجدْتَ في بعض الطريق قوماً قد قُطع بهم وتُركوا مطروحين جياعاً عطاشاً عرايا لا يطيقون مشياً إن تركتَهم ماتوا وإن حملتَهم نجوا وإن أطعمتهم وسقيتَهم حيوا : أليس كان الواجب عليك في حكم الله أن تأخذ من أهل الرفقة لهم قوتاً يُحييهم وتلزمهم لهم المعاقبة على رواحلهم حتّى يلحقوا بالقُرى والمدن / والمناهل أو لا تأخذ لهم [م ق 12أ] قوتاً ولا مركباً فيموتوا كلّهم ويهلكوا بأجمعهم ؟ فإن قال : بل أَتْرُكُهُم يموتوا فقد شرك في قتلهم ، وقال بالمنكر من القول فيهم الذي ينكره عليه الجُهّالُ فضلاً عن العلماء من الرجال ! وإذا قال أحمِلُ أهل القافلة على أن يواسوهم بما لا يضرّهم من

(*) في الأصل : ولو .

(**) في الأصل : ويدفع .

(1) سورة المائدة/ 2 .

الطعام والشراب والمعاقبة على الرّكاب فقد قال الحقّ من المقال وانتحل صواباً من الفعال وأدّى حقوق الله وحقوق المسلمين ونجا من قبل إخوانه أجمعين ، ألا تسمعُ إلى قول الله سبحانه : ﴿ **من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنّما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً** ﴾[1] . فحكم اللّهُ على كُلِّ مسلمٍ بـإزاحة الهلكـة عن المسلمين بجهده وطـاقته . . . إلى آخِـر ما في المسـألة من كلامه عليه السّـلام . تَمّ كـلامُ الهـادي صلواتُ الله عليه[2] .

وآعلموا رحمكم الله أنّ هذا الـظالم لا يُدفـع إلّا بالخيـل والرجـال والعدد والاستعداد وجمع الأجناد بالأرزاق والأرفاق التي تُقيمُ مراكزهم وتثبت أسواقهم . وليس ذلك يكون إلّا بالإجماع ومشورةٍ من أهل الاستماع . وقد كاتبْنا جميعَ عشائرنا واستحلفنا كافة مَنْ يلينا من إخواننا ، فَمَنْ دخل معنا منهم واختار ديننا فهو منّا له ما لنا وعليه ما علينا . وَمَنْ دخل مع عدوّ الإسلام وعدوّنـا استتبْناهُ واستحلفْنـاه فإن أبى جاهدْناه وحكمْنا فيه بحكم الله ونابذْناه وكان حُكْمُهُ كحكم المفسدين الذين ذكر الله في كتابه حين يقول : ﴿ **إنّما جزاءُ الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يُقَتَّلُوا أو يُصَلَّبُوا أو تُقَطّع أيديهم وأرجلهم من خلافٍ أو يُنفَوا من الأرض ذلك لهم خِزْيٌ في الدنيا ولهم في الآخِرة عذابٌ عظيم** ﴾[3] . وقد ودينا[4] ما أمر الله به من تنبيه خلقه وهو الشاهد لنا على بَرِيّته وهو حَسْبُنا ونعم الوكيل ، وصلّى الله على سيِّدنا محمّدٍ النبيّ وعلى ولده المهدي وعلى آلهم الطيّبين وسلّم تسليماً .

قال مفرِّح بن أحمد[5] : فلمّا كان من الأمور ما كان وبان للناس من عواقب أمرهم ما بان رأوا في عواقب تدبير الشريف الفاضل عليه السّلام من الفرج والراحة ما

---

(1) سورة المائدة/ 32 .

(2) في اللآلي المضية هنا : قال مصنّف السيرة حاكياً عن الفاضل عليه السّلام : تم كلام الهادي صلوات الله عليه . ثم تابع النقل عن السيرة .

(3) سورة المائدة/ 33 .

(4) كذا في الأصل واللآلي المضية وربما كانت : أدينا .

(5) عاد الشرفي في اللآلي المضية م 2/ص 151 للنقل عن السيرة قائلاً : قال مفرّح بن أحمد . . الخ .

لم يكونوا يطمعون بالوصول إليه . ولقد بلغني على لسان الثقة أنّ قوماً ممن بقي[1] ملك القرامطة بصنعاء والرحبة[2] وبلد الأبناء[3] وبلد عنس[4] وما والاها اقتسموا قسمة الملك وعمل فيهم ما لا يُعمل في الروم ـ وهم أهل الشرك ـ يبيعونهم ويشترونهم ويصرفونهم عن منازلهم ويمنعونهم ويدخل الواحد إلى منزل قسيمه ويخلو بأهله وحريمه . ولقد بلغني أن حجازياً قتل رجلاً على غثة سُنبلٍ / من زرعه [م ق 12ب] وماله واستولى على داره من بعده وعياله . ولقد بلغني أن رجلاً أمر قسيماً له ينتحل الدين ـ لا كثّر الله مثله في المسلمين ـ أن يعمل له شراباً ويضع له عليه طعاماً وكباباً وقسيمه هذا في علو منزله بدولابه(*) على شرابه ، ويضربون المعازف والطنابير والأدفاف والمزامير مختلطين بأحرامه في جانب الدار وهو واضعٌ خَدَّه للعار والنار . ولقد بلغني أنّ الرجل وأولاده يصيرون مقسماً لجماعة فيأتي هو لرجلٍ وولده لرجلٍ آخر وزوجته لرجلٍ آخر وكُلٌّ منهم يُجْري على أقسامه ما يُحِبُّ من أحكامه . ولقد بلغني أنّ الرجل تقع له القرية فيبيعها بمن فيها . ومن هذا أمورٌ كثيرةٌ لا أُحصيها فما يقول من لا يرى جهادهم من القاعدين بأيٍّ وجهٍ استحلّوا تعنيف أولياء الله المجاهدين ؟!

قال : ولما لم يجد الشريف الفاضل عذراً من القيام والمدافعة عن المسلمين والإسلام ، ولزمته الحجة والفرض لما ظهر من الفساد في الأرض بدأ بشيعته فحمّلهم العهود وأخذ عليهم العقود على الصبر والجهاد والمواساة والإسعاد والمواتاة في كلِّ حالٍ من الأحوال وبذل النفوس والأموال ثم سألهم شيئاً من أموالهم ليختبر أفعالهم بعد مقالهم فأقبلوا بما سأل عليه وسارعوا به إليه . ثمّ أجاب سائر الناس إلى

(*) كذا في الأصل . وهذه الفقرة من النصّ ليست في اللآلي المضية .

(1) كذا في الأصل . وفي اللآلي : ممن بغى عليه ملك القرامطة . . الخ .

(2) الرحبة : القاع الفسيح الممتد من الروضة في شمال صنعاء حتى بلد أرحب . ابن الديبع ، قرة العيون ، جـ 1 ص 120 ـ 121 ، ح 6 ؛ الويسي : اليمن الكبرى ، ص 47 .

(3) بيت الأبناء : عزلة من ناحية بني حِشيش قضاء صنعاء ؛ التوزيع السكاني 2/237 ـ 238 .

(4) عنس : بفتح العين ثم سين مهملة مخلاف واسع من أعمال ذمار سمي باسم عنس بن مذحج . وهو الناحية المعروفة الآن بمغرب عنس من قضاء ذمار . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 3 ص 613 ؛ التوزيع السكاني في محافظة ذمار ، ص 149 ـ 159 .

ما سألوه واستحلف على ذلك وبايع وأمر ونهى وولّى الولاة ورتّب العُمّال وأجرى الأمر على أحسنه واستتبع جميع من نُسب إليه الفساد وأخرب منازل الإسماعيلية من بني الحذيفي[1] وغيرهم بأعلى البَون[2] ، وأجرى ذلك في جميع النواحي وأخذ يحيى بن محمد الضرّاب وكان أحد الإسماعيلية فأقام عنده محبوساً ، وكانت له غوائلُ وإفسادٌ وتخزيلٌ وعناد .

روى لي الشيخ الفقيه علي بن محمد بن الجيش[*] أنه قال له ذات يومٍ وهو في البَون : لو ملأتُ هذا الوادي رماحاً ما كان بُدُّ القرامطة من مِلْكه ! قال : فقلتُ : يا مولانا فما المُوجِبُ لما نحن فيه من المقاساة والتعب والفتنة والنَصَب ؟ قال : لأني لا أستقِلُّ أن أدفع القرامطة عن الناس سنةً أو شهراً أو يوماً أو ساعة ، وأُريدُ أن يقع الملك عليهم بخذلانهم لي ولا ألقى الله بخذلاني لهم ، وأنا أعلمُ أني لو أغلقْتُ بابي ولزمْتُ منزلي لوقع الملك عليهم في أسرع أوقاتهم ولم آمَنْ غَضَب الله عليّ في ذلك ! وكان عليه السّلام يقول في جمائعه دأباً : تعلمون أني لم أقم لسلطنةٍ ولا لرئاسة ! أمّا السلطنةُ فأنا أُنَزِّهُ نفسي عنها فلا بعد أن يكون جدّي رسولُ الله صلّى الله عليه وعلى أهله وأبي علي وأُمّي فاطمة وأنا مُطيعٌ لله ؛ فأيّ رئاسةٍ بعد رئاستي ؟ ثم إنه خرج مخرجاً له إلى صعدة[3] وتجهّز عليٌّ بن محمد الصُليحي من زَبيد[4] إلى

(*) سمّاه في مواطن أخرى : علي بن محمد بن أبي الجيش .

(1) بنو الحذيفي : عزلة من ناحية الحيمة الداخلية قضاء صنعاء . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 2 ص 252 ؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، جـ 2 ص 218 .

(2) البون : حقل واسع وينقسم إلى البون الأعلى ، ومن قراه قاعة وقارن ، والبون الأسفل ومن قراه ريدة . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 1 ص 130 ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، جـ 1 ص 229 ح 1 .

(3) صعدة : بفتح وسكون عاصمة محافظة صعدة في شمال اليمن وتقع ما بين 45ً 56 16 شمالاً ، 50ً 45 43 شرقاً . انظر ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 116 ، 124 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 3 ص 467 ـ 480 ؛

The Yemen Arab Republic and Neighbouring Areas , 1: 250000 , Sheet , 1.

(4) زَبيد بالفتح واد من أودية اليمن الكبيرة تأتيه المياه من مغارب بلاد عنس ويصب في البحر الأحمر ، وبه سميت مدينة زبيد وهي مدينة مدورة الشكل ، من جنوبها وادي زبيد ومن شمالها وادي رمع . وهي ناحية وقضاء في محافظة الحديدة . ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص 70 ؛ التوزيع السكاني في محافظة الحديدة ، ص 101 وما بعدها .

صنعاء فلمّا بلغه العلم استعاد من صعدة وصار إلى البَون / وبقية هزيم أهل صنعاء [م ق 13أ]
في البون وقد تقلّل الناس وكثُر فيهم الفساد واستُميلوا بالعطايا وجرت المكاتبةُ بين بني الصُليحي والرؤساء .

ثم إنّ الشريف الفاضل عليه السّلام دعا(*) الناسَ على الخروج إلى صنعاء وقد بان له(**) فسادهم فخرج خمسمائة فارس وأمَّر عليهم أخاه الحسن بن جعفر وابن عمّه عيسى بن عيّاش وساروا إلى صنعاء ؛ فلمّا قَرُب العدوّ هربوا عنهما حتى خرجا منها في نفرٍ يسير وتقدّم الصُّليحي من بيت خَولان فدخل صنعاء في يومين خاليين من ذي القعدة سنة سبعٍ وأربعين وأربعمائة سنة .

وصار الشريف الفاضل عليه السّلام إلى بلد بني صريم[1] ووصلت خيل الصليحي إلى عجيب[2] ورجعت من هناك وأقاموا بصنعاء . فلمّا[3] كان في المحرَّم أول شهور سنة ثمانٍ وأربعين تفرّقت رؤساء همدان بحريمهم منهم سلامة ابن الضحّاك وعلي بن ذعفان وغيرهما من رؤساء همدان في بلد بني صريم وبلد بني الدعّام[4] ، وجمعوا العساكر من حاشد[5] وبكيل[6] ، واستنهضوا الشريف الفاضل

(*) في الأصل واللآلي المضية : راع !

(**) في الأصل : لهم .

(1) بنو صريم بن مالك بن حرب من قبائل حاشد ، وتنقسم بلاد بني صريم إلى تسعة أتساع ، ومركز الناحية مدينة خمر ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 2 ص 216 ـ 217 .

(2) عجيب بفتح فكسرة : بلدة شمال ريدة . والنقيل عند اليمنيين : العقبة. زبارة: أئمة اليمن ، جـ 1 ص 79 ؛ وياقوت : معجم البلدان ، جـ 5 ص 303 .

(3) النص منقول في اللآلي المضية م 2/ص 151 ـ 152 ، وأنباء الزمن م 1/152 ـ 153 ، وغاية الأماني 1/251 ـ 252 .

(4) آل دِعام : أهل درب ظالم بالجوف ، بطن من بكيل الهمدانية . ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص 123 ـ 124 ؛ أحمد بن يحيى : الدر المنثور ، ورقة 90 .

(5) حاشد : من أكبر قبائل اليمن تنسب إلى حاشد بن جشم بن همدان ، وتنقسم إلى أربعة أقسام : بنو صريم ، وخارف ، والعصيمات وعُذَر ، وكل واحدة منها تنقسم إلى عدة بطون. الحجري، مجموع بلدان اليمن ، جـ 1 ص 213 ـ 226 .

(6) بكيل : بطن من همدان ، تُنسب إلى بكيل بن جشم أخو حاشد بن جشم . وبلاد بكيل ما بين صنعاء وصعدة في الجانب الشرقي ، كما أنّ بلاد حاشد في الجانب الغربي . انظر؛، الهمداني، صفة جزيرة العرب ، ص 217 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 2 ص 213 ـ 214 .

عليه السّـلام فلم يجد بُدّاً من النهوض معهم وهو لذلك كارِهٌ لما قد علم من أمور الناس .

أخبرني الشيخ الفقيه أبو الحسن علي بن محمد بن أبي الجيش أنه قال : إن لم أُجبهم إلى ما سألوا خشيتُ أن ينقلبوا إلى بني الصُّليحي ويجدون بذلك عليَّ حُجَّةً عاجلاً وآجلاً . وأخبرني أيضاً أنه قال : أنا لا أدري أُتِمُّ الصلاة أم أَقْصُرُ لأنّي مع هؤلاء < وهؤلاء>(*) ليسوا معي ! .

وروى لي القاضي يعقوب بن عيسى عن أبيه أنه قال ، سألْتُ الشريف الفاضل وهو بحاز[1] فقال : يا ابنَ رسول الله ! أنَقْصُرُ الصلاة أم نُتِمُّها ؟ فقال لي : سل عليّ بن ذعفان ! دلالةً على أنه كارِهٌ لذلك . فراح القاضي عيسى بن الحسين من فوره لتلك المقالة . قال : ولمّا اجتمع حشد القوم إلى حاز خرج حشد بني الصُّليحي إلى هنالك فأمسى بإزائهم بقرية تسمى قراتيل[2] فقال لهم الشريف الفاضل عليه السّلام : أغزوا بنا القومَ إلى موضعهم فلم يُسْعِدوه . ثمّ قال : أطيعوني فيما آمُرُكم فيه فلم يطيعوه ! ثم قال : أتْبِعوني الخيلَ إلى صنعاء ! فلم يُتْبعوه ؛ وبان فسادُهُم ومكابرتُهم وعنادُهُم . فلمّا كان من الغد باكرهم القومُ(**) ، فلمّا رأت العين العين ولّوا منهزمين لا يَلْوي أحدٌ على أحد . فروى لي الشيخ عليّ بن محمد عن الثقة أنّ الشريف استقام وما بقي معه إلا خمسة نفرٍ هو سادسُهُم أخوه محمد بن جعفر والقاسم بن إبراهيم وجشمر(***) بن عبد الأعلى بن جناح

(*) زيادة لإتمام المعنى .

(**) في اللآلي المضية : العدو .

(***) في الأصل واللآلي المضية بدون نقط ، ولم ندر صحة الاسم .

(1) حاز : قرية من عزلة جشم ناحية همدان ، تقع على وادي حاز على بُعد 28 كم في الشمال الغربي لمدينة صنعاء . التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، جـ1 ص 134 ؛ التقسيمات الإدارية لعام 1985 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1544A3 .

(2) قراتيل : قرية من عزلة الربع ناحية همدان ، تقع على بعد 18 كم في الشمال الغربي لمدينة صنعاء ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، جـ1 ص 131 ؛ التقسيمات الإدارية لعام 1985 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1544C1 . وفي اللآلي المضية م 2/ص 151 : قراتل - وكذا في غاية الأماني 1/252 .

ورجل من شيعته يقال له المحترم بن محمد بن الدقيق ورجلٌ من خاصّته يقال له علي بن علي . وكان الشريف إبراهيم بن سليمان في ناحيةٍ أخرى فضُرب ضربةً بالسيف في وجهه فكان بوجهه منها أثَرٌ عظيم . وولّى الحشد وتبعهم عدوّهم فقُتل في ذلك اليوم من وجوه الناس عليّ بن ذعفان وقيس بن / وهيب في جماعةٍ من وجوه الناس[1] . [م ق 13ب]
وروى لي الثقة أنه كان للشريف عيسى بن عيّاش في ذلك اليوم مقام محمود ، وأنّ الشريف الفاضل عليه السّلام كان كثيراً ما يذكُرُ له ذلك المقام .

فلمّا كان في سنة ثمانٍ وأربعين وأربعمائة سنة صار الشريف الفاضل الأجلّ الكامل إلى الهرابة[2] في أهل بيته وحشمه وأطفال رسول الله صلّى الله عليه وحُرَمه وفي جميع أهل مذهبه وشيعته ورجال خلصوا إليه من أهل بيعته من صناديد العرب وخيارها ورؤسائها وكبارها وأهل الحمية وذوي الأبوية مثل جشمر بن عبد الأعلى بن الدِعام والربيع بن الروية ومنصور ومفضل وذعفان بني ذعفان[3] . ومن بني حمّاد إسحاق وحاجب ومصعب بني إبراهيم بن إسحاق بن حَمّاد ، وأحمد بن العبّاس بن الضحّاك ، وأسعد بن الأشرم ، وعبّاد بن شهاب صاحب الهجر[4] بالأحبوب ، وعيّاش بن أبي سُهيم الحارثي وأسعد بن عمر وأولاده ، وأبو القاسم بن علي الشيخ وابن عمّه مفضّل بن أحمد اللّعَويّان ، وعبد الله بن كليب بن مقيع ، وقيس بن كريف ، وأبي مسلم بن وهيب ، وإبراهيم بن إسحاق وولده الحسين بن إبراهيم في جماعةٍ من بني عمّه ، وجبيل بن أبي سعيد ، وسالم وعطاف ابني أسعد ، ومظفر بن عبد الله الغضباني ، وعلي بن عبد الله الصلي ، ذكر أنه نزل يقاتل دارعاً وهو يقول :

---

(1) ذكر مسلّم اللحجي م 4/ص 20 خبر مقتل علي بن ذعفان وقيس بن وهيب بوقعة حاز عن مفرّح « في كتابه في سيرة آل القاسم الحسينيين بشهارة » .

(2) الهرابة كما سيرد بعد ذلك حصن في بلاد وادعة . ووادعة عزلة من ناحية حوث قضاء خمر ، محافظة صنعاء . انظر : عمارة ، تاريخ اليمن ، ص 116 ؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن ، جـ 4 ص 761 ـ 762 ؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، جـ 1 ص 60 ـ 61 .

(3) خبر الهرابة في أنباء الزمن م 1/ص 152 ـ 153 ، وغاية الأماني 1/252 ، ولواحق الحدائق الوردية للزحيف ، ص 178 ـ 179 عن السيرة باختصار . وهو عن السيرة بالتفصيل في اللآلي المضية م 2/ص 152 ـ 155 .

(4) الهجر : محلة من قرية الصبار عزلة الأحبوب ناحية الحيمة الداخلية ؛ قارن بالتوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، جـ 2 ص 215 .

حلّ الحرام ما إلينا مقدم   أسيافنا البيض بها تقدم
وبيتنا الوادي وضربُ أَهْيَمُ

ومن حمير بني السدوف وبنو قريش وبنو راسان وجماعة من أهل مسور[1] وافرة . وذكر أنهم كانوا ثلاثمائة رجل مع كثيرٍ ممن لم نذكره من وجوه همدان وحمير وبنو صريم الأكثر منهم وبنو مالك[2]وبنو عبيد وبنو ربيعة[3] من وادعة عن آخِرهم وفيهم يقول الشاعر :

كذا فليكن فعل الخليط المشارك   كفعلٍ تَنَاهى من عُبَيْدٍ ومالكِ
أحلُّوا ابن بنتِ المصطفى ووصيّه   مع النجم في عالي المنارة سامكِ

وذكر أنّ جملة أهل الهرابة كانوا ألفي مقاتل منهم ثمانمائة معد فارين[4] بحريمهم ودينهم وأموالهم وضنينهم . فما كان غير المُدّة اليسيرة حتّى نهض إليه عدوّ الله وأجلب عليه المخالف والموالف ممن عقد له بيعته وبذل له نصرته . فلو أنّهم إذ خرجوا من حزبه لم ينصبوا لحربه بل نصبوا وأجلبوا والله المُجازي على ما ارتكبوا والسائل لهم عما اكتسبوا . وأحاطوا بالهرابة من كل جانب وفرّقت عليها المراكز والكتائب ، ومنعوا الماء وقتلوا بالظمأ . وأقام الحصارُ عليها سبعين يوماً جُمادى الأُولى وجمادى الأُخرى وعشراً من رجب ، ونُصبت / عليهم المجانيق والعرّادات [م ق 14أ] وحُرِس عليهم الماء ، ودهمهم من الجيوش والعساكر ما ضاقت به البلاد . فلقد روى لي الثقة أنه كان إذا ضربت الجباجب والطبول ونفخت الأبواق والنفّاطات يخيل

(1) مسور : إحدى نواحي قضاء صنعاء ، وتقع هذه الناحية ما بين ناحيتي ثلا وبني العوام ، وتقع قرية مسور في غرب الناحية ما بين :
Ƀ38 36 15° شمالاً ، Ƀ55 40 43° شرقاً على بعد 15 كم جنوب شرق حجة . انظر : التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، جـ1 ص 145 ـ 160 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1/50000، صفحة 1543B3 .

(2) بنو مالك : بطن من سحار بن خولان بن عمرو بن الحاف في بلاد صعدة . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 4 ص 687 .

(3) في اللآلي المضية م 2/ص 152 : وبني مالك وبني عبيد ابني ربيعة من وادعة .

(4) كذا في الأصل ! وفي اللآلي المضية م 2/ص 152 : منهم ثماني مائة فارس بحر يمهم ودينهم . . الخ .

إلى الإنسان أن الأرض ترتج بهم ، وأن النيار إذا أوقدت بالليل صار أهل الهرابة في مثل النهار . وبالغ أهل الهرابة في القتال العظيم والصبر الذي ما شهد مثله في حديثٍ ولا قديم . ولقد روى لي أبو عوف(*) بن سليمان أحد بني عُبيد من وادعة أنه رمى في ساعةٍ واحدةٍ في موقفه بتسعين سهماً . وذكر لي أنّ رجلاً مدَّ يده في منزله ليأكل طعاماً فأصابه سهمٌ في يده . وروى لي أن رجلاً لقي ذرفةً لماءٍ يسيل من مشرب ، فبينا هو يشرب أصابه حَجَرٌ في وجهه فاختلط الماء بالدم . وكثيرٌ من الناس قُتل في منزله بالنبل والحجارة . وتعب الناس من العطش وبلغ الماءُ كُلَّ ثمن . فروى لي رجلٌ يقال له سعيد بن بُريه من بني عُبيد أنّ رجلاً طلب شربةً من ماءٍ بماله ، وماله يسوى ألف دينار . وذكر أنّ امرأةً طلبت ماءً بمائة دينار وعشرين ديناراً . وروى لي أيضاً أنهم كانوا يقتسمون الماء بالعطبة (؟) . وروى لي يعقوب بن سليمان العبيدي أنهم كانوا يقتسمون الماء بالفتيلة (؟) . وروى لي أبو عوف أنّ ولداً له يقال له سليمان رأى سحابةً في الهواء فرفع رأسه إليها فاغراً فاه رجاء أن تقع في فيه قطرةٌ من السحاب . وروى لي أن رجلاً اشترى ملء يديه ماءً بثمانين ، وأنّ الواحد كان يطرح الحجر في فيه ويلعق الصفا لبرده ، ويمصّ الحديد لبرده . وروى لي أنه رأى ناساً مصطفّين في بيوتهم أمواتاً . وهذا قليلٌ من كثير ، والعجبُ في ذلك أنّ صبرهم والأمان مبسوط لمن أراد الخروج منهم يُلَقَّى بالماء والطعام . وروى لي رجلٌ من بني عبيد أنّ امرأةً من بني عبيد راودها بعضُ أوليائها على الخروج فقالت : لستُ أبيع الآخِرة بشَربةِ ماء(**) .

وكان الشريف الفاضل عليه السّلام صار إلى الهرابة ورفع إليها الحبوب والسلاح ، وبُنيت فيها الأبنيةُ والحيطان والخوارج والمقابلات والفحول . وكان الماء إلى جانب المصنعة في الوادي فعمل له ماجِلٌ إلى جنب المصنعة وأُجري له مفتسحٌ مستَرَقٌ في ساقية تصل بالماء إلى الماجل(***) . وعافصهم عدوُّهم علي بن محمد الصُّليحي بالخروج إليهم . فلمّا وصل الناحية وهي مصنعةٌ مقطوعةٌ في واسطة وادٍ

(*) في اللآلي المضية : ابن عوف .

(**) في اللآلي المضية : بشربةٍ من ماء .

(***) في اللآلي المضية : وأجرى له ساقيةً للماء يسترق الماء إليه .

بين جبالٍ مشرفة عليها من جميع جوانبها تصلها النبل والمواضيف وترى العين العين ويسمع المتكلم في هَون ؛ فلما وصل ضرب مضاربه وجعل جمهور عسكره مقابلاً للبـاب في مركـزٍ من ناحيـة اليمن ، وجعل أبـا الحسين بن جنـاح ، ومحمد ابن الحسن بن مروان في مركزٍ من ناحية المشرق قريباً من الخندق ، وجعل عامر ابن سليمان الزواحي[1] قبلياً في مركز / ، وجعل المنتاب بن الحسين بن المنتاب[2] في مركز غربياً . وتقدّم الزبير بن معمر الوادعي لخبرتـه بذلـك المفتَسَح فكسـر تلك الساقية وأخرب ذلك المفتَسَح وانقطع الباي(*) بأسبابه ، فكان آخر أمره أنه أصابته علة الجُذام ثُمّ قتله عسكر الزواحي في نقيلِ أثافت مراحهم إلى(**) الشام . قال رسول الله صلّى الله عليه : من أعان ظالماً أُغري به . [م ق 14ب]

رواية الشيخ الفقيه علي بن محمد بن أبي الجيش وقد سألْتُهُ عن ذلك فقال : سألْتَني يا أخي ـ وفّقك الله ـ أن أُثبت شيئاً من أخبار الهرابة وأخبارُها كثيرةٌ تطول وقد اختصرْتُ لك من ذلك عيوناً وجُمَلاً تدل على ما غاب من كثرة عجائبها وشدّة المِحَن بها . وأُعلمك أنه لمّا قَرُب القوم وصحّ أن قصدهم إلينا خرج الشـريف الفاضـل عليه السّلام بارزاً من الحصن ، وأمر الناس فحضروا إليـه فحمد الله وأثنى عليـه وصلّى على محمدٍ صلّى الله عليه وأمر الناس بتقوى الله وحَرّضهم على قتال عدوهم والصبر على ما أطلّ عليهم وأخبرهم أنه يلحقُهُم التعبُ والحصارُ والضيق ، وأنهم يُرمون بالمجانيق وأنه قد وطّن نفسه على الصبر في ذلك والموت فيما هنالك فمن كان غير موطّنٍ نفسَهُ على المـوت أوكان يخشى الفـوت فهذا البـابُ مفتوح ، فمن أَحَبَّ الخروج فليخرج فهو معذور . وبعد موقفي هذا فإنّي أُغلق الباب وآمُرُ بقتْلِ مَنْ أراد

(*) في الأصل : البابْ ـ والتصحيح عن اللآلي المضية .

(**) في اللآلي : من .

(1) بنو الزواحي : يرى البعض أن آل الزواحي من سلالة القيل ذي حوال ويجتمعون بآل يعفر الحواليين في ذي حوال ، ولا زال لهم وجود حول شبام كوكبان . بينما ينسبهم البعض إلى قرية الزواحي من أعمال حراز . انظر ، عمارة ، تاريخ اليمن ، ص 95 ـ 96 ، الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 2 ص 396 .

(2) المنتاب : نسبة إلى المنتاب بن عمرو بن علاف بن ذي أبين . . . بن الهميسع بن حمير الأكبر ، إليه ينسب مسور المنتاب . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 4 ص 720 .

الخروج ويقوّي عدونا ! فلم يَبْذُلَهُ من أحدٍ إلاّ الصبر . ثم استعاد الناس إلى حصنهم ، وقام في ترتيبهم فجعل صنوه محمد بن جعفر في شيعته وهم زهاء ثلاثمائة رجل . وهذه من إشاراته إليه منهم مائة معد وصيّرهم في وسط الحصن كتيبةً مُعَدَّةً للحملة أينما حدث وصار هو بنفسه ومن يتولّى خدمته من خاصّته ووجوه الهمدانيين والصريميين وغيرهم من أهل القوة والعُدّة والبأس والشدة على باب الحصن في صدر القتال . وقسم باقي الناس على مقدّماتٍ من الأشراف وهم : إبراهيم بن سليمان وعيسى بن عياش وصنوه الحسن بن جعفر في سائر مقابلات الحصن وأطرافه في بني عُبيد وبني مالك . ثم إنه بلغ إلى صنوه وشيعته أنّ أهل الباب تكلّموا وقالوا : صَيَّر أخاه وشيعته في وسط الحصن وقدَّمنا للفتنة[1] ! فغاظهم ذلك وأتوا إليه فقالوا : نحن نريد أن تجعلنا بهذا الباب وصدر الفتنة وتجعل هؤلاء الرجال مكاننا ففعل ذلك ونقلهم إلى الباب وتأخّر بمن معه إلى وسط الحصن فتعب من ذلك الهمدانيون وَمَنْ معهم من وجوه الناس وسألوه أن يردَّهُم إلى الباب فكره الشيعة ذلك ، فقسم الكلّ منهم على الباب وفي صدر الفتنة وكان في المقابلات موضعٌ هو أعسرها وأقربها من العدو وأضرّها ، وهي عارضة قبلي الخندق وَمَنْ صار بها ولزمها لم يحل سلاحه ولم يزل منقبضاً في جُنته / متّقياً على وجهه ليلاً ونهاراً ، فمن جعل من القبائل بها مال [م ق 15] عنها ولم يستقم بها . فلما رأى الشريف الفاضل عليه السّلام ذلك لم ير أنه يجعل في ذلك المكان غير أخيه محمد بن جعفر وشيعته فنقلهم إلى ذلك الموضع ، واستقام الناس في مواضعهم ، واشتدّ الحرب وملك القوم علينا الماء ليلاً ونهاراً ، وقرب الناس بعضهم من بعض واشتدّ القتال من أجل الماء فلا نحطّ سلاحنا ليلاً ولا نهاراً ولا نخلو طول إقامتنا سبعين يوماً من قتال ، < وصبرنا لهم على كثرتهم فلم يكن يثقل علينا قتالهم >[*] ولا تهولُنا كثرتُهم . فلقد رأيتُ يوماً وقد تقدّم الأمير محمد ابن جعفر في نفرٍ من شيعته كنتُ أحدهم إلى موضعٍ لزمنا فيه القتال وعسر علينا الرجوع من كثرة النبل والحجارة فجلس الأرض وجلسنا حوله وسقفنا الجُنَن من فوقه . ورمانا القوم بما قدروا عليه من النبل والحجارة فكانت الحجارة تصير فوق الدرق رزماً ،

(*) ما بين الحاصرتين عن الهامش الأيمن من الصفحة .

(1) يستخدم الكاتب « الفتنة » بمعنى القتال ، في النصّ كلّه .

وتضعف اليد الواحدة من لزوم الجنة فيطابق الرجل يديه في مقبض جُنّته ثم تسحسح الدرق فتنزل الحجارة ، وتكسّر كثيرٌ من سيوفنا . إلا أنّا كُنّا أهل عُدّةٍ حصينة ورأيتُ النبل قد كسرتها الحجارة فصارت رِماماً . ولقد رأيتُ أهل الحصن يوقِدون القداح لكثرتها ، فما زلنا في موضعنا ذلك حتى مَلَّ(*) القوم منا وانصرفوا عنا ؛ فيذهب الواحد منا ليقوم فلا يستطيع لكثرة الحجارة حتّى نبرحها(**) عنه .

ولما تعب الناس من العطش التأم جماعةٌ منهم وتواثقوا على النزول وورود الماء عزاً فنزلوا وقد جعلوا منهم من يستقي ومنهم من يقاتل فأزالوا القوم عن الماء واتّردوا شكلاً من خمسمائة قِربة . فلما نجح(***) ذلك الماء اشتدّ على الناس العطش وانقطع عنهم الماء إلّا ما يأتي من المطر الشيء اليسير بعد العشرين يوماً أو أقلّ أو أكثر فيشرب الناس منه اليومين والثلاثة الأيام . وكان القوم إذا وقع علينا المطر أجمعوا لنا بالقتال وشدّوا بالفتنة لأن يشغلوا الناس عن طلب الماء من المشارب والسطوح والوقاير . ويتوخون أيضاً قتال الناس في الهواجر ووقت الحرّ لقدر ما يعرفون من تعب أهل الحصن في النهار من شدة الظمأ . وكان يدوّلون القتال أثلاثاً ثلث يقاتل يوماً وليلة . وماتت الخيل والبهائم ، وكان صبر الفرس عن الماء اثني عشر يوماً ثم تموت عطشاً . وصارت البهائم تأكل بعضها بعضاً ثم ماتت فما كان السائر يسير إلّا على جُثثها(****) . وقد غشي الأرض حيتانها ودخلت البيوت حتى صار الناس يكنسونها عن البيوت . ورأيت الشريف الفاضل عليه السّلام وقد بذل لمن ينزح ما على باب داره خمسة دنانير فما وجد أحداً . ورأيت غُدُراً كانت في الحصن من حيث كان الناس يأخذون التراب قد امتلأت من جيف الحيوانات وقد تحيّر فيها من المطر ، فرأيت الناس يميلون تلك الجيف ثم يتخذون ما قد حصل من الماء / [م ق 15ب] تحتها وما سال من صديدها مختلطاً أسود كأنه القطران فيشونونه(*****) عن

(*) في الأصل : مال .

(**) في اللآلي المضية : نزيحها.

(***) كذا في الأصل وربما كانت صحة الكلمة : نزح .

(****) في الأصل : خففها . وفي اللآلي المضية : جيفها .

(*****) في اللآلي المضية : فيشيبونه .

الحيتان والشعر وإنهم ليتلثّمون من نتن رائحته ثم يجعلون فيه تراباً أبيض ليقلب لونه ويطبخونه بالنار ثم يلزم الإنسان على أنفه ويتحسّاه فإذا صار في بطنه تقيأ منه حتى يكاد ينتزع نفسه . قال عواض بن رميد(*) : أنا ممن شربه هنالك ! وكثيرٌ من الناس شرب بولَهُ ، وبلغ الماء كلَّ مبلغٍ في الثمن . وغاية ذلك أنّ الرجل كان يطلب بجميع ما يملك شربةً من الماء فلا يَقدر عليها ! ورأيتُ الناس يشرفون الماء فينظرونه ثم يبكون وينتحبون وإنّ الماءَ لغير ممنوعٍ عمّن أراد الخروج لكن صبراً لله واحتساباً في سبيل الله . ثُمّ كثر الموت في النّاس والأطفال من العطش < وأيقنوا بالتلف>(**) فعادوا يخرجون إلّا من وثق بدينه وكثرت معرفته لربه .

فلمّا رأى الشريف الفاضل عليه السّلام ما نزل بالناس عاد لا يمنعهم من الخروج ولا يأمرهم به ورأيته يجعل درعه على قلبه يتبرّد به ، ورأيته وقد أتيتُهُ بقليل ماءٍ وهبه له بعض الناس فقال : إني عهدتُ فلاناً ـ خادماً له ـ على موتٍ على الباب فامض به إليه ففعلْتُ ما أمرني به وهو إليه محتاج لكنْ آثره به . وروى لي سلامةُ بن علي أنّ رجلاً كان يقال له عامر بن يوسف من بني صريم بقي عنده سببٌ من ماءٍ واشتهر موضع ذلك الماء فهجم عليه جماعةٌ وغاصبوه عليه فصاح وخرج فأغار إليه رجلان من الشيعة أحدهما سلامة بن علي فأصلحا بينهم بشيءٍ من الماء فسقى سلامة بن علي وصاحبه من ذلك الماء لموضع عنايتهما معه وأعطاهما شيئاً منه فمضى به سلامة بن علي حتى وصل به إلى الشريف الفاضل عليه السّلام ليشربه فقال : ومن أين هو ؟ فقصّ عليه القصّة فقال : هذا الحرام الذي لا يحلُّ ! أُردُد إلى الرجل ماءه وأعطِياه قيمة ما شربتما له ! فلم يكن غير ما أُمر به .

قال : وكنتُ أرى الناس يختبئون الحجارة من الليل فيجعلونها على قلوبهم يتبردون بها وكذلك الدروع وما أمكنهم من الحديد . ورأيتني يوماً أجعل درعي على قلبي شيئاً شيئاً حتّى عاد كله حارّاً كأنه أصابه رمض . ولما لحق الناس ما أتعبهم وكثر موتهم وأشرف الناس على الهلاك بأجمعهم خرج الناس إلّا القليل ممن اختار الموت

(*) في اللآلي : عواص بن رسد .

(**) عن الهامش الأيسر من الصفحة .

على الحياة والآخرة على الدنيا ولم يبق في الحصن ممن فيه حركة أو يستطيع مدافعةً إلا زهاء مائة رجل أو نحو ذلك مع ضعفٍ في أجسامنا وتعبٍ من العطش الذي قد نالنا . فلمّا رأى ذلك القوم وأيقنوا بضعفنا وقلتنا مع أنهم قد كانوا هدموا بالمجانيق وجوه الحصن عزموا بالدخول(*) علينا قهراً مكاسرةً وجعلوا حملتهم علينا في نصف النهار يتوخّون وقت تعب الناس من العطش . واجتمعوا من جميع مراكزهم وحملوا علينا من جميع النواحي حملةً واحدةً والناسُ في غفلة وشدة القائِلة فدخلوا علينا من [م ق 16أ] الأبواب باباً / ولزمنا عليهم الباب الثاني ولزمنا جميع مداخل الحصن من أعلاه . ووصل الناس بعضهم بعضاً في جميع المقابلات ، وكثر الرهج والهرج < حتى >(**) يخيل للإنسان لكثرة الريح والنفاطات والأصوات ووقع الحجارة والأوضاف أن الأرض تزلزلت(***) .

فلما صار الأمر كذلك أمر الشريف الفاضل عليه السّلام فأحضر إليه من كان عادةً في الحصن يستطيع حمل السلاح ، فاجتمع إليه زهاء عشرين رجلاً فخرج بهم وهو في أولهم فانهزم القوم بأجمعهم من جميع المقابلات ووقع فيهم القتل وتحيد منهم كثير واضطربوا في مراكزهم وعاد الأول إلى الآخر بعد أن قام أميرهم عن مجلسه ولقيهم بوجهه يقرّعُهُم بالكلام ويقول : والله لو كان في بطون هؤلاء وقيّة مَاء ما رجع إليَّ منكم أحد ! فاستعادوا إلى القتال إلى آخر النهار وشدّوا في القتال لأن يستخرجوا قتلاهم فلم يقدروا على ذلك حتى سألوا أن يفسح لهم في حمل قتلاهم ففعلنا وافترق الناس ونحن أهل سلامةٍ ونصرٍ من الله ومعونة لم يُقْتَلْ منا أحدٌ ولم يُصبنا من الجراح متعب .

ولما كان ثاني ذلك النهار أتى إلينا رجالٌ من بني بَحير(1) فنادوا إلى الشريف

(*) في اللآلي : على الدخول .

(**) عن اللآلي المضية .

(***) في الأصل : تزلزل ، وما أثبتناه عن اللآلي .

(1) في الأصل : يَحير بفتح الياء المثناة وكسر الحاء : اسم قبيلة وعزلة من خبان رعين ، وفرقة منهم في مخلاف ذي مازن بالقرب من صنعاء ؛ قارن بالهمداني ، صفة جزيرة العرب ، جـ 3 ، ص 202 ، ح 3 نفس الصفحة ، لكننا فضّلنا قراءتها : بَحير - في كل المخطوطة .

عيسى بن عياش فواجههم وهم أهل محبةٍ وشفقة . فلما صار معهم قبضوا عليه وصاروا به إلى أمير القوم يتوخّون بذلك سلامة أهل الحصن وكان خروجه عن غير رأي الشريف الفاضل ، فلما صار إلى أميرهم فرح به وحيّاه وكساه وأعطاه أماناً لأهل الحصن على الخروج منه بأنفسهم وحريمهم حيث أحبوا من أرض الله ثم استعاد إلينا وحقق ما جاء به من عندهم للشريف الفاضل عليه السّلام فلم يُعِد عليه جواباً ، وقام بنفسه جانباً ، وأمر لمن بقي معه في الحصن فقال(*) : من عاد يصبر معي على الموت فيبايعني؟ فبايعه جميع من بقي وهم زُهاء مائة رجل وأقلّ من ذلك وأمر أخاه محمداً فتقدّم بهم للزوم الباب ففعلوا ذلك وقد كان قبل ذلك جمع أصحابه وشيعته ومن كان من أهل محبته فقال : كيف طاعتكم لي وامتثالكم لأمري ؟ قالوا : نموت بين يديك ! فقال لهم : هذا أخي فما أَمَركم به فأطيعوه وما رسم عليكم فاتّبعوه فأكْرِموه لإكرامي فقد أقمْتُهُ مقامي ! وهذه من إشاراته ، عليهما جميعاً السلام . قال : ثم خلا الشريف الفاضل في موضعٍ وأحضر بني عمّه وخواصّه فقال لهم : ما تَرَون فيما جاء به هذا الشريف ؟ فصرفوا الرأْيَ إليه فقال : لو كان هذا يصحُّ لقبلناه ولكن ما أرى أنه يصح فأجمع رأيهم على المشاورة لبعض سلاطين القوم والأخذ لما عندهم . والتقى منا رجالٌ ومنهم رجالٌ واشتوروا على أن يصير كُلُّ شريفٍ منا إلى سلطانٍ منهم ويمضون جميعاً إلى أميرهم ففعلوا فكان من كلام أميرهم أن قال : اعلموا أني أخاف هذا الشريف / فإنْ واجهني فلكم ما تحبون وإن لم يواجهني [م ق ١٦ب] فلستُ آمَنُهُ ولا أُسْعِفُ لكم ما تطلبون ! وأحسن إلى مَنْ وصله منّا ورجعوا إلينا ، وكان في الليل وقد وُجد في بيتٍ قليلُ ماءٍ فأَمر به الشريف الفاضل عليه السّلام أن يُقسم على الناس فقسم بالقوارير وأَخَذْتُ له نصيبه كأحد من قسمنا له وشيئاً من قلي شعيرٍ وقليل زبيب وأَتيتُ به إليه لعلمي بتعبه وذلك على نصفٍ من الليل وهو على باب الحصن في نفرٍ من أصحابه يحترسون الباب فإذا هم نيامٌ حوله وهو جالسٌ بنفسه محترسٌ من عدوه فقلتُ له : هذا نصيبُك من الماء فَشُدَّ به نفسك وبشيءٍ من هذا الزبيب والقلي فأخذه بيده وأطرق ساعةً ثمّ رفع رأسه إليَّ وقال : خذ هذا الماء

(*) في اللآلي المضية : من بقي يصبر معي على الموت ؟

وآمض إلى خادمي ميمون فإني عهِدْتُهُ إلى آخر نفَسَه ففعلْتُ . فلمّا أصبح وصل الأشراف وهو جالسٌ في موضعه لم يتحول عنه فجلسوا بين يديه وأعلموه بما واجههم به أميرُ القوم وأنّه لا يعذره عن مواجهته . فقال لهم : لا بُدَّ لنا من أحد أمرين إمّا خرجْتُ إلى القوم وفديتُكُم بنفسي فليس طلب القوم غيري ، وإمّا صبرنا وقاتلْنا حتّى نموتَ عن آخِرنا دون حريمنا فأيّ الوجهين ما شئتم ؛ فاختاروا ! فقال الكُلُّ منهم : نرى أنّ المواجهة أصلحُ للجميع منا ! قال : فآدعوا إليّ جميع من < عاد >(*) معنا من الناس ، فلمّا حضروه قال : أيها الإخوة لم يعذرني هذا الأمير عن مواجهته وأنتم فتمضون معي يكون لكم ما لي وعليكم ما عليّ . فقام حشمر(**) بن عبد الأعلى بن جناح رحمة الله عليه فقال : الرأي أن تقف الجماعةُ مع هذا الحريم وتمضي أنت فتسأل فيهم وفي صيانتهم وسلامتهم . فقال : هو الرأي . وقام من موضعه متجهِّزاً للخروج فخرج إليهم من ساعته وإنّ كثيراً من الناس ليبكون من خروجه إلى عدوّه .

فلمّا خرج الشريف الفاضل عليه السّلام أشاح القومُ لخروجه حتّى إذا دنا من مضرب علي بن محمد الصُّليحي نهض فآستقبله ماشياً ولقيه حافياً . ثم قَدّمه وعظَّمه وخلع عليه وأكرمه وتكلّم بكلامٍ فيه توبيخٌ وتعنيفٌ وتذكيرٌ وتوقيف . وذكر استنجاد الشريف عيسى بن عيّاش من الحرمين ، وخروجه إلى بني الحسن والحسين . وقد كان خرج الشريف عيسى بن عياش إلى مكة مستنجداً شكر بن أبي الفتوح[1] وبني الحسن فما أُنجد بمالٍ ولا رجال ، وانقلب من هنالك . فقال الشريف الفاضل عليه السّلام : مهلاً أيها الأمير ! فقال : إذا لزمت حُسامي وسِناني فدعني ولساني(***) . ثم أمر أحمد بن مظفّر بلزوم الحصن وحفظ ما فيه من الحريم وغيرهم

(*) فوق السطر بقلم مخالف، وبجانبها علامة (صح) .

(**) في اللآلي : حشم .

(***) فوق السطر : وكلامي ، وبجانبها علامة (صح) .

(1) شكر بن أبي الفتوح الحسن بن جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن . ملك مكة والمدينة أحياناً زهاء ثلاث وعشرين سنة . ومات سنة 453 هـ . وانقرضت به دولة السليمانيين بمكة وجاءت دولة القواسم لأن والده لم يولد له غيره ، وهو لم يولد له . قارن بالعقد الثمين للفاسي 4/14 ـ 16 . وانظر مقدمة ماديلونغ على هذه النشرة للسيرة .

من أهليه . فنهض إليه فلزمه ومال العسكر إلى الحصن واقْتحمه .

فلما رأى أميرهم ذلك نهض بنفسه إلى الحصن وصار فيه وهنالك الأمير محمد بن جعفر وحريمه وذويه فردّ علي بن محمد العسكر جميعاً عن الحصن وجعل يدور فيه وقد التثم لِعِظَمِ ما فيه من نَتَن الميت / وروائحها ويتعجّب ويقول : هكذا [م ق 17أ] والله الصبر ! وسمعْتُ الشريفَ الفاضلَ يقول ، سمعت الصُّليحي يقول في حصاره لابن الكِرندي[1] : ليس فلان بأعزّ من هذا الشريف ولا رجاله بأصبر من رجال الهِرابة ! وذكر بعضُ أصحابنا أنه سمع الصُّليحي يقول : لوكان لي مثل رجال الهرابة لدخلْتُ بهم العراق[2] ! قال : ثم أمر الصُّليحي بما كان في دار الشريف الفاضل فحُمل إليه إلى حيث أَحَبّ ، وأطلق له من السلاح عشرة أدراع وعشرة أسياف . وأطلق لجميع أصحابه سلاحهم وما يقدر الواحد أن يحمل هو وحريمه .

قال الشيخ الفقيه علي بن محمد : ثم إنّي استوحشْتُ لفراق الشريف الفاضل فتخلّيْتُ حتى وصلتُ إليه إلى مضربه فسمعْتُهُ وقد أرسل ربيعة بن فلان الجوبي إلى علي بن محمد الصُّليحي يقول : ما أرادني به من صيانة ففي صنوي وحريمي حتى يخرجوا في سترة فيأمر الأمير خدمه ينزحون العسكر من الطريق . فيقول : أنا أُجِلُّهُ وأُجِلُّ حريمه أن أُرسل خادماً ولكن السلاطين بأنفسهم أُرسلهم فأُرسلهم . وأمر بثلاثين بغلة فقُدِّمت للحريم ، وقدم بهم الأمير محمد بن جعفر في وجهٍ من الليل إلى الحصن . ثم إنّ عليَّ بن محمد الصُّليحي أمر بهدم الحصن ورفع ما فيه من السلاح وغير ذلك .

ولما صار الشريف الفاضل عليه السّلام معهم وحيداً فريداً من شيعته وأهل محبته وصحبته ولم يبق معه إلاّ سلامة بن علي ، وكان رجلاً مؤمناً نقياً لطيفاً عفيفاً

---

(1) بنو الكرندي : قوم من حمير كانت لهم مكارم ومفاخر وسلطنة قاهرة ودولة ظاهرة ، وكانت دولتهم في مخلاف الجند ومخلاف المعافر ، ومن حصونهم السوا والدملوة وذخر والتعكر . انظر ، عمارة ، تاريخ اليمن ، ص 86 ـ 87 ، واللآلي المضية ، م 2/ص 155 .

(2) ذكر يحيى بن الحسين هذه العبارة على النحو التالي : « لو ملكت رجال الهرابة لأخذْتُ بهم الروم » ؛ انظر : غاية الأماني ، جـ 1 ص 252 .

فكان يتولّى خدمته في طعامه وشرابه وطهوره ولحافه . وكان لا يـركن إلاّ إليه ولا تطيبُ نفسُهُ إلاّ عليه . فلما وصلْتُ إلى ما لديه قال : قد صرتُ مع هؤلاء القوم منفرداً من الأصحاب والأهل والأحبابِ ولا أدري إلى ما تؤول الأمور . وأنا أُحِبُّ تصحبُني مع أخي سلامة فإنْ عشتُ آنستُماني وإن مِتُّ أومرضتُ كَفَلْتُماني . فأجبْتُه إلى ذلك وعدتُ منه أُوصي بأهلي وحريمي فأصابتني الحُمَّى فأرسلت إليه أعـتـذر . ورفع القوم إلى صنعاء وهو معهم .

رواية الشيخ سلامة بن علي :

سألته عن أخبار مصير الشريف الفاضل عليه السّلام وكان به خابراً وعلى جميع أموره التي امتُحن بها الشريف صابراً مؤازراً فقال : إعلم أنّا لمّا نهضْنا مع القوم إلى صنعاء وصرنـا بعجيب قدّمـوا الرسُـل إلى صنعاء وأمـروا لنا بتخليـة دار إبراهيم بن أبي سلمة في السِرار(1) . وأُمرتُ أنا وأحمد بن طريف بالتقدم فتقدمنا حتى لزمنا الدار . وكان أحمد بن طريف هذا مولىً لآل القاسم ذا عقلٍ رصين وأدبٍ ودينٍ ، فوصلْنا إلى الدار وأقمنا بها في أحوالٍ ضيِّقةٍ يخوِّفُنا إبراهيمُ بن أبي سلمة هذا بوصول الشـرّ إلينا ويضيّـق في المنزل والكفاية علينا . وكانت كفايتُنا على يديه من أميـرهم . [م ق 17ب] وأظهر لنا من الغلظة والأذى ما ليس لأميرهم به علم . / فرأيتُهُ ليلةَ عيد رمضان وقد أُتي بطعامٍ مأدومٍ بعدس ، وكـان الشريف عليـه السّلام إذا أكله مـرِض . فلحق الشريف الفاضل منه اضطرابٌ في بدنه . فلمّا كان بكرة عيد الفطر بكر إليناسبأ ابن أسود يأمرنا بالتجهُّز للصلاة معهم وحضور عيدهم فوجد الشريف شاكياً . فبحث عن سبب ذلك حتّى آطّلع عليه من بعض من في الدار فعاد بذلك إلى أميرهم فألحق إبراهيم بن أبي سَلَمة مَعَرَّةً لذلك وأَدَباً .

ولما كان بعد ذلك بأيام أتانا إبراهيم بن أبي سلمة قال : يا شريف أرى لك

---

(1) السرار : قرية من عزلة موهب ناحية السودة قضاء عمران . والسرار : قرية من عزلة شعب وهزم ناحية أرحب قضاء صنعاء . ويبدو أنها المَعْنيّةُ في النص . انظر ، التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، جـ 2 ص 298 ، والتعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، جـ 1 ص 92 ، والتقسيمات الإدارية لعام 1985 ، ناحية أرحب .

الدخول في العهد والإمامة إن أردت أن تسلك بنفسك سبيل السلامة ولو اطّلعْتَ على ديننا لشاقك أو ظللت على مذهبنا لراقك . فقال له الشريف الفاضل عليه السّلام : يا أبا فلان ! الغاية الموت يأتيني ، ولستُ والله أُبالي بالموت على ديني ومعي درهمٌ قد نقدتُه لنفسي ثم عرضتُهُ على النقّادين حتّى صحّ لي أنه درهم رصين ، ثم لويتُ عليه أخياطاً وأوثقْتُهُ رباطاً ، ولستُ أرضى به بديلاً ولا أعرفُ له عديلاً . فأغلِقْ عني هذا الباب واَقطع عنّي فيه الخطاب . وأقمنا عنده في أمور صعبة . قال : ثم سد(*) لأميرهم مخرج والشريف الفاضل هنالك مقبلٌ على عبادة ربّه غير متأسّف على ما ناله في جنبه ، قد أوجب على نفسه أن لا ينام ليلاً ولا يفطر نهاراً . فهو يظلُّ نهاره صائماً حتى إذا كان وقت الزوال أسبغ وضوءَه وصلّى ثُمّ قعد في محرابه حتّى إذا صلّى المغرب والعشاء الآخرة أثبتُ له مصباحاً فلا ينام حتّى يقومَ إلى صلاة الفجر صباحاً . فكان ذلك دأبه رحمة الله عليه . ثم إنّ جماعةً من سلاطينهم أتوا إلى الحُرّة(٦) في غيبة أميرهم فقالوا لها : إنّا قد عرفنا أنّ هذا الشريف يعمل في الخروج ، وقد اشتُريت له حبال يدلى بها من الدار وهو دائبٌ يعملُ مُفتَسَحاً(**) قبليّ محرابه في الجدار . قد أسدل عليه حصيراً وأرسل لفرسٍ لابن عمّه داود وهو فرسٌ سابقٌ لا يلحق به لاحق وهو واصلٌ إحدى لياليه . فآنظري ماذا تأمرين فيه ! فما شعرنا حتى دهمتنا عصبة زهاء ثلاثمائة رجل ونحن عن ذلك غفول ، فأقاموا يحترسون علينا الدار محيطين بنا في الليل والنهار ؛ إذا خرجْتُ لآتي له بوضوئه من جانب الدار سار معي رجلان حتى أعود . وكان إذا خرج بيت الماء اكتنفه أربعةُ رجال ؛ حتى يحيطون ببيت الماء إلى أن يعود . ثم يقوم إلى وضوئه في جانبٍ من الدار قد أصلحته له مطهراً ، وحجبْتُ له بعضه مقعداً مستتراً فيبيتون حولنا نياماً وقياماً وهم لا يرون له طول ليله مناماً . فما زالت تلك حالتنا حتى كان من حال هؤلاء السلاطين حال أرادوا به هلاكنا فسبَّب الله به من أيديهم فكاكنا . وراودوا الحُرّةَ على قتل الشريف فلم تُسْعِدْهُم . وأرسلت إلينا / سبأ بن أسود .وكان موكَّلاً بافتقادنا وقصّت عليه القصّة بما ذكروا لها [م ق 18أ]

(*) كذا في الأصل ، وربما كانت صحتها : بدا .

(**) في الأصل : فستحاً .

(٦) هي السيدة أسماء بنت شهاب الصُليحي زوجة علي بن محمد الصليحي ووالدة ابنه المكرم .

من مرادنا فوصل إلينا وقَصَّ القصّة علينا ، ثم اطّلع على ذلك الحصير الذي ذكروا أنه مغطًّى به على ذلك الحفير في قبلة محراب الشريف الفاضل . وإذا ما ذكروا له من ذلك المفتسح باطل . ثم سألنا عن شراء الحبال ؟ فَعَرَّفْناه أنّا اشترينا حبلاً لنمدَّ عليه ثيابنا عند الغسّال . فعاد من فوره وقصّ القصّة عليها . قالت : فما الرأي تراه ؟ قال : تكتبين إلى الأمير وتطالعينه بالصغير والكبير ، وأنا آخُذُ هذا الشريف إليّ وأشهد لكم بضمانه عليَّ ! قالت : فإن كان منه ما ذُكر من الحال ؟ قال : سلَّمْتُ الولد والنفس والمال ! قال : ثم رَفَعَنَا سبأٌ إلى منزله وأخلى لنا داراً واسعةً بفرشها وجميع منافعها ، ووسّع علينا في الكفاية ، ورفع عنا الحرس وقال : انفسحوا ليلاً ونهاراً ، واذهبْ أنت يا سلامة أنّى شئتَ ومتى شئتَ ، واقض للشريف حوائجه في الليل والنهار ، واغسل ثيابه خارج المدينة على الغيل .

ثم كتبت الحرة إلى أميرهم كتاباً فما جعل لكتابها غير وصوله جواباً . فلمّا وصل أمَرَنا سبأ أن نصل إليه ونسلّم عليه فقُدّمت للشريف بغلة فركبها ووصلنا إليه وهو في مجلسٍ له رفيع ، فلمّا رأى الشريف الفاضل استقبله ماشياً ، ولقيه حافياً ، وقدّمه وأكرمه ، وبَجَّله وعَظَّمه ، والحُرّةُ في بعض البيوت التي أمامنا تسمع مناجاتنا وكلامنا . ثم أقبل أميرُهُم يعتذر للشريف الفاضل فيما لحقه من التعب وقال : يعزُّ عليّ والله يا شريف ما نالك من الضيق ، وما أُمِرْتُ من ذلك بجليلٍ ولا دقيق . وأنا أشكر إليك هذه الحُرّة فلقد حُمِلت على ما يسوؤني فيك فما أُسعدت من حملها عليه . فشكر لها الشريف الفاضل ما أسدت إليه . ثم قال: يا شريف كلّ ضيقٍ لحقك من قبلي فهو خوفٌ لك . فقال الشريف : أيها الأمير نَظَرٌ في الخبر خيرٌ من ألف خبر ، إني لم أُبْقِ في مقاتلتك شيئاً قدرتُ عليه ولا حالاً وصلت إليه . ولقد استحللتُ في ذلك بيع الوصايا جمعاً ، وأخذ أموال الناس كرهاً وطوعاً ، ولو قدرتُ على أكثر من ذلك لعملتُهُ ، ولو استطعتُ أن أستأصل شأفتك لفعلتُ ! وقد صرتُ على هذا الحال ولستُ أستحسنُ أن أقابلك من القول بالمُحال . قال الصُّليحي : والله لقد زادك كلامُك هذا عندي رفعةً ولو تكلّمْتَ بغير هذا ما عددتُهُ منك إلاّ خدعة . ثم عاد من عنده وقد خلع عليه وأجمل وأعطى وأجزل ، فرحنا إلى منزلنا عند سبأ فلبثنا هنالك ما شاء الله . ثم رفع إلى الصُّليحي بغتةً وليس لنا برفعها خبر ولا

دِرْيَة فأرسل إليَّ سبأ بن أسود يقول : لستُ أشتهي أن يكون مع الشريف أحدُ من شيعته وأنا أُعطيه خادماً يتولّى ما يحتاج إليه من خدمته /، ويقـرِّب إليه طهـوره، [م ق 18ب] ويكفيه أموره، ويروح صاحبه هذا . فشقّ ذلك على الشريف الفاضل، ولـم نجد بُداً من إنفاذ الأمر الواصل . فلبث الوصيف عنده أياماً وهو لا يُحْسِن بأحواله قياماً . فلما رأى الشريف الفاضل ذلك أرسل إليه وعَوّل عليه في وقوفي عنده وعَرّفه أنّ الوصيف ما ينفعه فأسعف ما كان من سؤاله وأغفل كُلّاً مِنّا على حاله . فلمّا كان بعد ذلك بمدة أجرى مع الشريف كلاماً وقال : قد اختبرتك باطناً وظاهراً، وبعثْتُ عليك العيون سراً وشاهداً، واحترستُك في جميع الأحوال فما وجدْتُ عليك زَلّةً في فعالٍ ولا مقال . قال : ثم إنّ عليَّ بن محمـد الصُّليحي أمر أن يكـون عند سلطانٍ من سلاطينه شهراً فأجملوا فينا غاية الإجْمال .

قال مفـرّح بن أحمد ؛ سمعت الشريف الفاضل يقول ؛ كنت في دار ابن مروان فأتاني غلامٌ لستُ أعرفه فقال : يا شريف ! قد أجمع هذا الأمير على سراحك بعد أن اشتور خاصته فمنهم من قال اقتله، ومنهم من قال أرسله . فقالت الحرة : إن قتلْتَهُ قامت عليك الرعية، ونفرت عنك قلوبُ البرية ؛ وقد عمل فيكم على رأي الحُرّة وهو يرسل لك بكرة غدٍ فإذا عرض عليك السراح، وفسح لك في الرواح فهو يختبرك بهذا الكلام ؛ فعرِّفْهُ أنك راغبٌ في الجلوس في حضرته والمقام . فلما كان من الغد وصلت الرسالة فوجد الشريف الأشياء على ما وصف له الغلام .

رواية الشيخ الفقيه علي بن محمد بن أبي الجيش قال :

ولما كان في المحرَّم من شهور سنة خمسين وأربعمائة سنة عزم الصُّليحي على النهوض لفتنة الكرندي يعفر بن أحمد ومحاصرته على حصن[1] السوا أجـرى مع الشريف الفاضل كلاماً فقال : يا مولاي الشريف ! اعلم أنّ الناس يخوّفونني بك وأنا والله أخافك، ويقولون لك جاه، والناس يجيبونك ويملّكونك أموالهم وأنفسهم وأنا أُحِبُّك وأشتهي ما سرك، وأكرهُ ما ضَرَّك ! وقد نظرتُ في أمري وأمرك فإذا لك أصل

(1) حصن السوا : هو ما يسمى قلعة خولان، والسوا عزلة من ناحية المواسط قضاء الحجرية . انظر ؛ عمارة : تاريخ اليمن، ص 86 ح 1 ؛ والتوزيع السكاني في محافظة تعز، جـ 1 ص 96 ـ 100 .

وفيك ديانة ولك مروءةٌ وأمانة . وهذه أفعالٌ سَنيّةٌ ، وهذه الأوجه لا تحملُك لي على قبيحٍ تُسِرُّ به مع جميلي إليك الذي أُوليه وهذه صنعاء إن أحببْتَها فَرّغْتُ لك بعض دوري أو دور سلاطيني وبسطْتُ لك ما أحببت من مالي ومضنوني وأنت على دينك وأنا على ديني . وإن كرهت ذلك فَرُحْ إلى منزلك وأولادك وحيث تحبُّ نفسك من بلادك ! فقال الشريف : يا مولانا الأمير أمّا ما ذكرْتَ من تخويفهم لك بي فقد أنا في يدك فافعل ما يؤمّنك عني ، وأمّا قولهم أنّ لي جاهاً وأنهم يحبوني ويملكوني أموالهم ونفوسهم ويطيعوني فلست أُنكِرُ ذلك بفضل الله لأنّ جدّي رسول الله صلّى الله عليه ؛ وأنا أعلم أن أحداً من أهل اليمن لا يقدر على معارضتك غيري . وقد بلغْتُ [م ق 19أ] في معارضتك إلى غاية أمري . ولست أُغترُّ بعد المعرفة بما قد نظرت / ، فلا أعلم أني أقدر على غير ما قد كنتُ قدرتُ . وأنت مقبلٌ عليَّ بجميلك وإحسانك ولست أميلُ عن حضرتك ولا مكانك ، إن نزلتَ نزلتُ ، وإن آرتحلْتَ ارتحلت .

فلما سمع الصُّليحي مقالة الشريف الفاضل قال : يا شريف إذا كان ذلك بمرادك وطيبٍ من نفسك أمرتُ بفرسٍ وبغلةٍ وحمولٍ وكفاية . وحمله في عمّاريّة إلى جنب عمّاريته ، وخرَّج عساكره وأجناده وسلاطينه وقواده طريق اليمن . وخرج في خاصته وخيله وكتائبه وخدمه وحسانه وجميع ثقله طريق زبيد فسرنا منقلتين وهجَّرْنا في الثالثة بوادٍ كثير الحر قليل الماء . وتعب الناس من العطش فأمرنا مولانا الشريف الفاضل وقد حضرت الصلاة فجمعنا له من إداوتهم التي يشربون بها قليل ماءٍ فطهّر به ونهضنا المنقلة الرابعة فأشرفنا على عمد الصلى(*) فلقيه أهل البلد فأمرهم بالمسير بين يدي الشريف ، ونهضنا المنقلة الخامسة فهجّر الثانية بوادي الحلفا(**) وهو وادٍ كثير الأنهار والأشجار فبُسط لأميرهم تحت شجرةٍ مِهادٌ جلس عليه

(*) الصُّلى : بفتح الصاد المهملة المشددة ثم لام وياء موقع بالقرب من جبل برع . وعمد الصلى قرية على طريق صنعاء ـ حراز ـ زبيد وبجوارها موضع يسمى البرطسة كان بريداً للجمال تأوي إليه ومنه تكتري . انظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 122 ؛ مجهول : السيرة الصليحية ، ص 59 ؛ عمارة : تاريخ اليمن ، ص 94 .

(**) الحلفا بالقرب من عمد الصلى . يقول مؤلف السيرة الصليحية : إن الأمير المكرم نهض من العمد في يوم الخميس ونزل بالحلفا ثم نهض يوم الجمعة يريد المقصع . انظر ، السيرة الصليحية ، ص 60 .

وأخذ بيد الشريف فقرّبه إليه ثم جعل يسأله وفي الدين يجادله فاقتربْتُ أنا والشيخ سلامة بن علي إلى جنب الشريف لنسمع خطابه وما يكون من ردّ جوابه . فقال له الصُّليحي : يا مولاي الشريف أنت من معدن الرسالة والنبوة وسلالة الإمامة والوصية والناس يطيعونك ويقلدونك أديانهم ويتبعونك ، ونحن نشتهي الحديث في أدياننا والبحث عن حُجّة زماننا . فقال له الشريف الفاضل عليه السّلام : أيها الأمير يعز عليّ حالك ولا يحسُنُ لي جدالك ، وليس هذا موضع خصام لأني أخشى أن يكثر فيه من الغير الكلام . فقال : ناصل عن دينك وجادل فلستُ أدَعُ أحداً يتكلّم بيني وبينك بحقٍّ ولا باطل . قال : فقل ما شئت ! فقال الصُّليحي : أنت تعلم أنّ الأرض لا تخلو من حُجّةٍ قائمة ، وأنت تُجمع معي على ذلك . قال الشريف : ذلك اعتقادُنا وبه قولُنا . فقال الصُّليحي : وأنت تعلم أنّ النبي نصّ على عليٍّ . وأنّ علياً نصّ على الحسن وأن إماماً لا يخرج من دار الدنيا حتى ينصَّ على إمامٍ لأنّ الإمام أعْرَفُ من الرعية وإذا كان بهذه الصفة وكانت الدنيا لا تخلو من الحُجّة وجب عند ذلك على الإمام أن لا يخرج من الدنيا حتى يعرِّفَهُم بصاحب المقام وإلاّ ظلمهم إذا لم يعرِّفهم بمَنْ هو أعرَفُ به منهم وتركهم على جهلهم ! فقال الشريف : أما أنا فلا أقول بالنصّ لأنّ في ذلك إبطال الحُجّة والدليل وتعطيل الحق والتنزيل ولا حجة واضحة . وأنا أقول إنّ إماماً لا ينصّ على إمامٍ بغير دليلٍ ولا حُجَّةٍ واضحة ، ولكني أقول إنّ النبيَّ صلّى الله عليه أشار إلى عليٍّ بعد ثبات الدليل والحجة البيِّنة وكذلك أشار عليٌّ إلى الحسن /، وكذلك أشار الحسن إلى الحسين ، وكذلك بلغهم بعد الحجة والبينة [م ق ١٩ب] والدليل . قال الصُّليحي : فأبِنْ لي أئمتك من أولهم إلى آخرهم وَمَنْ قَتَلهم ومن قَاتَلهم ومن كان في أزمنتهم إلى أن تبيِّنَ لي صاحب عصرك وحجة دهرك يصحّ الحقّ معك ونسلّم لك ولمن اتّبعك ، وإلاّ أبنّا أئمتنا من عصر النبيّ إلى عصرنا وأنباء حجتنا وصاحب دهرنا ، وعلمتَ أنّ الحقّ معنا وسلَّمت لنا ولمن اتّبعنا . قال الشريف : أما قتلهم وقتالهم وما كان في عصرهم فذلك حالٌ لم يفترضه الله عليَّ ولا تعبَّدَني به ، وأمّا أئمّتي فأنا أثبتهم لك فمن أجمعت معي عليه فهو إمامي وإمامك . ومن ناكرتَني فيه أبنْتُ الحُجّةَ عليه حتى يصحَّ ما نسَبْتُ من الإمامة إليه . فذكر الشريف الأئمة إماماً إماماً فيقول الشريف فلان إمامي فيقول الصُّليحي وإمامي حتّى أتى إلى الهادي

عليه السّلام ثمّ إلى المرتضى ثمّ إلى الناصر ثم إلى القاسم بن علي عليهم السّلام وهو يقول كذلك ثم سكت الشريف وعلم أنّ إجماعه معه ليس إلاّ سبباً للكلام في المهدي عليه أفضلُ التحية والسلام وفي غيبته لأن يستمع العوامّ والجُهّالُ ما لا يعرفونه في ذلك من الحُجّة والمقال .

فلما سكت الشريف قال رجلٌ حجازيٌّ : يا شريف خُصِمْتَ ! فقال له الصُّليحي : إلحق بِرِعْيَةِ الغَنَم ودع عنك الحديث فيما ليس تفهم ! ثم قال : يا شريف لستُ أوسع في عذرك ولا يحلّ لك دون أن تبيّن لي حُجّة دهرك ! فقال الشريف الفاضل : لستُ أُنكر أنّ لي حُجَّة قائمةً بأمر الله غائبة في أرض الله . لكنْ أصابتنا في حُجّتنا المحنةُ والبلوى وإلى الله سبحانه في ذلك الشكوى . قال الصُّليحي : لستُ أقبل ذلك منك ! فقال الشريف : قل ما شئتَ أسمعه عنك ! فتبسّم ضاحكاً وقال : ﴿ **لا إكراهَ في الدين** ﴾[1] . ثم نهضنا منقلةً سابعةً حتى دخلْنا القحمة[2] فلقيه أهل البلد فأمرهم بالمسير بين يدي الشريف الفاضل . ثم نهضنا منقلة ثامنة فدخلنا زبيد فأنزلنا في دار عبد الله بن محمد فكان أهل الناحية يختلفون للدخول على الشريف الفاضل عليه السّلام فلا يوسّع لهم في ذلك فإذا أراد الشريف لأميرهم مساءً أو صباحاً توقّع أهل تلك الناحية النظر إليه غُدُوّاً ورواحاً .

وأقمنا بزبيد شهراً والمتولّي لكفايتنا أسعد بن شهاب[3] فأجزل في الكفاية وأوسع في الجراية . قال : والشريف الفاضل عليه السّلام في مدته هذه مُقْبِلٌ على عبادة ربّه بالصيام والقيام ، مُثابرٌ على الدراسة في كتب آبائه عليهم السّلام يدعو إلى الله بخالص دعائه أن يخلّصه مما هو فيه من مِحَنِهِ وبَلْوائه وهم لا يَدَعون شيئاً من أمور

---

(1) سورة البقرة/ 256 .

(2) القحمة بفتح فسكون : تقع في وادي ذؤال ما بين بيت الفقيه والمنصورية ؛ قارن بابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ، ص 62 ؛ والهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 96، جـ 5 نفس الصفحة ؛ وياقوت ، معجم البلدان ، جـ 4 ص 311 .

(3) أسعد بن شهاب أخو السيدة أسماء بنت شهاب زوجة علي بن محمد الصليحي . ولاه الصليحي زبيد وأعمال تهامة . وكان حسن السيرة متسامحاً مع مخالفيه في المذهب من رعيته . انظر ، عمارة ، تاريخ اليمن ، ص 120 ـ 121 .

الدنيا إلاّ عرضوا له فيه يريدون بذلك استمالة قلبه واختباره وليعلموا نيته واختياره وهو لا يريهم أنه يزهد في ذلك .

قال الشيخ الفقيه / علي بن محمد بن أبي الجيش : ثم عرض لي ولأخي [م ق 120أ] سلامة بن علي الفكر في أنّ ما نحن فيه لا يجوز لنا وقلنا لعله يجوز للشريف من طريق ما اضطر إليه ونحن في خاصتنا لا يجوز لنا الوقوف فيما نحن عليه من أكل طعامهم وتكثير جمائِعهم . وكان الشريف الفاضل رضي الله عنه ينهانا عن النظر إلى مواكبهم ويقول : إنما هي كفرٌ بالله ومعصيةٌ ولا يَحِلُّ لعينٍ ترى الله يُعصى تَطرف حتّى تُغَيِّر[1] إلاّ من ضرورة ، ولا يجوزُ النظرُ إليهم تعمُّداً ولا تلذُّذاً بغلبة مواكبهم عمداً والعبدُ مكتوبٌ عليه النظرةُ والحركةُ والخَطْرةُ وليس ثَمَّ إلاّ طاعة أو معصية لا ثالث لهما ، فاحرُسوا بنا أنفسنا مما هو مكتوبٌ ومحفوظٌ علينا ، فأَخذ ذلك بقلوبنا . فواجهْتُهُ أنا وأخي سلامة بن علي وشكونا إليه ما قد اعترضَنا فقال رضي الله عنه : ما أرجو لأحدٍ السلامة إلاّ لكما بسببي وانقطاعكما معي وتعلقكما بي ومشاركتكما لي في المحنة التي قد نالتْني ولم يُمْتَحَنْ بها أحدٌ فيما علمْت قبلي ؛ أُمتُحِنَ الحسينُ ابن عليٍّ عليه السّلام بمنع الماء يوماً واحداً وهو كان في ذلك اليوم صائماً واستُشهد في ذلك اليوم وأفضى إلى الراحة . وأنا مُنِعْتُ الماء سبعين يوماً ، ثم أفضيتُ من المحنَة إلى ما هو أعظم من ذلك . وذكر كثيراً من مِحَن آبائه عليه السّلام ثم قال : وأقْرَبُهُم محمد بن الهادي رضي الله عنه حُبِس وقُيِّد والهادي يَعُدُّه في أهل بيته وشيعته وحريمه قائماً بالإسلام في حِرزٍ ومَنَعةٍ والمرتضى عليه السّلام في الحرب ينابذ أعداءه بالليل والنهار ويتهدّدهُم بالكلام والأشعار . وأنا في أيدي هؤلاء القوم وجميع أهل بيتي وشيعتي في طرفٍ مما أنا فيه من محنتي أسير حيث لا أُحبُّ وأدخل تحت ما لا يجوز ولا يجب . أُمنع عن الذهاب في أرض الله وأحير خوفاً من أن أقوم بفرض الله وأؤدّب على الجهاد في سبيل الله ، وأُمنع من المواجهة لأولياء الله كرهاً لا طوعاً ، ولا أستطيع عن نفسي ولا عنهم دفعاً . وقد صرتُ وحيداً فرداً لا أستأنسُ إلاّ إليكما ولا أتّكل بعد الله إلاّ عليكما إن عشتُ آسيتُماني وإن متُّ واريتُماني . فهل تعلمان أنّ الله

---

(1) في دواوين الحديث : حتّى تغيّر أو تنتقل .

يعذُرُكما في إفرادي أو تستحسنا تَرْكَ معاونتي وافتقادي؟! قال : فسكنت أنفسُنا لقوله ووطّنّا أنفسنا على الوقوف معه حتّى يفتح الله لنا وله . ثم قال : لقد كنتُ رأيتُ أموراً أكرهُها ولم تكن نفسي أبداً تقبلُها فسألْتُهُ عن ذلك ما هو فقال : نعم كنت أتعوّف كثيراً من أولياء الله في شرابي وطعامي ولحافي وطهوري فرأيتني ذات يومٍ وقد أحضر لي ذلك النجس عبد السلام الصنعاني / طعاماً وهو يصلح المصباح بيده ثم يدخلها في [م ق 20ب] الطعام من بعده فآكُلُ ذلك لا أجِدُ منه بُداً . ثم رأيتُ الصلاة حضرتْني في وقتٍ قُطع بي فيه الماء فلم أجده فجمع لي من أداوي بني الصليحي ما أُطهّر منه وأشرب ولا أجد بداً من ذلك وهم يشربونِ الخمور ويفعلون الشرور ، ورأيتُني وقد أصابني مطرٌ في زحام الناس ولحافي رطب يباشرُ لحافهم وفي لحافهم أثر النجاسات ، وأصلّي في لحافي ولا أجد من ذلك بداً . وكنتُ كما قد علمتُما أتنَزَّه عن دخول أسواق العرب مع براء أهلها من دنسات الأسواق ونجاستها فرأيتُني وقد اضطرّني الحال إلى وصول هذا الأمير وقد جعلوا في الطريق ما بيننا وبينهم سوقاً ولا أجد عن يمينه ولا يساره طريقاً يبيعون فيه الخمور ولا يُخْفُون فيه الشرور وكانت طريقاً ضيقاً فسرْتُ متقنّعاً بين شرورهم فاعترض لي في الطريق إنسانان قد تعلق أحدهما بصاحبه للفسق وهما يتجابذان ففرقت بين أجسامهما إذ لم أجد طريقاً إلاّ في مقامهما عليهما لعنةُ الله وسخطه . ومن ذلك أني كنتُ أعتاد أني أذكر الله سراً حتّى كانت تلملم بذلك شفاتي ويتبين لمن هو قدامي فكنتُ في مجالسهم أحرس نفسي عن ذكر الله تعالى خوفاً أن يحسبوا أني أقول فيهم حالاً .

قال : ثم أقام معهم رضي الله عنه ونحن معه في عَرَد محاصرين لابن الكِرندي تسعة أشهر وهو مقبلٌ على العبادة والدراسة ليلاً ونهاراً وإعْلاناً وإسراراً قد ألصق أطراف مضربه بالأرض لئلا ينظر شيئاً من المنكرات والناس يأتون إليه ويتباركون به ويأخذون التراب من محرابه فيستشفون به من أمراضهم فيشفيهم الله من جميع أعراضهم .

قال : ثم قد كان أوجب عليَّ وعليه وعلى أخي سلامة بن علي أن نتدارس كلَّ ليلةٍ قبل النوم في ثلاثمائة مسألة فمائة منها في التوحيد ومائة منها في التفسير ومائة منها في الفقه . فكان عليه السّلام يجلس متربّعاً ثم يأمرني فأجلس مقابله ثم يطرح يده

في يدي فأيّنا ما غلب عليه النوم جذبه صاحبه وكنت لا أزال معه كذلك حتى نأتي على الثلاثمائة . وكنت أراه إذا نام بعد فراغنا يتفزّعُ في نومه ويظنّ أنه لم عاد يكمل ما أوجبنا على أنفسنا فيستوي جالساً ويقول هيه حتّى نذكر أنه قد أكمل فيفعل ذلك مراراً . قال : وكنتُ بعد مصير الشريف الفاضل عليه السّلام معهم قد سألْتُ الشريفة الطاهرة ابنة المهديّ رحمة الله عليها هل معها من المهدي صلوات الله عليه خبر إلى ما يصير أمر الشريف الفاضل وكيف يكون خلاصه ؟ فقالت : يكون بأسباب أبيه ! فرويتُ له الرواية . فلمّا كان ذات يومٍ أقبل عليّ فقال[1] : اعلم أن قد طال مقامي مع هؤلاء القوم وقد أتعبني ذلك ولستُ / أشُكُّ في تعب من بعدي وقد رأيت أن [م ق 21أ] تشرف لي والدي فقد ذُكر لي أنه قد وصل من الحجاز إلى حقل صعدة[2] وتسأله أن يصل إليّ فلعله أن يسكّن نفوس هؤلاء القوم ويكون على يده لي خلاص . وقد كنت أحِبّ أن يستقيم عند أولاده ويستريح من طول سفره ولا أشقّ عليه لكنّ الضرورة قد حملتني على ذلك ! ففعلْتُ ما أمرني به . وكتب معي كتاباً وحمّلني خطاباً . فمضيتُ حتى صرتُ إليه بعد أربعة عشر يوماً وهو بالجبجب[3] من حقل صعدة قد أثار عليه أهل صعدة الحرب ووصلت وهم يقاتلون على باب الدرب فوقفت دونهم حتى افترق الناس ودخلْتُ عليه فامتلأ بوصولي سروراً لعلمه بوصولي من عند ولده ووضعْتُ الكتاب في يده وحقّقتُ له فيما نهضْتُ إليه من عنده . فقال لي رحمة الله عليه : أنا صاحب السفر فكيف يَلَذُّ لي الوقوف في منزلي وبين أهلي أو يصوغ(*) لي شراب أو طعام أو يقرّ بي قرار أو يلذّ لي منام وقاسم حيث هو وهو لحمي ودمي وأحبّ أولادي إليّ كفاني الحارّ والبارد ! قال النبي صلوات الله عليه : من سعادة المرء أن لا يموت حتّى يرى في أولاده من يُسَرُّ به . فمن سعادة الله لي أني لم أمت حتّى رأيتُ ذلك في ولدي القاسم ثمّ نهض من فوره حتّى قدِم عليه وهو في عرد . قال : ولما

(*) كذا في الأصل . وربما كانت : يسوغ .

(1) عاد صاحب اللآلي المضية م 2/ص 155 ـ 156 فنقل عباراتٍ عن السيرة هنا .

(2) الحقل : هو القاع الواسع ، وحقل صعدة من أشهر حقول اليمن وهو من بلاد خولان . انظر ، الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 2 ص 278 .

(3) الجبجب ، محلة من قريه زبون ، عزلة بني دويب ناحية حيدان . التوزيع السكاني في محافظة صعدة ، ص 48 .

وصل الأمير جعفر بن القاسم إلى ولده وهو في حضرة الصُّليحي وذلك في شهر رمضان سنة خمسين وأربعمائة سنة ؛ ونزل ابن الكرندي من حصنه واشتكى < الأمير جعفر بن القاسم بن علي شكواه التي مات منها ، واشتكى >(*) ولده القاسم بن جعفر ، وتوجّهوا للرواح إلى صنعاء .

قال مفرِّح بن أحمد رحمه الله ، سمعْتُ الشريف الفاضل عليه السّلام يقول : رأيتُ في المنام بعرد أو قال رآه بعض أصحابنا بعرد كأنّ الصُّليحي يسير أمامي وأنا خلفه وهو حاذي وأنا حافي فقصصتُ ذلك على مُعَبِّرٍ كان للصُّليحي فقال : أنت أُولى بالأرض وأُولى بها بعده . وروى لي سلامة بن علي أنه رأى في المنام في يدي قيام الشريف الفاضل عليه السّلام أنه يقول له : ما سر الأسرار ؟ قال ؛ فقلتُ له : أن تسر إليَّ سراً فأكتمه عن الناس ! قال : ليس هذا ولكنْ تكتمُهُ عن نفسك ! قلتُ : وكيف أكتمُهُ عن نفسي ؟ قال : تناساه . قال : ثمّ استقبل القبلة وفغر فاه وهو يخرج منه شيءٌ كأنه قوس علان في لونه متّصل بالسماء إلاّ أنه في دقة الخيط وهو يقول بهذا أورد وبهذا أصدر . قال سلامةُ بن علي : فمدْدتُ يدي لأتناوله فقال : أليس قد قلت لك ؟ فأمسكت . قال : ثم سأل المعبّر عن تأويل هذه الرؤيا فقال : هذه الرؤيا تدل على أنّ صاحبها يدعو إلى إمام الأئمّة . وروى لي القاضي يعقوب بن عيسى عن الشريف الفاضل عليه السّلام وقد أخذْتُهُ عنه سماعاً ، قال : رأى محرز بن عبد الله [م ق21ب] ـ وكان رجلاً مؤمناً من أهل ترج(1) ، وكان هاجر / إلى عمران(2) من وادي الجوف وتُوُفّي هنالك رحمة الله عليه ـ فقال : رأيت في المنام كأني واجهْتُ المهديَّ عليه السّلام فقلتُ له : يا مولاي متى تقوم ؟ قال : عاد قبل قيامي قيام أبي العساكر . قلتُ له : ومن أبو العساكر ؟ قال : القاسم بن جعفر !

قال الشيخ الفقيه أبو الحسن عليّ بن محمد بن أبي الجيش : لمّا صار الشريف الفاضل بصنعاء مراحه من عرد وهو شاكي هو وأبوه أحضر إليهما طبيب

(*) ما بين الحاصرتين عن الهامش الأيمن عن الصفحة .

(1) وادي تَرْج يصب في وادي بيشة عند نخيل الحيفة . انظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 88 ؛ فؤاد حمزة : في بلاد عسير ، ص 56 ـ 57 .

(2) عَمْرَان : مدينة بالجوف . الهمداني : الإكليل ، جـ 8 ص 158 ، ح 55 نفس الصفحة .

الصُّليحي فأخذ الشريف الفاضل منه وصفاً وعالج نفسه فعوفي وشُفي . وكان والده يشتكي وجعاً في صدره فسلم إليه ذلك الطبيب ثلاث بنادق من دواء لا أدري ما هُنَّ ثم جدَّ به الموتُ فتُوُفّي رحمةُ الله عليه ورضوانه في شهر ذي الحجة سنة خمسين وأربعمائة سنة . وكان يقول : أنا أكثرُ مَنْ أُعطي عُمُراً من أهل بيتي أنا ابن خمسٍ وثمانين سنة . ثم تمثّل بقول النابغة الذبياني[1] :

وإني لأرجو فوق ذلك مَظْهَرا

قال : فأمر له الصُّليحي بأكفانٍ رفيعةٍ وقِطَعٍ من الكافور ، وأمر بحفر قبره في الجبّانة بصنعاء بين مقابرهم وسأل إذا فُرِغ من جهازه أن يُؤْذَن . فلمّا فرغنا من جهازه بعث الشريف الفاضل بالعلم إليه ، فخرج مسرعاً في حضرته وكافة أهل مملكته فتلقّاه الشريف الفاضل فسلّم الصُّليحي عليه وعَزّى له وبكى بين يديه وأقسم أنْ لا كان حَمْلُ الجنازة إلاّ إليه . فأمر خاصّة خدمه فحملوها ، وأمر جميع الناس بالترجل عن دوابّهم والمسير خلفها فلما صلّوا عليه وفرغوا من دفنه أدنى مجلس الشريف إليه وجعل الفازة مُظِلَّةً عليه وعليه . ثم ابتدأ الكلام فقال : يا مولاي الشريف ! يعِزُّ عليَّ والله ما جرى على والدك وإن كان الموت لا بُدَّ منه ولكنْ كنت أُحِبُّ أن يكون ذلك في منزله وبلاده بين أهله وأولاده ، وأنا أعلمُ أنّ هذا الحادث يفزعهم ، والذي جرى من موته يجزعهم ، وأشقّ الأشياء عليهم موت أبيهم ولزم أخيهم . وقد رأيت أن تروح إليهم ليسكن روعهم بقدومك عليهم ولا تراجعني في ذلك . فشكر الشريف الفاضل عليه السّلام ما هنالك وأمر لجميع من تحت يده بكساءٍ وعطيةٍ وعرض عليه قضاء الحوائج وأجرى نفقاتهم في كُلِّ شهرٍ بشهره وجرايةٍ أجراها له على الدوام ، وصيانة لجميع ما سأل فيه من شيعته ومَحَابّه وخواصّه وأصحابه .

فلمّا راح الشريف الفاضل عليه السّلام أغلق بابه ، وقطع عن جميع الناس خطابه ، واشتغل بعبادة الله والثناء عليه والشكر له . فرأيتُ يوماً وقد التمستُ أنا وأخي سلامة بن علي الدُّخولَ عليه ، ووقف على بابه من لا يشتهي أن يصل إليه ومعنا له حوائج وودائع وأسباب ومنافع . فأمر بقبض ما معنا واعتذرنا / عن المواجهة [م ق 22أ]

(1) عجز بيتٍ من قصيدةٍ للنابغة الجعدي ، وليس للنابغة الذبياني .

ومنعنا . فعتب أخي سلامة وكتب كتاباً يذكر فيه عتاباً فلزم كتابه لعباية(*) . فلما ارتفع ذلك الناس من بابه أذن لنا فسلمنا عليه ، فلما نهضنا أوقفنا ثم قال احكموا بيني وبين أخي سلامة وأخرج كتابه ثم قال : ما أنا عندك أمؤمنٌ أو غير مؤمن ؟قال : بل مؤمن . قال : فما من مؤمن يستحل أن يستخفّ بمؤمن ؛ أو هذا من الدين أو المروءة ممكن ؟ قال : فاعلم أنّ هذا لم يكن غرضي فيك فاستغفرِ الله فيما ظننتَ بأخيك وإنما كان ذلك لعذرٍ حائلٍ قائم والله سبحانه بذلك شاهدٌ وعالم .

فصل في خروج ذي الشرفين إلى الشام :

قال مفرِّح بن أحمد : سألت الشريف الأمير محمد بن جعفر ـ مكَّن الله بسطته على الأنام ـ عن خروجه وخروج أخيه الشريف الفاضل عليه السّلام بعد خلاصه من بني الصُّليحي وكنت أتوهّم أنه خاف منهم على نفسه غائلةً أو مكيدةً . فقال : ما خرج عليه السّلام لأيِّ ذلك بل خوفاً لله ولمعرفته ويقينه فارّاً من مجاورة الظالمين بنفسه ودينه لأنهم بذلوا له من الدنيا جزيلاً ، وأولَوه بعد خروجه جميلاً ، وكانوا يشيرون اختلافه إليهم وقدومه عليهم والخروج في عساكرهم والحضور لمحاضرهم ، وإذا قطع ذلك استرابوا حاله وخافوا اغتياله . وخشي في تكثير جمايعهم وتسويد جيوشهم وعمارة مجالسهم غَضَب الله فخرج بدينه هارباً إلى الله . ثم قلت : فكيف كان خروجه ؟ قال : لم يعلم بخروجه أحد بل قد كان أفضى إليَّ بسره واستشارني في أمره فقلتُ : الرأي إليك وأنا معك وبين يديك فأكْنى أمره وعمل على الخروج . وكتب إلى بني الصُّليحي كتاباً يوهمهم أنه يريد مصر أَلْغَز فيه(**) فقال عند وصوله إلى غرضه من كتابه : ولمّا داخل قلبي الشكّ رأيتُ الاتّصال بالحضرة النبوية للاعتراف من العين الرؤية وأخذ الشيء من أصله من حيث أخذه مَنْ خلّد الله مُلكه . يشير عليه السّلام إلى أنه يُريدُ المدينة وزيارة قبر رسول الله صلّى الله عليه . ثُمّ قال : وقولي يُصدِّقُهُ فعلي وخبري يوجد في أثري واستوصاه بمخلّفيه .

(*) كذا في الأصل ، ولم نستطع قراءتها .

(**) في اللآلي المضية م 2/ ص 156 ، ولما عزم على الخروج كتب إلى بني الصليحي (كتاباً) يوهمهم فيه أنه يريد المدينة وزيارة قبر رسول الله ﷺ .

قال مفرّح بن أحمد : إنما بالغت في ذكر ما أولاه الصُّليحي من الإجلال والإكرام والعطايا الجسام ليعلَم من لم يعرف الشريف الفاضل عليه السّلام أنه لم تكن له رغبةٌ في زائل الحطام ، ولو كان له رغبة في الدنيا لكان قد بلغ منها إلى أقصى المنى . ولكن كان غرضه ما قام فيه من الجهاد في سبيل الله . سألتُ سلامة بن علي عن خروج الشريف الفاضل عليه السّلام وسفره ، وكان من أصحابه العارفين بخبره فقال[1] : لمّا عزم على الخروج لم يطلع على خبره أحد إلا أخاه محمد بن جعفر . فلما كان ليلة خروجه / عرّفني وعرّف مَنْ كان يشتهي أن يخرج لخروجه ممن حضره [م ق 22ب] من أصحابه وخيّرهم الإقامة أو السفر فاخترنا الخروج بخروجه فكان هو وصنوه وأنا وتواب بن محمد الجرادي وعواض ويوسف ابنا يحيى الحمدي وأحمد بن طريف مولى آل القاسم وواجهنا في بلد بني بحر جشمر بن عبد الأعلى بن الدعام وأفلح بن محمد الجنبي[2] فكنا تسعة نفر وكان قد أضاف إليه رجال من بني جماعة وابن خالد يحيى بن المنشر من بني مالك وحسين بن علي الأشل . ثم نهض من ليلته حتى أصبح بمذاب[3] وظل قائلاً هو وصحبه تحت الرخصة حتّى إذا صلّى ظهراً أو عصراً نهض بنا حتّى أصبحنا بالصعيد[4] ثم نهض من هنالك متوجهاً بلد بني بحر[5] وكان قد نوى بها المقام . فلمّا وقع خَبَرُهُ مع مُجاب بني الصليحي بصعدة قَدّموا رسلاً إلى بني بحر يعاملونهم في الشريف الفاضل وأصحابه ويبذلون لهم الأموال . فلمّا انتهينا إلى بلد بني بَحير لقيونا ورحّبوا بنا وأجزلوا في القِرى . وعمل الشريف على الإقامة في بلدهم ورجا أن يحرز نفسه ودينه عندهم فهو على ذلك إذ أتاه رجل من أهل

---

(1) اللآلي المضية م 2/ص 156 ـ 157 .

(2) جنب بفتح الجيم وسكون النون ، حي من مذحج كانت مواطنها هران ذمار . ويطلق اسم جنب على عدة قبائل . نشوان ، منتخبات ، ص 22 ؛ ابن رسول : طرفة الأصحاب ، ص 64 ـ 65 ؛ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص 413 .

(3) مذاب : من أودية الجوف يمر ببلاد سفيان . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 161 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 4 ص 699 .

(4) الصعيد : بلدة في العوالق العليا من عزلة حشبة ناحية فطابر قضاء جماعة . المقحفي : معجم البلدان والقبائل ، ص 391 ، ص 477 .

(5) بنو بحر : بطن من خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة في بلاد صعدة . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 1 ص 104 .

بدر[1] ينتحل التشيُّع فقصّ عليه قصّة السعي بين المجاب وما قد عملوا مع مشائخ أهل ذلك الجناب ، فوهب له الشريف وأرغبه وسأله أن يسير معه إلى بدر ويصحبه وعزم على النُقلة منهم وواجهنا هنالك حشمر بن عبد الأعلى مصدره من النائبة التي كانت حلت به وذلك أنه كان رجلاً ذا دينٍ وورعٍ وطهارةٍ ويقين متعلّقاً بمذهب آل محمد ومحبتهم . وكان من خواصّ الشريف الفاضل وممن كان معه في الهِرابة فلما خرج من الهرابة إلى بلده وهي بيت بحر لم يحل عن دينه ولا مشاقّة ابن عمه أبي الحسين بن جناح فعمل أبو الحسين في قتله وله قصةٌ طريفةٌ اختصرت ذكرها فرحمة الله عليه وفي جنب الله ما وصل من أعداء الله إليه .

قال سلامة بن علي : ولمّا عزم الشريف الفاضل عليه السّلام على النقلة من بلد بني بحر أعمل الحيلة في التخلص مما وقع فيه فكاتب أهل رازح[2] ونبا لقاء[3] لهم ولبني بحر ولقبائل القد[4] إلى بدر وأمر بزاده وأثاثه فقُدِّم إلى بدرٍ شيئاً شيئاً حتّى صار ببدر عن غير علمٍ ولا اشتهارٍ فلمّا أحكم ذلك نهض معه مشايخ البحريين فيهم الذين نُسبت المعاملة فيه . وكان الشريف الفاضل قد رَتّب مع ذلك الرجل المنتحل أنه يضيف إليه وينزل عليه ويكون من معه من بني بحر عند سائر أهل بدر .

فلمّا صِرْنا إلى بدرٍ لقونا ورحّبوا بنا واقتسمونا فأخذنا ذلك الرجل فصرنا عنده وصار الباقون عند أهل بدر . فلمّا كان على جزءٍ من الليل نهضْنا ومعنا ذلك الرجل

---

(1) بدر : بلدة و وادٍ من نجران . وبدر فرع من آل فاطمة من قبيلة يام بنجران . وآل البدر يسكنون غولة بلاد . ولد نوار غربي حيدان من بلاد صعدة . الحجري : مجموع بلدان اليمن ، جـ 1 ص 105 ، جـ 4 ص 631 ؛ وكحالة : معجم قبائل العرب ، جـ 1 ص 68 ، جـ 3 ص 1259 ؛ وفؤاد حمزة، في بلاد عسير ، ص 168 ، 173 ، 186 .

(2) رازح : ناحية من بلاد خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة من أعمال صعدة سميت باسم رازح بن خولان . وهي أحد أقضية (قضاوات)؟ محافظة صعدة . انظر ، الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 2 ص 355 ؛ التوزيع السكاني في محافظة صعدة ، ص 68 ـ 88 ؛ التقسيمات الإدارية لعام 1985 .

(3) كذا في الأصل ، وربما كان معناها : وضرب لهم موعداً .

(4) القد : بالكسر والفتح أشهر . يوجد بهذا الاسم أكثر من موضع في ناحية حيدان قضاء خولان بن عامر . وتذكر باسم القدود الشامية أو اليمانية . انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 128 ، 135 .

فبتْنا سارِين وارتقى بنا جبلاً صعباً حتّى صِرْنا إلى قريةٍ تسمى / أُنافيـة(1) فسألهـم [م ق 23أ] الشريف الصحابـة إلى الخطّاب بن يعيش الجُمـاعي(2) ففعلوا حتّى أوصلونا إلى جانب بلاده ولقيونا إلى جانبٍ منها فَرَحَّبَ وقَرَّبَ ، وعرض على الشريف الإقامةَ في بلده فكره ذلك الشريف وعزم على ا لمصير إلى ترج من بلد خثعم(3) فصحِبَنا حتّى أوصلَنا بلدَ وادعة(4) فسألهم الصحابة فانغمّوا بذلك وأجزنا ببلاد سنحان(5) معنا رجلٌ سنحاني قد استصحبه لنا الوادعيّون وكنّا خُوّفاً من سنحان لأنّها أصلُ الدعوة والأصل منها شواحط(6) فسرينا بلدهم ليلاً حتى أصبحنا بالراحة من بلد بني شريف(7) فلبثْنا

(1) أُنافية : من روافد وادي صبيا . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 136 .

(2) بنو جماعة من قبائل خولان بن عمرو بن الحاق بن جماعة . لهم بلاد واسعة من أعمـال صعدة . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 162 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 1 ص 191 .

(3) خثعم : من ولد خثعم بن أنمار بن أراس بن عمرو بن الغوث بن النبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ . ومن بطون خثعم شهران وناهس وأكلب . ومواطنهم في إمارة سراة الحجاز المسماة بغامد وزهران . انظر ، فؤاد حمزة ، في بلاد عسير ، ص 60 ـ 61 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 2 ص 304 .

(4) قبائل وادعة في عدة جهات منها وادعة عسير في شمال غرب نجران . وهم وُلد وادعة بن عمرو بن عامر . . . بن حاشد من قبائل همـدان . انظر ، الهمـداني ، صفة جـزيرة العـرب ، ص 225 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 4 ص 761 ؛ فؤاد حمـزة ، في بلاد عسيـر ، ص 138 ـ 139 .

(5) سَنْحان : بفتح السين وسكون النون ، اسم مشترك بين ناحية سنحان قرب صنعاء وبلاد سنحان في عسير . أما سنحان عسير فهم سنحان بن عمرو بن حـارثة بن ثعلبـة . . بن عمرو بن الحـاف بن قضاعة . انظر ، ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص 48 ، 51 ، 65 ، 122 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 3 ص 432 ؛ فؤاد حمزة : في بلاد عسير ، ص 142 ؛ كحالة : معجم قبائل العرب ، ص 2 ص 558 .

(6) واضح من النص أن شواحط من بلاد سنحان . ولم أجد في المصادر المتاحة ما يؤيد ذلك . وشوحطة قرية لشحب وهي من قرى وادي ريم من المع . وأشهر أودية المع وادي حلي . وشوحط من قرى آل رميان من قبائل بني مالك في عسير . انظر ، فؤاد حمزة ، في بلاد عسير ، ص 156 ، 121 . أما شواحط فهي قرية بالقرب من حصن حب في بعدان . الحجـري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 3 ص 458 .

(7) راحة شُريف : أحد الأودية المكونة لوادي تثليث من بلاد قحطان ويضم وادي راحة شـريف ثمان قرى ، كما أن بني شريف ينقسمون إلى ست بطون . وينسب بنو شريف إلى قحطان . انظر : فؤاد حمزة : في بلاد عسير ، ص 143 ـ 144 ؛ البلادي ، بين مكة والمدينة ، ص 72 ـ 73 ؛ وراحة

بها زُهاءَ ثمانية أيام فطمِعْنا فيها بالمُقام وإذا فيها لبني الصُّليحي المجاب وأهل العهد والأصحاب فاستوحش الشريف لذلك فسألهم الصحابة إلى الأخرق الجنبي ففعلوا < حتّى أوصلونا إليه >[*] فوجدْنـاه بأرضٍ فيحـاء إلاّ أنها جـديبةٌ منقـطعةٌ عن القُرى ، وإذا عنده القننة شحيحةٌ وخُطُمُهُ مُشيخة فقدّمَنا وأكرمَنا وواجَهَنا بالبشاشة في السلام والبِشْر والإكرام ، ثمّ ذبح لنا شاةً هَزْلاءَ وهيّأ طعاماً غَثّاً صنع البادية مع أنه قد بالغ في مقدرته إلى الكرامة وبَعُدَ عن الذَمِّ والملامة .

قال سلامةُ بن علي : فتعوّفْتُ ذلك الطعام فصاح عليّ الشريف وقال : تَعافُ ما لا يُعاف وتأكل ما يُكرهُ ويُعاف ، أَنَسيتَ موائد بني الصُّليحي على ما تعرف من الحال وتعاف الطعام الطيِّب الحلال ؟ قال : ونفذ ما كان معنا من الزاد ووقعنا في مقطعةٍ محطومةٍ من البلاد . ثمّ سأله الصحابةَ فأرسل معنا رجلين من بني عمِّه فصارا بنا على صِرْمٍ لبني عبيدة من جَنْـبٍ[1] فمـا شعروا بنا إلاّ بين أبياتهم . ولقد همّوا بنا لِعِظَم البِغضةِ فلم يجدوا بُداً أن أضافونا وفرشوا لنا فرأيتُ نساءَهم تأتي الواحدة حتّى تشرف في وجه الشريف وهو مُرْخٍ عليه جلبابه فتقول : ما أدّاك ها هنا يا شريف ؟ فيميل بوجهه عنها فتأتي الأُخرى من الناحية الأُخرى فتقول كذلك . ثمّ سأل الشريف منهم الصحابة فانتدب منهم لذلك رجلان وسرينا من ليلتنا تلك ، وندموا علينا ومضوا على أثرنا يريدون الفتكة بنا وبصاحبيهم . فلمّا أصبحْنا صلّينا والقومُ قد لزموا لنا الطريق فشددنا للفتنة ثم مضى أحد صاحبيهم حتّى نحّاهم جانباً ، ومضى صاحبهم الآخر جانباً . فلمّا قربنا من بلاد عنز بن وائل[2] جعلوا يلحقون بنا فارساً واثنين حتّى لحقَنا منهم ثمانيةُ فرسان وتحقّق الشريف أنهم يريدون بنـا المكيدة فنـزل فصلّى

(*) ما بين الحاصرتين في الهامش الأيمن من الصفحة .

(1) عبيدة : إحدى قبائل جنب القحطانية . انظر : الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 227 ؛ البلادي بين مكة وحضرموت ، ص 67 ، 72 .

(2) تقع ديار عنز فيما بين أرض جنب وسراة الحجر من الأزد فيما كان يسمى مخلاف جرش . وتنسب هذه البلاد إلى عنز بن وائـل بن قاسط من قبـائل ربيعـة . انظر ، الهمـداني ، صفة جـزيرة العـرب ، ص 229 ـ 231 ؛ وابن رسـول : طـرفـة الأصحـاب ، ص 53 ، 82 ، 122 ؛ مسلم اللحجي م 4/ص 344 ؛ البلادي : بين مكة وحضرموت ، ص 46 ـ 47 .

وصنوه محمد بن جعفر وحشمر بن عبد الأعلى راكبان فلمّا صلّى ركب ونزل صنوه فصلّى فلمّا فرغ ركب ونزل حشمر فصلّى والقومُ في خلال ذلك يديرون الرأيَ ويشتورون . فلمّا فرغْنا من الصلاة أقبل القومُ بأجمعهم إلينا ، ثمّ استفتح شيخٌ لهم الكلامَ / فقال : يا شريف والشريفُ الله ، ها هنا حدُّنا وإلى ها هنا صحابتنا ؛ وفي [م ق 23ب] نفوسهم الغدرُ والخديعةُ والمكر . فلمّا سمع الشريف ذلك منهم قال لهم : يا وجوه العرب ! لست بِحَرّاثٍ ولا تاجرٍ فترغبون فيّ أو تهولون عليّ ، أنا رجلٌ من بني الحسن ، أنا القاسمُ بن جعفر ! مَنْ أخذني ها هنا أخذْتُهُ بمكّة . ثمّ قال لنا : إمضوا فمضينا غير بعيدٍ إلاّ وقد تبعونا يقولون : يا شريف أنتم صحابتُنا ! ثمّ مضينا نحنٍ وهم ونحن على أحزم أمورنا حتّى انتهَوا بنا إلى قريةٍ من بلد عنز مما يليهم فلقيَنا أهلَ تلك القرية بالترحيب فقال لهم الشريف : ما أردتم من إكرامنا فاجعلوه الصحابةَ لنا إلى أمامِنا فصحِبونا حتّى انتهَوا بنا إلى البذاخ وهو رجلٌ من جذيمة من عنز بن وائل ، وهو دليلُ الحاجّ فرَحَّب وأجمل وقرى وأجزل وعرفنا أنه مُفاتنٌ للعواسج[1] بجرش[2] .

وكانت كتب بني الصُّليحي قد تقدّمَتْنا من ناحية تهامة إليهم فهم على مَسَرّة الصُّليحي بمساءتنا حِراصٌ ، ونحن لهم خوفٌ ؛ وكان وصولنا بالبذاخ ليلاً فأَمَرنا فكمنّا في دربة صبيحة يومنا ذلك . فلمّا كان من الليل ركب معنا حتّى استصحب لنا رجلاً رُفيدياً من عنز فسار بنا الرجل من فوره حتّى إذا صِرْنا في بعض الطريق تبعَنَا من عشيرته خيلٌ ورجالٌ يريدون الغدر فينا وقدّموا منهم رجلين إلى مضيقٍ قُدّامنا يعرفونه وأمروا هذين الرجلين بلزم رفيقهم إذا مَرَّ بهما في المضيق ، فلمّا صِرنا إلى ذلك الطريق وثب الرجلان فلزما رفيقهم . فلمّا رأى ذلك الشريف الفاضل حمل هو وصنوه محمد بن جعفر على الرجلين بالسيوف فخلّيا عن شكيمة فرس صاحبنا

---

(1) العواسج : من قبائل حمير ويعرفون الآن باسم العواشز . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 229 ، ح 2 نفس الصفحة .

(2) جرش : بضم الجيم وفتح الراء ، كانت أعظم مدينة بين الطائف ونجران ، وكانت تقوم عند مبدأ وادي بيشة ولم يبق منها إلا أطلال وخرائب . وكانت ايضاً من مخاليف اليمن ، يصفها الهمداني بأنها كورة نجد العليا . انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 229 ؛ فؤاد حمزة ، في بلاد عسير ، ص 54 ؛ البلادي ، بين مكة وحضرموت ، ص 50 ـ 51 .

ومضينا على حالنا حتّى انتهينا إلى الشقرة من بلد شهران[1] حتّى صرنا إلى ترج بالسلامة بعد مشقّةٍ من الخوف وانقطاع الزاد . فلمّا أفضينا إلى تَرْج مضى الشريف قاصداً إلى المعافى بن بدر . ومضى الشريف الأمير صنوه محمد بن جعفر إلى محمد بن منيع إلى المرفق[2] . وأقمْنا هنالك في أحسن حال وأنعم بالٍ ، ليس لنا اشتغالٌ إلاّ بقراءة كتابٍ أو صلاةٍ أو مُدارسة . وتزوّج الأمير محمد بن جعفر بالشريفة ابنة عمه سليمان بن القاسم بن علي ، وتزوّج الشريف الفاضل امرأةً من آل صُهيب[3] . فلمّا أرادوا الخروج إلى اليمامة طَلّقَها .

قال مفرّح بن أحمد ؛ سألْتُ الأمير الأَجَلَّ ذا الشرفين عن سفره إلى مكّة فقال : لمّا صِرْنا بترج بقيت معا فَرسانِ وبَغْلتانِ وخشينا أن يلحقنا من الأمير ابن أبي الفتوح عتبٌ إذا لم نتّصِلْ به لأنّ يده كانت تصل البلاد التي نحن بها فأمَرَني الشريفُ الفاضلُ بالتقدُّم إليه بتلك الدوابّ وتسليمها إليه على سبيل الهدية . فنهضْتُ مسافراً [م ق 24أ] إلى مكّة معي حشمر بن عبد الأعلى وأحمد / بن طريف ويوسف بن يحيى حتّى إذا صِرنا بتربة[4] حضرتنا الصلاة بمسجد تربة ونحن مُنيخون بفناء رجلٍ يُقالُ له جبير بن بدر فنحن بالمسجد وجعل قومٌ يتذاكرون فضائلَ الصحابة ويقدّمون أبا بكرٍ وعمر على عليٍّ عليه السّلام فَخُضْتُ معهم في الحديث وقلتُ : مَنْ قَدَّمَهُما عليه فقد أخطأ حظّه . وكان هنالك غرباء من العجم فغاظهم كلامي ، فتقدّم رجلٌ منهم أمامي فقال : ما تقولُ في القرآن أمُحْدَثٌ أم قديم ؟ قلتُ : أقول كما قال الله السميع

---

(1) شهران : بطن من قبيلة خثعم ، وتنقسم إلى عدة بطون . وتقع منازل هذه القبيلة على ضفاف وادي شهران وأهم مراكزها خميس مشيط . انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 88 ، 230 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 2 ص 304 ؛ فؤاد حمزة ، في بلاد عسير ، ص 59 ـ 61 ؛ البلادي : بين مكة وحضرموت ، ص 17 ـ 21 .

(2) المرفق كما سيذكرها المؤلف بعد ذلك : قرية في أعلى وادي بيشة .

(3) الصهب من دحيم من قبيلة بالقرن من قبائل بشة ؛ فؤاذ حمزة ، في بلاد عسير ، ص 61 .

(4) وادي تَرَبَة ، ينشأ من أطراف جبل حضن الجنوبية ، ويسير في ديرة البقوم مسافة طويلة حيث تقوم على جانبيه بلدان البقوم التي أهمها قرية تربة . وينتهي الوادي في عرق سبيع ويغور في رماله . انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 265 ، 278 ؛ فؤاد حمزة ، في بلاد عسير ، ص 26 ـ 27 ؛ البلادي ، بين مكة وحضرموت ، ص 170 ـ 171 .

العليم : ﴿ ما يأتيهم من ذكرٍ من ربِّهم مُحْدَثٍ إلاّ استمعوه وهم يلعبون ﴾[1] فجعل إصبعه في أذنيه ، ثُمّ صاح بأعلى صوته : يا لَعبادِ الله ! هذا الكفرُ بالله ! يقول هذا كلامُ الله مُحْدَث . فوقعْنا في خلطةٍ من الناس وأجمعوا علينا الكلمةَ وهمّوا أن يبطِشوا بنا لولا مناخُنا بفناء الجبير بن بدر وخِيفة العاقبة من قِبَل الأمير شكر . ثمّ شدّ عزم رفاقنا على سريّة الليل ، فسَرَينا . ثم إنّ أهل تلك الناحية أجمعوا وتحالفوا على أن يسطوا بنا في ممرِّنا عليهم لا يرقُبون فينا إلاًّ ولا ذِمّةً . ومضينا حتّى دخلْنا مكّة من ذات عِرْق[2] مُحْرِمين بعمرةٍ في شهر رجب . وسعينا ليلاً ثمّ أحللنا ونهضْنا من الغد إلى الأمير شكر بالبرقة[3] فلقينا أمره بالرحب والسعة ، وقُبضت منا الدوابُّ في الوقت والحين بسرعة . وأمر لنا بمضربٍ فضُرب على ناحية ، فكُنّـا فيه . ولم يلبث أنْ واجَهَنا بالبشاشة والبِشْر والاهتشاش ولبثْنا عنده إلى مستَهَلِّ ذي الحِجّة . فلمّا دنا الحجُّ سألْناه الإذن إلى مكّة ففعل وأَمَر لنا إلى هنالك بالكفاية . ومضينا فحججنا . فلمّا كان يوم الموقف صَبيحة عرفةَ أذَّن المؤذِّنون فما سمعْنا أحداً يؤَذِّنُ إلاّ الصلاة خيرٌ من النوم ، فقلتُ لأصحابي : تَقَرّبوا بنا إلى الله بالأذان حيّ على خير العمل . فَعَلَونا فوق صخرةٍ عاليةٍ ثم أذَّنْتُ بأعلى صوتي وأذّن أصحابي معي . ثمّ وصل الأمير شكر فآلتقينا به في الموقف فرَحّب وسَهّل وتفقّد وأجمل وقضينا حَجَّنا ولم نشعر برسوله حتّى وصل بنفاذنا فأثاب على الفرسين بمائتي مثقالٍ ، وعلى البغلتين بخمسين ومائة مثقال . وأُمر لي رسماً بمائة مثقال . وتعذّر علينا الخروجُ بخروج الحاجّ فلبثنا بعدهم مدةً غيرَ بعيدة ، فآلتمسْنا الرفاق فلم نجد إلاّ رفقةً من بعض أهل تهامة من ناحية

---

(1) سورة الأنبياء/ 2 .

(2) ذات عرق : بكسر العين وسكون الراء في أعلى نخلة الشامية وتفصل ما بين تهامة ونجد والحجاز . وقيل عرق جبل بطريق مكة ومنه ذات عرق . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 89 ، ح 5 نفس الصفحة ، ص 256 ؛ ياقوت : معجم البلدان ، جـ 4 ص 107 ـ 108 .

(3) البرقة حصن بالمراغة من بلد خثعم . وبرقة : إحدى المواقع بمفازة صيهد . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 231 ، 337 . وبرقة حسنا جنوب بدر ما بين مكة والمدينة . انظر : حمد الجاسر : في شمال غرب الجزيرة ، ص 193 ، 199 .
وقد ذكر ياقوت العديد من الأماكن التي تسمى برقة ، منها : برقة العناب ، والعناب جبل في طريق مكة ؛ ياقوت : معجم البلدان ، جـ 1 ص 396 .

يحيى بن عويد وقد حبس(*) الأمير شكر رفيقاً لهم في حالٍ لا أدري ما هو فسألوني المسألةَ فيه ففعلْتُ فأَطْلَقَهُ لهم لسؤالي .

ومضينا في صحبتهم حتّى انتهينا إلى بلاد بني عويد فشَكَر لنا ما كان من إطلاق ذلك الرجل كأنّه كان منه بسبب وأَجْمل إلينا وبدا معنا صاحباً . واعترضنا السراة ووقعنا في عَقَبةٍ كَؤدد صعبةٍ أَعْيَتْ فيها / ركابُنا فخلّيناها إلاّ جَملاً واحداً . فلمّا صرنا [م ق 24ب] **بحوران**[1] من أعلى تَرْج ووقعت علينا عيون من يعرفنا فابتدروا بالبشارة إلى الشريف الفاضل بقدومنا وكان قد ساءه تأَخُّرُنا عن الحاجّ واغتمّ لذلك غمًّا شديداً فلقِيَنا رحمةُ الله ورضوانُهُ عليه في جماعةٍ من بني بدر ووجوه أهل البلد ومَحَابّهم ، وقفلْنا بالسلامة .

وكنت[2] لمّا وصلْتُ بشكر بن أبي الفتوح سألني مواجهة الشريف الفاضل وكأنّه أبان عتباً في انقباضه ، فلمّا وصلْتُ إليه رحمةُ الله ورضوانُهُ عليه بالسلامة عَرّفْتُهُ بقصّتي وخَبَري وما واجهْتُهُ في جميع سفري ، وأوصلْتُهُ تلك الرسالة بما أعاده عليَّ الأمير شكر من المقالة . فقال الشريف : كم لله من أمرٍ إلى حولٍ قابلٍ ! فلعلّ الموسمَ يأتي وقد هلك أحدُ الثلاثة إمّا صاحب اليمن أو صاحب مكة أو هلكْتُ ! فأفضيتُ إلى الراحة ! فما حال الحول حتى هلك شُكْرُ بن أبي الفتوح وخرج الشريف الفاضل حاجّاً ، وخرجْتُ لخروجه حتّى انتهينا إلى الحرم فأحرمنا بعمرةٍ ولبثْنا هنالك إلى وقت الحجّ . فكان الشريف الفاضل عليه السّلام يطوف أكثر أوقاته ليلاً لاختلاط الناس ، وتارةً يطوفُ نهاراً ، وتارةً يقفُ في المسجد ونحن كذلك معه . فبينا نحن ذات يومٍ في الحِجْر إذ ضربوا شيئاً يؤذّنون به للصلاة ويسمّونه الفرقلة[3] من أذناب ثورٍ مدبوغٍ على سبيل الدرة إلاّ أنه أطول منها باعاً ، أشدّ صعاقاً

(*) في الأصل : حبسه .

(1) حوران من قرى وادي ترج . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 334 ؛ فؤاد حمزة : في بلاد عسير ، ص 57 .

(2) قارن باللآلي المضية م2/ص 156 وما بعدها .

(3) الفرقلة : كانت تصنع في الريف المصري على هيئة سوط كبير مصنوع من التيل وله يد خشبية ويضرب بها في الهواء فتحدث صوتاً عالياً . وكان استخدامها لقيادة المواشي وإخافتها .

من المشطاة اليمانية . ثم قام المؤذنون للصلاة ونحن في ناحيةٍ منهم لا نقوم بقيامهم فنحن كذلك مَرّةً بعد أخرى حتّى أتانا ذات يوم رسولٌ يقول : إنّ فُلاناً الشيبي يقول الدعوة في هذا اليوم إسماعيلية فإنْ كنتم تُصَلّون بصلاةِ الناس وإلاّ فآخرُجوا إلى مسجد علي ، فهل من المحنة شيءٌ أعظم من إخراج آل محمد عليهم السّلام من بيت الله الحرام ومَنْعهم الصلاة من دون الإمام وهو أولى به وبوراثته ، وأولى بالدين والدعوة ، وهم الأعلام والقدوة ؟! وهذا والله من أعجب النوادر وأعظم الكبائر ، قال : ثمّ كنتُ أطوفُ ذات يوم إذا بباب الكعبة قد فُتح ورُفع مقامُ إبراهيم عليه السّلام إلى جوف الكعبة ، وكان المتولّي لذلك شريفٌ يقال المتقدى فلمّا رآني أشار إليَّ بيده وهو في جوف الكعبة ، فطلعْتُ إليه وتباركْتُ بذلك المقام والكعبة . ثم قال : امض للشريف السيّد فأسرعْتُ إليه وعرَّفْتُـهُ ، فمضى معي حتّى ارتقى إلى جوف الكعبة ، وتبارك بذلك المقام . ودعونا وصلّينا ، وقضينا حَجَّنا ، وقفلْنـا إلى تَرْج بالسلامة .

قال : وكان الشريف الفاضل قد بنى على الخروج من مكّةَ إلى الكوفة وقد كَلَّم رجلاً يقال له : شبانة بن الأحيمر من بني هلال ، فأنعم له بالرفاق ، / وعقد له [م ق 25 أ]
الصحابة إلى العراق . فطلبنا ركابنا وكانت متخلِّفةً بعرفة ، فخرج الرجل وفاتنا .
قال : وكان الشريف الفاضل قد همّ بمحلّ الدرب المعروف بهرجاب وإثارة المزرعة التي كانت للقاسم بن علي عليه السّلام . قال : وروى لـي عليُّ بنُ محمد بن أبي الجيش أن ذلك الرجل شبانة بن الأحيمر الهلالي قال له : إن كنتَ تَفِدُ على ملوك العراق وتطلب فوائدهم ، وتأكل موائدهم وإلاّ رُميت بالعداوة ! فقال : إنما أنا أفِرُّ بديني فإذا كان عادني فيما فررْتُ منه[1] لم أَخْرُجْ إلى العراق . فآنثنى من السفر إلى العراق وعمل عليه السّلام على محلِّ الدرب المعروف بهرجاب[2] وإثارة المزرعة

(1) في اللآلي المضية م 2/ص 157 : إنما أنا أفر بديني وإذا كان وقوعي فيما فررتُ منه لم أخرج إلى العراق .

(2) هرجاب : من الأودية العظيمة في بلاد شهران ؛ وهو من روافد بيشة مثل وادي ترج وغيره من الأدوية الأخرى . وربما كان هذا الدرب (درب هرجاب) إحدى المناطق القليلة الصالحة للزراعة على وادي هرجاب . انظر ، فؤاد حمزة ، في بلاد عسير ، ص 58 ـ 59 .

التي كانت للقاسم بن علي عليه السّلام على نحو ما أشار به ذلك الشريف فكأنّ صاحب تَرْج كَرِهَ ذلك وتخوّف مما هنالك فأضربْنا عنه لعلمنا بكراهته . ثمّ عرض علينا أن نزرع في المكان عنده وسلّم إلينا بئراً من أبياره تسمى الصيعانية وربط لنا رباطاً من نخلِهِ وقُمْنا في أُهبة ذلك فبينا نحن كذلك إذ ورد علينا كتابٌ من بعض أصحابنا باليمن يقول : إنّ هذا الصُّليحي قد سَرَّح مخرجاً كبيراً وجهّز له جهازاً كثيراً وهو خارجٌ إلى ناحيتكم لا محالة .

فلما وصلتنا هذه الرسالة أضربنا عن الزراعة وخشينا إن نهضوا أن يكون لهم في البلاد طاعة . فشاور الشريف الفاضل عليه السّلام مَنْ معه من الجماعة على ظعنٍ أو إقامة ؛ فكان من عزمه الخروج إلى اليمامة ، وكان غرضهم العراق ، وعمل الشريف الأمير محمد بن جعفر على العودة إلى اليمن . فلمّا فارَقَهُمْ آستوحش لفراقهم وأنشأ يقول[1] :

أبى لي عظم الوجد أن أتصبّرا ... فَحُزْني مُزْدادٌ إذا قلتُ أقْصِرا
سلا الصحب عن ذكر الديار وأظهروا ... عزاءً وأبدى القلب وجداً وأظهرا
إذا ذكرت نفسي العداة على النوى ... علياً ونَسْلَ القاسمَين وجعفرا
وأحمد والفتيان من آل قاسمٍ ... وصنواً لنا شمسان يوماً تديَّرا
ومن قد حوى السور المحيط تفتّقتْ ... عُرى الصبر حتّى مَنْ رأى الصبرَ أنكرا
عليّ ولولا الشوقُ ما كنت واجداً ... ولكنّه أشجى الفؤادَ وأحْسرا
ألم تر أنّا اليوم من بعد كوننا ... بِتَرْجٍ معاً كُلٌّ يُحاوِلُ مَصْدَرا
أخِلّايَ من عُليا بكيلٍ وهاشم ... وحامٍ يرومون العراقَ وتَدْمُرا
[م ق 25ب] ولستُ أروم اليوم إلّا زيارةً ... لصحن عِيانٍ[2] فالسبيع[3] فورورا[4] /

(1) ذكر صاحب اللآلي المضية م 2/ص 157 (تحت) مطلع القصيدة فقط .

(2) عَيَّان بتشديد الياء وفتح العين من بلاد حجة ، وعِيَان بكسر العين وفتح الياء من قرى بلاد سفيان . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 3 ص 618 .

(3) السبيع بفتح السين وكسر الباء وسكون الياء ، قرية من عزلة بني قيس ناحية خمر . النتائج الأولية لتعداد 1986 ؛ التقسيمات الإدارية لعام 1985 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 3 ص 415 .

(4) ورور : بفتح الواو وسكون الراء : جبل وواد في بني جبر ناحية ذيبين ، شمال شرق قرية ذيبين . =

فبيتِ شعيب[1] فالرسوم التي به ... سقته الغوادي الجَوْدَ حتّى تعرعرا

رسومٌ لنا كانت مداراً وملعباً ... وللغانياتِ البيضِ ملهًى ومَسْمَرا

فمن ينس إذ بان الديارُ فإنني ... لربعٍ بشمسان[2] الغديّة أقفرا

لعمرُك ذو ذكرٍ وإن كان لَهْوُنا ... به كان من ذكر المهيمن أكثرا

فذكر الصبا واللهو يا قلبُ خُلّةٌ ... ولا تنس عصراً كان لا شكّ أظهرا

لياليَ إذ كنّا بذعبان قد ترى ... به مصحفاً يُقري ولوحاً ودفترا

وإخوان صدقٍ لا تَبَاغُضَ بينهم ... ومجلس علمٍ يُستفادُ ومحضرا

إذا علم مولانا الحسين أداره ... ذوو الحفظِ منا خِلْتَ مِسكاً وعنبرا

فَسَقياً لعصر كان ثُمّ تتابعت ... عليه صروفُ الدهر حتّى تغيَّرا

لقد كِدْتُ من وَجْدٍ عليه ولوعةٍ ... أصير شجياً ناحِلَ الجسم أصفرا

سأنْدُبُ ذاك العصر حقاً وأهله ... وأذكُرُهُم ما دمتُ حياً مُعَمَّرا

وأندُبُ أيّام الهِرابةِ ما بدت ... نجومٌ وما لاح الصباحُ وأسفرا

فقد كان في أيّامها العِزُّ والعلا ... وكنّا بها العالين يا من تحيدرا

وكنتَ ترى الفتيانَ والخيلَ والقنا ... بها عُكّفاً يشجون مَنْ قد تَجَبَّرا

يقودُهُمُ الطهر الزكيُّ أخو التُّقى ... وأكرم خَلْقِ الله أصلاً وعُنْصُرا

رئيس بني الزهراء قاسم ذو العلا ... فأظهر معروفاً وأخمل منكرا

وباين مَنْ بادى الإلّه بكُفْرِهِ ... وواصل مَنْ والى الكبير المكبّرا

زماناً وأردى الدهر غدراً وأهله ... فَبُعداً لأهل الدهر ما كان أغدرا

فأصبح منّا اليومَ بعضٌ مُشَرَّداً ... وأهلك ريبُ الدهر بعضاً وأَقبَرا

فيا دهرُ أمّا حين أبعدْتَ قاسماً ... وأحمد نقّاع الصديق وحشمرا

وَفَرّقْتَ بيني اليوم كرهاً وبينهم ... فما لي إلاّ أن أنوحَ وأسهَرا

= الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 4 ص 764 ؛ خريطة ج . ع . ي . 1 : 50000 صفحة 1544A1 .

(1) بيت شعيب : قرية من حزة سهمان ناحية بني مطر قضاء صنعاء . التقسيمات الإدارية لعام 1985 .

(2) شمسان : حصن مطل على علمان من ناحية بني الحارث أسفل وادي ظهر . وشمسان حصن في غربان من بلاد حاشد . وشمسان حصن في مدام من ناحية همدان قرب صنعاء . انظر : الحجري : مجموع بلدان اليمن ، جـ 3 ص 457 .

لقد كان مني الوجد من أجل قُربهم ... ومن قبل أن يرموا اليمامة أحسرا
فلمّا استمرّ السيرُ منهم وودّعوا ... تكاثف نَبْتُ الوجد حقاً وأزهرا
وأصبحتُ ذا هَمٍّ وحُزْنٍ ولوعةٍ ... فلو أنّ ما بي اليوم بالصخر أخبرا
لعظم الذي لاقاه من شدّة الأسى ... ومن مِحَنٍ شتّى ودهرٍ تنكّرا
[م ق 126أ] فما لي إلاّ الصبر إذ صرتُ مُفْرَداً ... ببيشة[1] لا ألقى العداة ولا أرى/
صفياً من الإخوان أو ذا قرابةٍ ... فيا لك خَطْباً ما أَجَلَّ وأكبرا
كذا المرء والأيام إنْ قيل إنّه ... قد أيسر يوماً قيل لا شكّ أعسرا
فلا تجزعنْ من ريب دهرٍ وصَرْفِهِ ... ولا تبغ إلاّ عيشةً لن تُكَدَّرا
لَعَمْرُكَ في جَنّاتِ عَدْنٍ نعيمُها ... مقيمٌ لمن والى الإلّه وشَمّرا
إذا الحُرُّ حقاً صام عن لَذّة الفنا ... على لَذّةِ التخليدِ لا شكّ أفْطَرا

تَمّ الشعر . وكم له رحمةُ الله عليه من الشعر في هذا الجنس .

قال : ثم أمر بحريمه أن تُنقل من بيت شُعيب إلى عِيان وصاحب ذلك مواجهة الصليحي في بعض طيافته لصوافيه ، وعمل في ذلك بعض أهل البغي بغية فنبذ بالأمان إليه ، وقابل صنوه الحسن بن جعفر بالنقض عليه فأرسل إلى صنوه محمد بن جعفر بذلك العلم . قال : وصادف وصول العلم به وصول أحمد بن مظفر من صعدة إلى عِيان فواجهه وهو على رحيلٍ قد ركب في عمارةٍ له فقال له : لي إليك حاجة ! فقال : إلحقني إلى بركة الضرك[2] فلحقه فشكى إليه القصّة وقال له : أعطني موثوقاً عل المحلّ في مخاليفك وكن أُولى بحيازنا فأنت أقربُ الناس إلى ديارنا ! فقال : أنا أكفيك ! قال : أعطِني خطاً ! قال : أنا أكفيك ! قال : أعطني خطاً ! قال : أنا أقول لك أنا أكفيك فلا تقنع ؟ فلجّ عليه في الخطّ فقال : إلحقني إلى أثافت . قال : فصرت في أمر مَريجٍ إن تقدَّمْتُ فالتقدُّمُ يُتْعِبُني وإن تأخّرت

(1) بيشة : أكبر أودية السراة الشرقية . ويبدأ وادي بيشة من سراة عَبيدة ورُفيدة . وروافد بيشة أودية عظيمة مثل ترج وتبالة وهرجاب وبطنة . ويعتبر هذا الوادي وادي خثعم إذ أن جميع البطون القاطنة فيه وفي معظم روافده هي بطون من خثعم . وتقوم على أطراف الوادي إحدى وعشرون قرية . انظر، فؤاد حمزة ، في بلاد عسير ، ص 54 ـ 59 ؛ والبلادي : بين مكة وحضرموت ، ص 172 ـ 173 .

(2) ذكر الهمداني أن الضرك من بلد همدان . ويتضح مما ذكر أن الضرك هي إحدى قرى ناحية حرف سفيان . انظر ، **الهمداني** ، صفة جزيرة العرب ، ص 218 .

صارت وحشة ؛ فلم أر إلاّ التقدم . قال : فعدْتُ فلمّا كان متى تقدَّمْتُ إلى مشهد القاسم بن عليّ عليه السّلام وتباركْتُ به وتقدّمْتُ حتّى لحقْتُهُ بأثافت فدخلْتُ عليه وهو في مجلسه وإنّ عنده لجماعةً من الأصحاب والإخوان والمَحَابّ فما رَدَّ أيُّهُم عليَّ سلاماً ولا هَمَّ لي بقيامٍ فكلّمتُهُ في شأن الرقع فكتبه لي وعدت إلى عيان . قال : وكان سبب تلك الوحشة التي أُلقيت إلى الصليحي حركة الشيعة الحسينية بالظاهر[1] . قال : ونهض الأمير محمد بن جعفر إلى صنوة الحسن بن جعفر ببيت شعيب يـريد أن يمضيـا إلى الصليحي ويسكتان هـذه القالـة ويغطّيـان سبب هذه الحالة . فنهضنا إلى صنعاء ، وصاقب وصولُهُمامَرَاحاً للقوم من مخرجٍ لهم خرجوه وهم مجتمعون بمسجد الحُرّة الذي بالميدان خارج المدينة . فاستأذنا عليه فلم يؤذَنْ لهمـا . قال : فمضى الأميـر محمد بن جعفـر حتى دخل القـريـة ، وبقي صنـوه الحسن بن جعفـر / فأذن لـه بعد مُضِيٍّ صنـوه فدخـل ، ثمّ قال لـه الصُّليحي : [م ق 26ب] يا شريف ! تعلم أنّ أخاك هذا يتعرّضُ لنا ، ويفسد عشائرنا ، ولم يقبل العافية منا وأنا فقد برئتُ من ذمّته فلا أمانَ عليه مني ! قال : ثم قدم إلى صنوه داخل المدينة فأخبره الخبر . قال : فأقمْنا خائفين نترقّب الهلكة لولا العصمةُ من الله عزّ وجلّ . ثمّ سِرنا إلى دار أحمد بن مظفَّر نسألُ أن يُجَدِّدَ لنا أماناً أو يغفل عنّا زماناً . فلقينا كاتبه عبد الله بن محمّد في دهليز داره فتحدّث معنا وأخرج لنا كتباً من الشيعة الحُسينية من بعضهم إلى بعض يذكرون فيه أنهم قد اشتوروا على قتل أحمد بن مظفَّر في الفقع[2] وأنّا قد شاورْنا على ذلك الشريف محمد بن جعفر . وكان الواصل إليهم بتلك الكتب الزبير بن معمر الوادعي . قال : فوقعنا في هذه ما كدنا أن نخلص منها إلاّ بفضل الله ! قال ؛ فقلْتُ : ما فتحْتُ في هذا باباً ، ولا كتبْتُ فيه كتاباً ، ولا أجريتُ فيه خطاباً ، ولو كنتُ فعلْتُ هذا لَقُلْتُهُ . وما إذن أتيتُ هذا المكان ولا وصلْته ! ثم سألْناه مواجهة أحمد بن مظفَّر فأذِن لنا فطلعْنـا إليه فـابتدأْنـاه بالكـلام وطلبْنا منـه الأمان

(1) الظاهر : كل ماارتفع من البلدان يسمى ظاهراً ، كذا بـالإضافة إلى محله كظاهـر همدان وظـاهر المحويت . الحجري : مجموع بلدان اليمن ، جـ 3 ص 563 .

(2) الفقع من وادعة ، وهو نقيل وأحد مسايل وادي حبش . انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 160 ، 222 ، 364 .

والذِّمام . فما زاد على أن قال : أفسدتم الناس بمُحالكم وكذبكم تَعِدونهم بحياة عمِّكم ولم ترعوا ما فعلْنا لكم وأسدينا من المِنَنِ إليكم ! هذا أخوك أجملْنا في أمره وأطلقْناه من أَسْره فمضى يطلب لنا الغوائل ، ويحالِفُ علينا القبائل ! وأنتَ في اليمن تُفسد العشائر وتُحالف شيعتكم بالظاهر ، وليس عاد اليمن يسعُنا وإيّاكم فاْحمِلْ منا نفسك والحق أخاك . قال ، ثمّ قلتُ له : افسح لي في الكلام ! فقال : تكلّمْ بما شئتَ! وأصغى إلى كلامي . قلتُ له : أمّا قولُك أنّ في رقابنا مِنَناً لكم فَلَعَمري ما جحدْنا فعلَكُم ولو أردْنا جَحْدَها ما انجحدَتْ لاشتهارها ، وأمّا أنا فما حالفْتُ ولا خالفْتُ . وأمّا قولنا بحياة عمّنا فذلك قولُنا واعتقادُنا وعليه نبتت لحومُنا ودماؤنا ، وإذا سُئلنا عن ذلك أخبرنا فإنْ أمرْتنا أن نرجع عن ذلك رجعنا . قال : لا والله ما أنا آمُرُك بالرجوع عن دينك هؤلاء تحت لهوجنا يهود ونصارى ومجبرة وزيدية ما جبر أحداً منهم أحدٌ على دينه ! ثم قلت : أنا أُحِبُّ أن يُعمل معي أحد ثلاثة أوجُهٍ ! قال : وما هي ؟ قلت : قد صار تحت أيدينا حريمٌ وعيالٌ وضعفى وأطفال وأنا أُحِبُّ أن تدعني سبباً لمساكهم ولا يكن بيديك سببُ هلاكهم ، وتتركني أقوم عليهم وأتسبّب في الرزق إليهم ، ولا تسمع عليَّ كلاماً ولا تصدّق فيّ باغياً ولا نَمّاماً ، وإمّا كفيتَني مؤونتَهم وأجريتَ ما يقومُ بهم وأُغلق عليّ بابي وألزمُ منزلي ولا أخرُجُ من الباب ولا أُواجِهُ أحداً بخطاب ، وإمّا أعنْتَني على نقلهم بالحمول / والزاد ونقلتُهُم منكَ إلى بعض البلاد . قال : نعم أُريد أُقوّيك وأفعل لك ولأخيك كما فعلنا فيه أوّلاً فكفر نعمتنا وجحد مِنّتنا ! قلتُ : ما كفر نعمتكم ، ولا أساء إليكم ، ولا جحدها ، ولا خالف عليكم ! إنما هو رجلٌ أعداؤه كثيرٌ من أهل اليمن وبينه وبين كثيرٍ منهم بسبب القيام عليكم الضغناء ، وهذا طاهر بن الحسين قُتل في فنائكم وكان من أمره ما علمْتَ ، ومن مثلها خرج أخي . قال : قد عرضنا قَتَلَتَهُ على بني عمّه ! قلتُ : لو جرى على أخي جارٍ ثم أفنيتُم الخَلْقَ بعده ما أغنى عنّا شيئاً ، فما خرج إلّا فاراً بنفسه ، خائفاً على رأسه ! قال : فامتلأ غيظاً وقال : فخف على رأسك والحق أخاك فليس يسعُنا اليمنُ وإياك ! قال : فلطفنا به وترفّقْنا في خطابه وقلنا له تسبَّبْ في أماننا وأقِرَّنا في مكاننا ! قال : قد حَتّم مولانا حتماً وليس عادتي أقدر على مراجعته فيه . فما زلنا به حتى قال أفعلُ بكرهٍ منه ، ثم لم نشعر برقعه حتّى أتانا يقول : قد واجهْتُ

[م ق 27أ]

مولانا فيما سألاه فما أنعم في شيءٍ من ذلك ! قال الأمير محمد بن جعفر : فتطاير عنّي أصحابي وبقيتُ وحدي خائفاً أترقّبُ وقوعَ البلية ونزول المنية في مسجدٍ بإزائهم . ثم تلطّفْت حتى صرتُ إلى دار أخي أبي الفتح نوح بن يحيى بن زنجي . فلبثْتُ عنده لا يعلم أحدٌ بمكاني ثمّ سألْتُهُ أن يكتري لي ركوباً فأتاني بحمّالَين من أهل الجوف الأعلى قد حملا عنباً فركبْتُ معهما بين قفصين وخرجْتُ في غَسَق الفجر متنكّراً وأفْضَت الطريقُ بي من خطرٍ إلى خطرٍ حتّى صرتُ إلى مهدي بن أبي ليلى رحمةُ الله عليه بعد أن كدتُ ألاّ أصِلَ إليه فأَبثثْتُهُ أمري وأطلعْتُهُ على سِرّي ، فسلّى عني بعض ما كنت فيه وجمل حالي عنده ثم صَحِبَني هو وبنو عمّه إلى ريدة[1] . ثم توجّهْتُ طريق الحصن متنكّباً عن الطريق خوفاً حتّى انتهيتُ إلى هنالك فشكوتُ ما لقيت إلى بعض الإخوان فقال : أنا أرى أن يُؤْمَرَ بصائحٍ في هذا السوق يعني سوق بني ربيعة[2] أنّ محمد بن جعفر يقول : لا يواجِهُهُ أحدٌ ، ولا يصلُ إليه . فما زاد ذلك الصائح على أن أغرى بي الإخوان ، فما شعرْتُ إلاّ وعندي منهم جماعةٌ في الليل يعرضون بذل أنفسهم وأموالهم والمُنابذة للعدو والمجاهدة ؛ وذلك في شِدّةٍ من أمور بني الصُّليحي وقوةٍ منهم ولأنّهم في جميع الإقليم يأخذون البريء بالسقيم ، فكرهْتُ ما عرضوا عليَّ وعرّفْتُهم أنّ غرضي في الخروج إلى الشام فتكفّلوا لي بالقيام بمن خلّفْتُهُ من الأولاد والأحرام . ثم قلتُ : اصحبوني ! وخرجْت متنكّراً فذكرتُ قول زيد بن عليٍّ عليه السّلام[3] :

---

(1) ريدة : بفتح الراء وسكون الياء بالدال المهملة المفتوحة ، قرية وناحية في قضاء عمران . وتقع ما بين : 8" 49′ 15° شمالاً ، 34" 102′ 44° شرقاً . انظر ، الهمداني ، الإكليل ، جـ 8 ص 165 - 166 ؛ البكري ، معجم ما استعجم ، جـ 2 ص 688 ؛ السياغي ، معالم الآثار اليمنية ، ص 64 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1544A1 .

(2) ربيعة بن عبد : بطن من أرحب بن الدعام . . . بن دومان بن بكيل من همدان القحطانية . كحالة : معجم قبائل العرب ، جـ 2 ص 422 . وقد ذكر الهمداني أن بني ربيعة وبني صريم هم سكان بلد حرب بن وادعة وهي مناطق تقع حول قرية حوث . انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 128 ، 160 .

(3) مقاتل الطالبين ص 205 أنّ المتمثّل بالأبيات هو محمد النفس الزكية الثائر عام 145 هـ على المنصور .

منخــرقُ الـخفَّين يـشكــو الــوجى   تــنــكُــبُــه أطــرافُ مَــرْوٍ جِــدادْ
[م ق 27ب] قــد كــان فــي الــمــوت لــه راحــةٌ   والـمــوتُ حَتْمٌ في رقــاب الـعبــادْ/
شــرّده الــخــوفُ عــن أوطــانــه[1]   كــذاك مــن يــكــرهُ حَــرَّ الــجِــلادْ

قال : ومضى معي أصحابي حتّى فارقوني ببركة خيوان[2] ، وتمّمْتُ أنا والشريف الحسن بن إبراهيم إلى عِيان وأقمْتُ متخفّياً بها عن الأهل وغيرهم زهاء السبع أو الثمان حتّى عرض رَكْبٌ يريدون الحجاز من سنحان ، فودّعْتُ في ليلتي تلك جميع الأهل والإخوان وداعَ من لا يرجو الاجتماعَ بهم ، وخرجْتُ مع الركب وسألْتُهُمُ الصحابة فقالوا : من اسمك ؟ فقلتُ : عبد الله . قالوا : ابن من ؟ قلت : ابن محمد ، وما قلتُ إلّا حقّاً . وجَدَّ بنا السيرُ إلى بعض الطريق فلمّا حططْنا خلا بي رجلٌ منهم ثم قال : ألستَ بفلان ؟ قلت : لعلك شَبَّهْتَ ! قال : ألستُ أودعت عندك وديعةً ، وفي رقبتي لك صنيعة ؟ وأثْبَتَني معرفةً وقال : لستُ لك بعدوٍّ ولا شانىء . قلتُ له : فلا يعلم أحدٌ بمكاني . فقال : القومُ عدوٌّ للجميع منا .

قال العبّاس بن يوسف الشريفي : هذا الرجل الذي واجهه هو رجلٌ شريفيٌّ من أهل راحة يقال له : الجابر بن عمرو المحصني . قال : ثُمَّ انتهى بنا السير إلى بلد سنحان وتفرّقَ القومُ إلى أماكنهم وأصحبونا بصبيٍّ منهم . وحثثنا السير حتى وصلنا إلى وطن جنب ؛ وكان الرجلُ جنبياً ؛ ثمّ قال : لا تكتُمْ شيئاً من شأنك فإنك قد بلغْتَ إلى أمانك ! ثم لم يدع شيئاً من الجميل حتّى أسداه إلينا . ثم استصحب لنا رجلاً يقال له الوجيه من بني فضلة حتّى أوصلَنا إلى رجلٍ يقال له المرتفع بن المزراق من شهران ، وبلغنا إلى تَرْج بالسلامة .

---

(1) في مقاتل الطالبيين : شرّده الخوف وأزرى به .
(2) خيوان بفتح الخاء وسكون الياء . أرض خيوان بن مالك وهي الحد بين حاشد وبكيل . وخيوان عزلة في ناحية حوث . وقرية خيوان على بعد 10 كم جنوب مدينة الحرف ، وتقع ما بين : 44" 16′ 16° شمالاً ، 51" 03′ 44° شرقاً . انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 115 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 2 ص 215 ، 223 ؛ التقسيمات الإدارية لعام 1985 ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، جـ 2 ص 445 ، 458 ؛ خريطة ج. ع. ي، 1 : 50000 ، صفحة 1544C1 .

قال مفرِّح بن أحمد : سألْتُ الحسن بن واقد عن سبب خروجه إلى الشريف الفاضل عليه السّلام فقال : اعلم أنّي لما تعلّقْتُ بالدين والإسلام ووقعت في قلبي محبّةُ الشريف الفاضل عليه السّلام عقدْتُ على الخروج والهجرة إليه بالشام فنهضْتُ أنا وزيد بن أبي العشيرة النعامي وأحمد بن طريف ـ وهما من أهل خدمته ومحبّته ـ حتى إذا صِرْنا بصعدة التمسنا رفيقاً فألفينا هنالك عليّ بن ناهض الشاعر الخثعمي فسألناه الصحابة فقال : حباً ونعماً ! ثمّ قال متمثِّلاً :

إصحب رفيقــك حتّى ينقضي السفــر   إنّ الــذي أنت مــوليـه سينـتـشــرُ
ولا تـكـن كـلئـام ٍ مَـسُّـهُـمْ ضَـجَـرُ   إنّ اللئـام إذا مـا ســافـروا ضَجِـروا

ثمّ سِرْنا في صحبته إلى بلد خثعم ، واستصحب لنا إلى ترج فوصلْنا إلى الأمير محمد بن جعفر وهو بقرية الحبل[1] من ترج فَسُرَّ بنا وأكرمَنا ثم نهض بنا إلى الشريف الفاضل وهو بالحضير في زراعةٍ له منفرداً يقاسي بنفسه يظلّ صائماً قائماً ولا أهلَ له ولا ولد فإذا أمسى عليه قام يقاسي شيئاً يفطر عليه فلمّا قدمْنا إليه سُرَّ بمقدَمِنا ورحّب بنا وأكرمنا ثم ذكر لنا / المِحَنَ والعوارضَ فقال : اعتزلْتُ ها هنا عن سماع ما أكره [م ق 28أ] ورؤية ما لا يجوز رؤيته فاستأجرْتُ هذا الأجير ليسوق لي هذين الناضحَين فهو يتغنّى ويترنم ويذكر ما لا يجوز ذكره . قال : فبينا هو يذكر ذلك إذا براعٍ قد دخل إلى عريشٍ في جانب الموضع وجعل ينفخ في قصبةٍ له ويزمر . قال عليه السّلام : وهذا أيضاً . ثم خاف بالموضع وانتقل منه إلى مكانٍ يسمى أبا نجاش فرَتّب به زراعةً وأقام مدّةً ثمّ رجع بعد ذلك إلى ترج وذلك بعد موت حشمر بن عبد الأعلى رحمةُ الله عليه ؛ وتخلّى للعبادة وعقد على نفسه التخلّي والتعبُّد والدراسة ، ولزم منزله . ثمّ اشتهى العزلة عن القرية إلى موضعٍ يقال له القصر فآبتنى به منزلاً وآبتنينا بإزائه بيتاً ثمّ قال لنا ذات يومٍ : قد رأيتُ رأياً ! قلنا : ما هو؟ قال : يأخذ كلُّ رجلٍ منا كتاباً يقرأ فيه سنةً كاملة ؛ فيأخذ رجلٌ كتاب (المُعْجِز) ورجلٌ كتاب (المختصر) ورجلٌ

(1) أرض الحبل في مسيل وادي السوادة شمال وادي بيشة . فؤاد حمزة ، في بلاد عسير ، ص 52 . بينما يذكر الهمداني أنّ الحبل من بلاد الحِجر يسكنها بنو مالك بن شهر ؛ الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 234 ؛ والبلادي : بين مكة وحضرموت ، ص 27 .

كتاب (التفسير) ورجلٌ كتاب (المنتخب) ورجلٌ كتاب (التفريع)[1] وكنّا خمسة نفر الشريف الفاضل وصنوه محمد بن جعفر وولده سليمان بن القاسم وزيد بن أبي العشيرة وأنا . وعملنا على هذا الرأي وعقد الشريف الفاضل على نفسه أن لا يجلس في غير منزله إلّا أن يزوره المعافى بن بدر فيجلس معه لِحَقّ الجيار . فأقمنا على ذلك مدةً من الزمان حتّى لحق الشريفَ سليمانَ بن القاسم جفافٌ في دماغه من كثرة الدراسة فزال عقلُه . وكان سليمان بن القاسم يقول : ما أَظُنُّ المِحَنَ تَدَعُكُمْ وإتمامَ ما عقدْتُم عليه ! فكان كما توسَّم رحمه الله . وروى لي الحسن بن واقد عن الأمير محمد أنه قال : قد كنتُ أحسستُ شيئاً من الدراسة فتداركْتُ نفسي وعالجتُها فزال عنّي ذلك . قال : ثُمّ اشتغلْنا بمقاساته في عِلّته حتّى خَفّ عنه منها شيءٌ . ثمّ تناهى إلى الشريف الفاضل أخبار وتحوّر الغوائل بترج فبنى على السفر فقال لي ولزيد : إعلما أني قد عزمْتُ على السَّفَر إلى العراق والشام والانقطاع من اليمن بالكلية فإنْ أحببْتُما الانقطاعَ معي بنيتُما على ذلك وإن أحببتُما الرواحَ عَرّفْتُماني . فقلنا : نحن معك حيث توجَّهْتَ من أرض الله ! فعرض عليَّ الخروجَ إلى مكّة فأمرنا بالزاد وعلفنا ركابَنا وقمنا عليها أربعين يوماً ثمّ نهضنا متوجِّهين إلى مكة ، فلمّا صرنا ببعض الطريق وقد التأمت إلينا قافلةٌ فآعترض لنا عربٌ من بني هلال[2] ليأخذونا فقال لهم الشريف الفاضل : أنا رجلٌ من بني حسن فأقْدِمُوا على ما شئتم مني ! قالوا : فاطلُب لنا من هؤلاء التجّار سبباً ! قال : هم رفاقي وليس إليهم سبيل ! ومضينا حتّى دخلْنا مكّةَ في شهر رجبٍ سنة تسع وخمسين وأربعمائة فأحرمْنا بعُمرةٍ ، وحططْنا في مسجد عليٍّ رضي الله عنه ثمّ أحلَلْنا .

[م ق 28ب] وكان الشريف يطوف قليلاً والاسم للصُّليحي بمكّة فنحن بها / أخوافٌ فأشرنا على الشريف بمواجهة ابن أبي هاشم فمضى ليواجهه فاعتذر عن المواجهة فزادنا

---

(1) أمّا كتب المعجز والمختصر والتفسير فهي للمهدي الحسين بن القاسم (قارن بالتمهيد عنها) . وأما التفريع فلوالده القاسم بن علي العياني . وأما المنتخب فهو كتاب في الفقه جمعه محمد بن سليمان الكوفي مما سأل عنه الهادي إلى الحقّ يحيى بن الحسين .

(2) هلال بن عامر بن صعصعة ، من هوازن . . . كانوا يقطنون الحجاز ونجداً حول مكة . ومن ديارهم بيشة وتربة . كحالة : معجم قبائل العرب ، جـ 3 ص 1221 . وانظر : ياقوت : معجم البلدان ، جـ 2 ص 21 .

اعتذارُهُ خوفاً . فبنى الشريف على الخروج إلى المدينة فخرج معه رَكْبٌ من بني جعفرٍ فصحِبونا بأحسن صحابةٍ حتّى خرجْنا من بلادهم وصرنا إلى بلاد بني حرب[1] فلمّا انتهينا إلى بعض المياه استقينا وصلّينا ومضينا . ثمّ أتى سَرْحُهُم فوردوا الماء فقصُّوا أثرنا على الماء فما شعرنا باليحاوية(*) إلاّ وهي على أثرنا فما لبثوا أن أحاطوا بنا . فلمّا رأينا ذلك لزمنا ، فقالوا : ادفعوا الصحابة إن أحببتم السلامة ! وكان معنا رفيقٌ لنا مَدَنيٌّ فلم ينظروا فيه فقال الشريف : أنا رجلٌ من بني حسن ! قالوا : فهؤلاء اليمانيُّون ؟ فوهبنا لهم شيئاً من زادنا ومضينا حتّى دخلْنا المدينةَ من بعد أن عُدي علينا مرةً أخرى . فلمّا دخلْنا المدينة أمرنا الشريف بالاغتسال وقال : هذا حَرَمُ رسول الله يجبُ له ما يجبُ لحرم بيت الله فاغتسلْنا ودخلْنا المسجدَ ، وازدرْنا قبر رسول الله صلواتُ الله عليه ، ووصلنا وقد انقطع الزاد فأجمع رأيُ الشريف على قصد الحسين بن المهنّا الحُسيني[2] وهو يومئذ خليفة أمير المدينة مخيط بن أحمد الحسيني[3] ومخيط غائبٌ بمصر فأضفْنا إليه وذلك في شهر شعبان سنة تسعٍ وخمسين وأربعمائة سنة فأنزَلنا منزلاً من بعض أزقّة المدينة وأجرى لنا صاعاً من دقيقِ ذُرةٍ وأوقيتين من سمنٍ ونحن ستّةٌ فأقمْنا في منزلنا ذلك في شقٍّ منه وفي الشق الثاني قومٌ يعملون بالمعاصي إلا أنهم يُسِرُّونها جهدهم فشقّ علينا ذلك فواجهْتُ الشريف في ذلك فواجه رجلاً من أهل المدينة كان يحضر مجلسه ، إلاّ أنه اثني عشري في مذهبه وكان يتحدّث معه ويناضلُ عن دينه حتّى يقطَعَهُ الشريف فكان يشتهي كلامه ويتفقّه منه في الدين فشكى إليه ما شقّ علينا من ذلك المنزل ، فطلب لنا منزلاً على ناحيةٍ أُخرى فانتقلْنا إليه فما شعرنا إلاّ والمعازفُ محيطةٌ بنا جِهاراً ! فقال الشريف : ما رضيتُ يا أبا فلان أن نُجاور قوماً يعصون سراً حتى جاورْنا قوماً يعصون الله جهراً ! قال : ثمّ تعبنا من تقاصر الأسفار فأمر الشريف ببيع أواعي زاده وخُرُوج راحلته . فكنّا

(*) كذا في الأصل .

(1) حرب : قبيلة أكثرها من العدنانية ، تقع أماكنها في نجد وفي الحجاز . أما في الحجاز فتمتدّ ديارها من جنوبي ينبع حتى القنفذة . انظر : فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ، ص 147 ـ 151 ؛ وكحالة : معجم قبائل العرب ، جـ 1 ص 259 .

(2) في اللآلي المضية : الحسين المهنا الحسني .

(3) في اللآلي : محبط بن أحمد الحسني .

نأخذ الشيء اليسير من الثمن بالثمن الكثير وكنّا ننتظر قدوم أمير المدينة مخيط نرجو منه أن يزملنا بزادٍ وركابٍ ويُعيننا على السفر ، وغرض الشريف الفاضل الكوفة وزيارة قبر أمير المؤمنين والوقوف بمشاهد العراق والتوصُّل إلى بيت المقدس . فنحن على تلك النية إذ ورد قُلٌّ من الناس قد ظفر بهم اللصوص في طريقهم وهم من العراق ، فأخذوا زادهم وركابهم فكأن ذلك ثنى عزائمنا . ثم هممنا بقرى الشام / فأخبِرْنا [م ق 29أ] بشكلٍ من ذلك ، فنحن ما بين صادرٍ ووارِدٍ في أمرنا إذ قدم أميرُ المدينة مخيط من سفره ونفوسُنا مُشْرَعَةٌ إلى قدومه فما زاد إلاّ أن قطع عنّا ذلك الصاع وصرنا على غايةٍ من الانقطاع ! فأمر الشريف ببيع مدرعة صلاته والقناع . فلمّا لم نجد شيئاً نبيعه ؛ نهض الشريف إلى مخيط على كرهٍ منه ؛ فكلّمه في إعادة ذلك الصاع فأعاده . فلمّا أهلّ علينا شهر رمضان تقدّم الشريف الفاضل عليه السّلام فاعتكف في مسجد رسول الله صلواتُ الله عليه وأقبل على القراءة والدراسة لكتب آبائه عليهم السّلام . وكان يتنقل من الروضة إلى المنبر ويثابر على مقام جبريل الأمين عليه صلواتُ ربّ العالمين . فكان يُكثر الدعاء بمقام جبريل فسألْتُهُ عمّا يدعو فقال : سألْتُ الله أن يرزُقني الجهادَ في سبيله ، وأن ينتقم من الصُّليحي وقبيله ، وأن يُعينَني على الزهد في كثير الحُطام وقليله .

فما لبثْنا غير شوّال وقُتل الصُّليحي[1] في ذي القعدة فكان بعد وصوله اليمن ومقاساته لما قاسى من المحن يقول : يا أبا فلان ! استُجيبت الدعوة ! وقد كان لمّا عظُمت عليه المخافة يأمرنا باستبطان السكاكين وبالصلاة في المسجد مجمعين يقول : إنْ عدا علينا عادٍ أخذ كُلٌّ منّا بنفسه . قال : واشتهر أمر الشريف الفاضل هنالك عند الشرفاء والعرب وصارت الزوار يقصدونه ويتباركون به ويحضُرُون مجلسه باشتهاره .

---

(1) قام سعيد الأحول بن نجاح وأتباعه من الأحباش بقتل علي بن محمد الصليحي في يوم السبت الثاني عشر من ذي القعدة سنة تسع وخمسين وأربعمائة وقتلوا معه عدداً كبيراً من بني الصليحي وكبار دولته بالقرب من المهجم . انظر : مجهول : السيرة الصليحية ، ص 30 ـ 31 ؛ عمارة : تاريخ اليمن ، ص 126 ـ 127 .

فلمّا اشتدّ بنا الأمْرُ عزم الشريف على الاختلاط ببني حسن بالصفراء[1] وينبع فواجَهَ رجلاً من رجالهم فسأله الصحابةَ فانسلّ عنه . فلمّا رأى ذلك عزم على النهوض إلى اليمن والكمون به في بلاده وأوطانه وبين بني عمه وأخواله . فمضى إلى أمير المدينة مخيط بن أحمد فسأله الزاد والركاب . فوجّه إليه بشارِفَين من الإبل لا يخرجان ثمناً ولا يحملان راكباً . فأمر فيهما الشريف شبل بن عمرو ببيعهما فلم يخرجا له إلّا ديناراً واحداً ، فعاد بهما شبل إلى باب مخيط فارتبطهما هنالك وولّى وهو يقول :

إلى اللّهِ أشكو ما تردّد قاسمٌ ... إلى مِخْيَطٍ صبراً نِهافاً غلائله
أقمنا زماناً نرتجي فضل مِخْيَطٍ ... وهو غائبٌ حتّى أتَتْنا جمائلُه
فيا ليتنا متنا(*) ولم نلق مِخْيطاً ... وغالته منّا دون مصرٍ غوائلُهْ
كفى ابن المهنّا مخيطاً طرق الندى ... ونرجو نوالاً نائل النجم نائله

ووصل إلى الشريف فعرّفه بذلك ثم سأل الشريف الحسين بن المهنّا زاداً فبعث إليه بثوبين / من حوك الحجاز وكان قد أرسل غلامه مبارك بن سليمان إلى [م ق 29ب] الشريف أبي هجري سليمان بن محمد بن علي الرستي فبعث إليه بمثقالين . قال : وتجهّزْنا للسفر إلى اليمن حتّى انتهينا إلى السوارقية[2] ونحن من صاحبٍ إلى صاحبٍ ومن خوفٍ إلى خوف ؛ ونحن نلتمسُ الرفاق مجاوزين مكة سرقةً منتحين عن طرقها لأنّه حقّق لنا أنّ الغريب أبا البقاء وزير الصليحي قد حطّ بمكّة في الأموال والرجال مقدّمةً لخروج الصُّليحي إلى مكة وقد ابتدأ بها العمارة يُكاتبُ عربها ويستدعي أدِلّة الطريق إلى العراق فنحن له خائفون وعن طريق مكة صارفون . ثم

(*) في الأصل : منا .

(1) الصفراء من أرض هوازن . ويقع وادي الصفراء شمال شرق بدر على الطريق من مكة إلى المدينة . الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 286 ؛ الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص 410 ، حمد الجاسر : في شمال غرب الجزيرة ، ص 186 ، 193 .

(2) السوارقية ، قرية لبني سليم من أرض جهينة . انظر : الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 286 ؛ وحمد الجاسر : في شمال غرب الجزيرة ، ص 222 .

صرنا إلى حيّ عَدْوان[1] فلقيَنا تصريحٌ من الأخبار بقتل الصُّليحي فلم نأخذ بذلك . ثمّ تقدّمْنا برفيقٍ من عدوان حتّى هجمْنا على عربٍ بعُكـاظ[2] فأنخْنا بإزائهم فهمُّوا بأخذنا فرفعنا عجلاً حتى أنخنا بين أبياتهم فكفّوا عنا وضافونا وصحبونا إلى تربـة والأخبار في ذلك مطّردة بقتل الصُّليحي ولا يعمل الشريف على شيءٍ من ذلك حتّى إذا صرنا بتربة لقيَنا بها جمعٌ كثيرٌ من أخلاط الحجاز ونجد ومن خثعم وسواءة[3] ونهد[4] وسنحان وجنب ويام[5] يريدون لقاء الصُّليحيِّ إلى مكة ووجدوا تلك الأخبار فلم يأْخذوا بها فذكر لهم أنّ الخبرعن الشريف الفاضل فاجتمع إليه رؤساؤهم وسألوه عن ذلك فقال : ما تكلَّمْتُ بذلك ولا تكلّم به إلاّ صاحبُكُم هذا فـاسألـوه ! يعني شبل بن عمرو الهروي الخثعمي فسألوه فأخبرهم عمّا وقع معه من الخبر فلم يأخذوا به وسرنا برفيقٍ حتّى اتصلنا بترج .

وصحّت الأخبار بقتل الصُّليحي ، وبنى الشريف على الإقامة بترج لخبـرته بتمكُّن بني الصُّليحي باليمن وكثرة أموالهم وأعوانهم وضعف هِمَم كثيرٍ من الناس وخِذْلانهم . ثمّ ذكر مَنْ خَلّفه من آله وأوليائه وشيعته وأحبابه فأزعجه ذلك عن المقام فعزم على السفر وبقينا نتوقّعُ الرفيق . فنحن بذلك إذ قدم ذلك الجمعُ الذي لقيَنا بتربة قد وصلوا مكّة وصحّت لهم الأخبار وعادوا ، فسألهم الشريف الصحـابة فـأنعموا

---

(1) عَـدْوان : من قبائـل قيس عيلان ومـوطنهم في سراة بجيلة . الهمـداني : صفة جـزيرة العـرب ، ص 131 ؛ ابن رسول : طرفة الأصحاب ، ص 52 .

(2) عكاظ : من أسواق العرب القديمة من بلاد سراة الطائف في أعلى نجد بالقرب من مدينة الطائف . الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 131 ؛ حمد الجاسر : في شمال غرب الجزيرة ، ص 225 ؛ البلادي : بين مكة وحضرموت ، ص 187 .

(3) بنو سواءة بن عامر من الأزد وبلادهم في نجد سـراة زهران . الهمـداني : صفة جـزيرة العـرب ، ص 131 .

(4) نهد : من قبائل قضاعة ولهم مساكن في عسير ونجران . انظر : الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 227 ـ 228 ؛ ابن رسول : طرفـة الأصحاب ، ص 51 . 78 ؛ الحجـري : مجموع بلدان اليمن ، جـ 4 ص 745 ـ 746 .

(5) يام من قبائل حاشد ، وموطنهم بنجران . انظر : الهمداني : صفة جـزيرة العـرب ، ص 154 ؛ الحجري : مجموع بلدان اليمن ، جـ 4 ص 734 ، 774 ؛ فؤاد حمزة : قلب جزيـرة العرب ، ص 211 .

ونهضْنا معهم من تَرْج حتّى إذا صرنا على بريدٍ من تَرْج اجتمع رؤساؤهم فاشتوروا من أجلنا فأشار بعضُهم بقتْلنا، وأشار بعضهم بردِّنا. ثم أقبل القومُ إلينا بعد إجماعهم على ردِّنا فواجهونا بذلك . فقال الشريف : إذا كرهتم صحابتنا فنحن نكثر من خيرة الله سبحانه فآنثنى منهم ومعنا رفيقٌ لنا خثعميٌّ . ثم بنى الشريف الفاضل على المُضيِّ إلى بلد نهد ثم منها إلى نجران[1] . فبينا نحن في الطريق إذ عرض لنا ثلاثةُ ركبان فاستعرضناهم فإذا هم من آل صُهيب من خثعم فعرفهم الشريف الفاضل وعرفوه للمصاهرة التي كانت بينه وبينهم . فسألهم الصحابة إلى أكلب[2] بأسفل بيشة فسأله الرجل الصُّهيبي عن / غرضه فلم يخبره فَلَجَّ عليه وقال : لعلّ عندي فيما تؤمّله رأياً ! [م ق 30أ] فأخبره الشريف فقال : معي وحبًّا ونعماً فأهلي على سعفٍ من الطريق مما يلي بلد عنز بن وائل ، وعليَّ لكم الصحابة إلى أن تصلوا العوسجيَّ بجرش فمضينا معه ثلاثة أيّام لا نلقي أنيساً حتّى أفضينا إلى أهله فقرى وأجزل . ثمّ وَجّه معنا رجلين فسارا بنا نهاراً ثم ليلاً حتى وقفا بنا على باب العوسجي بجرش قرب الصباح فظهر إلينا فرحّب وقرَّب ثمّ سأله الشريف الصحابة فأنعم فإننا لكذلك إذ ورد علينا عليٌّ بن عبد القادر الجنبي فقال : يا شريف قد أتى الله بالرفيق فواجه لنا ذلك الرجل وسأله صحابتنا فأنعم . فنهضنا مع رجلٍ أكرِمْ به مصاحِباً .

فلما كان يوم ثاني صادفْنا سوقاً يجتمع الناسُ إليه فكلّما رآنا ناسٌ هشّوا إلينا ، وأغاروا علينا ، وتلقّاهم رفيقنا فيدفعهم عنا ويكتم من يغير إلينا شأننا . فلم نزل من ناسٍ في ناسٍ ونتخلص من ناسٍ حتّى أشرف بنا على الراحة[3] فصلّى الشريف في صلاحه وخُفْيه من < الخوف >(*) والعجلة . وقد بنى صاحبُنا على أن يَسْري بنا بلد جنب خوفاً علينا فمضينا حتّى أفضينا إلى عقبةٍ صعبةٍ قد لزمنا فيها الليل فسقط

(*) عن الهامش الأيمن من الصفحة .

(1) نجران : بفتح أوله وسكون ثانيه إقليم واسع يقع بين نجد واليمن وعسير . وتقع مدينة نجران ـ مركز الإقليم ـ في الشمال الشرقي لمدينة صعدة . البكري : معجم ما استعجم ، جـ 4 ص 1298 ؛ الويسي : اليمن الكبرى ، ص 117 ـ 118 ؛ فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ، ص 207 .

(2) أكلب من قبائل بيشة وتنقسم إلى بطنين الأول : عامر . وفيه من الأقسام خمسة . والثاني : المخْلَف . وفيه من الأقسام أربعة . فؤاد حمزة : في بلاد عسير ، ص 59 .

(3) راحة من بلاد جنب ؛ الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 227 .

الشريفَ من راحلته فصار ذلك الرجل يتلهّف للشريف وسقْطته ثمّ أقسم لا زدْتُ سرتُ بكم الليلة بعد سلامة الشريف فللّه الحمد . ثمّ أمسى بنا عند رجلٍ من بني عمّه فأخبره بمكاننا ولم يكتم عنه شيئاً من شأننا . فلمّا كان من الغد نهضْنا ونهض معنا نهاراً حتّى وصلْنا إلى مكانه ظُهراً فقرّب لنا طعاماً وسألنا أن نقف عنده أياماً فتخوفنا أن يقع علمنا مع حسين بن عمر الشواحطي وهو بشواحط يومئذٍ فلم نقف . ومضينا من فورنا حتّى وصلنا أدنى بلاد وادعة .

قال : واشتهر مكان الشريف الفاضل عليه السّلام وتسامع به العرب ، وأقبلت وادعةُ من جميع نواحيها وأمسينا في بلدهم ففرِحوا بنا وأكرمونا وكان من الغد ونهض معنا منهم جماعةٌ حتّى صرنا إلى بلد بني حي من خولان ومنها إلى الحقل .

قال : وكان الأمير المنتصر بالله محمد بن جعفر لما فارَقَنا من تَرْج ورجع اليمن كان له ولشيعته محاضر وأخبار ومواجهات وأسرار ؛ فلمّا قُتل الصُّليحي أبدوا أمرهم وأظهروا سِرَّهُم .

ولمّا قُتل الصليحي كتب الأمير إلى صنوه الشريف الفاضل كتاباً يعرّفه بقتل الصُّليحي وقيام الشريف الطاهر حمزة بن الحسن[1] رحمة الله عليه ودعا الناس للمسير إليهم وأنه يجب علينا القيام لمناصرته فمضى ثواب بن محمد بذلك الكتاب وبما حمله الأمير من الخطاب حتّى لقي الشريف الفاضل عليه السّلام ببلد بني حيٍّ
ببلد يقال له قتام . فلمّا قرأ كتابه وسمع خطابه عمل على حسب ذلك وعزم / على [م ق 30ب]
القيام ، والتأم إليه جماعةٌ من وادعة وخولان فدخل الحقل في عسكرٍ عاملاً على ما وصل في كتاب صنوه ولقيته عساكر الحقل[2] من بني مالك ومن الربيعة[3] وأهل القرية مادّين برقابهم للطاعة فما مكث بالبطنة[4] إلاّ ليلةً واحدةً حتى ورد عليه صنوه

(1) المقصود الشريف حمزة بن أبي هاشم ، الذى دعا لنفسه ، ثم ما لبث أن قُتِل .

(2) المقصود هو : حقل صعدة .

(3) الربيعة : من بطون خولان بن عمرو بن قضاعة . ابن رسول : طرفة الأصحاب ، ص 51 .

(4) البطنة : من أودية صعدة . الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 224 . والبطنة عزلة من ناحية القفلة قضاء خمر . التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، جـ 2 ص 427 ـ 428 ؛ التقسيمات الإدارية لعام 1985 .

الأمير في جماعة آل القاسم بن علي رضي الله عنه ووجوه عشائرهم وأصحابهم وشيعتهم ومحابّهم مسلِّمين عليه مسرورين بقدومه مبادرين إليه ، وأنهَوا إليه ما كان من قتل الشريف الطاهر حمزة بن الحسن رضوان الله عليه فآغتمّ لذلك غمّاً شديداً وتوجّع واسترجع وانكسر شأْوُهُ(*) عن تلك النيّة وعزم على إغفال القيام بالكلية لما يعرفه من ضعف هِمم كثيرٍ من الناس وقلّة صبرهم على شدّة المحنة والبأس . فَغَبّى على أهل تلك الناحية أموره وحثّ إلى ناحية عِيان مسيره في شهر الحجة سنة تسعٍ وخمسين وأربعمائة بعد كثرة الأخطار وبُعْد الأسفار والمِحَن الكبار ، يتخلّصُ من خطرٍ إلى خطرٍ ، ويرتحلُ من سَفَرٍ إلى سفر ؛ وهو في خلال ذلك لا يدع الصيام ، ولا يُغفل القيام مع خوفٍ من الأنام ، وقلّةٍ من العوام حتّى باع القناع وأكل الرعاع ، ونقل قدمه لِطِلْبة الصاع .

كان مسيره في مدة سفره زهاء مائتي مرحلة ، ولقي فيه ما يزيد على خمسةٍ وسبعين كؤيه(**) . وكان طول إقامته فيه قياس سبع سنين وأقام في حربهم بعد مراحه من الشام عشر سنين . وأقام في الدراسة والتعليم ست عشرة سنة وقبيل بلوغ الحلم خمس عشرة سنة < وكان مدة جهاده عشر سنين >(***) .

واستُشهد رحمةُ الله ورضوانه عليه ومغفرته وإحسانه وله من العمر سبع وخمسين سنة في يوم الثلاثاء لسبعٍ باقيةٍ من شهر صفر من شهور سنة ثمانٍ وستين وأربعمائة . وتزوّج خمساً من النساء أولهن ابنةُ عمّه عبد الله بن القاسم ، وهي أُمُّ أولاده : سليمان ومحمد ابني القاسم ، وأُختهما فطيمة زوجة حميدان بن القاسم . فأمّا سليمان بن القاسم فمات صغيراً ولم يُعْقِب . وابنة عمّه المهدي لدين الله تُوُفّيت قبله رحمةُ الله عليها . وامرأتين بنجد من العرب طلّقهما . وابنة ابن عمّه القاسم بن عبد الله مات عنها ؛ وُلد منها ذكران : جعفر وعبد الله ابنا القاسم ، وامرأةٌ حدثت بعده .

* * *

(*) في الأصل : شاءه ـ وربما كانت : شيئاً .

(**) كذا في الأصل . وربما كانت صحتها : كونة . وهي في اللآلي المضية م 2/ص 158 : كؤنة!

(***) ما بين الحاصرتين عن الهامش الأيسر من الصفحة .

بسم الله الرحمن الرحيم   الحمد لله وصلّى الله على محمَّدٍ وأهله .

قال مفرِّح بن أحمد الربعي : لمّا كان في شهر ذي الحِجّة منسلخ سنة تسعٍ وخمسين وأربعمائة وصلت بنو الدِّعام وبنو بحير وعيون من نِهم إلى الشريف الفاضل عليه السّلام وهو بعيان وصاقب وصولهم وصول الجماعة من شيعته / من وادعة [م ق 31أ] وغيرهم فَرَحَّب وسَهَّل وقَرى وأجزل ، ثمّ إنهم فتحوا معه الكلام وسألوه واستدعوه للقيام فأبى عليهم لقِلّة ما في يديه ، واعتذر إليهم فأبَوا عليه وعرضوا عليه بذل الأنفس والأموال والمواساة في الإكثار والإقْلال فقال لهم : إنّ بني الصُّليحي أهل حصونٍ وأموالٍ وخيولٍ ورجال ؛ فلو لم يبق منهم إلّا جاريةٌ لقاتلت بالأموال ، ولستُ بمُسْعِدِكم إلى هذا الحال فكلّما اعتذر إليهم عاودوه ، وكلّما أبى عليهم راودوه . وكانت بنو بحير له شيعةٌ ومحابٌ ، فما زالوا به حتى أسعدهم ودنا إليهم بعدما أبعدهم فأعطوه المواثيق والعهود وعقدوا له أشدّ العقود على دفع الخُمس من أموالهم والفتنة معه بخيولهم ورجالهم والأُسوة له في جميع أحوالهم ؛ وهم يومئذٍ بقرية غُرَق(1) قد أُجْلتهم بنو الصُّليحي من بلادهم فصاروا هنالك بحريمهم وأولادهم . وراحوا منه على ميعاد الوصول إليهم . فكان بعد مدة أيام ووصل إلى ما لديهم فصار بالجوف الأسفل فاستقبله الجميع من بني بحير وبني الدِّعام وغيرهم . فدخل في موكبٍ كثيرِ الخيل والرجال واستقام بها على أحسن الأحوال .

قال : وعزم بنو الصُّليحي على نزول تهامة لاستخراج حريمهم فحرصوا على تسكين الفتنة وخاطبوا الشريف الفاضل في المحاددة والهدنة .

وكان الأمير ذو الشرفين قد دعته حاجةٌ إلى الوصول ببيت شعيب ، فلما وصل إلى هنالك قال له صنوه الحسن بن جعفر : ما ترى يا مولاي في الوصول إلى هؤلاء القوم بصنعاء وتسكين الأمر بيننا وبينهم ؟ فأبى عليه فقال : إنّي أخشى أن يكونوا قد أُعلموا بمكاننا فيلزمون الطريق علينا فلم يزل به حتّى أسعده على المُضِيّ إليهم

(1) في الأصل ، وفي غاية الأماني جـ 1 ص 268 : عرف . وغُرَق واد وقرية بالجوف الأعلى . وقرية غرق هي ما يسمى الآن سوق دعام . انظر : الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 161 ، ح 6 نفس الصفحة .

والقدوم عليهم . فوصلا صنعاء وصادفاهُم في مخرجٍ لهم في اليمن والخليفة لهم يومئذٍ على صنعاء إسماعيل بن أبي يعفر الصُّليحي فوصلا إليه وسَلّما عليه فأكرمهما وبَجَّلهما . فلما همّا بالانصراف قال : لا عـذر من الإيقاف إلى مـا يصل مـولانا السلطان فهم واصلون في أقرب أوانٍ فعملا على ذلـك ولم يجدا سبيـلاً إلى غير ذلك . قال : فما لبثوا أن قدموا بعد أيامٍ فخرجنا في لقائهم للسلام . فلما صاروا في ديارهم قال الأمير ذو الشرفين عليه السّلام : لم نشعر برسول السلطان أحمد بن مظفّر حتّى قدم يأمرنا بالوصول إليه فوصلنا . فلمّا دخلْنا عليه إذا هو في المجلس الذي كنتُ دخلتُ عليه آنفاً فآذاني فيه بما الله يسأله عنه ويجازيه ، قال فاستقبلنا بإسعادٍ وبشاشٍ وإقبالٍ وإهشاشٍ وأَومأ إليَّ فجلسْتُ إلى جنبه على مرتبةٍ كانت تحته ثم استفتح الكلام بعد أن فرغنا من التحية والسلام فقال : يا مولاي الشريف نحن لكم عبيدٌ وخدمٌ وقد لحقَنا ما تعلم من قتل أميرنا وسبْي حريمنا ونحن نشير المناصرة / [م ق 31ب] والأنفة علينا والمظافرة . فنحن أنصارُ أجدادكم والبلاد بلادكم . وهبوا أنّا مشركين فقد قال ربُّ العالمين : ﴿ **وإنْ أحدٌ من المشركين استجارك فأجِرْهُ حتّى يسمعَ كلامَ الله ثُمّ أبلِغْهُ مأْمَنَه** ﴾[1] . ولا بد من الخروج إلى ناحية زبيد والمناجزة لهؤلاء العبيد فإن قتلونا فالبلاد وَمَنْ فيها لكم وإن قتلْناهم وأخذْنا حريمنا كان ذلك بفضلكم . وقد أنا أُحِبُّ منكم يا مولاي الشريف أن تكلّم لنا مولانا الشريف في العفاف من الفتنة ، وتسأله لنا المحاددة والهدنة ، وتؤنس لنا مدينتنا هذه برجلٍ منكم فإنّه لا غنى لنا في مغيبنا عنكم . قال : وأمر لنا بِحِباءٍ وكساءٍ وثلاثٍ من الخيل ، وأشخص معنا رجلاً من حراز يقال له : دلهام[2] وسرنا حتّى صرنا بعيان . وكتبْتُ إلى مولانا الشريف الفاضل عليه السّلام أُعَرِّفه بخبرهم وخبرنا وما واجهْنا في سفرنا وسألْتُـهُ الوصـول عليه السّلام وهو إذ ذاك بقرية بني الدِّعام فأعاد إليَّ الجواب أني قد حالفْتُ رجالاً ولستُ بالذي أقطع عنهم حالاً . قال : فنزلْتُ إليه وعَوَّلْتُ في الـطلوع معي عليه وطلعنا إلى عِيان وواجه ذلك الرجل دلهام بخطابٍ وعقودٍ وكتابٍ .

---

(1) سورة التوبة/6 .

(2) في اللآلي المضية م 2/ص 159 : دولهام بن عبد الله الحرازي .

قال مفرّح بن أحمد : سألْتُ السلطان يحيى بن محمد بن أحمد المالكي عن المحادة التي كانت أين كانت وكيف كانت؟ قال : سمعت الأمير ذا الشرفين وهو بناحية الجراف[1] من بلد بني صريم في موكبٍ كبيرٍ وعسكرٍ كثيرٍ فشرح على الناس ، فكان من كلامه أن قال : تعلمون يا إخوتنا وعشيرتنا أنّا قد حاددنا هؤلاء السلاطين على بلد وادعة وبكيل والحدّ نقيل عجيب وأعطونا على ذلك شروطاً بيننا وبينهم ثلاثة مناشير فمنها منشور على هذا الحدّ المذكور ، ومنشور منها ثاني على الشيعة الحسينية قاصيهم والداني حيث كانوا وأين كانوا ، والمنشور الثالث على قرى معروفة بنا ومنسوبة إلينا كحمده وحاز وبيت شعيب وبيت سود[2] . فهذا ما جرى الشرط به بيننا وبينهم[3] .

قال : وكانت هذه الكتب والعقود على يدي إسماعيل بن أبي يعفر الصُّليحي ودلهام بن عبد الله الحرازي . قال : ولم يجد الشريف الفاضل بُدّاً مما عقد صنوه الأمير ذو الشرفين فأجابه إليه وعمل عليه وسيّر ولده محمد بن القاسم إليهم إلى صنعاء فلم يزل هنالك حتى قُتل العبيد ودُخلت زبيد ، وراحوا بالحرير والأموال وقد حالوا عن جميع تلك الأحوال وجحدوا الكتب والعقود الشروط والحدود .. ومناشيرهم مقرّة محفوظة الآن بالحضرة العالية بشهارة وإن كان لا حاجة لحفظها إلاّ لبيان غَدْرهم وما كان من نكثهم وخَتْرهم .

قال : ولما راحوا من سفرهم خرجوا إلى الجوف الأعلى من فورهم فعَثَّروا [م ق 32أ] الأعناب والنخيل وكتبوا إلى بني الدِّعام كتاباً / ، وجعلوه استعطافاً لهم وعتاباً فيه فأوقفوا الشريف على الكتاب فأمرهم بردّ الجواب بما آيَسَهُم من استفساد بني الدِّعام ورجعوا من هنالك على أشرّ حال . وأُخذت منهم في المولدة[4] خيلٌ وبغالٌ ، وقُتل

---

(1) الجراف الأسفل والجراف الأعلى : قريتان من عزلة الجراف والسنتين ناحية خمر؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، جـ 1 ص 63 .

(2) ربما كان المقصود بيت سودان من عزلة بني قيس ناحية بني مطر ؛ انظر : التقسيمات الإدارية لعام 1985 ، عزلة بني قيس ، التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، جـ 2 ص 251 .

(3) قارن باللآلي المضية م 2/ص 159 .

(4) المولدة : قرية من عزلة بني جبر ناحية ذيبين . التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، جـ 2 ص 309 .

منهم رجالٌ وراموا الهدنة بعد زمانٍ على يد الشريف السيد إبراهيم بن سليمان وأكثروا فيها المخاطبة كلّ ذلك بعد وقعة الرحبة فلم يُجِبْهُمُ الأمير ذو الشرفين إلى شيءٍ من ذلك . وفي ذلك يقول مفرِّح :

أَسْرَتْ إليك دُجى الظلامِ ... فأرتْك طيفاً في المنامِ
فصبا فؤادُكَ في المنام ... وكأنّ ضِغثاً في المرامِ
فغضضتَ طرفك دونها ... وَرَعاً عن النظرِ الحرامِ
فسطت إليك بكفِّها ... سَطْوَ التحيّةِ والسلامِ
فقبضتَ كَفّاً دونها ... فتلثّمتْكَ على اللِّثامِ
سبحان مَنْ دفع العـ ... ـقوبةَ والحسابَ على النيامِ
وارتحاح(*) جل بقاسمٍ ... لِدُعا البريّة والأنامِ
وجلى بطلعة وجهه ... غَسَق الدُّجُنَّة والظلامِ
يا ابن النبوّةِ والوصيةِ ... والإمامة والمقامِ
يا دعوة الطهر الخليل ... وصفوة الله السلامِ
لا تركننَّ إلى الذي ... يرجو انخداعك من قيامِ
وهُمُ وإنْ لم تنخدعْ ... خدعوا رجالك بالحُطامِ
والسم إن باشرته باللحـ ... ـم دَبَّ إلى العظامِ
قد قال الأول دس لي ... رجلي وذرني والزحام
عَدِّ الحدودَ وذكرَها ... فالحدُّ في حَدِّ الحُسامِ
أو لم يكونوا أوثقو ... كَ وهادنوكَ على التمامِ
فكففْتَ عنهم كفَّ سام ... وتركتهم ورجالَ حامِ
فثنوا أعِنَّتَهُمْ وقد كفروا ... بأنْعُمك الجِسامِ
فحميت حَدَّك دونهم ... بشبا القنا الأسل الصَّوامِ
وهززْتَ صنوك ذا المـ ... ـنار كهزّةِ السيفِ الحُسامِ / [م ق 32 ب]
ذاك الأمير أخو الأميـ ... ـر ابن الأمير ابن الإمامِ
فجعلْتَهُ في معقلٍ ... عالٍ يُناغي النجمَ سامِ

(*) كذا بالأصل . ولم نهتد للقراءة الصحيحة .

ما إن يني متعمِّماً دكناءَ من نَسْجِ الغمامِ
وترى البوارق تحته وسوائِل المطر الرّهامِ

قال : وفي هذه السنة رسم الشريف الفاضل عليه السّلام مخرجاً إلى صنعاء اختصرتُ ذكره لأنه مشهورٌ وهو في كتاب السيرة مذكور . قال : فلمّا صار الشريف الفاضل عليه السّلام بالجوف وصله سفيران من سعيد بن نجاح[1] يُراسِمُهُ على اللقاء إلى صنعاء فأنهض الشريف الفاضل معهما صنوه الشريف الأجلّ سنان الدولة أحمد بن جعفر والقاضي عيسى بن الحسين بن أحمد وأعاد معهما على الخطاب خطاباً وللكتاب جواباً وأكرمهما وحباهما وصرفهما بعطيةٍ سنيةٍ وكساء زهية والعطية ألفا دينار شهابية وأوقفهما على ميعادٍ مرسومٍ ليومٍ معلومٍ فما وصلا إلى الشريف إلاّ وقد وصل الخبر بقتله ، فاتّصل خبره بالشريف الفاضل وهو بناحية خرفان[2] فاستعاد من هنالك إلى ناحية عيان ، وهو في ذلك عليه السّلام يدبّر الأمر في طلوع شهارة قد كان وجه صنوه الأمير ذا الشرفين إلى بلد الأهنوم ملتمساً طلوع هذا الجبل فوصل إلى موضعٍ يسمى النجد[3] فتعذّر عليه لأنه لم يكن بينه وبين أحدٍ من الأهنوم مراسمةٌ عليه فاستعاد من هنالك[*] .

ثمّ إنّ الشريف الفاضل عليه السّلام وجّه الشيخ الفقيه عليّ بن محمد بن أبي الجيش والشيخ يعقوب بن سليمان العبيدي ومعهما جماعةٌ من أصحابه فواطئا رجلا من الهنوميين والظليميين على لزوم هذا الجبل فرجعا إليه بتمام الحال وهو في الجوف الأسفل . فنهض عليه السّلام فيمن معه من أهل بيته وجماعة من النهميين[4]

(*) في الهامش الأيسر من الصفحة بخطٍّ مختلف ، أول دخول القاسم بن جعفر وإخوته شهارة . وقارن باللآلي المضية م 2/ص 159 وما بعدها .

(1) صاحب زبيد ، وعدوّ الصليحيين ؛ قارن بمقدمة ماديلونغ ، ص .

(2) خرفان بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء آخره نون : جبل وقرية من بلد مرهبة الدعام . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 160 ؛ الحجري : مجموع بلدان اليمن ، جـ 2 ص 352 .

(3) النجد : موضع على بعد 2 كم غربي شهارة . خريطة ج. ع. ي، 1 : 50000 ، صفحة 1643D3 .

(4) نهم : من قبائل بكيل ، ينسبون إلى نهم بن عمرو . . . بن بكيل . وتقع بلادهم في الشمال الشرقي لصنعاء بناحية نهم . انظر ، ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص 62 ؛ الحجري : مجموع بلدان

والسفيانيين(1) حتى إذا صار بحوث(2) من بلد وادعة أنهض صنوه الشريف سنان الدولة وركنها أحمد بن جعفر في نفرٍ قليلٍ زهاء عشرة رجال ، وجعل الشريف الفاضل بينه وبينهم شعاراً أنهم إذا طلعوا الجبل أوقدوا في رأسه ناراً . فنهضوا مبادرين حتّى جنَّهم الليل عند رجلٍ من الأهنوم يقال له : غليس بن عباس ، واختفوا عنده جانباً من ليلتهم . ثمّ تقدّم عبد الله بن أبي الهزام الصوري إلى الحرس الذين على الباب فشغل وجوههم بسببٍ من الأسباب . وطلع الشريف بأصحابه معه لمشايخ الهنوميين الذين كانوا في ناحية الجبل وجنابه . فلمّا صاروا في رأس الجبل أمر الشريف / بضرب الريح ففزعت العشائر وكثرت الغوائر . [م ق 33أ]

فلمّا علموا بمكان الشريف وواجههم مشائخ الأهنوم الذين كانوا معه تفرّقوا وانصرفوا . فلمّا كان في الليلة من قابل أمر الشريف بإيقاد النيار فتحقق الشريف الفاضل عليه السّلام طلوع الجبل بذلك الشعار وانصرف راجعاً إلى الجوف الأسفل . فلمّا كان بعد أيامٍ نهض الشريف الفاضل في نفسه في خيلٍ ورجال من نهم وسفيان وجماعةٍ من الشيعة الحسينية وافرة باكِرَ آخِرِ يومٍ من رمضان سنة ستين وأربعمائة فطلع من ليلته وخلّف ثقله بأقر حتّى صلّى صلاة العيد بالرحبة تحت شهارة(3) .

اليمن ، جـ 4 ص 746 ؛ كحالة : معجم قبائل العرب ، جـ 3 ص 1198 .

(1) سفيان : قبيلة من قبائل بكيل ، وهم ولد سفيان بن أرحب بن الدعام ، وتعرف بلادهم بحرف سفيان . انظر : ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص 62 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 2 ص 424 .

(2) حوث بضم الحاء : من بلاد حاشد وهي مركز ناحية حوث بقضاء خمر ، وتقع ما بين :55" 13′ 16° شمالاً ، 54" 58′ 43° شرقاً . خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1643D4 ؛ البكري ، معجم ما استعجم ، جـ 2 ص 474 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 2 ص 221 ـ 222 ؛ الويسي ، اليمن الكبرى ، ص 83 .
ص 83 .

(3) شهارة : من المعاقل المشهورة باليمن . وقد أفاض مؤلف السيرة في وصفها في صفحات تالية . وتقع شهارة ما بين : 5" 11′ 16° شمالاً ، 11" 42′ 43° شرقاً . على بعد 15 كم شمال حبور ظليمة . انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 238 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 1 ص 95 ـ 96 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1/50000 ، صفحة 1643D3 .

فلمّا طلع الجبل أرسل لمشائخ الأهنوم[1] ووجوه ظليمة[2] وأجرى معهم كلاماً نبيلاً وبذل لهم صيانةً وجميلاً وأوصاهم بشريفهم وجبلهم . وأوصى صنوه سنان الدولة بتبجيلهم وإكرامهم ، وعاد إلى ناحية الجوف الأسفل وقد أحكم فيه الترتيب وحمل إليه أحمالاً من الزبيب وجعل يذمر جميع الشيعة بالانتقال إليه ، ويحضّهم بالمصير بالأهل والمال إلى ما لديه .

ثم خرج الأمير المسمّى بالمكرَّم[3] إلى ناحية نجران وأرسل الشريف الفاضل إلى صنوه الأمير ذي الشرفين عليهما السّلام جميعاً حتّى وصله وهو بالخارد[4] وكان في بلد خولان بالقدّ فأمره بالمصير إلى هذا الجبل وسأله أن يعزم . قال : فأُخبرت أنّه أقسم لئن لم ينهض إلى هذا الجبل لأعودنّ من فوري هذا إلى الشام ! قال : فنهض في جماعةٍ من الشيعة جامعة ؛ فلقيه من كان منهم ببلاد وادعة ومضى حتّى طلع شهارة . قال : فأكرم الأمير ذو الشرفين حراسة بوابتها ومراشيها ، وفرّق جماعةً من أصحابه على جميع نواحيها واشتهر أمرها وشاع في البلاد ذكرها ، وعظُم على بني الصُّليحي كون الحسينية إليها فعملوا عل الخروج للحصار عليها وذكر لهم قلة الحبوب وضعف المطعوم والمشروب فدسّوا الغوائل والأعمال وبذلوا الرغائب والأموال ، فكان من ذلك أنّ رجلاً من الجنبيين يقال له : عليُّ بنُ يحيى ابن عبد الرحمن الصهباني عَامَلَ رجالاً ورتّب خدعاً وأحوالاً ؛ وكاتب بني الصُّليحي ووعدوه بولاية الجبل وأعماله ، ووعدهم قتل ذي الشرفين أو إنزاله عندما يصيرون قبل الجبل وهو في خلال ذلك يدبر الغدر والحيل ؛ وكان ممن يستخصّه الأمير

---

(1) الأهنوم : بطن من همدان من ولد الأهنوم بن شاحذ بن حاشد وديارها في الشمال من حجة في نواحي شهارة وظليمة حبور والمدان وغير ذلك .انظر ، الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 1 ص 95 ـ 98 ؛ السياغي ، معالم الآثار ، ص 69 ـ 70 .

(2) ظليمة حبور : ناحية من قضاء شهارة محافظة حجة ، ومركز الناحية قرية حبور ظليمة . وتقع ما بين : 04" 03′ 16° شمالاً ، 23" 42′ 43° شرقاً . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 3 ص 568 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1/50000 ، صفحة 1643D3 .

(3) الأمير المكرم أحمد بن علي بن محمد الصليحي ، تولى رئاسة الدولة بعد مقتل والده .

(4) الخارد : من أكبر أنهار اليمن ، ويسمى غيل الخارد ، منابعه في بلاد أرحب . الهمداني ، صفة حزيرة العرب ، ص 155 ؛ الحجري : مجموع بلدان اليمن ، جـ 1 ص 200 .

ذو الشرفين عليه السّلام ويعتدّ به لنوائبه الجسام ، فرفع عنه الخبر وكثُرت فيه القالة واشتهر فعاتبه في ذلك فقال له : يا مولانا لا تؤخذني إلاّ ببيِّنةٍ وأجمعت معه الشيعة على تلك الكلمة .

وكان ممن اتّهم لتهمته / إنسانٌ يقال لـه: محمد بن يحيى العثيثـة الكباري [م ق 33ب] فلما بغيا على الله وأوليائه وكاتبا حزب الشيطان من أعدائه ، كشف الله لأوليائه أمرهما وهتك من حيث لم يحتسبا سِرَّهُما . قال : وكتبا كُتُباً فيها سبٌّ فظيع وكلامٌ شنيع لا يحْسُنُ إعادةُ ذكره لِمَا كان من قبيح أمره ؛ ويحثّان ويؤلّبان ويذكران معهما جماعةً من الشيعة أو العشائر . وكانا لعمر الله يكذبان ، كانا في أول كتابٍ من كتبهما يتمثلان بقول التهامي[1] :

الـهـون في ظِـلِّ الـهـوينـا كـائـنٌ　　　وجـلالـةُ الأخـطار فـي الإخـطـار

قال : فواجها رجلاً من مشائخ الأهنوم يقال له : أحمد بن عبـد الله بن أبي مدين فطمعا أن يستفسداه وبذلا له ووعداه وقالا : تمضي بكتبٍ ها هنا من ليلتك هذه إلى المكرَّم من حيث لا يدري أحدٌ ولا يعلم وقد كتبنا لك بالعطية والجوائز السنية . قال : وقد كان الأمير ذو الشرفين لمّا صَحَّ كـون بني الصُّليحي بالـظاهر قاصدين إليه ومحاصرين عليه ، جمع أهل بيته وشيعته وحاشيته وجمـاعته فجـدَّد عليهم الأيمان المؤكَّدة ، وأخذ منهم العقود المشددة . فلمّا تقدّم علي بن يحيـى هـذا اللعين فحلّفه اليمين البـالغـة مـا بـه يمينٌ بـالله . قـال أحمـد بن عبـد الله بن أبي مدين : كنتُ مع الجماعة ومولانا يستحلف هذا الرجل فارتعدت فرائصي وسـال عَرَقي حتّى وقع على قدمي لجرأة ذلك الإنسان على اليمين . قال : فلمّا افتـرق الناس ودخل الأمير منزله استأذنْتُ عليه فلمّا أذِن لي وصلْتُ إليه وكلّمْتُهُ بما معي من النصيحة . فقال عليه السّلام : وكيف لي بهذه المقالة حتّى أُعلَم أنها صحيحة ؟ فقال : عندي كتبهما . قال : كيف لي بها ؟ قال : آتيكَ بها في آخِر ليلتي هذه إن

---

(1) ديوان أبي الحسن التهامي ص 155 ـ 160 من قصيدة مطلعها :

حـكـم الـمـنـيـة فـي الـبـريـة جـاري　　　مـا هـذه الـدنـيـا بـدار قـرار

شاء الله . فما كان في آخِر الليل إلّا وقد وصل بالكتب . فلمّا وقف عليها الأمير ذو الشرفين عليه السّلام ، فهم جميع ما فيها من الكلام وعرف خطَّ الملعون محمد بن يحيى العثيثة أصبح فأمر باجتماع الناس فاجتمعوا وأمر بعلي بن يحيى فلُزم . فلمّا استُوثق منه أظهر الأمير عليه السّلام الكتب فقرأها . فلمّا فرغ من قراءتها طواها ثمّ قال للعثيثة : هذاخط يدك ؟ قال : نعم . قال : فما حملك عليه ؟ قال : النفاق يا مولانا ! فأمر بضرب عنقه . ثم قال لعلي بن يحيى : ما حملك على ما جئتَ به ؟ فجحد . فأمر أحمد بن أبي مدينٍ أن يتكلّم فتكلّم وشهد . فعند ذلك أمر بعليٍّ بن يحيى فَقُيِّد .

قال : ووصل الأمير المتسمِّي بالمكرَّم في عساكر كالتراب ، وضرب مضاربه في
[م ق 34أ] رأس ذرى(1) / . فلمّا نظر إلى شهارة فعلم أنّ الشيطان دلّاه بغرور واستدبر ما لم يستقبله في الخروج إليها من الأمور . ونظر إلى جبلٍ صعب المرام .

قال مفرِّح بنُ أحمد(2) : رأيتُ أن أصِف شهارة في ذاتها بما يجبُ من جميع صفاتها : جبلٌ شامخٌ ومعقِل باذخ . مزرٌ على أربعة جبال ، مركوز بين شناخيب(*) طيال ، أصلهن واحد ورؤوسهن متباعدة ويعيا أن يحاط به في يومين ، لا يتهيّأ له حصرٌ ولا يُخشى فيه قهر . وهو جبلان فليقان ليس لكلٍّ واحدٍ منهما إلّا طريقٌ ببابٍ بينهما فِرْقٌ بعيدُ الغَور في الأرض ، ومقدار قاب القوس في الطول والعرض ، يتناجى الرجلان بخفيِّ الأصوات فيما يحتاجان من الأسرار والحاجات . تنظر من فوقه الشمس وهي تدرج فوق السحاب ، وترى البرق والرعد تحته في الأودية والشعاب . ذاهب في السماء لا يكاد يفارقه الغيم والغمام . وإذا كنت في الليل في أساسه وأوقدت النيران في رأسه اختلطت عليك الوهوم فلا تكاد تفرّق بين النيار والنجوم . وإنما سُمّيت شهارة لاشتهارها . وسأذكر ما كان في قديم الزمان من أخبارها . وكان يُسمَّى مُعْتِقاً فيما تقدّم وفيه يقول مفرِّح < بن أحمد

(1) جبل ذرى على بعد 3 كم شمال شهارة . وجوة ذرى على بعد 3 كم شمال غرب شهارة . خريطة ج . ع . ي ، 50000/1 ، صفحة 1643D3 .
(2) قارن باللآلي المضية م 2/ص 160 ـ 161 .

رحمه الله >(*) :

وإذا امـرؤٌ أمَّ الـنـجـاة فـإنّـمـا سببُ الـنـجـاة بـمـعـنـقٍ في معنقِ
ثبتـت قـواعـد أُسِّـه بـمـحـمَّـدٍ لـصـلاح دين مـحـمـد الـمستغـرقِ

وإنما سُمّي مُعْتِقاً لأنّه كان يلتوي به الطريد وتأتي إليه العبيد فإذا لحقهم مواليهم قالت الأهنوم شاوروهم وشاوروا معتقاً . وذُكر ـ والله أعلم وأحكم ـ أنّ أسعد الكامل طلعها في مبتدى أمره في ثمانين رجلاً <وجمع القوت في رأسه>(**) وأنّ صاحب اليمن في ذلك الزمان حاصره عليها ونزل بمكانٍ يقال له : أقر < فقال : استقروا ها هنا فسُمّي الموضع أقرّ>(***) وأنه نزل عليهم فقتلهم . فقال صاحبُ اليمن : شهرنا هذا الجبل شهره الله فَسُمّي شهارة لهذه الرواية . وروى بعض أهل الأخبار أنه كان يسمى قبل ذلك بظفار ويقوّي ذلك ما قاله بعض القدماء حيث يقول :

حين سيلت ظَـفَـارُ قيـل لـمـن أنتِ فـقـالـت لـحـمـيـر الأخـيـارِ
ثـم رَدّتْ وأخبـرتْـهـم فـقـالـت إنّ مـلـكـي إلـى قـريش التِـجـارِ

< وإنما حداني على صفته تعريف من يسمع به ولم يحقّق معرفته مع عظيم اشتهاره >(****)

قال مفرِّحُ بنُ أحمد : روى لي حيٌّ والدي قال : لم يَنْجُ من القرامطة في الزمان الأول إلّا جبل الأهنوم(1) والعنان(2) من بلد شاكر . ومن أوصاف شهارة أنّ منابتها الشثّ والعرعر والعُتم والصندل والتالب والبطم وغير ذلك . ومن مغارسها / [م ق 34ب]

(*) ما بين الحاصرتين على السطر بخطٍّ مختلف .

(**) ما بين الحاصرتين عن الهامش الأيمن من الصفحة .

(***) ما بين الحاصرتين عن الهامش الأيمن من الصفحة ـ وبعدها علامة (صح) .

(****) ما بين الحاصرتين عن الهامش الأيمن من الصفحة .

(1) جبل الأهنوم : عبارة عن سلسلة من الجبال أهمها جبال سيران وذرى وشهارة وعيشان وظليمة . انظر : الويسي ، اليمن الكبرى ، ص 107 ؛ السياغي ، معالم الآثار ، ص 69 ـ 70 .

(2) العنان : مركز ناحية برط يحيط بها سلسلة من الجبال ويسكن هذه المناطق قبائل ذو غيلان بن محمد بن شبعان . . . بن دهمة بن دهم بن شاكر من بكيل . انظر ، الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 1 ص 107 ـ 109 .

الكروم والعنب والآس والخوخ والأترنج والتفاح والمشمش والبلس والخرنـوب . وفي مغايضها شيءٌ من النخل وقصب السكر الأبيض والعلس والبر والشعير والذرة والقضب(*) وهو القتّ بلُغة أهل الشام والعصفر والورس وهو الخلوق < يأتي منه شيءٌ لا يُقاسُ بغيره في اللون والفعل >(**) .

ومن معـادنها شيءٌ ذكـره الرواةُ في قـديم الـزمـان وشيءٌ مـوجـود بـالمشـاهـدة والعيان ؛ فمن الموجودات المشهورة : فمنها حجر البلّور يوجد منها الشيءُ منفرداً . ويمكن أنّ لهـا معـادن مستـورة . وقـد روى ذلـك الحسن بن يعقـوب المعـروف بـابن الحائك في كتاب الإكليل . ومن ذلك الكحل < يوجد في شيءٍ من مساقط أوديتها والله أعلم بعنصـر ذلـك أين هـو>(***) . ومنهـا الشبّ شبّ الفـوّة والشب الحميـدي الشبّ الفائق المعروف بشب الفؤاد ، ومنها عروقٌ من الملح لطاف . ومنها طينٌ في معادن منها أبيض ليّن لزج أشبه شيءٍ بالصابون وله في غسل الأدران فعل .

وفيها الموز واللوبيا والأقطن واليقطين والصبغة . وذكر ـ والله أعلم ـ أنّ بجبلٍ من نواحيها يقال له عيشان[1] معدنٌ من الذهب . ومن خصائص أوصافها أنّ معزرها في غور متهمٍ ينشأ السحاب من مغابنها عياناً لا يحتاج مَنْ شاهد ذلك إلى إسناد ؛ يُرى منها بحرُ تهامة على مسافـة ثلاثـة أيام ، وسمعْتُ الشـريـف الحسن بن علي الزيدي الحُسيني يقول : وطئتُ معاقل اليمن وحصونهـا فما فيهـا لشهارة نـظير . وسمعْتُ كثيراً ممن عرف حصون اليمن ووطئها يقول قوله .

وروى الشريف المحسِّن بن محمد الحسني الديلمي الحليط بطبرستان وكان وصل إلى شهارة في شهر جمادى من شهور سنة خمسٍ وثمانين وأربعمائة ؛ فتحدّث على مذهب الزيدية وله في الحديث لسانٌ وفي الأدب حظٌّ ، خَرج الحديث إلى ذكر الشيعة الحسينية بشهارة فقال : عندنا بـطبرستـان ونواحيهـا من الشيعة الحسينية

(*) عن الهامش الأيسر من الصفحة .

(**) ما بين الحاصرتين عن الهامش الأيسر من الصفحة .

(***) بياض في الأصل .

(1) عَيشان بفتح العين المهملة من الجبال المسنمة يقع في الشمال الشرقيّ من شهارة . الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 239 ؛ المقحفي ، معجم البلدان والقبائل ، ص 483 .

< قياس >(*) ستة عشر ألفاً ولهم هناك شريفٌ فاضلٌ يمتاحون من علمه ، عندهم من كتب المهديِّ عليه السّلام كتاب (المُعْجِز) و (التفسير) ثمّ خرج إلى ذكر شهارة فقال : اسمها واشتهارها ببلدنا أكثر وعندنا أشهر وما ينسب إليها أو يذكر أنه ما وصلها إنسان إلا كان له في بلادنا حالٌ وشأنٌ يُتبارك به . قال : وهي عندنا مذكورةٌ في قصّةٍ أنّ أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب صلواتُ الله عليه يذكُرُها باسمها ويسمّيها قُبّة الإسلام باليمن . حولها ثلاثمائة وستون / وادياً وفي ناحيتها معادنُ [م ق 35أ] أربعةٌ ؛ معدنا ذهبٍ ومعدنا فضّةٍ وكحل . فهذا ما كان من روايته والله أعلم .

وذكر(**) لي الشيخ الفقيه أبو الحسن علي بن محمد بن أبي الجيش أنه وجد بصعدة كتاباً قديم الخطّ ؛ قال ؛ بخطّ الهادي عليه السّلام أو من عصر الهادي يقول إنه يكون أول عزّ أهل بيت محمّدٍ صلّى الله عليه من موضعٍ بناحية تهامة أول اسمه شين وآخره هاء .

رجع الحديث إلى خبر المنقل(1) وغارة الرحبة ووقعة ذيبين(2) وغارة الجراف وطلوع ذروة لبن . ذلك كُلُّهُ كان قبل الحصار .

فلما كان في سنة(***) خرج بنو الصُّليحي <على> طريق تهامة ورَتّب الشريف الفاضل عليه السّلام مخرجاً من الجوف الأسفل فخرج في خيلٍ من نهم وبنى الدعام ثم صار بناحية شوابة(3) فالتأم إليه بنو بحير وذبيان(4) . وقد كان أحمد

(*) عن الهامش الأيسر من الصفحة .

(**) كُتب فوقها : وروى .

(***) بياضٌ في الأصل .

(1) المنقل : قرية بالقرب من السبيع . مؤلف مجهول : أخبار الهجرة المنصورية ، ورقة 1 ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، جـ 1 ص 202 ؛ العسجد المسبوك ، ص 262 ؛ ابن الديبع ، قرية العيون ، جـ 2 ص 43 ح 3 .

(2) ذيبين : قرية ومركز ناحية ذيبين ، على بعد 20 كم شمال شرق ريدة . وتقع ما بين : 40" 58' 15° شمالاً ، 53" 07' 44° شرقاً .
خريطة ج. ع. ي، 1 : 50000 ، صفحة 1544A1 .

(3) شوابة بضم الشين : واد من أعمال ذيبين ، ينحدر ماؤه إلى الجوف وإليه تنسب قرية شوابة في عزلة سفيان ناحية ذيبين . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 128 ؛ الويسي : اليمن الكبرى ، ص 82 ؛ النتائج الأولية لتعداد 1986 .

(4) ذبيان : بفتح الذال وسكون الياء ، قبيل ووطن في بلاد أرحب . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، =

ابن المظفر بعدُ رجوعهم من تهامة أنكر المحاددة والهدنة وعزم على المحاربة والفتنة لأنّ البلاد التي وقعت عليها الحدود مما كان في يديه فطمع أن يستظهر على الشريف الفاضل . فخرج فيمن بقي معه من بني الصُّليحي وعساكرهم إلى بلد وادعة حتى حط بالمدحك(1) فلمّا سمع به الشريف الفاضل طلع حتّى حطّ بالمنقل من خرفان فيمن معه من الناس ، وشاورهم على الهجيمة على ابن مظفَّر بالمدحك ، فكُلٌّ صرف الرأي إليه فقام الجحّاف بن مربع الدعامي فقال : يا مولانا ! إنّ الهجايم لا تكون إلّا بالرجال والضرَّابة الذين يضربون الناس في مراقدهم ولا يبلعونهم الريق ، وليس معك إلّا خيلٌ ليس لها في القوم عملٌ حيث هم . قال : فقبل الشريفُ الفاضلُ رأيه واستعاد فأمسى بورور . فلمّا كان من ليلته رتّب طلائع من ذبيان وخيلاً من بني بحير تعود إلى خرفان . ثمّ نهض أحمد بن مظفَّر إلى أثافت فأرسل خيله وعسكره فيهم محمد بن إبراهيم بن محمد الصُّليحي وعبد الله بن محمد الحرازي في عدّةٍ من الوجوه والمقدّمات وعسكرٍ من الديوان وغيرهم حتّى وصلوا المنقل فطلعوا الدرب وطمعوا بما فيه . واستعادت عليهم جماعةٌ < من بَحير >(*) ومن ذبيان فهزموهم منه وأزاحوهم عنه واعترضت خيلهم خيل بني بحير في سهل خرفان فوقع فيهم السيف وكثُر فيهم القتل والسلب حتّى وصلوا موضعاً يسمّى عرام . وأتى الخبر إلى الشريف الفاضل فطلع من فوره حتّى أمسى في المنقل . ولمّا وقع أفلال عسكر ابن مظفَّر معه بأثافت منهزمين مكسورين أمر بالشدّ والرحيل وولّوا منهزمين طريق عجيب لا يلوي أولُهُم على آخرهم حتّى استعادوا إلى صنعاء .

وكان من الغد ونهض الشريف إلى أثافت فأخرب الدار التي كانت لبني الصُّليحي بها ، ولم يعرض لأهل الناحية إلّا بخير . ثم نهض حتى حط بين ذي قين(2) فأقام بها أياماً وأرسل لصنوه الأمير الأجلّ ذي الشرفين أن يصله في حاشيته

= ص 159 ، ح 5 نفس الصفحة ؛ الحجري : مجموع بلدان اليمن ، جـ 2 ص 351 .

(1) المدحك من القرى الخربة ببلاد وادعة بالقرب من حوث . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 221 ، ح 6 نفس الصفحة .

(*) بياضٌ في الأصل .

(2) ذي قين موضع من أوطان بني صريم . أبو فراس ، بن دعثم ، السيرة المنصورية ، جـ 3 ص 646 .

وشيعته وأهل طاعته فنهض من شهارة واستخلف عليها الشريفَ الأَجَلَّ ناصر الدولة وعزَّها الحسن بن إبراهيم بن سليمان ومضى من فوره وأخذ عبّاس بن الخدين وكان عاملاً لبني الصُّليحي ونهب ما في دربه وأخربه وأمر به إلى شهارة . ثمّ مضى حتّى اتّصل بالشريف الفاضل ، لحقه الشريف بعسكره إلى بركة الجراف .

وتقدّم العسكران جميعاً حتّى أمسيا بِسِرّ بكيل . وكان من الغد وأمر الشريف الفاضل بالشيعة فجُمعوا له فأجرى معهم كلاماً ، كان مما قال : تعلمون يا معاشر شيعتنا وأهل محبتنا وطاعتنا أني قد دُرْتُ في أقباض الحجاز والشام وخالطت بني الحسن بن علي عليهم السّلام فما رأيتُ أفضل من شريفكم هذا ولا أطهر ولا أورع ولا أعلم . وقد مَنَّ الله عليكم به فائتموا بأمره وازدجِروا بزجره ، وارفعوا حريمكم إليه وهاجِروا من أهل المعاصي إلى ما لديه .

وفي هذا المخرج أخرب الشريف الفاضل الكولة من بلد خولان . وكان سبب خرابها أنّ ابن مظفَّر قد كان هَمَّ بلزمها . وأخرب أيضاً درب السنتين[1] . ثمّ نهضا جميعاً عليهما السّلام إلى درب الثابتي من بلد الأقهوم[2] . فلما وصلا استقرّ الشريف الفاضل في الخيل في ناحيةٍ مُطِلَّةٍ على بلد الأقهوم ، وهبط الأمير الأَجَلّ ذو الشرفين فقاتل مع أصحابه على الدرب حتى نالته جِراحٌ في وجهه ثمّ أعطاه الله النصر والظَفَر ففتح الدرب ونهبه وحَرّقه وأخربه وأخذ ابن الثابتي وولديه أسارى بين يديه وذلك بسبب ما نُسب إليهم من قتل الشريف عبد الله بن القاسم بن عبد الله فوصل بهم إلى الشريف الفاضل ورجع العسكر المنصور سالماً غانماً ، وصار الأمير ذو الشرفين إلى مستقرّ عِزِّه وأنهض صنوه سنان الدولة وركنها من فوره بالعسكر إلى بينة[3] فغنمها وقتل ناساً من أهل الدعوة واستعاد مؤيَّداً منصوراً . قال : واستعاد

---

(1) السنتين : قرية على بعد 3 كم جنوب خمر ، وتقع ما بين : 16" 59' 15° شمالاً ، 16" 57' 43° شرقاً . خريطة ج . ع . ي، 1/ 50000 ، صفحة 1543B2 .

(2) الأقهوم وهي الأكهوم ، عزلة من ناحية جبل عيال يزيد قضاء عمران . انظر ، إسماعيل الأكوع ، أفعول ، ص 23 ؛ الشامي : تاريخ اليمن الفكري ، جـ 3 ص 142 ؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، جـ 2 ص 303 .

(3) وادي بينة : يقع على بعد 7 كم غربي حبور ظليمة ؛ خريطة ج . ع . ي، 1/ 50000 ، صفحة 1643D3 .

الشريف الفاضل إلى ناحية شوابة وأعطى عسكره أرزاقهم . واستعاد إلى الجوف الأسفل .

قال : ولمّا راح بنو الصُّليحي من تهامة رتّبوا مخرجاً إلى شوابة فطلعوا المشرق حتى حطوا بحياس من بلد ذيبان . وباتت ذيبان ترميهم في الليل ، ونهضوا فحطّوا بشوابة من ناحية ثريان[1] فتلقّتْهم / خيلُ الشريف الفاضل من بني بحير ونهد وبني [م ق 36أ] الدعامي . وصار القتال في أعقابهم من ذيبان فغُنمت منهم غنائم من السلاح والكُراع والإبل والمتاع وأخذت عمارية أبي الحسين بن جناح ولحمهم القتال حتّى أقبل الزواحي عامر بن سليمان من ناحية المولّدة فنفش عليهم ومالت الخيل التي كانت تقاتلهم منهم وتموا حتى حطوا بموضع يقال له المديد[2] من ناحية الشمط[3] غير بعيد . وخيل الشريف الفاضل بِهِرَّان[4] تشارف إليهم وتُغيرُ عليهم وتلتقي الخيلان بموضعٍ يقال له الميدان ما بين الغيل الأعلى وهِرّان . قُتل هنالك رجل من بني الحراس يقال له الحسن بن همدان . وقُتل من الحجاز رجلٌ قتله منيع بن محمد بن ذعفان . قال : فلم يزالوا بني الصُّليحي يتعمّلون ويعطون المال ويبذلون حتّى استفسدوا بني الدِّعام فواجههم الجحّاف بن منيع وأبو النار بن عليان . وراحوا على هذا الوجه وذيبان لازمةٌ عليهم الطرق فجاءوا طريق العرض فوق ورور بعد أن لزم لهم الزواحِي رؤوس الجبال وقد كانت شِرْذِمةٌ منهم خرجوا طريق المولّدة فقُتل منهم رجالٌ وأُخذت منهم خيلٌ وبغال . وراح الكُلُّ منهم إلى صنعاء خائبين مكسورين .

---

(1) ثريان : وطن بني علي ، قبيلة من زهير من أرحب . الأكوع : البلدان اليمانية ، ص60 ؛ المقحفي : معجم البلدان والقبائل ، ص 467 .

(2) المديد : قرية من عزلة عيال منصور ، ناحية نهم ، على بعد 44 كم شمال شرق صنعاء . وتقع ما بين : "40 '38 °15 شمالاً ، "27 '28 °44 شرقاً . التقسيمات الإدارية لعام 1985 ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، جـ1 ص 220 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1544A4 .

خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1544A4 .

(3) يبدو أن الشمط هو أحد الأسماء القديمة غير المتداولة الآن .

(4) هران : بلد وواد من عزلة هران ، ناحية ذيبين قضاء عمران ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 159 ح 6 ؛ الحجري : مجموع بلدان اليمن ، جـ 4 ص 751 ؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، جـ 2 ص 311 .

قال : ونهض الشريف الفاضل من الجوف الأسفل في خيلٍ من نِهْم وَمَنْ بقي معه من بني الدعام حتّى صار بشوابة وأرسل إلى صنوه الأمير ذي الشرفين فخرج إليه من شيعته جماعةٌ وافرةٌ فيهم ناصر الدولة وعزُّها الحسن بن إبراهيم في جماعةٍ من أهل بيته ونزل بهم الجوف الأسفل . فلمّا صار به انهزم أهل الفساد من بني الدعام إلى درب الحشرج . وصار الشريف الفاضل بالقرية وجرى الخطاب بينه وبين أهل الحشرج فلم يقبل منهم شيئاً دون أن يطأوا فراشه وينزلوا على حكمه ويطردوا من عندهم من بني الدعام . ففعلوا وأوقفهم عنده وأمر بدرب الحشرج فأُخرب . وفي ذلك يقول مفرِّح بن أحمد :

أُبنـا بـأفضـلِ أوبـةٍ عـن مـخـرجِ ... أسـر العُـداةِ وهَـدْم دربِ الحشـرجِ
وخـضـوع كـلِّ مخـالـفٍ متـمـنِّـعٍ ... وثـبـات كـل أخي صعـارة أعـوجِ
لـمّـا دعـاهـم قـاسـمٌ فـتـمـنّـعـوا ... وطغَـوا ومـالـوا عن طـريق المنهـجِ
نـهض ابنُ جـعفـر قـاسـمٌ في فـيـلقٍ ... جـمّ الجيـاد كعـارضٍ ذي زِبْـرِجِ
فـانصـاع جيش بني الـدِّعـام وجمعهم ... هـربـاً إلى نَعـمـان غيـر معـرجِ
فـأتـى لهـم من خلـفـهـم بـكـتـيبـةٍ ... نقضـت عليـهم كُـلَّ رأيٍ مُـدْرَجِ / [م ق 36ب]
وأتـت جيـادُ الـخيـل مـن قُـدّامهـم ... والشمس في جلبـابـهـا لم تَـخْـرُجِ
وأنـذرَّ قَـرْنُ الـشمس وهـي قـواربٌ ... يمعجن بـالسهـلاب صعب المخـرجِ

هذا ما حُفظ من الشعر . قال : ولمّا كان يوم الخميس من عيد الأضحى جَهّز الأمير الأجلُّ ذو الشرفين منسراً إلى ناحية الجراف وكان بهـا خدمٌ لبني الصُّليحي ولقيته خيلٌ من عند الشريف الفاضل إلى ناحية بهمان(1) فأغار يوم العيد بالجراف فقتـل خدم بني الصُّليحي الـذين وُجدوا في الجـراف ونهب ما كـان في الـدار . واعترض ناسٌ من بني صريم فقبض منهم على الشيخ المرداس بن محمد وحرب بن كهلان . واستعاد الأمير طريقه بلد الجواشة(2) فلحقته الغوائر من بني صريم كلّها إلى

(1) بهمان : اسم لعدة مواقع وأودية ، والمقصود هنا قاع بهمان إلى الجنوب من حوث . انظر ، الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 221 ، ح 6 نفس الصفحة .

(2) الجُواشة بضم الجيم من الأماكن الدارسة ، ذكرها الهمداني متصلة بسراة عذر وهنوم ، أي في المنطقة الواقعة غربي خمر . انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 127 ، ح 4 نفس الصفحة .

موضع يقال له ضلع عيان . فأرسل إليهم بهاء الدولة وحسامها القاسم بن إبراهيم بن سليمان يقول : يا عشيرتنا لا تعرضوا لنا فلم نعرض لكم وإنما قصدنا خدم بني الصليحي ، وعاوِدوا منا فقد خرجنا من حدود بلادكم ، وقد وضح عذركم عند سلطانكم فلم يفعلوا ولم يرجعوا ولاحموهم القتال فعطف عليهم عليه السّلام في جماعة خيلٍ من أهل بيته فقُتل من الصريميين رجالٌ وولّوا منهزمين على أسوأ حال . وراح الأمير ذو الشرفين مؤيَّداً منصوراً بعد أن أخرب دار السلطنة بالجواشة وقبض عاملهم الشيخ الهريف بن عبد الله .

وقد ذكر بعض الرواة أن مخرج الشريف سنان الدولة وركنها إلى بينة كان بعقب هذا المخرج .

رجع الحديث إلى ذكر الخبر عن وقعة ذيبين .

قال : ثم إنّ الشريف الفاضل رتّب مخرجاً إلى ناحية شوابة فنهض في خيلٍ كثيرةٍ وجماعةٍ من فوره حتّى صار بناحية الغيل الأعلى من شوابة فلقيه العلم هنالك أن أحمد بن مظفَّر طلع ذروة[1] ونُظر المضارب من ذلك المكان فأرسل عليه السّلام من ذلك المقام إلى صنوه الأمير ذي الشرفين فخرج إليه جماعةٌ من الشيعة ونهض حتّى صار بورور والتأمت إليه عساكرُ كثيرةٌ من ذيبان وسفيان وبني بحير ونهم وبني الدعام . وقد صار محمد بن عبد الله الحرازي بذروة وأحمد بن مظفَّر بيناعة[2] من بلد الصيد ، فلمّا اجتمعت إلى الشريف الفاضل تلك العشائر وتكاثفت عليه العساكر حَمَلَهُ أهل الرأي من مقدماتهم على النهوض إلى ذيبين والمكاسرة وهو لذلك كاره . فلم يزالوا به حتى نهض إلى ذيبين فأقام هنالك نهاراً واستقرّ على بركة مذود[3] وله

(1) ذروة من الحصون المشهودة التي ذكرها الهمداني ، ويقع جبل ذروة على بعد 3 كم جنوب غرب ذيبين ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 238 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1/ 50000 ، صفحة 1544A1 .

(2) يناعة : قرية من عزلة خميس حرمل ناحية ريدة على بعد 12 كم شمال شرق ريدة . وتقع ما بين : 25" 09' 44° شمالاً ، 50" 05' 44° شرقاً . التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، جـ 2 ص 315 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1544A1 .

(3) واضح من النص أن هذه البركة تقع ما بين يناعة وذيبين اللتين احتشدت فيهما الجيوش . والمسافة بين =

عينٌ مختلفٌ بينه وبين ابن مظفَّر يأتيه بعلم ما عند ابن مظفر ، ويأتي ابن مظفَّر بعلم ما عنده ، صاحب وجهين / . قال : وكان ابن مظفَّر ببناعة في قِلَّةٍ ، فأرسل الصريخ [م ق 37أ]
إلى صنعاء وأرسل عبد الله بن محمد رسلاً إلى الشريف محمَّد كالمخاطب في الإصلاح . وبات الشريف عليه السّلام في محطّته تلك على البركة وتَفَرَّقَ العسكر إلى أوزال الجبال . فلم يبق معه إلاّ نفرٌ قليلٌ من أهل بيته وشيعته في خيل ورجال خائفاً يترقّب . قال : فرأيتُهُ وقد توضّأ للصلاة وهو يغسل رجليه وكنت بالقرب منه فأومأ إليَّ فدنوتُ إليه فقال : احرسني ما دمتُ في صلاتي وأنا أحرس في سائر أوقاتي ! فدعوتُ نفراً من أوليائه حتّى جلسنا بإزائه وبتنا في ليلتنا تلك في ضرّةٍ عظيمةٍ من البرد والخوف والجوع . فلمّا أصبح أقبل العسكر من نواحي الجبال وقد دخل الفساد في بعض العسكر ، وهم ذيبان ضربوا لهم ديناراً صُفْراً وبهرجوا عليه تِبْراً فأقاموا الناس يسبّون بها الذيبانيين عصراً ويقولون دنانير ذيبانية إذا وجدوا تلك الدنانير الرديئة[1] . ثم إنّ الشريف الفاضل عبَّأ عسكره فجعل ذيبان في الميسرة وجعل سفيان على الميمنة ، وجعل الخيل قلباً . وتنكّب من العسكر جانباً بإزائه بقرب شيعته قليل .

ثم أقبل عسكر بني الصليحي فلمّا توطّأت خيلهم إلى بركة مذود طاردتهم من أهل بيت الشريف الفاضل أفراسٌ ومعهم من شيعته وخاصته قليلٌ من الناس . وأُخذت لبني الصُّليحي راية تأم(*) ذيبان . فلمّا حَقّقوا عليهم ولّوا منهزمين ولم يلتفتوا إليهم ، وانقضّت الخيل كأنّ دويّها الرعد القاصف . فقُتل من الشرفاء خمسةُ رجال منهم الحسن بن جعفر بن القاسم وسليمان بن علي بن القاسم وعبد الله بن عبّاس ويحيى بن علي من أولاد الهادي والحسن بن قاسم الأثيبي رحمةُ الله عليهم . وقُتل من سائر العسكر ناسٌ ، وخلص الشريف الفاضل في أفراس . قال : وتمّ الشريف الفاضل من فوره فأمسى في الجوف الأسفل خائفاً لما خلفه من الفساد والدغل .

= ذيبين وبناعة 8 كم . انظر : خريطة ج . ع . ي ، 1/ 50000 ، صفحة 1544A1 .

(*) كذا في الأصل ، ولم نهتد للقراءة الصحيحة .

(1) قارن بالقصبة منقولة عن السيرة عند مسلّم اللحجي في م 4/ص 211 ـ 213 ؛ وقد أوردناها ضمن نصوص مسلّم في الملحق ، ص ؟ .

فلما صحّ الخبر لبني الدعام المفسدين وأهل الحشرج المعتدين ، أظهروا ما كانوا يكتمون من خلافه وأوقعوا في أهل طاعته وأحلافه . فأخذ هو ومن معه من أهل طاعته إلى أسفل الوادي بالقرب من معين . وقد كان مع بني الصُّليحي من بني الدعام همدان بن ربيع ، ونعمة بن يحيى ، وجحّاف بن منيع ، وأبو النار بن عليان حضروا الواقعة . ثم إنّهم جرّوا بني الصُّليحي إلى بلادهم فلم يجدوا بُداً من إسعاف مسألتهم وإسعادهم . فساروا طريق ورور ثم أخذوا على حاوسن(*) ثم نزلوا الباطنة فقصدوا قرية بني الدعام فأقاموا بها زهاء ستة أيام ثم راحوا وبقيت بنو الدعام محيرين بنعمان[1] ؛ ووعدتهم / بنو الصُّليحي أنهم يُمِدُّونهم بالمال فكان كذلك . [م ق 37ب]

قال : ثمّ عاد الشريف الفاضل حتّى ضرب مضربه إزاء قرية بني الدّعام واجتمعت إليه البوادي والأصرام وصارت القرية خاليةً تقلع العشاير أبوابها وينقضون أخشابها فأقامت بهذه الصورة عشرة أشهر .

قال : ولما صار أحمد بن مظفر بذروة وأمر بعمارتها وأقام بنفسه فيها وسخّر فيها العشيرة وأنفق في عمارتها الأموال الكثيرة ، وعمل فيها مآثر كمآثر المتقدمين واستدعى لها القطّاعين أساطين المرمر والخروب المحكوك ، وزخرف سقفها بالذهب والجص والآجور ، وعمّر فيها مناهل أحكمها غاية الإحكام ، وجعل فيها المحلّ والمقام حتّى جاء أَمْرُ الله وكان أمر الله قَدَراً مقدوراً .

ذكر الخبر عن غارة الرحبة وما كان من شأنها وأسبابها :

قال: لمّا وصل الشريف الفاضل أبو الفتح ابن الحسين الحسيني الديلمي[2]

(*) كذا في الأصل ؛ ولم نعرف المكان .

(1) نعمان : واد بناحية المطمة بالجوف وهو أحد فروع وادي مذاب ويقع على بعد 8 كم شمال غرب سوق دعام ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1644C2 .

(2) خبر ظهور أبي الفتح ناصر الديلمي في هذه الفترة وهمٌ محضٌ . فقد ظهر عام 439 هـ ، وقُتل عام 444 هـ ، ولا ندري سبب هذا الوهم فقد كان كاتب السيرة معاصراً لتلك الأحداث . وقد نقل صاحب اللآلي المضية م 2/ص 160 ـ 161 هذا الخبر عن مختصر السيرة دون أن يشير إلى وهم مفرّح ! .

من ناحية العراق صار إلى بلد ضاعن[1] ثم طلع إلى جبل البر من جبال الأهنوم وذلك وقت خروج المكرم إلى نجران ثم أخذ من فوره وآشرأبّ الناس إليه وسار كثيرٌ منهم بين يديه فخاض البلاد حتى صار إلى تنعمة[2] من بلد خولان في عسكرٍ كثيرٍ وخَلْقٍ كثير فخرج إليه من بقي بصنعاء من بني الصُّليحي إلى هنالك . فلمّا علم عسكره بمخرجهم تفرقوا منه وتمرقوا عنه فأخذ في الغائط حتّى صار إلى الجوف الأسفل وبه الشريف الفاضل .

قال : ثمّ نهضْنا إلى شوابة في خيلٍ كثيرةٍ فلمّا صارا في قرية ورور وتكاثف العسكر وانفرد أبو الفتح ابن الحسين فلا أدري ـ الله أعلم ـ أخذ طريق المنقل أو أخذ في ناحية البون الأسفل . وقد ذكر بعض الرواة أنه أخذ طريق المنقل وَهَمَّ بهدم المصنعة من أثافت فأرسل الشريف الفاضل صنوه سنان الدولة وركنها وأمر أن يقف فيها ويمانع عليها ولا يدع أحداً يصير بمكروهٍ إليها . قال : ثمّ أخذ أبو الفتح في قائم الظاهر ونفذ بمن معه من العشائر وقد التأم إليه خَلْقٌ كثير وصار في عسكر كثيرٍ . فتقدّم من طريق الضلع[3] إلى كوكبان[4] حتّى وقف على الباب وجرى بينه وبين أهل الحصن قتالٌ وخطابٌ ، وأخذ عسكره خيلاً من شبام[5] . فبينا هم على ذلك الحال

---

(1) الظاعن : قرية من عزلة حصن بني سعد ناحية حصن بني سعد المطمة قضاء الجوف ؛ التقسيمات الإدارية لعام 1985 ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة الجوب ، ص 22 .

(2) جبل تنعمة من الأماكن الحصينة في خولان العالية . انظر : الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 239 ، 312 .

(3) الضلع : جبل متصل بكوكبان مشرف على شبام يقال له ضلع كوكبان . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 3 ص 553 ؛ المقحفي معجم البلدان والقبائل ، ص 407 .

(4) كوكبان : حصن مطل على قرية شبام كوكبان ، ويرتفع عن سطح البحر بنحو 3000 متر ، ويقع ما بين : 00" 30′ 15° شمالاً ، 04" 54′ 43° شرقاً . الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 212 ، 312 ؛ السياغي : معالم الأثار ، ص 74 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543B4 .

(5) شبام بكسر الشين ، اسم لعدد من البلاد منها شبام كوكبان ، وكانت تسمى شبام أقيان أو شبام حمير . وهي قرية على بعد 7 كم جنوب ثلا ، وتقع ما بين : 32" 30′ 15° شمالاً ، 13" 54′ 43° شرقاً . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 1 ص 87 ـ 88 ، جـ 3 ص 441 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543B4 .

إذ أقبل أحمد بن مظفَّرٌ مُغيراً من صنعاء بالخيل والرجال ، فلمّا عاينه عسكر أبي الفتح الناصر بن الحسين ووقعت العين على العين انحدروا قاصدين إلى السهل ، ووقع فيهم من أهل الحصن / ومن مـادّتهم السلب والقتل وصـارت هزيمـةً لا يلوي أولٌ [م ق 38أ] على آخر وخلص الناصر بنفسه إلى شوابة بعد الأمر العظيم ، والشريف الفاضل بها مستقيم . فلمّا تحقـق لابن مظفَّر كون الشريف الفاضل بوادي صناف ومصير الناصر إليه صار إلى ناحية الجراف . قال : ثم إنّ الشريف الفاضل نظر في الأمر وأعمل الفكر فيما يردّ ابن مظفَّر من معسكره ويكون تغطيةً لهذه الهزيمة وتوطئةً للناس بعد الكسرة العظيمة . فعمل على الغارة برحبة صنعاء ، وأراد أن ينهض هو والناصر معاً وهو في ذلك كاتمٌ لسره لم يُطْلِعْ أحداً على أمره . وعمل على أنّ الناصر يمضي على مشرق خولان ويفتح عليهم الفتنة من ذلك المكان فشاوره الشريف الفاضل على ذلك فلم يُسْعِدْهُ ، فسَرَى من ليلته عليه السّلامُ حتّى أصبح في مشرق همدان . وقد كان أرسل الصريخ من ليلته إلى ذيبان فالتقوا به إلى موضعٍ يقال له ماجل بيت الأمير من ناحية مدر[1] مما يلي بلد بوسان[2] فما كان نصف النهار إلاّ وقد شنّ عليهم بالرحبة المغار ، وبلغت خيلُهُ إلى العشّتين[3] وصارت صنعـاءُ منهم رأْيَ العين . وبلغت الهزيمةُ إلى صنعاء على الضباب وآرتجّ ذلك الجناب وغُلِّقت من صنعاء الأبواب . قال : واستعاد الشريف الفاضل عليه السّلام وقد غنم العسكر غنائمَ كثيرةً من خيلٍ وأغنامٍ ، وراح مؤيَّداً منصوراً .

قال : فلمّا سمع ابن مظفَّر بما كان من نهوضه إلى تلك الناحية عظُمت عليه البليةُ فانقلب على أثره وصار لا يلوي أول العسكر على آخِره . فلمّا صار بنـاحية

---

(1) مدر : قرية من عزلة الخميس ناحية أرحب ، على بعد 11 كم شرقي ناعط ، وتقع ما بين :13" 46′ 15° شمالاً ، 53" 13′ 44° شرقاً . الأكوع ، اليمن الخضراء ، ص 55 ؛ السياغي ، معالم الآثار ، ص 58 ؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، جـ 2 ص 185 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 / 50000 ، صفحة 1544A1 .

(2) بوسان : قرية من عزلة شاكر ناحية أرحب ، تقع على بعد 13 كم جنوب شرق مدر . التوزيع السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء جـ 1 ص 102 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1/ 50000 ، صفحة 1544A4 .

(3) العشّتين : قرية من بني الحارث ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 3 ص 605 .

الخشب[1] صَحَّ له أنَّ الشريف الفاضل قد انقلب فجانَبَ حتّى طلع ناعطاً[2] فلبث هنالك أياماً يسيرةً ثمّ راح إلى صنعاء .

فلمّا راح الأمير المتسمِّي بالمكرَّم من تهامة أعملوا في الشريف الفاضل عليه السّلام الغوائل ، ونصبوا له الحبائل ، فصرفوا تدبيرهم إليه وبعثوا على الفساد عليه ، وعزموا على حصار شهارة فبذلوا الأموال إلى ناحية الجوف الأسفل .

رجع الحديث إلى حصار شهارة[3] :

قال : وخرج الأمير المتسمِّي بالمكرَّم في جميع سلاطينه وقواد عساكره من جميع أهل اليمن حتّى صار بناحية ذرى ، فأقام به يوماً وانتشر عسكره يستتبعون ناساً من الأهنوم يريدون إلى شهارة حتّى وصلوا إلى النجد[4] ونزل أنفارٌ من الشيعة الحسينية قتلوا من مال إليهم فتلاحم القتالُ إلى وقت الزوال ثم ولّوا مدبرين ، وانكسروا صاغرين وقد قُتل منهم رجال . وعادوا إلى معسكرهم على أسوأ حال . [م ق 38ب]
فنزل أميرهم من الغد في جميع عساكره بمضاربه وثقله حتّى حطوا بالنجد مجمعين ، وأمسوا هنالك .

فلما كان من الغد لبس أميرُهُم وسلاطينهم ومقدماتهم الدروع والسلاح ، واستعدّوا للحملة والكفاح ، وصاروا كردوساً دون محطّتهم ومضاربهم . ثم خرجوا من بعد ذلك السلاطين سبأ بن أحمد ، ومحمد بن إبراهيم ، وأبو الحسين بن جناح إلى الرحبة تحت شهارة ، وفرّقوا العساكر حولها . فكان مركز بالنجد ، ومركز

---

(1) الخشب : وطن من أرحب في ظاهر همدان شرقي ريدة ، ومن قراه يناعة وقارن : الهمداني ، الإكليل ، جـ 8 ح 49 ص 166 ؛ صفة جزيرة العرب ، ص 195 .

(2) ناعط : قرية أثرية من عزلة خميسر القديمي ناحية ريدة ، على بعد 10 كم جنوب شرق ريدة وتقع ما بين : 49" 46′ 15° شمالاً ، 49" 07′ 44° شرقاً . التوزيع السكاني في محافظة صنعاء جـ 2 ص 314 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1/ 50000 ، صفحة 1544A1 .

(3) النص بكامله عن مختصر السيرة في اللآلي المضية م 2/ص 161 ـ 162 .

(4) النجد : قرية على بعد 2 كم غربي شهارة . خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1643D4 .

بقسطل ومركز بالمحانة ومركز بالجميمة[1] ومركز بأُوي[*] ومركز بأقر ومركز بدرب عفان[**] ومركز بوادي صور[2] ومركز برأس ذرى ومركز بقرن جمع[3] فذلك أحد عشر مركزاً[4] ولزموا رؤوس الجبال وبطون الأودية وأحاطوا بشهارة من كُلٍّ ناحية . فلمّا رأى الأمير الأجَلُّ ذو الشرفين ذلك أقبل على ترتيب حصنه من جميع نواحيه وإحكام مراتبه ومراشيه فجعل بني مالك مما يلي النجد ، وجعل بني صريم على الباب الأعظم وهو باب الصريميين ، وجعل في السرو[5] جميع اليمانيين < وجعل على الغيل شيعته العبيديين وجعل >[*] في محارس الغربي جماعة الجواشيين ، وجعل الشريف الأجلَّ بهاء الدولة وحُسامها القاسم بن إبراهيم بن سليمان في الديوان على الغيل الغربي ، وجعل في شهارة الفائش الشريف الأجلّ ناصر الدولة وعزَّها الحسن بن إبراهيم بن سليمان فأُحكم ترتيبها من جميع جوانبها ونواحيها ، ووثّق مراتبها ومراشيها .

ثم إنّ الأمير ذا الشرفين وقع من شيعته وأصحابه وأهل الثقة من خاصته ومحابّه مائة رجل وقَدّم عليهم عشرة عرفاء وجعلهم معه في حضرته ، واستقرّ في موضعٍ في وسط الحصن أقام به مدة الحصار فَسُمّي المحطة لذلك ، وحَرَّمَ على نفسه وجميع

(*) في اللآلي المضية : أوك! .

(**) في اللآلي : بذي عفان .

(1) الجميمة : موضع في شمال غرب شهارة على بعد 4 كم . والجميمة موضع آخر على بعد كيلومتر واحد جنوب شرق شهارة . خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1643D3 .

(2) وادي صور : على بعد 4 كم شمال شرق شهارة . خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543D3 .

(3) هذه المراكز التي ذكرها المؤلف تقع إما تحت شهارة مباشرة أو في جوارها . وهكذا فإن قسطل والمحانة وأوى ودرب عفان من المواقع الصغيرة الموجودة حول شهارة ولم نجد أية بيانات عنها . أما قرن جمع فقد ذكر الحجري أن في رأس جبل الأهنوم قنة عالية تسمى قرن جَمْع . الحجري : مجموع بلدان اليمن ، جـ 1 ص 97 .

(4) نقل مسلّم اللحجي م 4/ص 210 وما بعدها هذا النصّ عن حصار شهارة عن السيرة مع بعض اختلاف فربما رجع ذلك لأنه نقل عن السيرة لا عن مختصرها . والنص في الملحق الأول ضمن نصوص مسلّم عن الشيعة الحسينية .

(5) السرو : أحد أبواب شهارة . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 1 ص 95 .

(*) ما بين الحاصرتين عن الهامش الأيسر من الصفحة

أصحابه دخول المنازل أو أن يقوم منهم أحدٌ بغير فسح . وجعل كلَّ عـريفٍ يقوم بأصحابه العشرة فيغشون الجبل ويدورون فيه حتى يأتون على جميع نواحيه يحمدون الله ويكبّرونه ويهلّلون برفيع أصواتهم ويذكرونه حتى يعودون إلى حضرة أميرهم . ثم يقوم عريفٌ ثـاني بأصحـابه فيفعلون كـذلك حتّى يتم العشـرة العرفـاء عساستهم ويكملون حراستهم وفي ذلك قد طلع الصباح وتبيّن الفجرُ ولاح ، وقد رتّب مـع جميع المراشي والأبواب أنه إن حَدَثَ حَدَثٌ في ناحيةٍ أو جناب أنّ أحداً لا يزول من مكانه ولا يهمّ بمادّةٍ إلى إخوانه وقال : نحن نمدّ الصوت أينما كان فلا يزولنَّ أحدٌ منكم من مكانٍ إلى مكان .

فلمّـا صار الكُـلُّ من العسكرين على مـا وصفْتُ من الحال جعلوا يغـدون ويروحون على القتال فإذا أحبّ أهل شهارة ونشطوا للقتال نزلوا وإن كرهوا القتال / [م ق 39أ] سكنوا . فلم يزالوا على ذلك الحال حتى تواقفوا على ما ذُكر ـ والله أعلم ـ سبعين موقفاً في كلّ ذلك الطَولُ لأهل شهارة ويقع في الفريقين من القتل ما لم يُحْـصَ له عَدَد ، ومن عسكر المُكَرَّمِ أكثر . فلمّا طال عليهم الأمد رتبوا دُوَلاً يجـون وآخرين ينحون ودوَّلوا العشائر على أدوال السلاطين والحجاز والمقـدمات من أهـل اليمن وحراز . وكان الدول شهراً شهراً فقاتلوهم ذلك اليوم فمن قتيـلٍ وجريـحٍ وكسيرٍ فيروحون إلى أهاليهم على أسوأ حال .

قال : وخرج من شهارة نفرٌ حتّى كمنوا ببطن الوادي بين الرحبـة والمحانـة فمضى عليهم أربعةُ رجالٍ من مركز الرحبة فقتلوهم وسلبوهم . ثم كان بعد أيامٍ وخرج مَنْسَرٌ من شهارة إلى مركز قسطل فاقتسموا عاديتين وجاءوا للمركز من ناحيتين فقتلوا أهل المركز وسلبوهم ونهبوا ما كان في محطّتهم وعادوا سالمين غانمين .

قـال : وكـان إلى نـاحيـة شهـارة الفـائش[1] ذرْوة منيعـة ممـا يلي بـاب الجبـل < فجعل >(*) بنو الصُّليحي يدبّرون فيها الحيل . فلمـا علم الأمير ذو الشـرفين

(*) عن الهامش الأيمن من الصفحة .

(1) شهارة الفيش : في شرقي شهارة وهي قلعة مساوية لها . الحجري : مجموع بلدان اليمن ، جـ 1 ص 96 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1643D3 .

عليه السّلام ذلك من أمورهم ، أمر الشريف الأَجَلّ ليث الدولة وعضُدها حميدان ابن القاسم بجماعةٍ من الشيعة فلزموها وأحكموها . قال : فلمّا يئسوا من العمل في طلوع الجبل أنشأوا إلى الأمير ذي الشرفين كتاباً وذكروا فيه فتوناً وعتاباً ومِنَناً متقدِّمة وأسباباً . فأعاد الأمير ذو الشرفين جواباً لهذا الكلام يقول : أمّا المِنَنُ التي سلفت فتلك مِنّةٌ لغيركم . قال : والمعاتبة فهي بين الأحباب ولا يُستكثر ذلك بين الأصحاب وإن كنتُ لا أرى الإغراق في ذلك بصواب لعلمي أنّ كُلَّ ما عنده ولديه ليس بِخافٍ علينا ولا عليه كما قال بعضهم[1] :

ومهما تكن عند آمرىءٍ من خليقةٍ ... ولو خالها تخفى على الناس تُعلم

قال بعض أهل الأدب :

لولا الكراهة للعتاب وإنني ... أخشى القطيعة ما قطعْتُ عتابا
وذكرتُ من عثراتكم وذنوبكم ... ما لو يمرّ على الحديد لذابا

ذكر وصية الأمير ذي الشرفين عليه السّلام :

عندما أراد النزول لمناجزة بني الصُّليحي بالرحبة وُجِد في كتبه بعد وفاته عليه السّلام وأُثبتت في شهر رجب من شهور سنة خمسٍ وثمانين وأربعمائة بأمر الأمير الأجلّ عمدة الإسلام حرس الله سلطانه ؛ وهذه النسخة من خطّ اليد المباركة للأمير ذي الشرفين / عليه السّلام : [م ق 39ب]

بسم الله الرحمن الرحيم : باسم الله وبالله . عُبيد الله محمَّد بن جعفر كُتب هذا الكتاب يوم الربوع أول يوم من شهر رجب من شهور اثنتين وستين سنة وأربعمائة ، وهو يشهد أن لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ولا شبيه ولا مثيل ولا نظير ولا عديل ، يُعرف بآثار صنعته ويُستدلُّ عليه بفعله وخَلْقه ، ﴿ **لا تُدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير** ﴾[2] لا يُدْرَكُ بالحواسّ ، ولا يخطر على القلوب ؛ وأنّه بخلاف المحدثات لا يشبهها في قليلٍ ولا كثيرٍ ولا صغيرٍ ولا كبيرٍ ،

(1) بيتٌ من معلّقة زهير بن أبي سُلمى التي مطلعها :
أمِن أمِّ أوفى دمنةٌ لم تكلّم ... بحومانة الدراج فالمتثلّم
(2) سورة الأنعام/ 103 .

عالم لا يُجهل ، قادر لا يَعْجز ، حيّ لا يموت ، قديم . لم يزل ولا يزال يعتقد هذا يقينا . وأنه العدل الذي لا يجور والصادق الذي لا يكذب في خبره ووعده ووعيده ، كَلَّف العباد يسيراً وأمرهم ونهاهم تخيُّراً بعد أن مكّنهم من الاستطاعة . ويشهد أنّ محمداً رسول الله إلى الخلق أجمعين وأمينه على وحيه وصفيّه(*) من خلقه . وأنّ كلَّ ما جاء به حقٌّ من عند الله لا شكَّ فيه ولا امتراء ، وأنه قد بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة على أكملها وترك في أمته صلّى الله عليه كتاب الله الذي نزل به جبريل عليه وعترته أهل بيته ؛ أولُهُم وأفضلُهم وأكمَلُهم أخوه ووصيّه وصهره وأبو سبطيه القائم مقامه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلواتُ الله عليه . وبعده الحسن والحسين ابني الرسول وسليلي البتول وبعدهما مَنْ كان من ذريتهما كهما . وأنّ الحسين بن القاسم المهدي لدين الله الذي بَشّرَ به الرسولُ عن الله ، وأنّه صادقٌ في جميع ما ادّعى ، أدَينُ الله بتصديقه ، وألقاه باعتقاده ، لا هوىً ولا رياءً . فلقِّنّي حُجّتي يوم ألقاك بحقّك العظيم . اللّهم اشهد عليّ بهذه الشهادة في وحدانيتك ووعدك ووعيدك ونبيّك والحُجَج من آله على خَلْقك والمهديّ لدينك . على ذلك أحيا ، وعليه أموت ، وعليه ألقاك . أُريدُ بذلك رضاك فلا تحرِمْني عفوك وعطفك عليَّ ومغفرتك . اللّهم اشهد أنّ مقالتي واعتقادي في شهادة الحق مقالة الحسين بن القاسم واعتقاده . فما قصّرْتُ عن ذكره أو نسيتُهُ فإني أشهد بمثل ما شهد به ، وأقول مثل مقالته ، وأعتقد اعتقاده ، وأدينُكَ بمثل ما دانك به . فأثبت شهادتي مع شهادته ، ونجِّني ببركته ، وآحشُرْني في زُمْرته ، واجعلني من حزبه ، وأعِنّي على العمل بسيرته . اللهم استجِبْ لي ، واشهد عليّ بما أشهدْتُكَ / وأعِنّي على نفسي [م وعلى حملها على ما يرضيك ولو تعبْتُ . اللّهم واشهد عليّ بالتوبة إليك من كل ذنب وخطيئة ، ومن كل شيءٍ سخطْتَهُ مني من قولٍ أو فعلٍ أو اعتقاد ، أتوب إليك اللّهم من ذلك المذكور منه والمَنْسيّ توبة نَصوحاً فتُب اللهم عليّ واغفر لي بحقِّك العظيم فإنّي أستغفِرُك وأتوبُ إليك .

أستغفِرُ الله الذي لا إلّه إلّا هو اللّهم اشهد عليّ بالتوبة ، واقبلْها مني إنّك

(*) في الأصل : (وصفويه) .

التوّابُ الرحيم . اللّهم وقد وقَعَتْ لي أشياء أخافُ فيها المَأْثَم ، واعتقادي جوازها لما علمت ، وأنا أستغفِرُكَ وأتوبُ إليك مما ليس بجائزٍ عندك ، وأُشْهِدُكَ بالتخلُّص منها إن سلمت وبان لي أنّها خطأ . وإن متُّ فلا تؤاخذْني بها فأنت تعلم اعتقادي فيها ونيتي وضميري فآرحمني وتُبْ عليّ بحقّك العظيم فإنّي أستغفرُكَ وأتُوب إليك . أستغفر الله مما نهى عنه وأتوبُ إليه مما لم يأمر به . اللّهم وإنّي أعقد لي في كتابي هذا عقوداً على نفسي أُريدُ بها رضاك لا غير ذلك . فأعِنّي ولا تكِلْني إلى عزمي ولا إلى تدبيري ونظري يا إلّهي . اللّهمّ وإني لا أَنْقُضُ هذه العقود أبداً حتى لقاءك إلّا أن أكونَ ناسياً أو مضطراً ضرورة . اعلم أن الدخول فيها أقرب إليك من الوقوف عنها ، وكتابي هذا تذكرة لي اللهم اشهد .

فأوّلُها يا مولاي أن أُقاطع أعداءك بني الصُّليحي خاصةً وأعوانهم وأتباعهم عامة . ولا أُريد أخضع لهم في مكاتبةٍ كالذي كنتُ أفعل . فإن كان كتابٌ إلى أحدٍ منهم من غير ابتداءٍ فلا أقول مولاي ولا أدعو لهم إلّا بمثل ما أُخاطبُ به الظَلَمة . ولا أريدُ أُوْقِعُ نفسي في أيديهم أبداً حتى إمّا نصرتنا عليهم وإما مضيتُ شهيداً بأيديهم . اللّهم اشهد عليّ وانصُرني فإني محبٌّ لنصرك عليهم وإن استُشهدتُ بأيديهم فأعْطِني أجر الشهداء بحقّك العظيم فإنك تعلم أني ما باينْتُهُم إلّا طالباً لرضاك ، وأنّهم لم يجعلوا لي ولمن معي مخرجاً إلّا النزول تحت أحكامهم . وإني خشيتُ في النزول تحت أحكامهم سخطك . اللّهم اشهد ، اللهم اشهد ، اللهم اشهد . واجعل لي عندك عهداً فلا بُدَّ من لقائك . قد أيقنتُ بذاك فارحمني ونجّني من سخطك وعذابك واجعل لي مخرجاً من عقابك فإنّك عالم لضعفي ومسكنتي وما أنا عليه مما أنت أعلم به مني فارحم ذُلَّ موقفي بين يديك وضعف حُجّتي وعظم فزعي وتفرُّحي يا أرحم الراحمين يا ربّاه يا ربّاه ، يا سيّداه يا سيداه ، يا خالقاه . يا الله يا غياث المستغيثين ، يا ملجأ اللاجئين ، ارحم ضعف جسمي من عذابك وآمْنُنْ عليّ بثوابك . [م ف 40ب]

والثانية : يا ربّ فإنْ خلّصْتَنا من بني الصُّليحي وفَرّجْتَ علينا منهم وأنا حيٌّ فآشهد عليَّ بإيثار رضاك على رضا المخلوقين ، وبلزوم شهارة وترك مفارقتها مُهاجراً

إليك ، متبعداً من جوار أعدائك ومقاربتهم حتّى يأتيني أمرك الذي لا بُدَّ منه فأُقبر فيها أو يظهر المهديُّ لدينك فيأمرني بما شاء ، وإنّي لا أغدى منها إلاّ أن يكون لقضاء حاجة ثمّ أعود إليها . أو في جهاد بني الصُّليحي والإعانة عليهم وعلى أعوانهم فإن سلمْتُ عُدتُ إليها وإلاّ فإليك يا أرحم الراحمين .

والثالثة : يا ربّ إني ما دمتُ آمراً ناهياً لا استنفعت مما أقتصُّ من الناس في معونةٍ أو غرامةٍ أو عشور ، ومقاسمتهم في شيءٍ من أملاكهم لا بدينار ولا بدرهم ولا بحبة ولا بأقلّ ولا بأكثر ولا بلباسٍ ولا بمأكل . اللهم اشهد عليَّ بذلك في خاصّة نفسي إلاّ من ضرورةٍ أخافُ منها التلف ولا آخُذُ شيئاً أستوهبه ولا أستلفه ولا أتحيَّلُ به بحيلة . فأمّا كُلُّ برٍّ أُبَرُّ به ما دمتُ آمراً ناهياً فإني أُشْهِدُ الله أني أقسمه نصفين فنصفٌ أستنفقُ منه وأكتسي وأقضي من الدَين ما تسهَّل وأُنفق منه على امرأتيَّ اللتين هما معي بشهارة ، والنصف الثاني أواسي به بين أولادي وأُمّي وإخوتي وإخواني الذين معي بشهارة لمن أرى منهم وقرابتي على قدرة الوقت . وهذا الشرط فيما يوهَبُ لي بسبب أني صرت آمراً ناهياً أُرَجَى وأُخَاف ، ولولا ضرورتي وضرورة الأشراف لم أستحلّه وصرفْتُهُ إلى بيت مال المسلمين . وأيّما بِرٌّ أحقّه يُرادُ به وجهُ الله لا غير ذلك فأنا فيه مُخَيَّر وليس عليَّ فيه عقدٌ ولا في نصيبي من بِرّ أولاد القاسم ولا في شيءٍ يهبُهُ لي الشريف . اللّهم آشهدْ وأعِنْ .

والرابعة : إني أعدل بين امرأتيَّ اللتين معي بشهارة في الليالي والأيام والكسوة والنفقة والعطية إلا الأشياء(*) تخفى عن إحداهما أُريد أخصُّ به إحداهما لما قال الهادي وأجاز . اللهم اشهد . فإذا كان يوم واحدةٍ لم أدخل للأخرى بيتاً إلاّ لحاجةٍ لا أجِدُ منها بداً ولا منها حيلة فأقضيها وأنصرف ، وتكون استقامتي في يوم الواحدة منهما إمّا عندها وإمّا في المسجد وإما خارجاً حتّى أُبصر ما يخلّصني إن حييتُ .

والخامسة : الذُلُّ لأولياء الله وحُسْنُ الأخلاق لهم والصبرُ على بغيهم وإلانةُ الجانب لهم ، وترك الغِلْظة والإحسان بقدر الطاقة إليهم ، إمّا بكلامٍ ليِّنٍ سَمْحٍ ،

(*) في الأصل : للأشياء .

وإمّا بقضاء ما تَسَهَّلَ من حوائجهم .

والسادسة : الصلاةُ على أوقاتها عند الإمكان وأكثر الحين والله يا ربّ لا يمكنُ ذلك فآرحمني وآقبل مني .

[م ق 41أ] **والسابعة** :/ الحرص والاجتهاد في الورع من دقيق ما يُخاف فيه المأثم وجليله والتحرُّز لذلك والتوقف عند الشبهات والصدق في الحديث غاية الصدق وإلّا فالإمساك ، ولا نخف إلاّ الله لا نَرْجُ غيره . وكلُّ شيءٍ فإنّه زائلٌ ذاهبٌ ، والله عِوَضٌ لكلِّ فائت . وكفي هذه يا عظيم أصول عقدي الذي أعقد لك على نفسي وما كان من فروع ذلك أو نسيتُهُ وغاب عني فآشهد عليّ بالالتزام به وأَعِنّي ولا تكِلْنِي إلى حولي وقوّتي فيضعف عزمي ويقلّ صبري وتكلّ نيتي بل يا كريم وفقني وسددني وكن لي ومعي واستنقذني وأيدني ونجِّني وآهدِني وأَرْشِدْني يـا الله . وتُبْ عليَّ واغفر لي واجعلْها عزمةً تورثُني الجنّة ، فقد عزمْتُ بنيّةٍ صادقةٍ فأعِنّي . اللّهمَّ قد كنتُ حابياً نفسي مدارياً لأعدائك منتظراً لقيام المهديّ لدينك والجهاد بين يديه حتى ألجأني أعداؤك إلى المُباينة حتى أُثرتُ وبنت اضطراراً لا اختياراً ، أنت العالِمُ بذلـك . اللّهـم. إنّي ليس عـادتي أرجع عن مبـاينتهم حتى ألقاك فـإن تُسَلِّمْني إلى ظهور المهدي فقد جعلتُ نفسي وقفاً للجهاد بين يديه في سبيلك حتى يذهب قُدُماً غير ناكص ، وإن تكن أيامي قاصرةً عن لحاقه فقد هي متباعةٌ إليك وما ملكت بالجنة ، موقوفة في هذه الهجرة للجهاد دونها ودون مَنْ فيها من حريم وأطفال ومؤمنين حتّى إمّا مضت شهيدة وإمّا أتاها أمرك الذي لا بدّ منه في هذه الهجرة ، وإمّا جرى صلحٌ بيد الشريف لهؤلاء على ترك بها فلا أُوْقِعُ نفسي في أيديهم ولا أَقِفُ لهم في ملك وأهاجر أينما قدرت منتظراً لأمر الله مُعِدّاً لنفسي لما قد وقفْتُها له . أويصالحهم الشريف على وقوفٍ فيها فإنّني معهم بناءً صحيحاً مستوياً فيه ظاهري وباطني لا أختر ولا أغدر حتّى يكونوا هم المبتدئين بذلك . اللّهم إني أُشهدُك وأُشهد ملائكتك ، وحَمَلَة عرشك ، وملاكَيَّ اللذين وكلتهما بي أني قد بعتك نفسي كلّها ظاهرها وباطنها وشعرها وبَشَرها ولحمها ودمها جميعاً بجملتها وجميع حدودها بالجنّةِ يا مولاي فآقبل منّي ، ولا تَرُدّ يدي ، وآغفِر لي . اللهم اشهد أنّي لا أستقيلُك في هذه البيعة ولا أرجعُ عنها أبداً حتّى ألْقاك . اللّهم فبلِّغْني أقصى أَمَلي بحقّك العظيم وهو مواجهةُ المهدي لدينك

والشهادة بين يديه . اللّهم استجب دعوتي وأكمِلْ بذلك نيتي ؛ وإن كان غير ذلك فآسلُكْ بي مسالك الشهداء وآحْشُرْني معهم غداً وآخلُفْني في مخلفيّ فلا أَكِلُهُمْ إلاّ عليك ، ولا أصرف أمري وأمورهم إلاّ إليك . وإن كان غير هذا مما أنت به عالم فأنا على بيعتي مُعِدٌّ لنفسي ، مُوقِفٌ لها حتّى تُبلِغَني مُرادي . وتوفّاني / على أيقن يقيني [م ق 41ب] وصحّةٍ من ديني مبايناً مهاجراً شريداً منتظراً متشحّطاً . اللّهُمَّ اشهد وأعِنْ عُبَيداً من عبيدك انقطع إليك ، وتوكّل في كل أموره عليك ، يا سيداه يا ربّاه يا ربّاه ، يا الله يا رحيم يا وَدود يا فعالاً لما يريد . اللّهم إني قد نويتُ أني أقومُ في إصلاح نفسي والاستعداد لسفري والتأهُّب للوقوف بين يديك يا سيدي نيةً صادقةً ونيةً متحقّقةً . فإن أعنتَني يا مولاي قويتُ ، وإن تركْتَني يا عظيم وَنيتُ . فلا تتركْني ولا تخذُلْني ولا تكِلْني إلى نفسي يا إلهي يا حبيبي ومولاي وسيّدي ، بل بحقّك العظيم وفِّقْني وسدِّدْني وأعِنّي ، وكُنْ لي ، ووفِّق كلَّ مؤمنٍ لمثل نيتي ، وأعِنّي بهم على أموري ، وارحَمْهُم وارحمني وفرِّجْ على الجميع منّا . يا ذخري ومعتَمَدي يا الله يا الله يا رباه يا رباه يا رباه . يا سيدي أنت العليم بظاهري وباطني ومعنى عقودي فلا تؤاخِذْني ، واجعل ذلك سبب نجاتي . وصلّى الله على سيدنا محمدٍ وأهله وسلّم تسليما .

وكم له من الأدعية صلواتُ الله عليه والوسائل إلى الله والتضرع إليه . وقد استجاب الله ما دعا ونصره على الزنادقة والأعداء . فرحمةُ الله عليه ورضوانه وبركاته وغفرانه . وقد اختصرْتُ كثيراً من كلامه عليه السّلام .

قال مفرِّح : روى لي السلطان يحيى بن محمد بن يحيى المالكي قال : بينا نحن جلوسٌ ذات ليلة عند الأمير ذي الشرفين بالمحطّة في شدّة الحصار تراجعْنا الحديث والأخبار فقال رجلٌ من الجماعة وأقسم ما الأشياء إلا لعبة هؤلاء القوم ، قد رتبوا دولاً يجون وآخرون ينحون ، وقد أثبتوا علينا المراكز من كلِّ جانب ، وخذلنا كلّ صديقٍ وصاحب . والشريفُ الفاضلُ قد رتّبوا له مَنْ شغل عنا وجهه بالفتنة من نهم وبني الدعام ، وقد قلّ علينا الماء والطعام وجعل يتنفس صُعُداً فأوقع في نفوس الجماعة انكساراً ، وكان الأمير ذو الشرفين عليه السّلام متكئاً فاستوى جالساً وقال : صدقْتَ يا فلان الأمْرُ على ما ذكرْتَ ! ولكنْ أخبِرْني هل رتّبوا من دون السماء حجاباً وأغلقوا بيننا وبين الله سبحانه باباً ؟! قال : فاستبشر الجماعة في كلامه وسلا عنهم ما

كان وقع في قلوبهم من الاغتمام . رحمةُ الله عليه ورضوانه وبركاته وإحسانه . ما كان أعظم بالله < يقينه >(*) وأوثق اعتقاده ودينه .

قال مفرّح بن أحمد : عبَّر عليَّ رجلٌ من الجوف مناماً والحصارُ قائمٌ على شهارة قال : رأيتُ في المنام الشريفَ الفاضل عليه السّلام قائماً يطحن بُراً على رحا . ورأيتُ السلطان أحمد بن مظفَّر يضحك عن دردرٍ أحمر ليس عاد فيه واضحة . فعبرت له المنام في الحين وأيقنْتُ / بالنصر من الله أشدّ اليقين فقلت : [م ق 42أ] أمّا البُرُّ فأشراف الناس وهو معبّر بهم في القياس . والشريف الفاضل قد شد إزاره وقام لحربهم وهو يطحنهم كما رأيت والرحا شهارة والقطب بها الأمير ذو الشرفين فما كان إلّا كذلك تعبير هذا المنام .

قال : ولما استقامت أمور شهادة واشتدّ أهلُها لم ير الأمير المتسمّي بالمكرَّم والسلاطين والحجاز إلّا الإقامة بالحصار والمطاولة لهم في الليل والنهار وترتيب الدول على الأدوار، فنهض الأمير المتسمّي بالمكرم رائِحاً إلى صنعاء والسلاطين سبأ بن أحمد وأبو الحسين بن جناح وبعض الحجاز ، ووقف السلطان أحمد بن مظفَّر في النجد والسلاطين محمد بن إبراهيم ، وحاشد بن كديس وحوله ابن محمد في مركز الرحبة ودلوا العشائر إلى جميع المراكز فأقام الدول على هذا الحال خمسة أشهر . فلمّا رأى الأمير ذو الشرفين عليه السّلام ذلك كاتب من يرجو عنده مادّةً أو نُصْرَةً فلم يُجِبْهُ أحدٌ إلى ذلك . فلمّا آيس من القريب والبعيد استعان بالله العزيز الحميد . وقلَّ على أهل شهارة الماء والطعام حتّى كانت كيلة الرجل من المسلمين خمسة أثمناً(**) في شهره، وكان الماءُ يُقْسَمُ على العرائف بالتوقيع فكان للنفس ماءٌ لطيف في يومين . قال : وأقاموا على الشريف الفاضل الفتنة بمن استفسدوا عليه من بني الدِّعام وغيرهم من العشائر والعوام حتى شغلوا وجهه عن النصرة لِصِنوه الأمير ذي الشرفين .

(*) ليس في الأصل .

(**) كذا في الأصل .

وكان الأمير جَيّاش بن نجاح[1] قد رَتَّب إليه في كلٍّ شهرٍ ألف دينار يستعين بها على هذه الفتنة والحصار فحصل عند الشريف منهـا مالٌ فمكث يُـدير الحيلة في وصوله إلى صِنوه بكلِّ حال ، فعمل في ذلك برصين رأيه وتوفيق الله له ولأوليائه . واجه مشائخ البحيريين وأمرهم أن ينهضوا إلى مركز بني الصُّليحي ويصلحوا بينهم وبين الأمير ذي الشرفين وأصحبهم كتاباً وحَمّلهم فصلاً من الكلام فسارعوا إلى ذلك ونهضوا من فورهم وأرسل معهم القائد مقبل السحرتي فتى سلمة بن قتّال من حيث لم يعلموا أنه أرسله ولا أمره إلاّ أنّ القائد قال : أنا أسيرٌ معكم لتخاطبوا لي في مولاي لعلّي أنزله من شهارة ! وكان مولاه صبياً صغيراً بشهارة . ودسّ الشريف الفاضل معه المال وجعله في مدرعةٍ مرقّعةٍ وقسّمه فيها وصرف عليه المدرعة . فلمّا وصل مشائخ البحيريين إلى مركز أحمد بن مظفَّر تحدّثوا معه فيما وصلوا له من الصلاح والسداد ورجا ابن مظفَّر أن يكون على أيديهم حال يقع له بحسب المراد لمكان وصولهم من ناحية الشريف الفاضل / . واستأذنه القائد في إنزال مولاه . فلمّا أُذِنَ له طلع إلى [م ق 42ب] الأمير ذي الشرفين بالمال فوفّاه إيّاه .

قال : ولمّا وصل المشائخ البحيريون إلى الأمير ذي الشرفين وأجروا بينه وبين السلطان أحمد بن مظفَّر الخطاب وكان معهم من الشريف الفاضل كتابٌ يقول فيه ظاهراً من قوله : إنْ رأى مولانا الأمير أن يصالح هؤلاء السلاطين ويغفل الفتنة لهم إلى حين كالمرخِّص له في ظاهر القول والخطاب وقد أودع القائد مقبل من الباطن ما لا يحتمله الكتاب . فقال المشائخ البحيريون : هذا كتاب مولانا الشريف فاعمل بما فيه . فقال : قد وقفْتُ عليه وفهمْتُ جميع معانيه فهل هو أعظمُ عندكم أو كتاب الله ؟ قالوا : بل كتاب الله أعظَمُ وأكرَمُ ! فقال : لو نزل عليَّ كتابُ الله من عند الله يخبرني أنّ أعمـار بني الصُّليحي ألف سنة مـا بَرِحْتُ هـذا المكان حتّى أمـوتَ فيـه واللّهُ المُسْتَعان . فلما بلغ إلى ابن مظفَّر كلامه آيس من انخداعه وقال : لستُ ببارحٍ هذا المكان لأنّ هذا الحصن مَنْ ملكه مَلَك اليمن آخِر الزمان .

(1) الملك الفاضل العادل أبو الطامي جياش ، تولى الملك بعد مقتل أخيه سعيد الأحول . وظلت دولتهم قائمة إلى أن أزالها علي بن مهدي سنة 504 هـ ؛ عمارة ، ص 84 .

وروى بعض أهل الحديث أنّ مدافع بن الحسن الجنبي عندما رجع إليهم من الأمير ذي الشرفين ما رجع من الكلام أقسم أو قال : لقد طلع هذا العبد بشيءٍ من المال ! ولم يخطىء ظنّه قاتله الله .

قال ولما كان ذلك كذلك جمع الأمير ذو الشرفين أصحابه وجَدّد عليهم العهودَ والمواثيقَ والعقود وأمر لكلٍّ منهم أن يوصي بما له وما عليه وأن يقضيَ زوجته لعظيم هول ما بين يديه ! قال ؛ فتكلّم القاضي عيسى بن الحسين بن أحمد بن يعقوب الحمدي وقد رأى الجماعةَ فأعجبته قال : يا مولانا هنا جماعةٌ لو صببْتَهم على شهباوي معاوية لأزالوهما وتمثّل بقول الأول (1) :

إذا غامرت في شرفٍ مَرومٍ فلا تقنع بما دون النجومِ
فطعْمُ الموت في أمرٍ صغيرٍ كطعم الموتِ في أمرٍ جسيمِ

وقد كان رَتّب عليه السّلام على مركز الرحبة حَرَساً وجعل على أطرافهم في كلِّ ليلةٍ عَسَساً لئلا يستنكر في الليل من يهوي إليهم فيكون ذلك عوناً للهجيمة عليهم . ثم جَهَّز الشريفين الأجلَّين ناصر الدولة وعزَّها الحسن بن إبراهيم ، وليث الدولة وعضُدها حميدان بن القاسم وانتقى معهما رجالاً من خيار أصحابه وأهل الثقة من شيعته ومحابِّه وأمرهم أن يأتوا القوم من خلفهم وجعل للكل شعاراً يتعارفون بذلك الشعار وجعل / الميعاد الصبح إذا أسفر وأنار وشعارهم : يا شهارنا أَفْرِغْ! انتزعه من [م ق 43أ] قول الله سبحانه : ﴿ ربَّنا أفرِغْ علينا صبراً وثبِّتْ أقدامنا وآنصُرْنا على القوم الكافرين ﴾(2) . وحَرَّم على الجميع من شيعته وكافّة أهل بيته وَمَنْ معه من أهل طاعته أن لا يرفع أحدٌ منهم عِقالاً ولا خِلالاً ولا يأخذ من الغنائم قليلاً ولا كثيراً حتّى يفرُغَ من قتل القوم ويرفع الغنائم في آخِر اليوم إلاّ أن يكون رجلاً ينكسر سيفُهُ فيأخذَ سيفاً غيره . فذكر كثيرٌ من الرواة ـ والله أعلم ـ أنه كُسر في تلك الغداة ثمانون سيفاً .
وروى لي محمد بن علي بن شهران عِدّةَ الجماعة الذين نزلوا مع الأمير ذي الشرفين من الشيعة تلك الليلة ثلاثمائة رجل غير من كان من جملة الشريفين السيدين الذين

---

(1) البيتان للمتنبي .
(2) سورة البقرة/ 250 .

كانوا من خلف القوم . ونهض بنفسه عليه السّلام في عِدّةٍ من شيعته وكتيبةٍ بيضاءَ من جماعته حتّى إذا كان بإزاء القوم قبل طلوع الفجر ينتظر ميعاد الشريفين وأصحابهما . فلمّا كَبَّر المكبِّر من ناحيتهما نزل بمن معه وكان ميعادهم إلى الدار وتهاتفوا بما يعرفونه من الشعار . وقد كان أمر الذين أتوا من خلفهم أن يهتفوا يا أرحباه يا ذيباناه ! والتقى الفريقان عليهم ووقع القتل فيهم من طلوع الفجر إلى غروب الشمس . وقد كان ترك الأمير ذو الشرفين ترك أنفاراً من أصحابه وجعلهم في جهة ابن مظفَّر وجنابه وقال : إن دهمكم أمرٌ أعلمتمونا فأمددناكم . فلما أتى من انفلت من الرحبة إلى معسكر ابن مظفَّر امتاض العسكر فهتف هاتفٌ إلى الأمير ذي الشرفين فطلع يريد المادّة إليهم غير بعيد . ثمّ أتاه آتٍ فقال : ليس ثم إلاّ خيرٌ بل الأمْرُ على ما تُحِبُّ وتريد ، وقد كان في غسق الصبح والظلام أوقفه أصحابه غير بعيدٍ منهم . فلمّا أتته البشارةُ السارّةُ بِظَفَر أوليائه وقتل أعدائه سجد لله سبحانه سجدتين ومدّ(*) بالدعاء والرغبة إلى الله اليدين . فقُتل من السلاطين حاشدُ بن كديس وجولة(**) بن محمد وصبيٌّ ثالث من بني الصُّليحي يقال له : أبو الفتوح ، وأفلت محمد بن إبراهيم . وقُتل من المقدّمات والعرفاء بشرٌ كثيرٌ . أخبرني غيرُ واحدٍ أن القتلى كانوا ثمانمائة رجل ويزيدون .

وروى حسّان بن سلامة عن يمين بن عبد الله العبيدي ـ وكان شيخاً من أهل الورع والديانة والعِفّة والأمانة ـ أنه قال : عُدّ مَنْ وُجد من القتلى فأحصاهم ثمانمائة رجل وخمسة وأربعين رجلاً . وأخبرنا رجلٌ من الأهنوم أنّ جماعةً منهم عدُّوا القتلى فوجدوهم زيادة / على تسعمائة قتيل . وجُمعت الغنائم والأسلابُ فكانت ـ مِنّةً من [م ق 43ب] الله تعالى ـ كبيرة وغنائم هنية كثيرة . وصفا الخيل والبغال والحلل والأموال التي لا تُحْصَى ولا تُعَدُّ مع ما حمل الناس من دقيقٍ وسويقٍ وطعامٍ وإدام . وطلع الأمير ذو الشرفين عليه السّلام في عسكره مؤيَّداً منصوراً سالماً محبوراً ما قُتل من أصحابه إلاّ ثلاثةُ رجال . وقد ذكر أنّ أصحابهم غلطوا بهم . قال : ولمّا طلع الأمير ذو الشرفين أمر بالغنائم فجُمعت فأحضر منها الدقيق والجليل والكثير والقليل . ولقد

(*) في الأصل : ومدنا.

(**) في اللآلي المضية م 2/ص 163 : خولة !

أخبرني بعض الجماعة أنّ رجلاً جاء بإبرةٍ فقال : هذه ؟ فقال : اطـرحها هنـالك فطرحها ! واصطفى الأمير عليه السّلام إلى خزانة بيت المال أربعين صدرة مختارة والمشامل وقوائم الفضّة . وتنفّل لنفسه بغلةً كانت لمحمد بن إبراهيم . وقسم الباقي على ما قسم الله من السُّهمان فأخذ الخمس وقسم الباقي بين سائر الإخوان . واتّسى في الغنيمة مَنْ حضر الوقعةَ والقتالَ ، وَمَنْ كان على المحارس من الرجال . قال : ومن كان معه شيءٌ من الإدام والطعام حسبـه بقيمته وحُسب عليـه من حِصّته في قسمته . فما استأثر أحدٌ بيسيرٍ ولا كثيرٍ . قال : وأمرهم الأمير ذو الشرفين بالأُهبة للنزول على ابن مظفَّر من الغد ورتَّب السلاح والعُدَد . فلمّا كان من آخِر الليل هرب ابنُ مُظفَّر إلى جبل سيران[1] وخلّف ثقله ومضاربه حيث كان وأصبح فنزل لها أهل شهارة فانتهبوا ذلك ورفعوا إلى الأمير ذي الشرفين جميع ما هنالك . وصار ابن مظفَّر في سيران محصوراً مستذَلاً مقهوراً . وأمر بالصريخ إلى صنعاء فنهض إليه المكرَّم والحجاز ومَنْ معه من أهل الدعوة من حراز حتّى صاروا بالقرب من أقر ونزل إليهم أحمد بن المظفَّر وراحوا جميعاً على أسوأ حال . وشاع ذكر القِتْلة في جميع البلاد . وأطفأ الله بذكرها نيار أهل الفساد . قال : وقد كان الأمير ذو الشرفين عليه السّلام رأى قبل الوقعة رؤْيا في المنام فاستبشر بالنصر والظَفَر فسألْتُهُ عليه السّلام عن هذا المنام ؛ فقال : رأيتُ والدي جعفر بن القاسم عليه السّلام ناولني لوحاً فيه كتابٌ أخضر ـ يعني رطباً لم يجفّ ـ فقرأْتُهُ فإذا فيه : يُحـاطُ بالهِـرابة مـرّتين ثمّ هو يحميهـا ثم تـأتي جنود سـابور ! وفي هـذه الوقعـة ومـا كـان فيهـا يقـول الأمـيـر ذو الشـرفين عليه السّلام :

ألا قُــل لــربّــاتِ الخـدور الكــواعبِ ‌ ‌ ‌ يـقبِّـلْنَ أيــديـنــا وحــدَّ الـقــواضـبِ
[م ق 44أ] ويـنـعـمن مــا دمـنــا ودامـت شـهـــارةٌ ‌ ‌ ‌ بِمِنّـةِ ربِّ العـرش جــزلِ المـواهبِ/
ويـــأْمَــنَّ تـــرويــعَ الأعــادي فــإنـنــا ‌ ‌ ‌ بـنـيـنــا لهـنّ العــزَّ فــوق الـكــواكبِ

---

(1) سيران الشرقي وسيران الغربي عزلتان من ناحية شهارة تقعان في الجنوب والجنوب الغربي من شهارة وتصل حدودهما إلى مدينة شهارة نفسها . والمنطقة بها مجموعة من السلاسل الجبلية غير أنه لا يوجد بها جبل يحمل اسم سيران ؛ انظر : التعداد السكاني التعاوني لمحافظة حجة ، ص 375 ـ 378 ، ص 381 ـ 382 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1643D3 ، 1643D4 .

بنصرٍ رأى الرحمنُ صحّةَ أَصْلِهِ ... فَمَنَّ بنصرٍ مرغمٍ للمُناصبِ
فقد كُنّ شاهَدْنَ المكرَّم إذ أتى ... يقود جيوشاً نحونا كالسحائبِ
من أقطار أرض الله لا شكّ كلها ... مشارقها والشام ثم المغاربِ
فبالنجد أمسى مُرسياً وآبتنى به ... منازل قد حفت ببيض(*) المضارب
وبثّ لنا الأجنادَ من كلِّ موضعٍ ... محيطاً بنا لا شكَّ من كلِّ جانبِ
فقلنا لهم ما الجمع حقاً يَروعُنا ... ولا نفخ أبواقٍ وضرب الجباجبِ
ولا الحصر والتضييق يَغْلِبُ صبرنا ... ولا أحدٌ للموت منّا بهائبِ
ولا عالم ينقاد طوعاً لِظالمٍ ... عظيم لدى الأوباش سامي المراتبِ
ألسنا بلا فخرٍ ليوثاً لدى الوغى ... وأكرم من لاقاه عند النوائبِ
صبرنا لهم في النجد كم من عشيةٍ ... على قوةٍ منهم وكثرِ الكتائبِ
فكم من قتيلٍ صار في النجد ثاوياً ... وكم من جريحٍ مُلْتوٍ بالعصائبِ
ولمّا رأى الإقدام والنصر جهرةً ... وأيقن أنْ قد غره كُلُّ كاذبِ
ثنى نفسه من عندنا غير طامعٍ ... لما كان قد هيّأ له كُلُّ حاسبِ
فردَّهُمُ اللّهُ العظيمُ بغيظهم ... فآب إلى صنعاء أوبةَ خائبِ
وكان بوجه الرأي أعرف كلّهم ... وأبصرهم طُرّاً بسوءِ العواقبِ
وأعرف من(1) سُنّةٍ ... ولم ينتفع(2) بطول التجارب
ولم يك ذا عقلٍ ورأيٍ وفطنةٍ ... فيعلم أنّ الحصن في كفّ طالبي
نرى الموت فرضاً واجباً دون دينه ... ودون حريم الطاهرين الأطايبِ
وأنصارهم من كل حيٍّ خيارهم ... يدينون مولاهم بحبِّ الأقاربِ
أقارب خير الناس طراً محمدٌ ... وذاك لديهم واجبٌ أيّ واجبِ
وبايعه بالجهل لا شكَّ حاسدٌ ... وخولةُ والفَرّارُ عن كُلِّ صاحبِ
فحلّوا وقصد الكلِّ منهم هلاكُنا ... وما فيهم لله فينا براهبِ
ولمّا رأيتُ الأمر قد جدَّ جِدُّهُ ... رميتُ بقصدي الله مُنْشي السحائبِ

(*) في الأصل : نصب ـ فوق السطر .
(1) بعدها بياض مقدار كلمتين .
(2) بعدها بياض مقدار كلمة .

[م ق 44ب] ونــاديتُ أشيــاع الحسين بـن قــاسمٍ   فبــايعْتُـهُـم لله بَـيعــةَ غــاضــبِ /

على أن يخـوضوا المـوت قصـداً إليهم   ولـعنــة مــولانــا عـلى كُـلِّ نــاكـبِ

وصَيّـرهم قـسمــان قـسمٌ يـقـودُهُم   كَميّــان من ابنـا لـؤيٍّ بـن غـالـبِ

همــا الحسن الـوردُ الجـريءُ وصنـوُهُ   حُميـدان حتفـا كـلِّ ضِـدٍّ مُحـاربِ

فلمّــا استـوى التـرتيبُ منّــا صبحْتُهُم   على مــركـزٍ جَمٍّ كثيـفِ المــواكبِ

فلم يَبْـدُ ضـوءُ الشمس إلاّ وحــاشـدٌ   وخـولـةُ والأجنـاد إحـدى العجـائبِ

لـذي نـظرٍ قـد حـلَّ بـالقـوم سخـطُهُ   فأجسادُهُم كـالصعد في أرض حـاربِ

تمـازجت الأجسـادُ بـالتُرب والـدِما   فهم غيـر أجســادٍ وحـمـر التـرائبِ

وأسيـاف أهل الـدين بعـد ابْيضـاضها   كمـا العنـدم الـورديِّ حُمر الـذبـائبِ

تــراهم بنـصـر الله مـا بيـن قـاتـلٍ   وتــابـع مـطرودٍ ومـلظٍ ونــاهــبِ

وولى ابن إبــراهيم جُـبْنـاً ولـم يَجُـدْ   كـأصحـابـه بـالنفس عنـد النـوائبِ

فحـامى عـليـه القـوم ظنـاً بـأنـه   أخـو نجداتٍ صـابـر غيـر هـائبِ

فـأسلبهـم وآنســلَّ والـكُـلُّ واكـنٌ   عـلى أنـه من بعـده غيـر راغـبِ

لعمـرك يـومـاً في الحياة كحـاشـدٍ   وجـولـة لم يستحسنـا في المـذاهبِ

فـراراً وفـي خـرفـان قـد فـرَّ مَـرّةً   فـأصبح مسلوبـاً بهـا غيـر سـالبِ

فـلو كـان ذا رأيٍ هـنـاك بـزعـمـه   لما بعدها ولاّهُ قَود < الكتـائبِ >(*)

وعاين ماقد حَلَّ بالقوم . . . . (**)

فـأصبح محصـوراً على شرِّ حـالـةٍ   . . . . (***)

ولـو كـان لم يعجـل صَبَحْنـاه مثلهـا   . . . . (****)

وكــان كمـا المـاضين منهم فـريسـةً   . . . . (*****)

كـذلـك لـو أبـطا المُغيـرُ إليـهم   . . . . (******)

(*) بياض في الأصل ـ زيادة من المحققين .

(**) بياض في الأصل .

(***) بياض في الأصل .

(****) بياض في الأصل .

(*****) بياض في الأصل .

(******) بياض في الأصل .

وله في ذلك أيضاً عليه السّلام :

أَلا قُـل لـربّـاتِ الخـدورِ الكـوامـلِ ... ... (*)
وأفـضـل أشيـاعٍ وأصبـر عُـصْبـةٍ ... ... (**)
ويمشـين فـي رهف الـثيـاب أوامـنـاً ... ... (***)
يقـود جيـوشـاً ليس يُحصى عـديـدُهـا ... ... / (****) [م ق 45أ]
فـخطَّ وأرسـى فـي ذَريٍّ وأقـبـلـت ... عسـاكـرُهُ تهـوي كمـوجٍ بِسـاحـلِ
فـبـارزهـم مـنَّـا رجـالٌ قـلائـلٌ ... فمرّوا هـزيمـاً كـالنعـام الجـوافـلِ
فـلمّـا رأى الإدبـار منهم أمـيـرُهُـم ... أتى النجـد حقـاً عـاجـلاً غيـرَ آجـلِ
فـأثبت أطنـاب المـضـارب وآبتـنى ... بـه منـزلاً من فـوق تـلك المنـازلِ
وَحَـلَّ وآلـى لا يـزالُ مـحـاصِـراً ... مـدى الدهـر مُرْسٍ نحونـا بالكـلاكـلِ
وأوقـد نـارَ الحـرب من كـلِّ جـانبٍ ... وغـال فـأبلى في جميـع الغـوائـلِ
فـألـقى رجـالاً لا هـوادةَ عـنـدهـم ... يَـذُبُّـون عن أديـانهم بـالمَنـاصـلِ
كـرامٌ وطعمُ المـوت أعـذبُ عنـدهم ... لَعَمْـرُكَ من مـاءٍ من المُـزْن سـائـلِ
فيـا رُبَّ يـومٍ حـلَّ في النجـد خَـطْبُـهُ ... صبـرْنـا لهـم صبـر الكرام الأوائـلِ
بـبـدرٍ وأُحـدٍ والـنـضيـرِ وخَـيـبـرِ ... بنـاحَيَّ حقـاً ذِكْـرُ تلك المحـافـلِ
فـلمّـا رأى أن لا مـرامَ يـرومُـهُ ... وأيـن الثُّـريـا مـن يـد الـمـتـنـاولِ
تـرحَّـلَ مـردوداً هـنـاك بـغَـيـظه ... وآب إلـى صنـعـاء أُوبـةَ ثـاكـلِ
وخـلَّف ابـنـي عـمـه ثـم جـدّه ... فـطالَبْتُهُم صُلحاً بِجَمِّ الـرسـائـلِ
فلمّـا استبـان اليـأس منهم وغيـرهم ... ولـم يبـق مـأمـولٌ يُـرجَّى لآمِـلِ
رميتُ بـقصـدي الله جَـلَّ جـلالُـهُ ... فـلم يـكُ ذو الآلاءِ مـولايَ خـاذِلي
ونـاديتُ أشيـاعَ الحُسينِ بـن قـاسمٍ ... فـبـايـعْـتُـهُـم لله بَـيـعـةَ بـاذلِ

(*) بياض في الأصل . وفي اللآلي المضية م 2/ص 163 مـا يدل على أن الشرفي صاحب اللآلي ينقل عن هذه النسخة من مختصر السيرة .

(**) بياض في الأصل وفي اللآلي .

(***) بياض في الأصل .

(****) بياض في الأصل.

على أن يـزوروا القـوم قصـداً إليهم ... ولعنـةُ مـولانـا عـلى كـلِّ نـاكـلِ
وصيَّـرْتُ في قلب الكتيبـةِ مُهْـجتـي ... مُـريـداً بـذاك الله لا قـولَ قـائـلِ
وصيَّرْتُ خلف القـوم بعضـاً يقـودُهُم ... كـريمان من نسـل الكـرام ِ الأفـاضلِ
همـا الحسنُ المقدامُ حقّـاً وصنْوُهُ حُميـ ... ـدانُ رُكْـنـانـا لإحـدى الـنـوازلِ
> . . . . . . >(*) العزم منهم محققاً ... وأيقنت أن القـوم حـتف الـمقـاتـلِ
> . . . . >(**) مصبِّحاً ... لأكـثـر مـن ألـفٍ وألـفـي مُـقـاتـلِ
> . . . . > (***) ... حـداد الـظُّبا في هـامِهِم والكـواهـلِ
> . . . . >(****) ... وإلّا قـتـيـلاً بيـن تـلك الـجَـنَـادِلِ
[م ق 45ب] > . . . . > وأجداث بقتلهم ... وأُبْـنـا بِغُـنم الـقـوم أوبـةَ طـائـلِ
> . . . . > ... حـوى كُـلَّ خيـرٍ وانتهى بـالصـواهـل
> . . . . > فأصبحت ... بِمِنَّـةِ ربِّ النـاس خيـر المَعَـاقـلِ
> . . . . > والعزّ والسنا ... مـطهَّـرةً لا شـكَّ من كُـلِّ بـاطـل
> . . . . > ... ونـحّـرْنَ مـن لـحـمٍ طـريٍّ لآكِـلِ
> . . . . > تقصَّدَتْ ... بـأيـديهِمُ الأسيـافُ عند التحـامُلِ
> . . . . > الحدِّ باتكٍ ... يقصّـد في هـامـاتهم والكـواهـلِ
فيـا جـولـةَ الـطغيـانِ يـا ابنَ محمـدٍ ... ويـا حـاشـدَ الأشـرار يـا شَرَّ واصـلِ
ويـا عُصْبـةَ السـوء التي قـد تعصّبت ... لـتحـميَهـا مـن كـلِّ أروعَ بـاسِـلِ
جهلتُم وَمَنْ أرسـى رُميضـاً لحينكم ... عـزائمَ أهـل الـدينِ يـا كُـلَّ جاهـلِ
ألم تعلمـوا أنّـا استجـرنـا بمـانـعٍ ... من الضَّيْمِ لم يبـرحْ لنا خيرَ كـافـلِ
وبِعْنـا النفـوسَ الـغـاليـاتِ تـجلُّداً ... بـجنّـةِ خُـلْدٍ مُـلْكُـهـا غـيـرُ زائـلِ
ومـا الموتُ مهيـوبٌ لـدينـا لقـاؤُهُ ... ولا كُـلُّ مَنْ يخشـاه معنـا بِـداخـلِ
قـتلتُم وبيـتِ الله مَنْ لـيس مثـلهـم ... يضيـعُ ولـو طـالت يـدي كُـلَّ نـائـلِ
حسبتُم بـأنّ الثـأرَ يـذهبُ عـنـدكم ... ومـا اللّهُ عمـا قـد فعلتُـم بِغـافـلِ

(*) بياض في الأصل .
(**) بياض في الأصل.
(***) بياض في الأصل .
(****) بياض في الأصل .

قتلتم بني الزهراءِ عمداً قطعتُم بذيبين والمنوَى حِبالَ التواصُلِ
بذيبين والمنوى قطعتم فما الذي نُرَجّيه منكم بعد تلك الفعائلِ
وبالفقع والمخلاف أيضاً قتلتُمْ أبا الفتح يُهدي رأْسَهُ شرُّ حاملِ
أبحتم دماءَ الطاهرين تمرُّداً فَشُلّتْ من أيديكم يدَي كُلِّ قاتِلِ
ولا بُدَّ من يومٍ به قد تواترت أقاويلُ صِدْقٍ في صحيح التَنَاقُلِ
يُبيدُ بأيدينا الإلَهُ جميعكم فيجتَثّ منكم كُلَّ حَافٍ وناعلِ
ونملك ما أثّرتم من مآثرٍ بملكٍ عميمِ القهرِ لا شكّ شاملِ

ولمفرِّح بن أحمد رحمةُ الله عليه :

ألا امتنعت في الجو عَيْطاءُ هَنْوَمِ بِمَنْ حَلّها دون الأميرِ المُكَرَّمِ
كما امتنعت عنقاءٌ من الطير وَكْرُها على رأس نعنوعٍ من الصخر لَمْلَمِ
سما رأسُها دون السما وتطوَّقَتْ بأطلس مطرور القِطاط مُحَذْلَمِ / [م ق 146أ]
إذا أُوقدت نيرانَها فوق رأسِها ولاحت على جُنحٍ من الليل مُظْلِمِ
توهَّمْتُ بل في غالب الظن أنها سماويّةٌ رمداءُ حُفَّت بأَنْجُمِ
رأى الله فيها العزَّ للدين فآحتمتْ قواعدُ هذا الدين عن كلِّ مُجْرِمِ
وَملّكَها آلَ النبيِّ محمَّدٍ وزوَّجها منهم بألْوى عَشَمْشَمِ
له عَزَماتٌ هُنَّ أمضى من الظُبى ورأيٌ سديدٌ صيِّبُ المتوسِّمِ
دعا برجال المؤمنين وَحَثُّهُمْ على خِطّةٍ فرضٍ على كُلِّ مُسْلِمِ
وأشلاهم نحو العدوِّ وَحَضَّهُمْ على جَبَلٍ من كورةِ القوم أبهَمِ
وقد كان قالوا قال حاسِبُهُم لهم وغُرُّوا بقول الحاسبِ المتوهِّمِ
سيأتونكم مستسلمين إليكُمُ وسيان هاجي مُسْلمٍ وَمُسَلِّمِ
فزافت رجالُ المسلمين إليهم إزا باسِلٍ عبلِ الذراعَين ضَيْغَمِ
شعارُهُمُ يا ثارَ آلِ محمَّدٍ فأعْزِزْ بهذا من شعارٍ وأكْرمِ
وصبَّحهم والصبحُ بادٍ كأنّه أحاطيطُ وَرْسٍ في خدود المُنَعَّمِ
فما كان إلّا طلعةُ الشمسِ وآنجلَتْ على جُزُرٍ كُومٍ ونَهْبٍ مُقَسَّمِ
وسارت بها الرُّكْبانُ في كلِّ بلدةٍ وفاه بها مستعلياً كُلُّ ذي فَمِ

تـركْنَ سيـوفَ المؤمنين لحـومَـهُم ... بـراداً لِـطُلْسٍ أو نِـهـابـاً لقشعمِ
تـروحُ وتغـدو نحـوهـم وَمَـرَاحُها ... إلى معقِـلٍ دونَ السِمـاكَيـنِ هَضْيَمِ
غَـدَوا بالسيوفِ البيضِ بيضاً شفـارُها ... وراحـوا بهـا حُمْـرَ الشِّفـارِ من الـدمِ
أخـذن بثـأر الفـاطـميين ضعفـه ... وليس القضـا فيمـا مضى بمحـرَّمِ
وإن كـان لا يـوفي بهم من أخـذْنَـهْ ... أمثـلُ أميـرِ المؤمنين ابنُ مُلْجِمِ
وكم مثلهـا استـرزق اللّهُ في العـدا ... شِفـاءَ غليـلٍ أو حيـازاً لمغنمِ
ستشفعُـهـا عمـا قـليـلٍ بمثلها ... بـأرعنَ جَـرّارٍ إليـهم عـرمـرمِ
وتُشْلي عليهم كُـلَّ أبيضَ صـارمٍ ... وأسمـر عسّـالٍ وأجـردَ شيـظمِ
وننصـر مولانـا ابنَ جعفر قـاسمـاً ... ونحميـه من كيـد العـدوِّ ونحتمي
تجشّمهـاً بِكـراً عـوانـاً وإنـهـا ... علـى غيـره مكـروهـةُ المتَجَشّمِ
[م ق 46ب] وبـاشـرهـا بـالنـائبـات بنفسه ... وأُسْرتِهِ فعـلَ الكـرامِ المصمِّمِ /
فقُـل لعيـون المؤمنين ألا انعمِي ... وقـل لأنـوف الكـاشحين ألا آرغَمي
ويـا دولـةَ الحقِّ المبين ألا اقـدِمي ... ويـا دولـةَ الجَـور انقضي وتَصَـرَّمي

قال : ولمّا قُتل القوم بشهارة وانفضّوا عنها يئسوا منها ، وأقبلت العشائر إلى الأمير الأجلّ ذي الشرفين بالسمع والطاعة وسارعوا بالنفاعة . كافأ من استقام على طاعته بالجميل ، وقاسم من حنث بيمينه بالثلث من ماله بالكثير والقليل ، وأقبل إلى إصلاح شهارة ، فعمّر المناهل ، وآبتُنيت المنازل ، وحدثت فيها البركات ، وكثُرت عليهـا الأمطار. لقـد روى لي بعض مَنْ لا يُتَّهَمُ أنه أخبره رجلٌ من أهـل هنوم ـ وكـان ممن يختلف إلى الجبل وهو فايش مرسل ـ أنه كان له غيران فما كان الغَيلُ يكاد يرويها في بعض الخبر فأنشأ الله فيه البركةَ حتّى صار يَرِدُهُ عامّة أهل الجبل .

وأمر الأمير ذو الشرفين بعد أن وصل به رجلٌ شمَّامٌ فذكر له أنّ في شق هذا الغيل ماءً جماً على قياس ثلاثين ذراعاً ، فأمر به عليه السّلام مَن حفره فلحق فيه الماء على ما ذكره الشمّام ، ماءٌ غزيرٌ يطلع حتّى يسقي من رأس البئر ويصير جارياً على وجه الأرض إذ لم يورد ، وعمّرت المناهل فصارت كثيرة العدد بعد اذ لم يكن بها إلاّ ثلاثة مناهل . وطهُرت الهجرة فلا يُرى فيها مؤذياً ولا يسمع إلاّ مهلِّلاً أو قارئاً . وابتنى

فيها مسجداً للجماعة ، فإذا كان يوم الجمعة صلّى الأمير ذو الشرفين عليه السّلام بالجماعة ، ثمّ أقبل عليهم بوجهه يحُضُّهم على الطاعة ويعِظُهُم ويذكّرهُم بالله واليوم الآخر ، ويقرأ القارىء بين يديه في كتب التوحيد ويتذاكرون في معرفة الله الواحد الحميد ولا يشتغلون بشيءٍ من الأشياء ولا يَقْضي أحدٌ في ذلك الوقت حاجةً من حوائج الدنيا . يتراجعون الكلام ، ويُنصتون إلى قوله عليه السّلام في أطهر زيٍّ وأحسن نَديٍّ مقبلين على التعليم غير مهملين لحجبة الحريم ، ولكلّ رجلٍ منهم في داره مسجدٌ يُصَلّي فيه منفرداً فلا يسمع إلا قارئاً مجتهداً . ثم أمر عليه السّلام بتنزيه الأسواق ، وشدَّدَ على عُمّاله في جميع الآفاق فنفى منها المنكراتِ والشرورَ ، وقطع ما كان بها من شرب الخمور ، ونهى عن اختلاط النساء والرجال ، وكانوا في أسواقهم فيما تقدَّمَ على هذه الحال .

ذكر الخبر عن غزوة المُلاهي(1) :

قال(2) : وفي هذه السنة غزا الشريف الفاضل إلى الملاهي وتُسمّى حارود من حازة تهامة فنهب جميع ما فيه من بَزٍّ وحديدٍ ودروعٍ / وأثاثٍ وعبيدٍ ووقع مع العسكر [م ق 47أ] المنصور منه غنائمُ كثيرة . وكان موضعاً مشهوراً بالفساد والشرور وارتكاب الفسوق وشرب الخمور . والذي كان هاج هذه الغزوة عَدْوةُ أبي الحفاظ ابن البكري على الشريف < الحسن بن علي ورفقته السفر من(*) ناحية جَيّاش بن نجاح . وانثنى الشريف >(**) الفاضل عليه السّلام بِمَنْ معه سالماً غانماً .

قال(3) : وفي هذه السنة كان مخرج بني الصُّليحي إلى أعمال شهارة بعد منقَلَبهم منها مقتولين وذلك أنه جمعهم محضرٌ بصنعاء فيه أميرُهُم وسلاطينُهُم

(*) في الأصل : السعدان ـ والتصحيح عن اللآلي المضية .

(**) ما بين الحاصرتين عن الهامش الأيمن من الصفحة .

(1) المُلاهي من مناهل لعسان من مخلاف حراز وهوزن ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 209 ـ 210 .

(2) قارن باللآلي المضية م 2/ص 164 ، وأنباء الزمن م 2/ص 160 .

(3) قارن باللآلي المضية م 2/ص 164 . وانظر النص مختصراً في أنباء الزمن م 2/ص 160 .

ومقدّمات الحجاز وأهل الدعوة من حراز فتحدّثوا في أمور شهارة . ولم يكن عامر بن سليمان الزواحي حضر معهم في حصار شهارة فكأنه زرى عليهم وقال : ما أحدثتم شيئاً ! أخبِروني أليس يصطفّ على باب هذا الحصن ذبابتان ؟ قالوا : بلى وسوف تراها رأيَ العين فَسَدَّ رأيهم على النهوض إليها لغيار زروعها فنهضوا حتّى حطوا بمراحم من بلد ظليمة . ووقع الغيار في الزرع ، ونظر الزواحي إلى الحصن فبهره وعرفه بعدما أنكره وسارت لهم خَدَمٌ وجِمالٌ يحملون لهم العلف من الوادي فقُطع على ناسٍ منهم ، فعُقرت الجمال ، وقُتلت الرجال ، وجرى بينهم قتال وانقلبوا رائحين والقتالُ في أعقابهم فراحوا على أسوأ حال . وفي ذلك يقول مفرِّحُ بن أحمد :

لعمري لو درى اليمن العظيم ... وساكِنُهُ المُيامن والمُشيمُ
بأين قد أصبحوا السعوا(*) عجالاً ... عدوّهم إلينا والحميمُ
وكيف يكونُ حالُ العدل فيهم ... وسيرتنا إذا زال الظَلومُ
كشفْنا الكَربَ عنه وعن ذويه ... وقُمنا حين يقعُدُ مَنْ يقومُ
وقُدْنا الخيل سامِيةَ الهوادي ... عليهنّ الجحاجحةُ القُرومُ
وناصبْنا الملوكَ وبلّغَتْنا ... بأيدينا السيوفُ لِما نرومُ
أخذْن سيوفُنا بالثأر منهم ... غريماً كان يطلُبُهُ غريمُ
بثأرٍ لم يتمّ عليه عامٌ ... ولم يَمْرُرْ له زَمَنٌ قديمُ
تجهَّزَ عامرٌ ليزورَ أرضاً ... بعرضَيها مِنَ آعظُمِهِمْ رَميمُ
ورامَ تَناوُلَ الجوزا وأنّى ... تُنالُ ببسطةِ الكفِّ النجومُ
فعاود عاجزاً وثنى حسيراً ... وأقصَرَ عن ملامةِ مَنْ يلومُ
[م ق 47ب] وعاد إلى غيار الزرع هذا ... لَعَمْرُ أبيكما عَجْزٌ ولُومُ /
وقد علمت بنو قحطان أنّا ... لهم وِزْرٌ ومعتَصَمٌ عَصومُ
وللناجي من الغَرِقينَ فُلْكٌ ... وللغاوي الصراطُ المستقيمُ

(*) كذا في الأصل ، ولم نهتد لتصحيحها .

رجع الحديث إلى قصّة ذي الرداعين :

قال : وكان بين الشريف الفاضل وبين الأمير جَيّاش بن نجاح خطابٌ ومُراسمةٌ للقاءٍ إلى بعض ذلك الجناب فنهض عليه السّلامُ في خيلٍ ضخمةٍ وعساكر جمّةٍ حتّى انتهى إلى ذي الرداعين[1] . ووصل القائد عمر بن حقرة إلى هنالك فواثقه الشريفُ الفاضل على المُظاهرة والمُناصرة ، وتعذّرت المُواجهةُ بينه وبين جَيّاش .

قال مفرِّح بن أحمد : سألني الشريف الفاضل أن أعمل له شعراً إلى الأمير جيّاش بن نجاح ويشكُرُهُ فيه ويُثْني بما يوليه ، ويأمُرُني أن أذكُرَ فيه بني حسن وأسعد بن عراف والقوّاد والأجناد ـ وكان الأمير جَيّاش مرتّباً له ولصنوه الأمير ذي الشرفين في كُلِّ شهرٍ ألف دينار[2] ـ وهذا الشعر :

تجاوزْيا رسولُ عن البلاد ... وَحُثَّ إلى ديارِ بني رِيادِ
وأتحِفْ حضرة الملك المُرجَّى ... بأضعاف التحية والرشادِ
وأخبِرْه بأنّا قد أبدْنا ... بني الأُصلُوحِ بالقُضْبِ الحِدادِ
صَبَحْناهم غداةَ السيف كأساً ... مريراً ذَوقُها والصبحُ بادِ
فلمّا ذرَّ قَرْنُ الشمس ذَرَّتْ ... على غُنْمٍ وقتلى كالجَرادِ
أبدْنا من سراتِهِمُ رجالاً ... بأطراف الظُبى يومَ الجِلادِ
وباقيهم يؤولُ إلى ذهابٍ ... وباقي ما احتوَوْهُ إلى نفادِ
فهُم في كلِّ يومٍ في انتقاصٍ ... وإنّا كلَّ يومٍ في ازديادِ
فهذا ما لدينا أبْلِغَنْهُ ... إلى نجل المؤيَّد ذي الأيادي
وبُحْ بالشكر مني إنّ شكري ... له حقٌّ عليَّ بكلِّ نادي
بجيّاشٍ شددْتُ العزمَ حتّى ... بلغْتُ من العُداة به مُرادي
أمدَّ بماله وحبا وأعطى ... وأتحف بالطريفِ وبالتِلادِ
مددْتُ بماله باعي فنالت ... نواصي الظالمين على البِعادِ

---

(1) لم نعثر على ذي الرداعين في المصادر المتاحة وربما كان الموقع هو ذو الرداع : موضع ببطن تهامة من أرض لعسان بمخلاف حراز وهوزن . انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 210 .

(2) النص عن مختصر السيرة في اللآلي المضية م 2/ص 164 .

وأشعلت النيار بكلّ نجدٍ … وداركت المغار بكلّ وادِ

[م ق 48أ] وثرت بها عَشَوْزَنَةً عليهم … فقد منعتهم طَعْمَ الرُّقادِ/

فراموا نُصْرةً لا مِن صديقٍ … وجادوا بالعطا لا من جوادِ

وعادوا يحسنون لمن أساءوا … إليه ويُصْلِحُون على فسادِ

كدابغة الأديم وقد تَهَرّى … وعابرة السبيل بغير زاد

وأبلِغ لي بني حسنٍ مقالي … وإن بَعُدَتْ عن اللُّقيا بلادي

أخوكم طالبٌ ثأراً وثأري … لكم ثأرٌ فشُدُّوا للطِرادِ

هما سيّانُ مُطّلِبٌ لثأرٍ … ومقتبِضٌ على خَرْط القَتادِ

ولستُ أرى أبا حسّانَ إلاّ … عتاداً في النوائب من عتادي

وكنزاً لي إذا ما عُدَّ كنزٌ … وذخراً لي لدى النُّوَب الشِّدادِ

ولا القوّاد إلاّ من رجالي … ولا الأجناد إلاّ من عِدادِي

ولولا اللّهُ والملك المُرَجَّى … لذاب لما أُقاسيه فؤادي

ونِهم الأكرمون وَمَنْ يليهم … من أهل محبّتي وذوي ودادي

هُمُ نصروا وواسَوني وحاطوا … ذِماري حاضراً فيه وبادي

وباقي الناس ليس لهم مرامٌ … سوى خفض المعيشةِ والتمادي

أُقاسي من أمور الناس شيئاً … يُرَوّيني البياضَ على السوادِ

أُمورٌ ما عليها من عماد … ولكنّي على الله اعتمادي

فما مثلٌ أصاب فتًى كمثلي … ولا إدٌّ كمُعْضِلةٍ كآدِ

< لقد ناديتُ لو أسمعْتُ حَيّاً … ولكنْ لا حياةَ لمن أُنادي >

أُنادي في الأنام فمن يُجِبْني … يجدْني قد لبستُ لها نِجادي

أجاهدُ في حياة الدين جهدي … وأُرضي بالمُوالين المعادي

وأبذُلُ أُسرتي فيها ونفسي … وإخواني وأبذُلُها جيادي

ولا أُغضي على مضضٍ جفوني … ولا أُعطي على ظَلَعٍ قيادي

إذا ما قد تولّى اللّهُ عذري … وقد بالغْتُ في طلب الجهادِ

وفي عنقي لِحُجّتِهِ مكانٌ … فرقْتُ بها بأعناقِ العبادِ

وكنت من الأنامِ له برياً … وكان حسيبهم يوم المَعَادِ

فإن أسلم حمدْتُ اللّهَ ربّي وأن أهلِكْ فعفْوُ الله زادي [م ق48ب]
سبيل الطيبين من آهل بيتي جهاد الظالمين إلى التنادِ

قال : فلمّا أنشد الشعر تكلّم القاضي عيسى بن الحسين بين يدي جيّاش وخبّره بما كان من الأخبار وكيف كان سبب قتل الظَلَمة الفُجّار . ثم قال : قد حضرتْ هنا ألف دينار . فأنفذ بالألف الدينار وبكسوةٍ سنيّةٍ وجاريةٍ حبشيةٍ إلى الأمير ذي الشرفين . قال مفرّح : وكان الشريف الفاضل عليه السّلام قد عَرّفني بما أُلقيه من الكلام فقال : تُقرىءُ عني الأمير السلام وتقول له : أليس يرضى أن أُصونَ ببلدي بلاده ، وبإخواني أجناده ، وبنفسي نفسه ؟ فأعدْتُ عليه الكلامَ وقلتُ : وهو يطلب منك يا مولانا الأمير مالك نَفْعُهُ وعليك مَنْعُهُ ! فأقسم بالله لو كان في فمي لقمةٌ للقطْتُها لمولانا الشريف .

خبر المخرج إلى صعدة الذي أخذ فيه الشمّري[1] :

قال : ولمّا كان في أيامٍ داخلةٍ في شهر رمضان سنة ثلاثٍ وستين وأربعمائة سنة وصل من الربيعتين رجالٌ مع شريفين من أولاد الهادي يشكوان أهل صعدة والقصبة التي جرت بينهم على الخطبة للصُّليحي في المسجد ويستنجدان بالحضرة العالية . وقد كان من أهل صعدة وصاحب رأيهم جعفر بن الحسن الشمّري خروجُ جماعةِ أهل الرأي منهم يريدون إلى صنعاء ليثبت أمر بني الصُّليحي بصعدة . فلمّا بلغ عِلْمُهُم إلى الحضرة العالية بشهارة خرج لهم الشريف الفاضل في عِدّةٍ من خيلٍ إلى مذاب[2] ، وبلغ ذلك الصعديين فانحازوا إلى بَرَط واستعادوا من هنالك إلى صعدة ، وأمروا خطيباً لهم فصعد منبر الهادي عليه السّلام فخطب عليه لبني الصُّليحي فنكر من كان من أولاد الهادي بصعدة ووقع بينهم في المسجد قتالٌ

(1) النص عن السيرة في تاريخ مسلّم اللحجي م 4/ص 210 ـ 211 (وقارن بالملحق الأول ، وعن مختصر السيرة في اللآلي المضية م 2/ص 165 ـ 166 ، وأنباء الزمن م 2/ص 160 ـ 161 ، وغاية الأماني 1/262 ـ 263 .

(2) مَذاب : موضع في بلد سفيان ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 161 . ومذاب من أودية ناحية المطمة بالجوف ؛ خريطة ج. ع. ي، 1/ 50000 ، صفحة 1644C2 .

وجِراحاتَ حتّى غلب على الأمر أهْلُ صعدة وأطلعوا خطيبهم المنبرَ فتكلّم ودعا للأمير المتسمّي بالمكرَّم . وبلغ الخبرُ إلى الحضرة العالية وذلك يوم الأربعاء لثلاثة عشر يوماً باقية من شهر رمضان . وخرج الشريف الأجلُّ بهاء الدولة وحُسامُها القاسم بن إبراهيم بن سليمان إلى ناحية الجوف الأسفل ، فأطلع خيل نهم وآل الدِّعام . قال : وخرج الشريف الفاضل من خميس الأهنوم آخر يوم الأربعاء وهو على بغلة مولانا الأمير الشقرى التي تُسمَّى عنترة وهي التي أُخذت يوم رحبة شهارة ، وكانت لمحمد بن إبراهيم الصُّليحي فرأيتُها تحته كأنّها الرياح . وسمعْتُهُ يقول : ما كانت هذه البغلة تصلُحُ إلاّ لمحمد بن جعفر . ثمّ أمسينا آخِر / يومنا بالفقمين من [م ق 49أ] بلد عذر وبكرنا حتّى التقينا بعسكر الشريف الأجلّ بهاء الدولة وحُسامها **بالحَبَط**[1] في ساعة واحدة وقت زوال الشمس يوم الخميس . وكنتُ مسايراً لمولانا ـ كبت الله عُداته ـ فلما كنّا بموضعٍ يقال له المعلق التفت إليَّ فقال : يا أبا فلان ! إنّي أُحبُّ أن تخطب غداً على ذلك المنبر المبارك بصعدة إن شاء الله . فارتجلْتُ الخطبة وعرضْتُها عليه ونحن بالحبط من يومنا ذلك . قال : وسِرْنا من فورنا حتى كانت المنقلة تحت عقبة شَرْق صلاةَ العصر . وأمر عليه السّلام بالطرق فلُزمت ، فلمّا صلّى العتمة أمر فلبس كلٌّ سلاحه وركب وركب الناس . ونهضنا حتى إذا صرنا بأسل[2] ضُربت الطبول ، ونُفخت الأبواق ، وثار العجاج وجدَّ السير فكان الرجل في جهده حتّى إذا صرنا بالخانق[3] أُسكنت الطبول وتقدّمت الخيل حتّى دارت بالقرية ولزمت الأبواب ولا علم لأهلها بما غَشِيَهُم . ومضى الشريف الفاضل حتّى جعل محطته بإزاء درب الناصر عليه السّلام إذ وصل شريفان من أولاد الهادي فقالا : يا ابن رسول الله ! إنّا دخلنا القريةَ فلا عِلْمَ لأهلها بالعسكر المنصور بعد فأتْبِعْنا مائة

---

(1) الحبط ـ بفتحتين ـ ويقع في أسفل وادي مذاب ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 161 ، جـ 2 نفس الصفحة .

(2) أسل : بلدة في جنوب صعدة ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 160 ، 224 ، 366 ؛ الحجري : مجموع بلدان اليمن ، جـ 1 ص 78 .

(3) الخانق : من أودية ناحية سحار جنوب صعدة ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 163 ـ 164 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 2 ص 303 ؛ المقحفي ، معجم البلدان والقبائل ، ص 216 .

رجلٍ حتّى نلزمَ بهم دار الإمارة فأمر الشريف الفاضل الشريفَ الأجَلّ ناصر الدولة وعِزَّها الحسنَ بن إبراهيم في خمسمائة رجلٍ من الحضوريين والهمدانيين حتّى دخلوا القرية من شرقيّها في أوان السحر وشعر بعضُ أهل القرية بالخيل وهي على الأبواب فبينا هم يداعون من على الأبواب ويسألونهم من أين أنتم ؟ وما شأنكم ؟ إذا صاحت الأبواق من الدار وسط المدينة وضُربت الطبول فآرتاعوا روعاً شديداً ونزل بهم أمرٌ عظيمٌ وصار مَنْ خرج من الأبواب يريد الهزيمة وجد الخيل حرساً فلم يخرج إلّا فارسٌ واحدٌ طردتْهُ خيلُ نِهم فقتلوه وأخذوا فرسه . ثم إنّ الشريف الفاضل أمر لهم بالأمان وأصبح واختلط الناس ، ودخل مَنْ أحبَّ الدخول من العسكر ليقضي حاجة ، وخرج وجوهُ أهل القرية من حَمَلة السلاح والتُجّار فبذلوا أموالهم وسلاحهم وخيلهم فقال الشريف الفاضل لِحَمَلَةِ السلاح : لا حاجة لي بخيلكم ولا سلاحكم ، نحن نعتدُّ بكم للعدو ، ووالاهم جميلاً . وقبض على التجّار فحبسهم في درب الناصر . ولم يكن فيمن خرج جعفر بن الحسن الشمّري لأنّه كان مختفياً في القرية . فسمعْتُهُ وهو يقول لأهل القرية : وحقّ جدّي رسول الله إن لم تأتوني به قبل الظهر لأضربنّها(*) بالنار . ولم يزالوا يبحثوا(**) عنه حتّى وُجد ، فأخذ وأتي به . فلمّا كان وقت الصلاة أمرني عليه السّلام بالصلاة / في المسجد بالجماعة ، وأمرني بالخطبة [م ق 49ب] فطلعْتُ المنبر فحمدْتُ الله وأثنيتُ عليه وصلّيت على محمدٍ صلّى الله عليه . وتكلّمْتُ بكلامٍ طويلٍ حتّى انتهيتُ فيه إلى فصلٍ فيه ذِكْرُ القرية وأهلها فتلوتُ الآية وقلتُ : مثلكم يا أهل صعدة مثل قريةٍ كانت آمِنةً مطمئنةً يأتيها رزقها رغداً من كلّ مكانٍ فكفرت بأنعُم الله فأذاقها الله لباسَ الجوع والخوف بما كانوا يصنعون(1) . يا أهل صعدة ألم يرفع مولانا عنكم الدول ويحترس دونكم السهل والجبل قائماً على أخمصيه ليلاً ونهاراً وإعلاناً وإسراراً ، يأكُلُ اليسير من المعاش ، ويلبس الخشِنَ من الرياش فكافأتموه أن نكثتُم بعهده وآذيتموه على منبر جَدّه ؟! ما ترونه فاعِلاً بكم أينتقِمُ منكم أم يعفو عنكم ؟ أما لولا هذه القبورُ الزكيةُ والمشاهد الرضيةُ لقتلْنا أهلها

(*) في اللآلي المضية : لأُضرمنّها .

(**) في اللآلي : يبحثون .

(1) إشارة إلى الآية في سورة النحل/112 .

واجتثثْنا أصلها وتركْنا عاليَهَا سافلَها؟ ولكنْ عفا الله عمّا سلف ﴿ **وَمَنْ عاد فينتقم الله منه والله عزيزٌ ذو انتِقام** ﴾(1) .

قال : ولما كان من الغد نهض الشريف الفاضل بابن الشمري وجماعة التجّار وخلّى لهم البغال فركبوها . وتوجه قافلاً إلى مستقَرّ عزة سالماً غانماً . وفي ذلك يقول مفرِّح بن أحمد(2) :

كن يـا رسـولُ إذا شخصْتَ مشمِّـراً ... وعلى السفـارة بـالبشـارة غـانمـا
وآقصُصْ لمـولانـا الأميـر محمَّـدٍ ... أخبـارَ مَخْـرَجِنـا وأُوِّبْ سـالِمـا
قُـدْنـا من الجبـل المنيـع جيـادَنـا ... أرن الأعِنّـة كـالصخـورِ صِـلادمـا
فصبحن شغبـاً كـالعشـار بـواديـاً ... ومشين شـرقاً كـالقِـداح سَـوَاهِمـا
وخـرجن في أَسْـلٍ كـأمثال الـظِبى ... وسـلكْنَـهُ من فـورهـن الـمـأزمـا
وبـدت بنـا غُـرَرُ الجيـاد طـوالعـاً ... متتـوّجيـن يـلامـقـاً وعمـائـمـا
متسـربلين من الحـديـد فضـافضـاً ... مـسـتـنـبـليـن ذوابـلاً وصـوارمـا
يتبعـن أشـمط هـاشـم وهُـمـامـهـا ... نجـلَ الأئمّـة ذا المهـابـة قـاسِمـا
الـزاهـد الـورع التقـيَّ الفـاضـلَ ... البـرَّ الـزكيَّ البـرهميَّ العـالِمـا
فـدخلن هجـرة جَـدّه الهـادي بنـا ... أكـرِمْ بـهـا وبـه إلـيـهـا قـادِمـا
ذُدْنـا الـعـدا عنـهـا وقلنـا دارنـا ... تـرعى وتَحفظُ عهـدَهـا المتقـادِمـا
ونحـوط سـاكنهـا فلمّـا استعملت ... سكـانُ صعـدة رأيَهـا المتفـاقـمـا
[م ق 50أ] ودعـا الملغـلغ فـوق منبـر جـدّنـا ... قُـدْنـا إليهـا المـأقط المُتَـلاَحِمـا /
فَصَغَتْ وأصبـح مَنْ رجـاهـا خـائفـاً ... منهـم وأصبـح مَـنْ جنـاهـا نـادمـا
ورجعن بـالأسرى وكـانت عنـدنـا ... دون الـغنـائـم والإيـاب غنـائـمـا
وعفى عن البـاقي الـذنـوب ولم يَـزل ... في حـال قـدرتـه الغفـورَ الكـاظِمـا
إنّـا لـنـفـخـر غيـر فـخـرٍ أنّـنـا ... نُبنـا عن اليمن الـعـظيم عـظائـمـا
صـرنـا لخـائفـهـم مـلاذاً مـانـعـاً ... وكـذا لـمُعْسِـرِهم غيـاثـاً دائـمـا
هِـضْنـا جنـاح عـدوِّهـم وعـدوّنـا ... هشْمـاً وكـان كـذا أبـونـا هـاشمـا

(1) سورة المائدة/95 .

(2) أورد مسلّم م 4/ ص 211 ، بعض الشعر ، ولم يورد صاحب اللآلي منه شيئاً .

لـم تـتـرك الـرحـبيـتـان عـليـهـم | جُنَنـاً تُـهـاب ولا أديمـاً سـالـمـا
الـقـائـدون من الـجيـاد مـعـاقـلاً | والـلابسـون من السيـوف تمـائمـا
أنقى مـن السـحب الـغـزار مـواهبـاً | أمضى من القُضب الجِـداد عـزائمـا
والمـرتقى فـوق المنـابـر بـاسمنـا | المـالكـون على الملوك الخـاتَـمـا
ينمـو بنـا الحسنُ المـطهَّـرُ جـدُّنـا | فـي صـفـوةٍ بـلغـت أبـاه آدَمـا
هـذا ومـا نـصـبـت لـداعٍ رايـةٌ | إلاّ إلـيـنـا مُـحْسِـنـاً أو ظـالـمـا

قال : وأقام جعفر بن الحسن الشمّري بشهارة ست سنين إلّا شهرين حتى دفع ثلاثة آلاف دينار . وكان خروجه في سنة سبعين وأربعمائة سنة .

قال(1) : وفي هذه السنة كان المخرج الأول إلى شظب(2) وذلك أن الأمير ذا الشرفين لما أراد الخروج إلى شظب كاتب صنوه الشريف الفاضل وهو بالجوف الأسفل من ناحية بني الدِعام فنهض إليه في عسكرٍ كثير . واستنهض الأمير ذو الشرفين جميع الوادعيين ونزل فعسكر بالخميس من بلد الأهنوم وشرح على العسكر المنصور وقسمه أثلاثاً فكان الشريف الفاضل في ثلث بالبكيليين، والشريف الأَجَلّ بهاء الدولة وحُسامها القاسم بن إبراهيم في ثلث بالوادعيين ، والأمير ذو الشرفين في ثلثٍ بشيعته وجماعته وعشيرته وأهل طاعته .

ونهض الشريف الفاضل عليه السّلام مقدمة العسكر طريق وادي أثلة كأنه يريد بلد عُذَر . ومضى الأمير ذو الشرفين والشريف بهاء الدولة وادي رحح (؟) فالتقى العسكر بناحية المشراق وباتوا هنالك وقد أُخذت الطريقُ بالحرس خوف العيون . وبكّر الأمير ذو الشرفين والشريف بهاء الدولة وتبعهما الشريف الفاضل في الأثقال والخيل حتى صاروا بموضع يسمى الثاجة(3) تحت شظب صُبْحاً / صلاةَ الفجر [م ق 50ب]

(1) الخبر في اللآلي المضية م 2/ص 166 ـ 167 ، وأنباء الزمن م 2/ص 161 ، وغاية الأماني 263/1 .

(2) شظب بالفتح : جبل واسع يطل على مركز السودة وإليه تُنسب سودة شظب ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 3 ص 452 ؛ المقحفي ، معجم البلدان والقبائل ، ص 365 .

(3) الثجة : محلة من قرية الموسم عزلة بني موهب ناحية السودة ، وتقع قرية الموسم على بعد 3 كم شمال السودة ، انظر ، التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، جـ 2 ص 297 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543B2 .

فصلّى الناس هنالك وطلع من كلّ ناحية .

قال : ووقع القتال في موضعٍ يُسمَّى ذُبيل[1] في ناحية الشريف بهاء الدولة فصبر لهم وقاتلهم بأصحابه حتى أنزلهم وطلع باقي العسكر حتّى تروّسوا الجبل فقُتل فيه رجالٌ وغُنمت فيه أموالٌ ، وهرب أحمد بن أبي الحصن الحرازي وكان عاملاً لبني الصُّليحي في الجبل ، ووقف العسكر فيه زهاء ثلاثة أيام يخربون وينهبون وتودا من حلسة(*) من العشائر . ثمّ نهض الأمير ذو الشرفين في جملة العسكر المنصور إلى مدينة باري[2] من بلد الجبر[3] ثم شرح على العسكر فقال : هذه قريةٌ كانت ظاهرَة الفجور كثيرةَ الفسق والشرور والواجبُ علينا أن نطهّرها . فأمر بإحراقها وخرابها ، فوضع كُلٌّ يخرب في ناحية . وتولّى الشريف الفاضل خراب دار بني الصُّليحي التي هنالك ، بجماعة الشيعة .

قال : وكان في هذه القرية منكرٌ كبيرٌ وفساد كثيرٌ ، وكان مَنْ هرب إليها من نساء العرب تمنع الجبر عليها ولم يدعوا أهلها يصلوا إليها فصار فيها عدّةٌ من الفواسد الفواجر وباينوا الله بالمنكر الظاهر ، فهي خرابٌ إلى يومنا هذا . قال : ثم إنّ ناساً من أهل شظب تجمّعوا وتسارقوا من فوق موضعٍ يقال له الحسوة ، فطلع إليهم شدان من العسكر فقاتلوهم هنالك . فلمّا رأى الأمير ذو الشرفين أخذ الراية ، وطلع عليهم ، وطلع العسكر ، فقَتَلَ مَنْ لحق منهم ، وهرب الباقون . وراح الشريف الفاضل والأمير ذو الشرفين بعسكرهما سالمين غانمين .

(*) لم نستطع قراءة الكلمتين .

(1) ذُبيل : محلة من قرية الضلاعة عزلة بني ناشر ناحية السودة قضاء عمران ؛ على بعد 4 كم شرقي السودة . التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، جـ 2 ص 299 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543B2 .

(2) باري : من بلاد الجبر من نواحي حجة . انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 127 . بينما يذكر يحيى بن الحسين أن مدينة بارا في جبل شطب ، غاية الأماني ، جـ 1 ص 263 . وفي اللآلي المضية م 2/ص167 مشطوبٌ على مدينة ، ومكانها : بيت باري .

(3) الجبر بفتح أوله وثانيه في نواحي حجور ، والجبر أيضاً من نواحي حجة والجبر أيضاً من ناحية السودة . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 1 ص 177 . والجبر الأسفل والجبر الأعلى عزلتان من ناحية المفتاح قضاء الشرقين محافظة حجة ؛ انظر : التعداد السكاني التعاوني لمحافظة حجة ، ص 285 ـ 290 .

رواية القاضي يعقوب بن عيسى في قصة مخرج الشريف الأول[1] :

قال : لما كان في سنة ثلاثٍ وستين وأربعمائة سنة جمع الشريف الفاضل عليه السّلام عسكراً عظيماً وحطَّ بهم بناحية جوعان[2] . فأقام هنالك أياماً ثم أرسل إلى الأمير ذي الشرفين وهو بشهارة يقول: إنه قد اجتمع معنا في هذا الموضع عسكرٌ ذو عُـدَّة وعِدَّة ؛ خيـل ورجال ولا غنى لنـا عن أن يحضر مـولانـا . فنـزل الأمير ذو الشرفين من شهارة في جماعةٍ من شيعته ولقيه الشريف الفاضل إلى موضعٍ يقال له : حورة ، فتكلّم الشريف الفاضل وشرح على الناس من فضائل الأمير الأجلّ ذي الشرفين ما يطولُ به الشرح ومن ذلك الموقف دعاه أميراً وذكر من فضائله كثيراً . ثم إنّ الأمير شرح على العسكر المنصور وأمرهم من فوره بالمسير فسار الكل منهم على تعبئته حتّى أمسوا بمور[3] والليلة الثانية بدوبع[4] من بلد نهم ، والثالثة بموضعٍ يقال له : الحـول مشرف على بـلاد حجور[5] فـأقام بهـا زُهاء ثـلاثة أيـام ثم أمر بالأبواق / فنُفخت وبالطبول فضُربت ؛ فاجتمع العسكـر المنصور فشـرح عليهم [م ق 51أ]

---

(1) اللآلي المضية م 2/ص 167 ـ 168 ، وأنبـاء الزمن م 2/ص 161 ، وغـاية الأمـاني 1/263 ـ 264 .

(2) جوعان اسم لعدد من القرى في محافظة حجة ، منها : قرية جوعان في عزلة مبين قضـاء حجة ، وجوعان من قرى القفلة ما بين حوث وشهارة ، وجوعان قرية من عزلة بني نسر ناحية المدان قضاء شهارة . انظر ، التقسيمات الإدارية لعام 1985 ، ناحية مبين ، ناحية المدان ؛ النتائج الأولية لتعداد 1986 ، ناحية مبين ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة حجة ، ص 390 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543D3، 1543D4 .

(3) مور : بفتح الميم يعتبر أطول واد في اليمن ، تبدأ شبكته في الظهور من غرب منطقة صعدة ، ويجري من الشمال إلى الجنوب مـاراً ببلاد صعـدة وحجة وصنعـاء . الهمداني : صفـة جزيـرة العرب ، ص 97 ، 134 ؛ الأكوع ، اليمن الخضراء ، ص 50 ؛ شاهر جمال ، جغرافية اليمن الطبيعية ، ص 346 ـ 347 .

(4) دوبع : قرية من عزلة العبادلة ناحية أفلح الشام قضاء الشرفيـن ؛ التقسيمات الإدارية لعام 1985 ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة حَجّة ، ص 298 .

(5) حجور : بلد واسع من همدان سُمّي باسم حجور بن أسلم . . . . بن حاشد . تتصل بلاد حجور من شماليها ببلاد خولان بن عمرو من بلاد صعدة ، ومن شرقيها بلاد حاشد ومن جنوبيها بلاد حجة ، ومن غربيها تهامة ؛ انظر ، الهمداني ، صفة جزيـرة العرب ، ص 125 ؛ الحجـري ؛ مجموع بلدان اليمن ، جـ 2 ص 240 ـ 241 .

الأمير ذو الشرفين وعبّأ العسكر أثلاثاً فجعل في جملته الشيعة ووادعة ، وصار قلباً . وجعل على ميمنته الشريف شكر بن علي في الأهنوم وظليمة وعشائر المغرب . وجعل على ميسرته الشريف الأجلّ بهاء الدولة القاسم بن إبراهيم في بكيل وألفافها . وجعل الشريف الفاضل عليه السّلام على ساقته في الخيل والأثقال في موضع سهلٍ في بني أفلح . وكان عسكر بني الصُّليحي بنوسان[1] مع العريف ظفر بن أبي العسكر ومع رجلٍ من بني شرحبيل يقال له يوسف بن خبير(*) وصاروا في جهة الأمير ذي الشرفين وصار ابن خبير(**) هذا وَمَنْ معه من بني أفلح في جهة الشريف شكر بن علي وصار ظَفَر بن أبي العسكر في جهة الشريف الأجلّ بهاء الدولة . والتحم القتال فطلعت العساكر عل تعبئتها من كلِّ ناحيةٍ فانهزم الكُلُّ من عسكرِ بني الصُّليحي وطلع العسكر المنصور نوسان فأمسى به . ثم نهض الأمير الأجلُّ ذو الشرفين من الغد إلى حصن الأذن فهدمه(***) . واستعاد في يومه ذلك إلى نوسان . قال : وأقام الأمير الأجلّ ذو الشرفين بنوسان يومين ونهض قافلاً إلى معسكره إلى حضرة الشريف الفاضل عليه السّلام فأقام بها زُهاء ثمانية أيام وأَقبلت العشائرُ بالسمع والطاعة وأداء ما يجب عليهم من النفاعة . ثمّ نهض عليه السّلامُ قافلاً إلى مستَقَرِّ عِزِّه .

فَصْلٌ فيه ذكر شيءٍ من أمور شهارة وما حَدَثَ فيها من الإصْلاح والعمارة :

عُمِّر في أيام الأمير ذي الشرفين من المناهل الماجل الشرقي ، وماجلان في وسط الحصن ، وماجل على باب الصريميين والسدّ الذي غربي السرو اليماني ، وبئران بناحية الغيل الشرقيّ تحت باب العبيديين ، وثلاثة مناهل في شهارة الفائش ، ومنهل تحت الرزوة . وأُحصي عدد دور شهارة الفائش نيّفٌ وسبعون داراً ، وأُحصي عدد دور شهارة الكبيرة في أيام الأمير عمدة الإسلام خمسمائة دار وإحدى عشر

(*) في اللآلي المضية م 2/ص 167 : صبر .

(**) في اللآلي المضية : ابن جبير .

(***) في الأصل : فهزمه ـ وما أثبتناه عن اللآلي المضية .

(1) نوسان : بلدة من ناحية الشرف ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني جـ 1 ص 263 .

داراً . وأُحصي عدد صبيان المكتب في أيام الأمير ذي الشرفين فكان جميعهم سبعمائة وأربعةٌ وستون منهم أربعون شريفاً . وممن وُلد بشهارة ممن لم يعرف الإبل ولا رآها إلاّ بعد مُراهقة البلوغ . وأمر الأمير عمدة الإسلام بعمارة الطريق وتسهيلها حتّى طلعت الإبل بحمولها وانتهت إلى رأس السرو الأسفل وأسفل السرو الأعلى موضع يعرف بدار عليس وذلك في سنة خمس وثمانين وأربعمائة سنة . وأمر ببناء مشهدٍ < على قبر أبيه الأمير محمد ذي الشرفين >(*) فابتنى عليه مشهداً بالآجور والجصّ له ثلاثةُ أبوابٍ غربيّ وعدني وشرقي . وقبره عليه السّلام بإزاء العدنيّ منها . وأمر بحفر بئرٍ في رأس الجبل قد علمها له / الشمّامون وأهل الهندسة [م ق 51ب] وأجمعوا على مكانها مع اختلاف حضورهم وتباعُدِ ديارهم .

خدمة المملوك مفرِّح بن أحمد :

عن أمر الأمير ذي الشرفين وهو بيناع إلى الشرفاء بني الحسن عامة وإلى بني سليمان[1] وبني سويقة[2] خاصة يستنهضهم إليه ويعاتبهم في إبعاث بعضهم في المخاليف عليه . ذكر مفرِّحٌ كلاماً بليغاً إلى قوله : لا شك إلاّ أنه قد تناهى إلى الشرفاء الأجِلاّء ـ أدام الله عزّهم وخَوّلهم ما يوليهم ، وحرس عليهم ما ينيلهم ويعْطيهم ـ ما نحن عليه من فتنة أعادينا وأعاديهم . ولمّا الظّتهم الفتنة بأسبابها وعضّتهم الحرب بأنيابها هتف كُلٌّ منهم بصاحبه ، واستعان كُلُّ بطنٍ منهم بأقاربه وإن كان حَدُّهم بحمد الله قد انفلّ ، وعزمُهُم وشَباهم قد كَلَّ ، ومُحِبُّهم قد قلّ ؛ فدعوتُ عند ذلك ببني أبي ، وفزعْتُ إلى عشيرتي ونَسَبي أدعوهم إلى مُلْكٍ مُظِلٍّ وعزٍّ لهم مُطِلّ فقلتُ في ذلك :

أتسلبني بنو حسن وأدعو   بها لمّا انتدبتُ فلا تُجيبُ

وعزّي عزُّها والكُلُّ منا   له في عِزِّ صاحبه نصيبُ

(*) ما بين الحاصرتين عن الهامش الأيمن من الصفحة .

(1) الأشراف بني سليمان : أهل المخلاف السليماني ، وهم بنو حسن أيضاً ، ينسبون إلى الحسن بن علي بن أبي طالب . ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص 113 ـ 115 ؛ أحمد بن يحيى ، الدر المنثور ، ورقة 88 .

(2) واضح أن بني سويقة أحد فروع بني حسن غير أننا لم نجد ما يؤيد ذلك .

وأنصُرُها بجهدي مِن عِداها وأحملُ كلَّ نائبةٍ تَنوبُ
وأجعلُ مهجتي غَرَضَ الأعادي وحَظَّ بني أبي العيش الخصيبُ
وتدعو معشر الأصلوح لمّا الظّتهم بأسبابي الخطوبُ
وعضّتْهم نُيوبُ الحرب عضّاً وفَرّتْ من جوى الوَجَلِ القُلوبُ
ونادت حيٍّ سنحانٍ ويامٍ وجنبٍ وهي في النسيا شعوبُ
وأدعو في بني حسنٍ وإنّي صميمٌ من أرومتها نسيبُ
فإن خذلت ففي الأنصار حَسْبي ونصر الله والفتحُ القريبُ

قد كفى الله الشرفاء الأجِلّاء السادة الفضلاء ، فلّ شبا حَدّهم ، وتحليل مستحكم أمورهم وعقدهم ، حتّى أصبحَتْ بحمد الله أمورُهُم قد تخلخلت ، وأقدامُهُم قد تزلزلت ، وأمكن الثأرُ فيهم لمن طلبه واستبشار العز لمن أراده واكتسبه .

شعر :

وقد صارت جيوشي حول صنعا وصار لمن أعاديه ضجيجُ
فأصبح مَنْ بها منهم وفيها يُدير بفكره كيف الخروجُ
يدير حُشاشةً لم يبق منها دُوين وفاتها إلّا الشحيحُ / [م ق 52أ]
ألا هل في البقية من شريكٍ وهل أحدٌ إلى ثأرٍ محوجُ
وهل للخيل من أبناء عمي بني حسنٍ إلى نهجي نُهوجُ
إذا ما الخيلُ سامت في البوادي ولم تزلع صوافحها السروجُ
ولم ننصُرْهُ ليًّا من عدوٍّ بيوم عجاجةٍ فيه عجيجُ
فما فَضْلُ الجياد إذا أُسيمت ولم يجزرْ عليهنّ الوشيجُ

وكلامٌ كثيرٌ وأشعارٌ ، واختصرْتُ ذكرها في هذا الكتاب .

ذكر الخبر عن طلوع مَسْوَر[1] :

قال مفرّح بن أحمد الرَّبَعي أنّه لمّا كان في شهر رمضان سنة أربع وستين

(1) اللآلي المضية م 2/ص 168 ـ 170 ، وأنباء الزمن م 2/ص 161 ـ 162 ، وغاية الأماني 1/264 ـ 265 .

وأربعمائة سنة كتب السلطان المنصور بن الحسين بن المنتاب بن إبراهيم بن عبد الحميد كتابين أحدهما إلى الأمير ذي الشرفين وهو بشهارة وكتاب إلى الشريف الفاضل وهو بالجوف يعرفهما فيهما أنه عازم على طلوع مسور يوم السبت الأقرب إن شاء الله . فما كان اليوم الذي ذكر إلّا وقد وصلت البشارة بطلوع مسور . قال مفرِّح بن أحمد : وكنتُ حاضراً في حضرة الشريف عندما وصل العلم في ذلك المقام فجعل يضرب بباطن يده اليمنى على ظاهر يده اليسرى مراراً وهو يقول : اليوم وقعنا في فتنة بني الصُّليحي وأعادها أسفاراً[1] . قال : وجعلت كتب السلطان المنصور بن الحسين تَتَابَعُ إلى الأمير ذي الشرفين عليه السّلام يحثُّه على الغارة ويستنهضه إلى مسور من شهارة كتاباً في إثر كتاب وخطاباً موصولاً بخطاب فلم يستحلّ الأمير ذو الشرفين وقوفاً بعد ذلك فنهض إليه في جماعةٍ وافرة من شيعته وأهل طاعته ، واستخلف على شهارة الشريف الأجلّ ليث الدولة وعضدُها حُميدان بن القاسم بن عبد الله فأخذ في وادي شرس[2] حتّى حطّ ثقله بالمشورة وطلع جبل ميتك[3] فشرَّدَ مَنْ هنالك من الدعويين وأخرب منازلهم وأخذ أموالهم .

قال : ولمّا صار الأمير ذو الشرفين بميتك تتابعت إليه كتب السلطان المنصور يحُثُّهُ على الطلوع إلى مسور ويقول : إن كنتَ قاعداً فَثُر ، وإن كنت ثائراً فسِر ، وإن كنت سائراً فبادر العجلَ العجلَ قبل طلوع الجبل ! والمنصور عند ذلك خائفٌ يترقب من بني أخيه وقرابته وذويه ، ويخاف العشائر من صلتيه(*) ويخاف بني الصُّليحي أن ينهضوا إليه .

قال : فنهض الأمير ذو الشرفين ولم يستحلّ بعد ذلك المقام وخاف إنْ تأخَّرَ / [م ق 52ب]

(*) كذا في الأصل ـ وليست في اللآلي .

(1) في الأصل : إسفاراً .

(2) شرس بفتح الشين المعجمة وكسر الراء واد بناحية شرس ما بين حجة وكحلان ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 125 ، ح 1 نفس الصفحة ؛ خريطة ج. ع. ي، 1 : 50000 ، صفحة 1543B3 .

(3) ميتك ويقال فيها موتك : بفتح الميم وسكون الواو ثم تاء مثناة من فوق . وهو ما يسمى اليوم عفار في الشمال الشرقي من حجة ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 126 ، ح 2 نفس الصفحة .

هلاكَ المسلمين والإسلام فلم يَعُدْ إلى ثَقله مع انقطاع أصحابه من القُوّام ولقد بلغ بهم الجهد إلى أن أكلوا الصعتر والسنف وأشرفوا على الهكلة والتلف . فلمّا وصلوا إلى السلطان المنصور سُرَّ بهم أعظم السرور وانتشر الخبر بطلوع الأمير ذي الشرفين مسْوَر فخضع كلُّ معاند . ورتّب الأمير ذو الشرفين عليه السّلام على مراتب مسور وأبوابه رجالاً من أهل الثقة من أصحابه ، وأمر مَنْ كان منهم بالحرم في جنابه ، وتفقَّد طُرُقه ومراشيه ، وأحكمه من جميع نواحيه وأقبلت عشائرُ مِسْوَر بالسمع والطاعة ، وتكاثر الديوانُ من حمير وهمدان . وقدم عليهم السلطان عبد الباعث بن أنس ، ورتّب العمال والولاة في مخاليف مسور ، واستمرت الأعمال ، ورُفعت الأموال ، وكثُرت العساكرُ ، وأطاعت العشائر .

ثم كان أول من فتح الخلاف بنو شاور المغيل فإنهم قالوا : لا يُجبى حتّى يختلط الحيّان ! فكاتب الأمير ذو الشرفين صِنْوَهُ الفاضلَ عليهما السّلام . وقد كان الشريف الفاضل لمّا صار الأمير ذو الشرفين بمسور صار إلى ناحية شوابة راكزاً فيها بالخيل والرجال متوقعاً إن خرج بنو الصُّليحي إلى ناحية مسور خالفهم بالغارة على الأثر ، والكتب تختلف بينهما .

قال : وفي هذه السنة تزوج الأمير ذو الشرفين عليه السّلام بالحرة الكريمة مُنى ابنة منصور بن الحسين وهي أحد السببين الذي لَقَّبَ الشريفُ الفاضلُ به أباها ذا الفضلين . والسبب الثاني استرجاعه وطلوعه إيّاه بعد حَوز القرامطة له وإطلاقه إياه الأمير ذو الشرفين .

قال : فلمّا كان من شأن بني شاور ما كان سأل الأمير ذو الشرفين صنوه الشريف الفاضل أن يرتِّب له مخرجاً كبيراً، ويجمع له عسكراً كثيراً فنهض إلى الجوف فرتّب من هنالك الخيل والرجال ورسم المخرج . واجتمعت معه فيه بطون همدان ؛ وكان ابتداء مخرجه من قرية بني الدِعام حتّى انتهى إلى الظهيرة(1) ثم أخذ

(1) الظهيرة : قرية من عزلة شمرين ناحية قفل شمر قضاء الشرفين . والظهيرة قرية من عزلة نيساء ناحية المغربة قضاء حجة . التقسيمات الإدارية لعام 1985 ؛ التوزيع السكاني التعاوني في محافظة حجة ، ص 85 ؛ خريطة ج. ع. ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543B1 .

في وادي شرس حتّى حط بالمشورة ونزل السلطان ذو الفضليتين المنصور بن الحسن فالتقى بالشريف الفاضل إلى موضعٍ يقال له : عُبر أسد . فلمّا التقى الجمعان وتسالم الشريف والسلطان ثم شدّا على النهوض طريق أدران[1] فكانت محطة العسكر المنصور بقرية عِيان . ثم طلع الشريف الفاضل بلد بني شاور واستقام السلطان المنصور برأس قراضة ، وتقدم الشريف الأجلّ بهاء الدولة وحُسامُها القاسم بن إبراهيم بن سليمان إلى قلعة بني الفحيل في أسفل بني شاور[2] . والشريف الفاضل في وسط البلاد وانتشر العسكر المنصور فقتلوا من لحقوا من الرجال / ، وأخذوا ما وجدوا من الأموال واختلط الحيّان كما ذكروا فيما تقدّم ، [م ق 53أ] وامتزجت الحبوب بالتراب والدم . ثمّ انثنى الشريف الفاضل بالعسكر المنصور سالماً غانماً ، وقبض على السلطان أبي القبائل بن هاشم فاحتفظ به حتّى أطلع شهارة ، وقبض حصته حقيل[3] .

ذكر الخبر عن طلوع الشريف الفاضل عليه السّلام مسْوَر للسلام على الأمير ذي الشرفين ومعه الأميرُ الأجلُّ عُمدةُ الإسلام جعفر بن محمد بن جعفر حَدَث السن . قال مفرِّح بن أحمد ؛ فسمعْتُ الشريف الفاضل وهو نازلٌ من شهارة يقول بموضعٍ يسمّى اللفح من ناحية أقر : هذا الأمير جعفر ! وقال : هؤلاء أمراؤنا ! ويوميءُ إليه وينصُّ عليه . ونهض من أقر حتّى حط بالمطرح[4] . ثمّ نهض من

---

(1) أدران وهو ما يسمى الآن دروان : محل من قرية قدم عزلة قدم من توابع مدينة حجة . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 125 ، ح 2 نفس الصفحة ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة حجة ، ص 14 .

(2) تقع بلاد بني شاور في ناحية كحلان عفار قضاء حجة ، كما كانت تمتد إلى بلاد جنب بناحية السودة قضاء عمران . ابن الربيع : قرة العيون ، جـ 1 ص 186 جـ 5 ؛ حسين فضل الله : الهمداني ، الصليحيون ، ص 35 ح 2 ؛

(3) حقيل : قرية من عزلة جبل عيان ناحية حجة . انظر ، مسلم اللحجي ، أخبار الأئمة ، جـ 4 ص 339 ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 125 ح 2 ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة حجة ، ص 120 .

(4) المطرح اسم لموضع يقع بالقرب من الظهيرة من الظهيرة ناحية المغربة محافظة حجة . والمطرح اسم لعدة مواضع بالمحويت وبلاد الروس وذمار والبيضاء . انظر ، يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، جـ 1 ص 350 ، 356 ؛ الشرفي ، اللآلي المضية ، جـ 2 ص 269 ؛ التوزيع السكاني في محافظة =

المطرح فأمسى بالظهيرة . ثم نهض من الظهيرة فحطّ بنمِل[1] . فلمّا كان من الغد وردت الأعلامُ على الأمير ذي الشرفين عليه السّلام بقدوم الشريف صنوه والأمير الأجلّ عمدة الإسلام ولده في حاشيتهما ومَنْ معهما من شيعتهما فاستقبلهم إلى الميدان في جملة الشرفاء والسلاطين والعساكر والدواوين . فلمّا فرغوا من السلام ، وتكلّم كُلٌّ منهم بما حضره من < >(*) ، وحميت الشمس فخرج من حضرة الأمير ذي الشرفين فازتان نُشرت إحداهما على رأسه وأمر بالأُخرى لتُنشر على رأس الشريف الفاضل فتأخّر عنها وأمر بها فنُشرت على رأس الأمير الأجلّ عمدة الإسلام ، وأمره بالتقدُّم بالموكب فتقدم بعد أبيه وكان الشريف الفاضل خلفه مما يليه وطلعوا بيت ريب[2] . فلمّا كان من الغد أمر الشريف الفاضل عليه السّلام باجتماع الشيعة ووجوه العسكر فآجتمع الكُلُّ منهم فسألهم تجديدَ البَيعة فبايعوا ثم أخذ بيد الأمير عمدة الإسلام فأقامه وقام فقال : هذا أميرنا وأميركم وابن أميرنا وأميركم ، وهذا سلطانه ! يعني النُّفيل بن أحمد ، وهذا قائده يعني مقبل بن عبد الله السحرتي مولى سلمة بن قتّال القُشيري ! وفي ذلك الموقف يقول مفرِّح بن أحمد :

ثبتت إمارةُ جعفرٍ في جعفرِ ... وزها به وأنار وجه المخطرِ
واستبشرت فَرَحاً شهارةُ وازدهت ... لمّا ازدهت بأبيه ذِروة مِسْوَرِ
لم ينش إلّا فوق صهوةِ سابحٍ ... عالي القَرى أو فوق ذِروة منبرِ
علقاً بأسمر أو بعضْبٍ فاصلٍ ... أو خطرةٍ أو مُصْحَفٍ أو دفترِ
[م ق 53ب] زاكي الولادة طيّب المنشا إذا ... يُنْسَبُ وجدْتَ مطهَّراً بمطهَّرِ/
من عُنْصُرٍ فيه النبيُّ المصطفى ... أكرِمْ بذلك عُنْصُراً من عُنْصُرِ
ورث الرئاسة والسياسة والدرا ... سة والفِراسة من أبيه شُبَّرِ

= المحويت ص 87 ؛ محافظة ذمار ، ص 119 ؛ محافظة البيضاء ، 5 ؛ محافظة صنعاء ، جـ 2 ص 226 .

(*) ما بين الحاصرتين كلمة ساقطة من صورة المخطوطة .

(1) نمل بفتح النون وكسر الميم ، بلدة في ظاهر مسور ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 125 ، ح 2 نفس الصفحة .

(2) بيت رَيْب بفتح الراء وسكون الياء قرية وحصن بجبل تُخلى ناحية مسور ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 307 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 1 ص 140 ، ص 374 .

المعتــزي بــالقــاسمَيـن كــلاهمــا ... الـعــالـمَيـن إلـى الـنـبـيِّ وحــيــدرِ
ربّــاه أشـمطُ هــاشـمٍ فــي حِجْـرِهِ ... ورعٌ عـن الـعــورا عـفـيـفُ الـمِئْـزَرِ
لم يستمـع لـحن الـقـيـان ولـم يقـم ... ثـمـلاً يمـيـد من الـعُقـار الأحـمـرِ
حكمـت منـابـتـه عـليـه بـفـضـله ... ولأنّـه مـن جـوهـرٍ مـن جـوهـرِ
مـاضي العــزيـمــة همُّــهُ في هَمَّــةٍ ... يسمــو إلى السبب الـجسيم الأكـثـرِ
بـلغ ابنَ عـشـرٍ وهــو في سـن الألـى ... بلغـوا الأشــدّ وفي إهــاب الأصـغـر
صــافي الـغـريــزة والخليقــة ذو ذكــاً ... يقظ الجنــان نــدي البنــان لِمُـقْتِـرِ
لـو كــانت الـدنيــا لــه لـرمى بهــا ... مـن راحتـيــه لـمعـسِـرٍ ولـمُـوسِـرِ
يسمــو إلى كسْـبِ العـلوم وحفــظهــا ... بُــزْرَجِـمِهِـرٍ دونـه الـمسـتـبـصـرِ
فــات الـنـظيــرَ فليس يُــدْرَكُ شــأْوُهُ ... بــالـسعْي فـي نـظرٍ ولا في مـنــظرِ

قال مفرِّح بن أحمد : لقد رأيتُ في الأمير الأجلّ عمدة الإسلام من الفهم والفطنة ما لم أر في غيره . ثم إنّ الشريف الفاضل رتّب له في كُلِّ شهرٍ أربعمائة دينار جارية على الإدرار ، وأعطاه ما يحتاج من الكُراع والسلاح والخدم والأعوان ، وجعل معه رجالاً من ثقات الإخوان .فأقام الشريف الفاضل هنالك أيّاماً ثم استعاد إلى شهارة .

ذكر الخبر عن مخرج الساعد الآخر الذي قُتل فيه حسين بن مفلح العامري[1] :

قال : وفي هذه السنة كان المخرج إلى ساعد جبيل[2] . والذي هاج ذلك خلاف حسين بن مفلح العامري في بني عامر[3] وعمرهم من حجور ووثق بهم على واليهم من قِبَل الأمير ذي الشرفين وهو يحيى بن محمد بن يحيى المالكي قال : وكان الشريف الفاضل قد بنى مخرجاً يُريد به حَجور الشام . فعقد من الجوف

(1) اللآلي المضية م 2/ص 169 ، وأنباء الزمن م 2/ص 162 .

(2) يتضح من النص أن ساعد جبيل من بلاد حجور وفي نص آخر ذكر المؤلف أن ساعد جبيل تقع ما بين نبهان التي تقع غربي حجة بمسافة 20 كم وبين وادي عيان الذي يقع على بعد حوالي 6 كم جنوب غرب حجة .

(3) بنو عامر من قبائل حجور ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 2 ص 241 .

عسكراً كثيرَ الخيل والرجال ونهض عليه السّلام من قرية بني الدِّعـام ثمّ صار إلى وادي صناف . ثمّ نهض إلى بلاد وادعة فحطّ بناحية حُوث . ثُمّ نهض حتّى حطّ بأقر . ثمّ نهض بذلك العسكر فجعل مقدّمته الشريف الأجَلّ بهاء الدولة وحُسامَها القاسم بن إبراهيم والأمير الأجلّ عمدة الإسلام جعفر بن محمد بن جعفـر وشرح المحطة بموضعٍ يقال القادّ من أعلى وادي بينة وهو في ذلك يرتقب العلم والخبر [م ق 54أ] ويستطلع / الأمر من الأمير ذي الشرفين من مَسْوَر . فلمّا كان بعد العشاء الآخِرة وردت رسل الأمير ذي الشرفين يخبره بفساد بني عامر ويأمره بالمقصد إليهم ويعرفه بتخريج الشريفين الأجلّين ناصـر الدولـة وعزّهـا الحسن بن إبراهيم وليث الـدولة وعضدُها حُميدان بن القاسم في جماعةٍ من الشيعة إلى هنالك ويخطّئُهُ الخطأَ العظيم على ذلك . فجمع الشريف الفاضل أهل الرأي والمقدّمات وأعلمهم بورود أمـر الأمير ذي الشرفين وشرح عليهم المسير إلى ساعد جبيـل ونهض من فوره فصلّى الفجر بالظهيرة وتقدّمت سوابق الخيل فتبطّنت وادي مور فما كان ضحى النهار إلاّ وسـوابقها بـالساعـد والعلايـة[1] فـالتقت الخيـل المغيـرة بـالشـريفين الفـاضلين وعسكرهما . وحطّ الشريف الفاضل بوادي مور قريباً من ناحية حمّاد . فلمّا كان من الغد نهض الشريفان بِمَنْ معهما إلى أطراف تلك الناحية ووقع جماعةٌ من الشيعة على أثاث ابن مفلح وجنوده في قريةٍ في صفح الجبل فغنموه والشريفان فيمن معهما بإزاء الخيل . فبينما هم كذلك إذ هجم عليهم اللعين ابنُ مُفْلح في عِدّةٍ من فرسانه وبني عمه وأهل مكانه ، فلمّا رآهم الشريفان وأصحابهما حقّقوا عليهم الحملة ، ووقع الضرب والجِلاد فجعل الله الطائلة لأوليائه والدائرة على أعدائه فقُتل حسين بن مفلح اللعين وابنُ عمه غشّام عدوّ الله المبين وجماعةٌ ممن معهما وانهزم باقي خيلهم أقبح هزيمة فالحمد لله على تلك المنة الجسيمة .

قال : ونهض الشريف الفاضل عليه السّلام من محطّته بمور فصادف وصولُهُ العلايةَ فراغَ الشريفين الأجلّين من قتل عدوّهما ، ولقيْتُه بالعلاية أسلاب ابن مفلح وابن عمّه ورؤوسهما . وأمسى العسكر المنصور ليلته تلك بالعلاية فحُرقت منازلُ

(1) العلاية : قرية من عزلة بني كعب ناحية كحلان الشرف قضاء الشرفين محافظة حجة . التقسيمات الإدارية لعام 1985 ، ناحية كحلان الشرف .

ابن مُفْلِح ونفذت البشارة إلى الأمير ذي الشرفين وبعث إلى حضرته بالرأسين فقال الأمير ذو الشرفين في ذلك عليه السّلام[1] :

أزال الوَجْدَ عن قلبٍ رهينٍ ... وأذهب ما يُلِمُّ من الشجونِ
وأورث في الصدور معاً سروراً ... مقيماً لا يزول إذاً لِحِينِ
وأصبح في الفؤاد به سُلُوّاً ... هلاكُ أخي الرداوة والمُجونِ
قبيح القول والأفعال طُرّاً ... عدوّ الله والرجس اللعينِ
سلالة مُفْلِحٍ أعني حُسيناً ... عُدَيّةُ ذاق أسبابَ المَنونِ
بأيدي المقدمين على الأعادي ... وأكمل آل حيدر في الفنونِ
حساميَّ اللذين ذخرتُ حقاً ... لكلِّ ملمةٍ وهما يميني / [م ق 54ب]
لدى الحرب العوان وفي سواها ... لدنيا يَصْلُحان معاً ودِينِ
هما الحسنُ التقيُّ أبو المعالي ... وذو الدين الصريح وذو اليقينِ
حُميدانُ الكميُّ هما سناني ... ورمحي اللدْن في الحرب الزَبونِ
وأيدي المؤمنين فهم لديها ... سهامي القاتلاتُ وهم حُصوني
رميتُ ذوي العُتُوِّ بهم فأضحَوا ... لَعَمْرُكَ في القيود وفي السجونِ
وأضحى رأسُ رأسهم لدينا ... بمسور معقل العِزِّ المكينِ
وجُثّتُهُ اللعينةُ في بلادٍ ... على رغم المعاطس والعيونِ
معاطس آل عامر شرِّخِذْنٍ ... فَقُبْحاً للعوامر من خَدينِ
ولا زالوا الزمان بِشَرِّ حالٍ ... وداموا الدهر في ذُلٍّ وهُونِ
يبْغِيهِمُ الذي أردى حُسيناً ... وغشّام الرديّ لدى الكمينِ
أرادوا الفتك إذ كمنوا وأنّى ... يقاسُ بذي المخالب ذا القرونِ
فخيَّبَ ذو الجلال بنا رجاهم ... فنالوا صفقةَ الحظِّ الغَبينِ
وأصبح جمعهم بَدَداً فأضحت ... كأنّكِ يا علايةُ لم تكوني
أبادَ الله عزّهم بجندي ... وأمكننا من الكبش السمينِ
أَظَنّ الجاهلون بأنّ حربي ... كحرب الغافل الوهنِ المهينِ

---

(1) في اللآلي المضية م 2/ص 169 مطلع القصيدة وبيت واحد منها .

وَغَـرّهُـمُ التّـغَـافُـلُ عـن خـطاهـم ... وجـرّأهُـم على بـحـثـي سـكـونـي
فـأصبحـت الكـواعـبُ من نِـسـاهُـم ... تَـجَـاوَبُ في الـمـنـازل بـالـرنـيـنِ
وتـنـدب نسـلَ مـفلِـجِـهِمْ وتـذري ... دمـوعـاً لا تـكـفُّ مـن الـجـفـونِ
شـفـا غِـلّي الـعـديـة ذاك حـقـاً ... كمـا يشـفي الـصـدى مـاءَ المعينِ
ولا أعـدمْـتُ مـن ابـنـا بَـكـيـلٍ ... فـوارسَ إنْ دعـوتُـهُـمُ أنـجِـدونـي
على الخيـل السـوابق والمـذاكي ... عـجـالاً مـثـل آسـادِ الـعـريـنِ
سـوابق في الفـدافـد كـالسعـالي ... وهـم منهـا الغـداةَ عـلى الـمتـونِ
تـرامى المـقـربـاتُ بهـم سـراعـاً ... بـرأي الـطاهـر الـعَـلَمِ الـمبـيـنِ
قـريـن الـمـجـد قـاسـم مَنْ إلـيـه ... لَـعَـمْـرُكَ دون كـلٍّ مـلاذ كـونـي
[م ق 55أ] أجـلّ بـنـي الـرسـول بـنـي عـليٍّ ... مـبـارك آل أحـمـد والأمـيـنِ /
تـؤازرُهُ الـكـرامُ بـنـو أبـيـه ... كـقـاسم ذي البسـالـة والـفـطيـنِ
أغـاروا الـليـل من فـادٍ فـأضحَـوا ... لعمـرُكَ بـالـسـواعـد كـالقـطيـنِ
مـغـارٌ لا يُـقـاسُ بـه مَـغَـارٌ ... عـلى الخيـل السـوابـق والهـجيـنِ
فـأصبحـت العـلايـةُ إذ أحـاطَـتْ ... بـهـا منـا الـعسـاكـرُ كـالـسّفـيـنِ
وأصبـح نَسْـلُ مُـفْلِـجِـهـا قـتـيـلاً ... هـنـالـك غـيـر مـقـبـورٍ دَفـيـنِ
بـأهـل الـديـن إذ أعـلَوهُ حـقّـاً ... هـنـالـك كـلّ تـبَـتّـاكِ الـوَتـيـنِ
ولاقـى الـحـتف غشّـامٌ بـمـوسى ... إذ أقـبـل نـحـوه بِـرَحًـى طَـحـونِ
فـأرداه الـكـمـيُّ أبـو زُبـيـرٍ ... بـعـزمـةِ صـادقٍ وبـغـيـرِ لـيـنِ
أراد رئـاسـةً وأراد فـخـراً ... بحـرب بني الـرسـول لـدى القنـونِ
وعـنـد مـحـمّـدٍ لـمّـا رآه ... بحصن القفـل من(1) بعـد الشـطون
ألا لـيس الـرئـاسـة يـا حـسـيـن ... عـداوة آل أحـمـد والـحـجـونِ
إذا عـزم الـرئـيس يـكـون رأسـاً ... فيفـعـل فعـل ذي الـرأي الـرصـينِ

---

(1) القفل : حصن من جبل حفاش وأعمال المحويت وهو الذي دخله الأميران وأسرا صاحبه السلطان محمد بن إبراهيم الصليحي . انظر ، يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، جـ 1 ص 264 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 4 ص 657 . وسيأتي تفصيل ذلك فيما بعد .
والمفروض أن يأتي هذا الشعر بعد ذكر الواقعة وليس قبلها .

أخو النجدات منصور المُرَجَّى جواد الكفّ كالغيث الهَتونِ
نسيب بني الرسول بني عليٍّ وأشرف مَنْ يكون من الختون
أرى الأملاك كلّهم جميعاً لعمرك دون منصورٍ ودوني
فتًى لله قام على الأعادي وأبعد كلَّ كَفّارٍ خَؤونِ
ونزّه مسوراً عنهم فأضحى نقياً من فعالهم الدرينِ

قال : ونهض الشريف الفاضل عليه السّلام من الغد في جملة العسكر المنصور إلى موضعٍ يُسَمَّى المدهاقة[1] ضيعة لابن مفلح وبني عمه بني عامر كانت بها زراعةٌ حاضرةٌ فأباحه للعسكر المنصور وانبثّت الخيلُ والرجالُ في الأودية والجبال فما كان إلا ساعة من النهار وقد رجع العسكر المنصور بالغنائم .

ووصل إليه في ذلك المقام أهل تلك النواحي وسارعوا بالطاعة من أبجر[2] ونبهان[3] وعشائر حفاش وملحان[4] . ووصلت إليه بنو مشعل من تهامة وعرفاء الزبرة[5] وبنو شابرة ونمرة[6] وعلي بن أبي الهزام صاحب عمد صحار[7] . ووصل إليه السلطان أسعد بن عراف بن قليد من المهجم[8] فاستقبله الشريف الفاضل

---

(1) المِدْهاقة بكسر الميم وسكون الدال المهملة موضع من أعمال المحويت . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 124 جـ 3 نفس الصفحة .

(2) بنو أبجر من بلاد المحويت . الحجري : مجموع بلدان اليمن ، جـ 4 ص 691 .

(3) نبهان : قرية في شمال غرب ناحية الشغادرة بالقرب من وادي شهر الحكامي ، على بعد 20 كم غربي مدينة حجة . خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543A4 .

(4) حفاش وملحان : جبلان بالمحويت مشرفان على تهامة . وهما ناحيتان من قضاء المحويت . انظر : الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 2 ص 277 ـ 278 ، جـ 4 ص 718 ـ 719 ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة المحويت ، ص 49 ـ 97 .

(5) الظبرة اسم لعدد من المواقع منها قرية الظبرة من عزلة ربع هفج ناحية الطور قضاء حجة ، والظبرة قرية من عزلة العزكي بني حبش ناحية الرجم قضاء الطويلة . التقسيمات الإدارية لعام 1985 ، ناحية الطور ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة المحويت ، ص 57 ، 168 .

(6) قرية نمرة ، وقرية شرف نمرة وسلسلة جبال نمرة كلها أماكن متجاورة في شمال ناحية الخبت ، قضاء المحويت . انظر : خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543A4 .

(7) صحار من أغوار المحويت . انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 124 ، 134 .

(8) المهجم بفتح فسكون : من مدن تهامة الشمالية ، تقع على وادي سردد ما بين جبال ملحان ومدينة الزيدية . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 1 ص 159 ، جـ 2 ص 398 ؛ إسماعيل الأكوع ، =

بالإعْزاز والإكرام وقابله بالجميل وقدّم له ولعسكره القِرى الجزيل ، وجرت بينهم المُواثقةُ على / [م ق 55ب] المناصرة والمؤازرة والطاعة للأمير ذي الشرفين . وقد كان وصل له إلى الأمير ذي الشرفين عند مسور كتابٌ ثم عُزّز بعد ذلك بكتابٍ فيه شعرٌ وخطاب ؛ وهذا شعره :

أتى خادم الندب الأمير كتابه ... به مَضْحَكٌ للأُقْحُوانِ ومنظرُ
كأنّ معانيه نَراجسُ فتّحت ... عيوناً كأعيان البرية تُبْصِرُ
فتلك السطورُ الدُّهْمُ دُهْمٌ خيولُهُ ... وما بينها من ذلك اللفظ عَسْكَرُ
فقبّلْتُهُ لمّا أتى وقرأْتُهُ ... وظَلْتُ له فرحانَ أطوي وأَنْشُرُ
مواضعه اللاتي يقرّ قرارُها ... لديّ جبينٌ واللحاظُ ومحجرُ
ولو فوق ذا يُحبى حبوناه عندنا ... وتُضْمِرُهُ أحشاؤنا حين تُضْمِرُ
أتانا وقد ضاقت صدورٌ بملئها ... كما ضاق خَلخالٌ بخَودٍ ومئزرُ
وغُلّت يدُ الإسلام حتّى كأنّها ... يدُ البخل لا تعطي ولا هي تشكرُ
فلمّا أتانا ابنُ النبيّ وَمَنْ به ... من الله نرجو أن سيعفو ويغفرُ
فضضْناه عن نشرٍ كنشر ثنائِهِ ... وعن دُرِّ لفظٍ مثله الدُرُّ يُنْثَرُ
فساغ شرابٌ واَستلذّتْ مطاعمٌ ... وأفرج مكروبٌ وأُطلق مُوسرُ
يخبّرُنا أنّ الأمير بِمِسْوَرٍ ... فَهُنّى إذا أمسى بكفّيه مِسْوَرُ
وإنّ جيوشَ ابنِ النبيِّ تطلّعَتْ ... ذرى ميتكٍ واللّهُ للحقِّ يَنْصُرُ
وما عجبٌ إن طال باعُكَ في العلا ... ولكنْ عجيبٌ أن غدا وهو يقصُرُ
لكم كعبةُ الله الحرام وبيتُهُ ... وحيث يُلبِّي وفدُهُ ويُكَبِّرُ
وحيث مِنًى والمشعران وتلكُ ... مُ الجِمارُ وتعريف الورى أو محجرُ
وحيثُ مقامٌ للخليل ومروةٌ ... سعى بينها حتّى صفاها المطهَّرُ
فما سائرُ الدنيا ولا الأرضُ كُلُّها ... عليك كبيرٌ ذلك المجد أكبرُ
ولا بعظيمٍ أن يطيعَكَ كُلُّ مَنْ ... على الأرض لمّا قد أطاعتْكَ حِمْيَرُ
وإنّ عبيد ابن الرسول جميعها ... لتستورد الآراءَ منه وتصدُرُ

= البلدان اليمانية ، ص 267 .

فكيف لها بابن النبيِّ ونظرةٍ ... لها وبمن يأسو الجِراحَ ويَجْبُرُ
متَى تَرَهُ أو صنوه وخيوله ... بصنعاءَ من بابَي دمشق تَنَظَّرُ
وقد أثخن الكفّارَ قتلاً وسامهم ... على الرغم خَسْفاً والقنا يَتَكَسَّرُ/ [م ق 56أ]
هناك تُطفى كُلُّ نارٍ توقَّدَتْ ... له ويَدينُ الظالمُ المتجبِّرُ
محمد يا شبه النبيِّ محمدٍ ... وجعفره في الهَدْيِ والسعْيِ جَعْفَرُ
به طالت العليا إذا طَوّل الفتى ... وتاه به مُلْكٌ وَدَسْتٌ وَمِنْبَرُ
مآثِرُكُمْ حتّى القيامة تُقْتَرَى ... وأسلافُكُم أسلافُكم حين تُذْكَرُ
وأنتم ساداتُ الملا وأُسُودُها ... لدى الحرب لكنّ العيان السَنَوَّرُ
وأنت فمن تُجبى له الأرضُ كُلُّها ... بأقطارها فيما نرى ونخبِّرُ
وإنّ امرأً ينوي خلافاً ومذهباً ... لآرائه بالنفس حقاً مغرِّرُ
< فإنّا بكم نعلو وإنا بكم نطا ... وإنّا بكم عند المفاخر نَفْخَرُ >(*)
لئن لم يكن يا ابن المطهَّر بيننا ... وبينكُمُ قُربى ولا منك مَعْشَرُ
فأسلافنا أخدام أسلافكم كذا ... لكم نحن أخدامٌ متى نُدعَ نَحْضُرُ
وإنّي دون الناس من قبل أن ترى ... كتائبها فيها الطريق المخيَّرُ
لَتُرْسٌ له بل مِشْقَصٌ بل أنا لَهُ ... قناةٌ وهنديٌّ ودِرعٌ ومِغْفَرُ
فلا يخف عني كُلُّ أمرٍ طرا له ... فإنّي كما يرجو وينوي وَيُضمِرُ
سقى ربع مولانا الشريفَ سحائبٌ ... من المجد تاراتٌ تروحُ وتُبْكِرُ

قال مفرِّحُ بن أحمد : ما رأيتُ الشريف الفاضل عليه السّلام في مُدّة صحبتي له في طول الإقامة لبس ثياباً رفيعةً إلاّ في ذلك المقام ؛ رأيتُ عليه قميص دبيقي مرتفع وعمامة شرب مثقلة بالذهب . وكذلك رأيتُهُ مرةً أخرى بصعدة . وكان سائر عمره يلبس الأقطان الخشنة ويأمر بغسلها عند فراغها من الصناع بياضاً كانت أو سوداً . فما زالت تلك حالته حتّى استُشهد رحمةُ الله عليه .

قال : وفي هذه الأيام وصل صاحب عمد صبحار علي بن أبي الهزام وكان مقدَّماً في قومه حسن السمت جميل السيرة فتقدّم إلى الشريف الفاضل إلى مضربه

(*) البيت عن الهامش الأيمن من الصفحة .

فتحدّث فيما يعنيه فأسعف له الشريف سؤاله وجمّل أحواله وعقد له الأمان على السمع والطاعة . فلمّا فرغ من حوائجه التي تعنيه سأل الشريف الفاضل في أحمد بن محمد الزوبعي صاحب الراحة[1] فطلب له الأمان وكان شاذاً خائفاً فأمر له الشريف الفاضل بمنشورٍ بالأمان بالوصول إلى حضرته فوصل هو وعلي بن أبي الهزّام فقابلهما الشريف الفاضل بالمقابل الجميل والكلام الحسن النبيل ، ورسم على أحمد ابن الزوبعي هذا رسماً معروفاً في بلده ، وجعل عشائره إليه وتحت يده ثمّ سأله في واجب السوق سوق الراحة أن يجعل عليه في الوعد مائتي دينار فأنعم له بذلك ؛ فقال [م ق 56ب] السلطان يحيى / بن محمد المالكي ـ وكانت تلك البلادُ مصروفةً إليه ـ: يا مولانا ! واجب السوق أربعمائة دينار ! فالتفت إليه الشريف الفاضل فقال : يا سبحانَ الله العظيم ! أتستكثرون لرجلٍ من ذوي الأخطار إن كسب معكم في سنته ألف دينار ؟ فحسُنَتْ طاعةُ أحمد بن محمد الزوبعي آخِر الأيام ولم يزل على المحبة والنصيحة من ذلك المقام . وفي هذا المخرج يقول مفرِّحُ بن أحمد :

بهـا فليخبِّـر سـائليـه المخبِّـرُ ... مفـاخـرُهـا مشهـورةٌ حين تُـذْكَـرُ
سـلاني بهـا إنـي خبيـرٌ وإنـهـا ... لمشهـورةٌ كـالشمس إبّـان تَـظْهَـرُ
دعـا الهاشميُّ القـاسمُ القِرمُ دعـوةً ... أجـابت لهـا همـدانُ والحيُّ حِمْيَـرُ
وقـاد الجيـادَ الجُـرْدَ قُبّـاً كـأنّـهـا ... سَعـالٍ عليهـا دارعـون وَحُسَّـرُ
وَرَجْـلاً كـأمثـال الـدَّبـا في أكُفِّهـا ... مـواضٍ ونـبـعٌ مُـرْمِضٌ وَمُشَـمِّـرُ
كتـائبُ شُهْبٌ من بَكيـلٍ وحـاشـدٍ ... مـكـتّبـةٌ فيهـا الـقنـا والسَّنَـوَّرُ
بـأوَّلِهـا من هـاشمٍ شيـخُ هـاشمٍ ... وفيهـا الأميـرُ ابن الأميـرَين جَـعْفَـرُ
وفيهـا حُسـامُ الـدولـة القـاسمُ البهـا ... سـلالـةُ إبـراهيم كـالبـدر يـزهـرُ
فـلمـا أحـازت صـدر بينـة أمِّـهـا ... حَجـورٌ حَجـورُ الشـام حين تَثَـوَّروا

(1) الراحة قرية من عزلة الأحجول ناحية المحويت ؛ التوزيع السكاني التعاوني لمحافظة المحويت ، ص 16 .
والراحة : قرية من عزلة سهام ناحية الحيمة الخارجية . التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، جـ 2 ص 205 .
والراحة : قرية من عزلة العتنة ناحية حرض قضاء ميدي . التعداد السكاني التعاوني لمحافظة حجة ، ص 347 .

أتانا لمولانا الأمير محمدٍ ... رسولٌ بغدر العامريِّين يُخْبِرُ
ويأمُرُنا أن نُنْهِضَ الخيل نحوهم ... وإنّا لَطَوعٌ أَمْرَهُ حين نُؤْمَرُ
فأمست بعليا بَينةٍ ثمّ بَرّهَتْ ... وقد جنّها جُنْحٌ من الليل مُغْدِرُ
فما كان إلّا من ضحى الشمس من غدٍ ... وريعانها حول العلاية تمغرُ
وَتُنْبي بإنهاض الشريفين نحوهم ... وقد جاش بالجيش الحسينيّ مِسْوَرُ
زعيما الأمير الناصر الدولة الذي ... له الفخرُ والليثُ الهِزَبْرُ الغَضَنْفَرُ
هما الحسنُ المقدامُ والليثُ صِنْوُهُ ... حُميدانُ ذو الفضل الذي ليس يُنْكَرُ
وفتيان صدقٍ تصدق الكَرَّ في الوغى ... حُسينيّةٌ عاداتُها ليس تُنْكَرُ
بأيديهما أودى الحسينُ بنُ مُفْلحٍ ... وخاضا غِمارَ الموت والموتُ أَحْمَرُ
وقد ذاق غشّامُ بموسى حِمَامَهُ ... وذو البغي فيما رامه ليس يُنْصَرُ
طَغَوا وبغَوا والبَغْي مُرْدٍ لأهله ... وذو البغْي مظفورٌ به لا مُظَفَّرُ
ومرّوا هزيماً كالنعام جوافلاً ... ولو ثبتوا لم يبق منهم مُخيِّرُ/ [م ق 57أ]
ومرّتْ بنا الجُرْدُ المذاكي لركضها ... صباباً يَسُدُّ الأفق عالٍ وعِثْيَرُ
أثارت كديد البقع بالنقع شُرّعاً ... لها في بسيط السيف وِرْدٌ وَمَصْدَرُ
رعالاً فمنها مازناً صوب سرددٍ ... ومنها لصحراء المحالب[1] أصحرُ
وطَيناً صُحاراً وَطْيَةً فتزعزعَتْ ... زَبيدُ وكادت أن تَزَعْزَعَ بَرْبَرُ
بأرعن جرّارِ الجناحَين عسكرٍ ... على رأسه من عسكر الطير عَسْكَرُ
تعودن في حافته الشبع والروى ... إذا لاح فيه الهندوان المذكَّرُ
فدانت لها لمّا دنت آل مشعلٍ ... فأضحى لها في حضرة الطهر مَحْضَرُ
وعادت على رَسْلٍ وهَونٍ أمامها ... جهامٌ يزجّيه الوشيج المحرَّرُ
وزار ابن عرّافٍ فعرَّفنَ بيننا ... وما بينه جُرْدٌ عناجيجُ ضُمَّرُ
كتائب فيها الخيلُ أحوى وأدهمٌ ... وأبيضُ مطرورُ البياض وأَشقَرُ
وجاءت إلينا بابن عدوان رجلنا ... أسيراً وحازت كلَّ ما كان يذخَرُ

---

(1) المحالب : بلدة قديمة خاربة جنوبي وادي مور ، تقع ما بين المهجم والذنائب . ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ، ص 58 ؛ إسماعيل الأكوع ، البلدان اليمانية ، ص 246 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 1 ص 159 ، جـ 4 ص 689 .

وأسـرى بقـايـا مـا أسـارت سيـوفُهُم | وَمَنْ مـات تحت السيف بـالسيف أكثـرُ
تُسمى شهـارِيّـاً وتُسْمَى شـهـارةً | وإحـداهمـا بـالاسم والحكم أشهـرُ
وإنّـا بـنصـر الله والـفتـح غُـنْـمُـنـا | كـثيـرٌ لـنـا أجـرٌ وشـكـرٌ ومَـفْـخَـرُ
ونـال الـرضى المَلْكُ الأجـلُّ وقـاسمٌ | ولاقـى عـدوُّ الله مـا كـان يَـحْـذَرُ

ذكر قتل القائد مبارك الدربندي [1] :

قال : كان القائد الدربندي هذا من قوّاد الحِرابة وعظمائهم . وكان قد انضمّ إليه ناسٌ واقتعدوا للفساد والحِرابة فأوعث في أطراف مخاليف الأمير ذي الشرفين من نواحي تهامة ، وكان لا يوجد له قرار . ثم إنّ يحيى بن محمّد المالكي بعث عليه العيون والأرصاد ، وتوقّع غارته في بعض تلك البلاد ؛ فأتى العلم أنه في بعض تلك الناحية ، فركب في جماعةٍ من الشرفاء الرسّيّين[2] حتّى إذا صاروا في الفرشة من ناحية الزبرة لقيه العلم بأنه قد مضى حيث لا يُلحق فنزلوا من خيلهم وأمر لهم بِقِرعاً فبينا هم ينتظرون حصوله إذ ورد عليهم بعضُ عيونه بالعلم أنّ ابن الدربندي بموضعٍ يقال له الغميرة[3] فركبوا من ساعتهم إلى هنالك وخلّوا قِراهم ذلك . فما شعر هذا القائد وأصحابُهُ بالخيل إلّا وقد أحاطت بهم فلمّا نظروا إلى ذلك طار منهم من طار وأمعن في الفرار ووقع القائد الدربندي في أيدي الشرفاء الرسّيّين / فقتلوه وجماعةً من أصحابه وأخذوا خيلهم وسلاحهم . وعاد السلطان وأصحابه فأكلوا قِراهم وراحوا سالمين غانمين . [م ق 57ب]

ذكر الخبر عن دار الضرب بمسْوَر :

قال : وفي هذه السنة أمر الأمير ذو الشرفين عليه السّلام بدار الضرب بمسور ، واستعان من جميع الشيعة والإخوان بالفضّة وسألهم ألّا يدعوا منها شيئاً إلّا أعانوه به

---

(1) اللآلي المضية م 2/ص 170 .
(2) نسبة إلى قرية الرس . وهي الآن من الإمارات التابعة للقصيم . والرس بفتح أوله وتشديد ثانيه من وديان نجد . انظر ، الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص 37 ، 66 ؛ البكري : معجم ما استعجم ، جـ 2 ص 652 ؛ فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ، ص 76 .
(3) واضح من النص أن هذه مواقع من مغارب حجة التهامية .

على سبيل الاستسلاف . وكاتب الشريف الفاضل بمثل هذا الحال فلم يبق أحدٌ من شيعته وأهل بيته وإخوانه وأهل طاعته وأعـوانه ولا سلطان ولا عـريف ولا وال في مخلافٍ من المخاليف قائم فضة إلاّ خلعه ولا فضّة من سلاح مُحَلًّى إلاّ قلعه وكذلك حلية الحريم فاجتمع من الفضة مالٌ عظيم فأمر بذلك إلى دار الضرب فأورد بعض الأخلاص ووصل المخلّصون وحصل الضرّابون فروى غيرُ واحدٍ أنّ الصُنّاع كانوا ثلاثين وبلغوا بعد ذلك أربعين واجتمع منه مالٌ كثير عند الأمير الأجلّ ذي الشرفين فما ادّخره ولا خبّأه ولا اكتنزه ولا أخفاه بل أنفقه في الجهاد في سبيل الله فلقد سمعْتُهُ بعد رجوعه من يَنَـاع وقد دخل بيتاً لبعض كُبَراء الدولة فتمثّل بقول أمير المؤمنين عليه صلواتُ ربِّ العالمين(1) :

هـذا جـنـاي وخـيـارُهُ فـيـه   وكـلُّ جـانٍّ يـدُهُ إلـى فـيـه

ذكر الخبر عن المخرج إلى القفل بحفاش من مسور(2) :

قال : وفي هذه السنة كان مخرج القفل وكنت شاهداً للمحضر في أوله وذلك أنّه لمّا وصل الشريف الفاضل إلى جبل مِسْوَر أجمع رأْيُهُ ورأيُ الأمير ذي الشرفين والسلطان المنصور بن الحسين ـ وقد اجتمع من الناس خَلْقٌ كثيرٌ وعسكرٌ كثيرٌ فأمسوا ببيت الجرابي(3) فلمّا كان من طلعة الشمس من الغد ضُربت الطبول ونُفخت الأبواق فاجتمع العسكرُ من كلِّ ناحيةٍ وقعد الشريف الفاضل والأمير ذو الشرفين والسلطان المنصور بن الحسين على رَبْوةٍ عالية . فافتتح الشريفُ الفاضلُ عليه السّلامُ ثمّ اتّبعه الأمير ثم تكلّم السلطانُ المنصورُ بنُ الحُسين في كلِّ ذلك يَحُضُّون ويؤنّبون العسكر المنصور ويبحثون كلاماً عنده في هذه الأمور فتكلّم كلٌّ من قبائل العرب بكلامٍ من نَثْرٍ ونِظامٍ وأجاب مقدّماتُ الناس عن أَلْسِنَةِ عشائِرِهم . كان آخِر مَنْ تكلّم في هذا الحال رجلٌ يقال له : الزُّبير بن الكرندم فاختصر في المقال فقال : يا مولانا لسنا

(1) يُنسبُ البيت لعمرو بن عديٍّ في قصة .

(2) اللآلي المضية م 2/ص 170 ، وأنباء الزمن م 2/ص 162 ، وغاية الأماني 1/264 ـ 265 .

(3) الجرابي قرية من عزلة الملاحنة ناحية حفاش قضاء المحويت . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 124 ، 134 ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة المحويت ، ص 51 .

[م ق 58أ] نُحسِنُ مزاوجةَ الكلام ولكنّا نَصْدُقُ ونضرب في الصدام فآرمِ بنـا حيث شئتَ/ . فشكر لهم الأميرُ ذو الشرفين ما كان من مقالهم وأمرهم بالنهوض فنهضوا على حالهم حتّى أمسوا بناحية الجنافج في أسفل وادي طمام(1) . واستعاد الشريفُ الفاضلُ والسلطان القـويّ بالله فلزمـا مَسْوَر وتقـدّم العسكر فلمـا كان من الغـد شـرح عليهم الأمير ذو الشرفين وعبّأهم تعبئةً حَسَنةً فجعلَ على مقدِّمته الشريفَ ناصرَ الـدولة وعِـزَّها الحسنَ بنَ إبـراهيم بن سليمان والسلطان عبـد البـاعث بن أَنَس وأَتْبَعَـه السلطان أبو العشيرة بن عَبّاد . ومضى العسكر الأول فالأول وضاق بهم الوادي فشرعوا في ناحية الجبل ولزم الأمير ذو الشرفين عليهم حتّى كان في العقب بأصحابه وشيعته فما كان ضحى النهار إلاّ وقد شرع الشريف الأَجَلُّ وَمَنْ معه في جبل حفاش ولقيهم هناك جماعةٌ من ديوان السلطان محمد بن إبراهيم الصُّليحي وهو بحصن القفل فآقتتلوا ساعةً وكـان فيهم من المقدّمـات والعظمـاء السلطان عبد القـاهر بن أبي الحسين الهمداني صاحب بيت رايب بحفاش فأعطى اللّهُ النصرَ عليهم فقُتلوا وقُتل سلطانُهم عبدُ القاهر قتله رجلٌ من ذيبان يقال لـه عواض بن وعل وآحتزّ رأسه ووصل به إلى الأمير ذي الشرفين . وطلع الشريف والسلطان بمن معهما إلى الحصن القفل فقبض على السلطان أبي الحسين بن إبراهيم الصُّليحي أسيراً وأسر معه جمـاعةً وهـرب السلطان محمد بن إبراهيم الصُّليحي إلى موضع يقال له : الجبلين، فأتبعه الأمير ذو الشرفين محمد بن الحسين بن مسعود الشهابي في جماعةٍ فتبعه هنالك فقبض عليه وعلى مَنْ معه ووصل به إلى الأمير ذي الشرفين فآحتفظ به وبأخيه وبوزيرٍ لهم كان يقال له : عبد الخالق ووجد في يلحيم(*) محمد بن إبراهيم مـال كثير زهـاء خمسة آلاف دينار ، ووجد مع عبد الخالق خمسمائة دينار .

قال مفرِّح : هذا المال جعله الشريفان الفاضلان عليهما السّلام فيئاً . قال :

(*) كذا في الأصل ، ولم نهتد لصحة الكلمة .

(1) وادي طمام وهو وادي لاعة ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 310 . ووادي لاعة أحد فروع وادي مور يفترق عنه بالقرب من الحدبة ويتجه شرقاً نحو مدينة الطور ثم إلى الجنوب الشرقي حتى يتحول إلى عدة أوديـة في منطقـة الرحـوم . انظر ، خـريطة ج. ع. ي ، 1 : 50000 ، صفحـة 1543A4 ، 1543B3 .

وطلع الأمير رأس حفاش فأمر بحفظ السلطانَين ووزيرهما وجمع ذلك القماش وما وجد في الحصن من الأثاث والمتاع والخدمان والسلاح والكراع . وقد كان رجالٌ ممن يَعتزي إلى همدان في حصنٍ لهم يقال : قلح ، زُهاء سبعة رجال قد أحاط بهم الحميريون وأولاد السلطان المنصور فتقدّم إليهم السلطان عبد الباعث فأعطاهم الأمان على أنفسهم إلى أن يوصلهم إلى الأمير فنزلوا إليه ومضى بهم حتّى أوقفهم بين يديه فَمَنّ عليه السّلام عليهم وعلى جميع الأسرى إلّا السلطانين ووزيرهما وهدم القفل ووصل من العشائر / قِرى العسكر المنصور . ثم إنّ الحميريين انتهبوا شيئاً منه [م ق 58ب] فغضب الأمير ذو الشرفين عليه السّلام وأمر باجتماع سائر العسكر وأبان الغضب على السلاطين وجَدّد على سائر العسكر البيعة . فلمّا رأى السلاطينُ ذلك أقبلوا إليه وجَثَوا بين يديه واعتذروا من فعال أصحابهم إلى ما لديه فقبل منهم العذر وجَمّل لهم الأمر ، وكأنه داخلهم شيءٌ من الكِبْر ثمّ شرح على العسكر المسير لظاهر نبهان . ثم نهض من الغد حتى حطّ بساعد جبيل ، ثمّ أمسى بِعَيّان ، ثمّ نهض من عيان فأخذ طريق حملان[1] حتّى طلع مَسْوَر . ثمّ لبث الشريف الفاضل أياماً كثيرةً بمسور ثمّ نهض بالسلطانين ابني إبراهيم الصُّليحي إلى شهارة فلبثا هنالك في صيانةٍ وإجلالٍ غير مُضَيَّقٍ عليهما في حال . فأقاما مُدّةً من الزمان ثم مَنّ عليهما بعد وقتٍ وأوان .

ذكر الخبر عن وصول الشريف الفاضل بسبب فساد بني المنتاب :

قال : وفي هذه السنة كان المخرج إلى يريم[2] وكان سبب ذلك فساد بني المنتاب[3] وما جرى بينهم وبين الأمير ذي الشرفين من عتبٍ وعِتاب . فنهض الشريف الفاضل من الجوف حتى طلع مَسْوَر فكان أول ما أوجبه رأيُهُ أنْ سأل السلطان المنصور بن الحسين الوثاق للأمير ذي الشرفين اليمين فأجاب إلى ذلك بعد

---

(1) حُمْلَان قرية من قرى حجة . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 2 ص 281 .

(2) يريم اسم مشترك بين بلدتين إحداهما يريم : قرية من عزلة غالبي وربيعي ناحية الرجم قضاء الطويلة ، وهي التي يعنيها المؤلف أما يريم الأخرى فهي مدينة جنوب مدينة ذمار . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 4 ص 779 ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة المحويت ، ص 175 .

(3) آل المنتاب أولاد ذي نواس من ذرية الملوك التبابعة ، وهم ملوك مسور ؛ ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص 75 .

حين وبعد أن قال له الشريف الفاضل : قد فعلْتُ مثل ما دعوتُكَ إليه وحلفْتُ لهذا الأمير وصيرت الأمر إليه لعلمي بصلاح حالـه ! فحلف السلطان المنصور لـلأمير ذي الشرفين اليمين البالغة بالسمع والطاعـة والمؤازرة والمناصـرة وأنه يُـوالي مَنْ يُواليه ، ويُعادي مَنْ يعاديه . ثمّ سأله الشريف بعد ذلك أن يوقع مخاليف مسور التي كانت تعرف له في عصر أبيه من قديم الزمان ولا يعدوها إلى غيرها مما افتتحه الأمير ذو الشرفين من البلدان ، فكأنّ ذلك شَقّ عليه وأراد أن يكون الأمرُ كُلُّهُ إليه ثمّ وقع عرض مسور وماحلسه(*) ولاعتين(1) وحملان وأدران وعيان(2) وقيلاب(3) والتهام(4). واستولى على المخاليف التي كـان فيها النفـع في تلك الأيام . فلم يـر الشريف الفاضل إلّا تسكين أحواله والمسامحة له على أنّ كُلَفَ مَسْوَر على الأمير ذي الشرفين كثيرةٌ مع حوائج أهل المراشي(5) والأبـواب والنفقات التي تلزم لهم مـع كثيرٍ من الأسباب فجعل الأمير ذو الشرفين يستمدّ بأعمال شهارة ويجبذ إلى مسور المنافع منها ومما يليها . فلمّا رأى المنكر الظاهر ، وكثر المعين على الفساد / والمظاهر ؛ همَّ [م ق 59أ]
عليه السّلام بالخروج من مسور إلى شهارة يراجع بذلك الشريف الفاضل فقال هذا حالٌ يكونُ فيه هلاكُ المسلمين والإسلام فلم ير إلّا تسكين الأحوال والإغْماض عنها

(*) تكررت الكلمة في النص ولم نهتد لقراءتها على وجهها .

(1) ربما يقصد الجبلين الموجودين بلاعة وهما جبل الأحزم وجبل جرابي . انظر ، الهمـداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 222 .

(2) وادي عيان يقع في جنوب وجنوب غرب حجة . ووادي عيان يقع جنوب غرب وادي لاعة ثم يتجه جنوباً ناحية الخبت قضاء المحويت . انظر ، خريطة ج. ع. ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543B3 ، 1543A4 .

(3) قيلاب واد وقرية في الشمال الشرقي لقرية مسور على بعد 7 كم وتقع القرية ما بين : 58 38 15° شمالاً ، 57 42 43° شرقاً . خريطة ج. ع. ي ، 1/ 50000 ، صفحة 1543D3 .

(4) التهام بكسر التاء المثناة ، بلدة وعزلة من ناحية من مسور قضاء صنعاء . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 310 ، جـ 2 نفس الصفحة ؛ التوزيع السكـاني التعاوني لمحـافظة صنعـاء ، جـ 1 ص 160 .

(5) خراب المراشي ناحية من قضاء برط محافظة صنعاء ، وتقع في شمال وشمال وشرق حرف سفيان . التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، جـ 2 ص 602 ـ 612 ؛ خريطة الجمهورية العـربية اليمنية ، 1 : 500000 ، قطعة رقم 1 .

وفي العين قذىً وفي الحَلْق شَجىً . وقد كان في ذلك مُكاتباتٌ وأخبـارٌ وروايات وأشعارٌ يطول شرحُها غير أنَّا مِلْنا إلى الاختصار . من ذلك شعر الأمير ذي الشرفين الذي أُنفذ به من يناع يَدُلُّ على كثيرٍ من الأمور وهو هذا الشعر :

أرأس بني الصـوّار وابن الجحاجـح   ويـا نسـلَ أمـلاكٍ كـرامٍ مَـرَاجـحِ
ويـا مَـنْ نمـاه العِـزّ مـن آل شَـمّـر   أميـر بني قحـطان حِلف المـدائـحِ
وقفْتُ عـلى قـولٍ عجيبٍ نـظمتُـهُ   إلى أسعـد المفضال خِدن النصائـحِ
يقـول جـرى الـواشـون بيني وبينكم   وأُسعـدت فينـا كـلُّ بـاغٍ وكـاشـحِ
فـلا والـذي أرسى حقيـلاً مكـانـه   ومجـرى النجوم الـراسيات السـوابـحِ
ومـا إن وشى حقـاً بكم غيـر فعـلكم   ومـا كـان من تلك الأمـور الفـوادحِ
أقـول مقـالاً صـادقـاً أنت شـاهـدٌ   على صـدق ما أبـدت وتُخفي جوانحي
ألـم تـستـغـث بـي مـرّةً بـعـد مـرّةٍ   وكـرَّرْتَ نحوي صـائحاً بعـد صـائحِ
أحـاطت بـك الأعـداءُ من كـلِّ وجهـةٍ   كـحيّـاتِ قَـفْـرٍ أو كـلابٍ نـوابـحِ
فخـاطـرتُ خـوفـاً لـلأعـادي عليكم   مشـاركـةً مني لكم فعـلَ نـاصـحِ
فـأصبحتَ في عـزٍّ حـريـزٍ بـطلعتي   أخـا غبـطةٍ فـوق الـوطـا والمـطارحِ
تـحمّـلْتُ عنـك الـكُـلّ بـالله حمـلةً   وقـاسيتُ جهداً في الليـالي الكوالـحِ
بـأشيـاعِ صـدقٍ ليس حيٌّ كمثلهـم   أُولـو مفخـرٍ عـالٍ وللنجمِ نـاطـحِ
وعـاديتُ مَنْ عـاديـتَ سـراً وجهـرةً   وواليتُ مَنْ واليتَ من كُـلِّ صـالـحِ
ولا صنتُ مـالاً لا ولا النفسُ صُنتُـهـا   ومـا كنتُ إلاّ قـائمـاً بـالمصـالـحِ
لكـل الـذي يـرضيك واللّهُ شـاهـدٌ   وأبذُلُ نفسي < . . . . >(*)
دوين الـذي تـرضـاه فـرضـاً مؤكَّـداً   وأوجبـه أيضـاً عـلى كـلِّ صـالـحِ
تـقـربتُ بـالأشـعـار يـومـاً إليـكم   وفـاضت بمـدحِيكُمْ جميعـاً قـرائحي
فكـافـأتُم الفعـلَ الجميـلَ أخـا العـلا   بـفـعـلٍ وأيـمُ الله لـلقـلبِ جـارحِ
ولاقيتُ مـا لاقـى مُجيـرُ آمِّ عـامـرٍ   وأصبحتُ أخشى منك إحدى الجوائحِ / [م ق 59ب]
إذا عيـل مني الصبـر فـاضت مـدامعي   بـإسبـالِ دمـعٍ واكفِ السحِّ سـافـحِ

(*) كلمتان غير مفهومتين في الأصل .

بما قد ترى العينان من كل مسخطٍ ... لمبدي البروق اللامعاتِ اللوامحِ
ومن كلِّ مُرْضٍ للأعادي ونافعٍ ... ومُوْهٍ لأنف الدين بالهَشْم كافحِ
إذا رمتُ إنكاراً ودفعاً لمنكَرٍ ... وكفاً لعادٍ في فسادٍ ورائحِ
تعرَّضْتَ لي قهراً وأبديتَ غِلْظَةً ... أفاعيلَ جَبّارٍ عن الحقِّ طامحِ
فأُغمض مني الطَّرْفَ صبراً على القذى ... وأُعْرِضُ إعراضَ الحليمِ المُسامحِ
إذ ازددتُ حلماً واصطباراً وعِفّةً ... وعفواً وإجمالاً فِعالَ الأباطحِ
تزايدْتَ كِبْراً واحتقاراً وجفوةً ... إلى غِلظةٍ ما أنت عنها بنازحِ
وقرَّبْتَ لي الأعداء من كُلِّ جانبٍ ... وأدنيتَ مني كُلَّ ناءٍ ونازحِ
وأبدى الحسين القرم أيضاً وَصِنْوُهُ ... أبو الحسن القمقام كُلَّ القبائحِ
لَعَمْرُكَ مِن شربٍ وفحْشٍ ومنكَرٍ ... وأمرٍ من الطغيان لا شكَّ بائحِ
إذا قلتُ مهلاً ثمَّ مهلاً هُديتُمُ ... مقالةَ ذي نُصحٍ عن الغِشِّ زائحِ
تَصَوَّرَ ذاكَ القولَ حقداً وبِغْضَةً ... ودافَعَني دفعاً بقول المُمازِحِ
ودبَّرَ في أمرٍ عظيمٍ مرامُهُ ... فظيعٍ لقحطانٍ وعدنانَ فاضحِ
وللدين والإسلام والناسِ مُهْلِكٍ ... مُبيدٍ وللأحكام والشرع ذابحِ
فلم أرَ إلّا القصد كرهاً بمهجتي ... يريماً وأوطانَ العدا فعِلَ طارحِ
بنفسي وأشياعي وأبناء والدي ... إلى قعر بحرٍ مُغْرِقٍ كُلَّ سابحِ
سأصرفُ عنكم جَدَّنا القاطعَ الذي ... به الله أردى منهُمُ كُلَّ طامحِ
فأصبحتُ ذا خوفٍ شديدٍ مُبَرِّحٍ ... وأعقبْتُ من عَذْبٍ زُلالٍ بمالحِ
< ... >(*) الفعل الجميل فصنته ... صيانةَ مجبولٍ على الصبر صافحِ
فما ازدادت الشحناءُ إلّا تجدُّداً ... وما زادت القرنان غير التنازُحِ
ونادت بنا الأعداءُ من كُلِّ موضعٍ ... وعدت اصطباراً كالقويد المُصالحِ
< .... >(**) المكروه والحرب باغياً ... أبو حَسَنٍ بَغْيَ امرئٍ غير رابحِ
كراً عزّ بيتٍ زبيبه ... برأيٍ مُرادٍ مبرم الفَتْل ناجحِ
< ... >(***) التحقيق منّا وإنّه ... فر إبليس أمسى طابخاً أيَّ طابخِ

(*) بياض في الأصل . والبيت كله عن الهامش الأيسر من الصفحة .
(**) بياض في الأصل مقدار كلمتين .
(***) بياض في الأصل .

< . . . >(*) بـذل تبدو الغـوائلُ بعـدها   على الدأْبِ من مُوري الـزنادَيْنِ قـادحِ
دع اللوم والشكـوى إلى النـاس كلِّهم   لتقيـرِ ذي قلبٍ عـن الحـقِّ صـادحِ / [م ق 60أ]
< .. . >(**) وتشنيـعٍ علينـا وقـالـةٍ   وكـلُّ وعـاءٍ راشـحٌ أيّ راشـحِ
< . . . >(***) ومـا الـذي قـال عـالـمٌ   وكم من فَعـالٍ للقـطيعـةِ فـاتـحِ
< . . . >(****) الأصـلوح لا دَرَّ دَرُّهُم   يـردّون بِكْـراً بعـد شيبـاء قـارحِ
< . . . >(*****) الأمـر من بعد فـوتـه   بـخيـلٍ وأمـوالٍ وبِيضٍ لـوامـحِ

رجع الحديث إلى مخرج يريم(1) :

قال : ولمّا عمل الشريف الفاضل على تسكين تلك الأحداث وتجميل الأمور وإطفاء الضغائن ، أجمع الرأْيُ على المخرج إلى يريم . فنهض الأمير ذو الشرفين بذلك العسكر واستقام الشريف الفاضل بِمَسْوَر . فلمّا انفصل الأمير ذو الشرفين من بيت ريب إلى بعض نواحي الجبلِ تـأخّر عنـه أولادُ السلطان المنصور فكـأنّه استـوحش لبطئهم ولم يأمن غوائلهم وخطأهم . فأرسل إلى الشريف الفاضل محمد بن أنس يأمره بالحزم منهم . ثم إنهم خرجوا بعد ذلك فتبعوا الأمير عليه السّلام . فنهض الأمير عليه السّلام حتّى وصل المكان وكان من الأمير ما قد كان واستعمل على ذلك السلطان أبا العشيرة بن عَبّاد وصرف إليه جميعَ تلك البلاد .

ذكر طلوع يناع(2) :

قـال : ولمّا اجتمـع الشـريف الأجـل وصنـوه ذو الشـرفين وصـل السلطان

(*) بياض في الأصل .
(**) بياض في الأصل .
(***) بياض في الأصل .
(****) بياض في الأصل .
(*****) بياض في الأصل .
(1) اللآلي المضية م 2/ص 170 ـ 171 .
(2) اللآلي المضية م 2/ص 171 ، وأنباء الزمن م 1/ص 162 ـ 163 ، وغاية الأماني 1/265 .

محمد بن ورقاء من بني جناح إلى حضرتهما إلى مَسْوَر وذكر أنّ له عملاً في طلوع يناع فاستأنياه حتّى يَصِلَهُ علمُهُما فاستعاد إلى ناحية يناع فلم يلبث أن طلعه وأنزل مَنْ كان فيه من خدم السلطان أبي الحسين بن جناح . ثم إنّ السلطان محمّد بن ورقاء كتب بالبشارة إلى الأمير ذي الشرفين وهو بعُرٍّ شاحذ[1] فأنهض إليه الشريف الأجلّ ليث الدولة وعضُدها حميدان بن القاسم فنهض حتّى صار بالحَيمة ولقيهم الخبر أنّ بني الصُّليحي نهضوا من صنعاء حتّى حطوا بيفاعة وأنّ محمد بن ورقاء نزل من الحصن وصار الحصن خِلْواً من جميع الفريقين فاستقام يستأتي الأخبار وتقدّم الحصن جماعةٌ من الحَضوريين ممن كان في الديوان حتّى طلعوا رأس جبل بيت خولان وأشعلوا فيه النيران فتوهموا بنو الصُّليحي أنّ الذي طلع الجبل الشريف حميدان فأمر السلطان أبو الحسين بن المهلهل بن جناح بنقل حريمه ليلته . فلمّا كان من الغد نهضوا رائحين إلى صنعاء . فلمّا ولّوا لحمهم القتال من الحضوريين . فلم يزل القتال في أعقابهم حتى صاروا ببيازل من صوقب ونزل عليه الحضوريون الذين كانوا برأس جبل < . . . . >[*] فقتلوا منهم قتلى كثيراً . وكان فيمن قُتِل السلطان أحمد بن أسعد بن يعفر / اللهابي في عِدّةٍ من وجوه حراز ومقدّمات الحجاز [م ق 60ب] وغنم تلك الأثقال .

ذكر بعض الرُّواة أنّ الذي أُخذ منهم ستمائة جمل وستون رأساً من الخيل والبغال مع غير ذلك واللّهُ أعلم . وانتهى الخبر بذلك إلى الشريف ليث الدولة وعضُدها وهو بالحَيمة فنهض من فوره حتّى طلع يَنعاع وانتهت البشارةُ إلى الأمير ذي الشرفين .

ذكر الخبر عن طلوع ذروة وهدمها وما كان من أخبارها وعلمها[2] :

قال : ولما انتهى علم هذا الحادث بصوف إلى عبد الله بن محمد اللهابي

---

(1) شاحذ : هي الشاحذية من بلاد الطويلة سميت باسم شاحذ بن حديق . . . بن جشم بن حاشد . الحجري : مجموع بلدان اليمن ، جـ 3 ص 439 .

(*) بياض في الأصل . وربما كانت : جبل بيت خولان ـ السالف الذكر .

(2) اللآلي المضية م 2/ص 171 ـ 172 ، وأنباء الزمن م 1/ص 163 ، وغاية الأماني 1/265 ـ 266 .

وكان أحد كُفاة السلطان أحمد بن مظفر وكان بذروة فلما صَحَّ ذلك خاف ونزل منها واستخلف عليها المليح بن هيصم من بيت زود وابن عمٍّ لهذا السلطان في جماعةٍ من الديوان . فلمّا نزل منها وشهره أهل الصيد شبّوا عليه الصريخ ولحمه وَمَنْ معه القتال ، فقُتل منهم أنفارٌ وخلص بنفسه وانتهى الخبر إلى الشريف سنان الدولة وركنها أحمد بن جعفر وهو بقرية ورور فنهض في جماعةٍ من البَكيليين حتّى صار بناحية ذيبين والتأم إليه من الصيد والمشرق من التَّأم ونهض بهم حتّى صار بـرونة الصيد ثُمّ طلع بهم نقيل محاصر حتّى صار تحت الحصن من ذروة . وانتهت الأخبار إلى الوادعي والصريمي والهمداني والعامل يومئذٍ على بلاد وادعة الحسن بن واقد الظموي فحشد الكُلُّ منهم من ناحيته حتّى اجتمعوا إلى ذروة بحضرة الشريف سنان الدولة وركنها فحاصروهم يوماً وليلة . وتقدّم السلطان ذعفان بن يحيى اللعوي لخطاب مَنْ بالحصن على التَوَدّي والنزول فكرِهوا ذلك والمليح بن هيصم هذا على الباب فشغل الشريف سنان الدولة وجهد بذلك الخطاب وشرع العسكر عليهم الحصن من كل جانب فطلع قهراً من جميع نواحيه ، وقبض على جميع مَنْ كان فيه . فأمّا الديوان فأمر الشريف بأخذ سلاحهم وَمَنَّ عليهم بسلامة أرواحهم وسراحهم ، وأمّا هؤلاء المقدمات فقبض عليهم وأُطْلِعوا شهارة حتّى أُطلقوا منها بعد حين . قال : وأمر الشريف سنان الدولة بخراب الحصن فاستقصى على خرابه . قال : وكتب الشريف سنان الدولة وركنها بالبشارة إلى الشريف الفاضل بمَسْوَر ، وكتب الشريف إلى الأمير ذي الشرفين بذلك إلى عُرِّ شاحذ .

رجع الحديث إلى طلوع حضور[1] المصانع[2] :

قال : وصل مشائخ حضور المصانع إلى الشريف الفاضل إلى مسور يسألونه أن يرسل معهم من يلزم حصن حضور المصانع فصرفهم إلى الأمير ذي الشرفين / [م ق 61أ]

(1) اللآلي المضية م 2/ص 172 .
(2) جبل حضور : يقع على بعد 8 كم غربي مدينة ثلا . ويطلق عليه اسم مصانع حمير . خريطة ج . ع . ي، 1 : 50000 ، صفحة 1543B4 . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 1 ص 166 ؛ المقحفي ، معجم البلدان والقبائل ، ص 630 .

وعَرّفه بما جرى بينه وبينهم . فلمّا وصلوا إليه نهض معهم الشريف ناصرُ الدولة وعِزُّها الحسن بن إبراهيم والسلطان عبد الباعث بن أنس فيمن معه من الهمدانيين وأولاد السلطان المنصور بن الحسين في جماعة الحميريين . وتقدّمَ الشريفُ ناصر الدولة بذلك العسكر المنصور حتّى طلع جبل حَضور . ثمّ تقدّم الأمير ذو الشرفين إلى عُرّ براود ثمّ وصله رجال من الحميريين يسألونه أن يرسل معهم من يلزم حصنَ بُكُر[1] فأمر معهم السلطان علي بن علي بن أبي سعيد الحدّي فلزمه . ثمّ طلع الأمير ذو الشرفين إلى عرِّ عستن وقد كان وصله مشائخ الأعدار فسألوه أن يرتّب معهم مَنْ يلزم حصن القرانع فأمر معهم الحسن بن علي بن محمد العلوي التهامي .

قال : وأقام الحصار على يريم شهرين ثم أخذوا منه قسراً ودُخِل عليهم قهراً فقُتل منهم جماعة وأُخذ الباقون أسراً ، وهدم الحصن من جميع نواحيه . وطلع بالأسرى إلى مسور إلى حضرة الأمير ذي الشرفين فمنَّ على ناسٍ من الديوان واحتفظ بالمشائخ الذين كانوا أهل المكان فأقاموا في السجن مُدّةً من الزمان ثمّ أوجب رأيُهُم أن يخرجوا من السجن والأمير ذو الشرفين في ذلك الوقت بيناع . فخرجوا في الليل غيرَ بعيدٍ وهم مُوْثَقون في الحديد فتبعهم الأحراس وجماعةٌ معهم من الناس فقُتلوا عن آخرهم إلاّ حريش فإنه استقام في السجن ، ثمّ سأل فيه السلطان أبو العشيرة بن عَبّاد فأُطلق له وأُجمل في شأنه .

ذكر نزول الشريف الفاضل من مسور :

قال : لمّا نزل الشريف إلى بيت الجرابي أمسى هنالك . فلمّا كان من الغد سلك طريق المحدّد حتّى أمسى بقاعة[2] وانضمّ إليه وجوه همدان مثل ابن الشرسي

(1) بُكُر : قرية وحصن من عزلة الضلاع وكوكبان ناحية شبام قضاء الطويلة ، على بعد 10 كم شمال غرب كوكبان ، ويقع ما بين : 14" 32′ 15° شمالاً ، 31" 48′ 43° شرقاً . التعداد السكاني التعاوني لمحافظة المحويت ، ص 212 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543B4 .

(2) قاعة : قرية من عزلة عيال حاتم ناحية جبل عيال يزيد قضاء عمران . على بعد 10 كم غربي عمران . وتقع ما بين : 13" 39′ 15° شمالاً ، 10" 51′ 43° شرقاً .

وابني العمري ودعفان بن يحيى وابن مقيع ومُنصور بن وهيب ومشايخ بني حمّاد ومقدّمات أهل البَون فنهض بهم إلى شوابه . ثم إنه اتّصل به رجالٌ من أهلا ثلا[1] فذكروا أنّ الأمير المتسمّي بالمكرَّم هاجِمٌ عليهم ، وسألوه المادّة فأنهض معهم الشيخ الفاضل محمد بن كليب بن أبي سعيد الحدّي فأخذ في البَون حتّى طلع من طريق المعينين إلى ثلا فلزم الحصن ولم يلبث أن وصل هذا الأمير المتسمّي بالمكرَّم وأحمد بن مظفَّر إلى عامر الزواحي . فلمّا وصلوا إليه نهضوا بأجمعهم إلى ثلا بعد أن قدّموا في ليلتهم منسراً حتّى لزم على ملح بإزاء حصن ثلا يطمعون فيه بالخديعة ووصل العلم بذلك إلى الشيخ محمد بن كُليب فلفظ جماعةً من خيار أصحابه / [م ق 61ب] فأوقفهم على الناحية التي بإزاء الكمين . وأقبل هو فيمن معه إلى باب الحصن مقابلاً للعسكر الواصلين وقد كان عامل فيه جماعة من الثلاييين وأمر بهم فأُوثِقوا في السجون ولزم باب الحصن فلم يفسح لأحدٍ في طلوع . وانتهى العلم بوصول بني الصُّليحي إلى ثلا إلى الشريف الفاضل ، فأمر صنوه سنان الدولة وركنها بالتقدُّم إلى صيحة[2] من بلاد الصيد[3] بوجوه الهمدانيين وأجمع رأيُهُم على المادّة لأهل ثلا فتقدّم بهم إلى أعلى البَون فلمّا صاروا بنقيل نجر[4] أنهض من أصحابه مائةً وخمسين رجلاً في الليل حتّى وصلوا إلى الشيخ محمد بن كليب إلى ثلا وانكشف عسكر بني الصُّليحي خائبين مفلولين وقد قُتل منهم ستةُ رجال . ثمّ وصل الشريف الأَجَلّ سنان الدولة وركنها فيمن معه من وجوه الهمدانيين إلى قرية ثلا مُمِدّين . وعاد بنو

= التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، جـ 2 ص 306 ؛ خريطة ج. ع. ي، 1 : 50000 ، صفحة 1543B4 .

(1) ثُلا : بالضم على ارتفاع 2400 متر ، على مسافة 10 كم جنوب غرب مدينة عمران وتقع ما بين : 32" 39′ 15° شمالاً ، 04" 54′ 43° شرقاً .

الويسي ، اليمن الكبرى ، ص 65 ؛ خريطة ج. ع. ي، 1 : 50000 ، صفحة 1543B4 .

(2) صيحة من قرى البون الأسفل بالقرب من ريدة . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 158 ، 220 .

(3) بلاد الصَّيد من أعمال ريدة . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 2 ص 218 .

(4) نجر : قرية من عزلة بني حجاج ناحية عَيال سريح قضاء عمران ، على بعد 2 كم جنوب عمران ؛ خريطة ج. ع. ي، 1 : 50000 ، صفحة 1543B4 . التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، جـ 2 ص 488 .

الصُّليحي إلى شبام وحمل أبو مسلم العمري على عامر الزواحي فطعنه طعنةً كاد أن يأتي على نفسه . وكان لمشائخ الهمدانيين في ذلك اليوم جدٌّ عظيم ، وعاد الشريف وأصحابه إلى ثُلا سالمين .

ثمّ نهض الشريفُ الفاضلُ حتّى تمادى به السفر إلى الحنافج ، ثمّ توجّه فحطّ في سوق طمام وكتب إلى الأمير ذي الشرفين يخبره بمقدمه عليه ويقول في كتابه الذي كتب إليه : إنّي وصلْتُ بمقدّمات الناس فليعتمد أدام الله سلطانه على إكرامهم في كلّ الأحوال ويجمل حضرته بما قدر عليه من الجمال . ثمّ طلع الشريف الفاضل حتّى أمسى ببيت الجرابي . فلمّا كان من الغد نهض حتّى طلع مَسْوَر فاستقبله الأمير ذو الشرفين إلى الميدان في جماعته وخاصّته وشيعته في أحسن زِي وصلاحٍ ، وأجمل كسوةٍ وسلاح قد ذهب الذهابَ الجميلَ ، ورتَّبَ القرى الجزيل .

ذكر الخبر عن مخرج الشريف الفاضل إلى ثُلا من مَدَر[1] :

قال : ونهض الشريف الفاضل من شوابة إلى مشرق بلد همدان حتّى حَطَّ بِمَدَر ووصله جماعةٌ من بني الفضيل من زجان[2] فأمر معهم مَنْ طلعَ حصن ذمرمر وكان فيه خَدَمٌ لبني الصُّليحي فقبض على ذلك الخدم ورتّب فيه رجلاً من شيعته يقال له : سبأ بن شمر من جنب . ثمّ نهض من ذلك طريق ثُلا ، فلمّا صار بثُلا وأمسى ليلته تلك نزل بذلك العسكر إلى سهل شبام . وخرج عامر بن سليمان الزواحي بعسكرٍ معه من الحجاز وحمير فجرى بينهم القتالُ حتّى علا النهار وبلغ العسكر [م ق 62أ] معهما إلى قريبٍ من الأبواب . ثمّ انكسر عسكرُ الشريف / الفاضل من بعض نواحيه وسببُ ذلك أنه كان رتّب محمد بن شهاب الحدّي وأمره ينزل بديوان حضور المصانع إلى ناحية باب العذر فتثبّط عمّا أمره به وتأخّر فذلك سببُ انكسار العسكر . فقُتل من عسكر الشريف الفاضل رجلان من وجوه همدان وأنفارٌ قليلٌ من الديوان زهاء ستة

---

(1) اللآلي المضية م 2/ص 172 ـ 173 . وأجمل يحيى بن الحسين في أنباء الزمن م 1/ص 163 ، وغاية الأماني 1/266 ، أخبار غارات العام (465 هـ) في سطورٍ قليلة .

(2) زجان : قرية من عزلة ذمرمر ناحية بني حشيش . التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، جـ 2 ص 239 .

رجال ، واستعاد الشريف إلى ثلا .

ذكر الخبر عن خروج بني الصُّليحي إلى يناع[1] :

قال : ولمّا اشتدّت على بني الصُّليحي الأمور ، وانتشرت عليهم الثغور اشتوروا ووقع منهم الإجْماعُ على قصد يناع ، واستنهضوا أهل الدعوة من سلاطينَ حراز ، ونهضوا من صنعاء في جميع الحجاز ، وأذاعوا عند(*) المنجمين قد أطلقوا لهم الكلام بالنصر والظفر . وانتشر ذلك الخبر وحشدوا عسكرهم من حراز مع جماعةٍ من سلاطينهم منهم أبو الجماهر بن عبد الله بن أبي الجماهر بن قليل وكديس بن تبع الصُّليحي وإبراهيم بن أبي الغارات بن علي الصُّليحي وعراف بن فلان الصُّليحي في عسكر كثيرٍ من وجوه حراز حتّى صاروا بجوفل من ناحية الحيمة . ونهض الأمير المتسمّي بالمكرَّم وبنو الصُّليحي حتى صاروا بِعُرٍّ ذيب ووجَّهوا منهم مَنْ لزم بيت خولان . وكان السلطان أحمد بن خليفة بن يزيد بموضع يقال له بيت الخاصم[2] فنهض بنو الصُّليحي إليه وفاتنوه عليه فأقام فيه يومين . فلمّا اشتدّ عليه الأمر استأخر منه إلى عُرِّ بني الحسن . وتقدّم مركز الحرازيين إلى ناحية شم[3] فنهبوه . ونهض السلطان أحمد بن خليفة ممداً إلى هنالك . ونهض الحسن بن يعقوب بن الدِعام من يناع فالتقيا بعسكرهما إلى وادي شمّ ووقعت اللقية بينهم وبين سلاطين بني الصُّليحي وعسكرهم الذين من حراز[4] فكانت الطائلة لعسكر الأمير ذي الشرفين فانكشف الحرازيون[5] وقُتل منهم بشرٌ كثيرٌ ، وغُنمت خيلُهُم وأسلابُهُم . وانهزم

(*) كذا في الأصل ، وصحتها : أنّ .

(1) اللآلي المضية م 2/ص 173 ـ 174 ، وأنباء الزمن م 1/ص 164 ، وغاية الأماني 1/266 .

(2) بيت الخاصم من بلاد حضور . يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، جـ 1 ص 373 .

(3) شم بضم الشين المعجمة والميم من مساقط وادي سردد بالحيمة الداخلية . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 123 ، ح 3 نفس الصفحة ، ص 133 ، 210 .

(4) حراز أحد أقضية محافظة صنعاء مركزه مدينة مناخة في رأس جبل حراز . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 2 ص 252 ـ 253 ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، جـ 2 ص 522 ـ 571 .

(5) الحرازيون : ينسب المشايخ الحرازيون بني أبي المعالي إلى الشيخ أبي المعالي بن محمد بن أبي =

السلاطينُ بأنفسهم حتّى التجأوا إلى دارٍ في موضع المعيدي ، واستعاد السلطان أحمد بن خليفة إلى معسكره بِعُرّ بني الحسن[1] سالماً غانماً فنصب رؤوس القتلى وعرض الخيل التي لبني الصُّليحي فانكسروا من ذلك . وقد كان السلطان عبد الباعث بن أنس نزل في الليل ممداً إلى الحدب حيث كان بناحية جوفل فلمّا كان بالطريق لَقِيَهُ الخبر بالنصر والظَّفَر وحقّ له كون السلاطين أبو الجماهر وَمَنْ معه على لسان رجلٍ من أهل الحدب يقال له : محمد بن مبارك بن أبي العسكر فسار بين يديه إليهم حتّى أوقعه عليهم صباحاً : ﴿ **فساء صباح المُنْذَرين** ﴾[2] فقُتلوا عن آخِرهم وأُخذت بِغالُهُم وأمتعتُهُم ووجّه بالرؤوس إلى حضرة الأمير ذي الشرفين عليه السّلام . وقال مفرِّحُ بنُ أحمد :

لقد نال عبدُ الباعث الثأرَ طيِّباً ... هنياً ونال اليوم ما كان طالبا
سقاه من الكأس الذي كان قبلهم ... أبوه بها من سالف الدهر شاربا
بسعد الأمير الفاضل الأوحد الذي ... بنى المجدَ حتّى كاد يَغْشَى الكواكبا
وقاد الجيوشَ الشُّهْبَ كالدُّهم تعتلي ... بتيّاره وَهْداً بها والمناحبا
كتائبَ شعوى مُشْعياتٍ أسنّةً ... وزعفاً وبيضاً مدمجاً وقواضبا
إذا صار في الآساد من حُجُراتِها ... وريعانها الآساد صارتْ ثعالبا
وفرّج كَرْبَ المسلمين الذي عرى ... وأعلى الموالي واستدلّ المناصبا
وقام بنصر الدين يرجو ثوابه ... ولم يخش للعُقبى لديه العواقبا
بلغْنا به أقصى المُنى من عُداتنا ... وشِدْنا المعالي واكتسبنا المناقبا
ونِلْنا به ديناً وعزاً وإنّنا ... لَنرجو به يوم الحساب الرغائبا
هو العصمةُ الوثقى وذو الدين والتّقى ... وذو العصر لمّا صار ذو العصر غائبا
عليه سلامُ الله ما ذَرّ شارقٌ ... وما لاح نجمُ الجوِّ في الجوِّ ثاقبا

= الفتوح ، وأصل بلدة حراز المستحرزة وفيها مسكنه وأهله ؛ ابن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص 133 .

(1) العر : قرية من عزلة الحدب ناحية الحيمة الداخلية قضاء صنعاء . التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، جـ 1 ص 112 .

(2) سورة الصافات/ 177 .

قال : واستقرّت بنو الصّليحي في معسكرهم بسلف بيت خفير ، واطّردت رسل الشريفين الأجلين ناصر الدولة وعزّها الحسن بن إبراهيم وليث الدولة وعضُدها حميدان بن القاسم إلى الشريف الأجلّ بالاستمداد غايةَ الاطّراد . وكانت في ذلك مكاتباتٌ وأشعارٌ ورواياتٌ وأخبار ؛ من ذلك قولُ الشريف ناصر الدولة وعزّها الحسن بن إبراهيم ؛ **الشعر** :

أيا فُوخَ الرئاسة والمعالي ... وخِيرة من تخيّر ذو الجلال
يريد هدايةَ الأنام حقاً ... وزادتْهم لَعَمْرُكَ في الضّلال
فلا تطلبْ لهم أبداً رشاداً ... بغير شبا المثقّفة العوالي
وكلُّ طِمِرَّةٍ وبكلّ نهدٍ ... ترامى في الأعِنّةِ كالسعالي
وكلّ مهذّبٍ بَرٍّ تقيٍّ ... نجيب الأصل من عمٍّ وخالِ
يوحِّدُ ذا الجلال بغير شَكٍّ ... لَعَمْرُكَ في الصفاتِ وفي الفعالِ
صبورٌ في المكاره غير نِكسٍ ... صدوقٌ في الفَعال وفي المقالِ
سليٌّ عن غضارة كلِّ عيشٍ ... وعن خوف المهيمنِ غير سالِ / [م ق 63أ]
مُعادٍ في المهيمنِ مَنْ يُعادي ... مُوالٍ في المهيمِن مَنْ يُوالي
يفارقُ كُلَّ سُبْلٍ لستَ فيها ... وتالٍ كلَّ سُبْلٍ أنتَ تالي
بهم يا خِيرَةَ الأخيار تشفي ... غليلَكَ من طُغاة أولي اغتيالِ
إذا ما إنْ رميتَ بهم قبيلاً ... رميتَهُمْ وعيشِك بالوبالِ
إذا ما سيّروا يوماً لِحَيٍّ ... فإنّ الحيَّ يؤذِنُ بالزوالِ
إلى كم ذا وكم ذا يا مُرَجَّى ... تكونُ صيانةُ المُهَجِ العوالي
أما إنّا لقد بِعْنا نفوساً ... وما بَيْعُ النفوس بمُستقالِ
إذا لا بدَّ من موتٍ فَقَتْلٌ ... لأنّ القتل أَلْيَقُ بالرجال
فأفضلُ مِيتةٍ تُرْجى وتُلْقى ... فَمَوْتاتُ الرجال لدى المجالِ

فأجابه الأمير ذو الشرفين :

أناصرَ دولةِ الحقِّ المُذالِ ... وخِدْنَ المَكْرُماتِ أبا المعالي
وليثَ الدولة الغرّاء حقاً ... وأقدمَ مَنْ يكونُ لدى النِّزالِ

أتـانـي الـيـوم قـولُـكُـمـا فـأهـلاً ... وسـهـلاً بـالـقـول وبـالـمـقـالِ
تَـحُـضّـانـي الـغـداة عـلى نهـوضـي ... لحـرب الكـافـرين أولي الـضـلالِ
ورأيُ الـرشـد رأيُـكُـمـا صـحـيـحـاً ... لأنـكـمـا الـنـهـايـةُ في الـكـمـال
ورُكْـنـا الـديـن والإسـلام حـقـاً ... وغـوثٌ في الـمَـكَـارِهِ لـلـموالـي
وسـيـفـاي الـلذان هـمـا ادّخـاري ... لـنـائـبـةٍ تَـهُـدُّ قـوى الـرجـالِ
فـفي تـلك الخُـطوب هـمـا يميني ... وفي تلك الخـطوب همـا شِـمـالي
إذا مـا صـرتُ في أمـرٍ وغـابـا ... فـمـا أنـا في مَعيبـهـمـا بِـسـالي
سـأُزجي الخيـلَ مُعْلَمَـةً عليهـا ... لَـعَـمْـرُكَ كـلّ مـحـمـود الـخـصـالِ
وأُشجي الـظالـمـيـن بـكـلِّ فـجٍّ ... وأبـذلُ مـهـجـتـي فـيـهـم ومـالـي
وأدعـو الـنـاس كـلّـهـم جـمـيـعـاً ... لحـرب ذوي الـتـزنـدُقِ والـمَـحـالِ
أشـرّ قـبـيـلةٍ عـلمـت وأَجْـرَى ... جَـريٍّ في الشـنيـع من المـقـالِ
فـحُضّـا الـمـاسـكين بنـا وكـونـا ... عـلى حـيـن الـتـأهُّـب لـلقـتـالِ
بـكـل فـتًـى لـه عـزمٌ وحـزمٌ ... وبـالـبِيض الـجِـداد وبـالـعـوالـي
[م ق 63ب] فـإنّـكـمـا الـسـنـانُ لـدى الـتـلاقي ... وصحبُكُـمـا السهـامَ لـدى النضـالِ /
وإنّـكـمـا الـعـمـودُ بـلا كـلامٍ ... وإنـكـمـا الـسـبـيـلُ إلى الـمـنـالِ
مـنـال الـعـزّ والـعـلـيـاءِ حـقـاً ... وأطـوع مَنْ يكـونُ لـذي الـجـلالِ
وقُـومـا الـيـومَ قـومَـةَ هـاشـمـيٍّ ... حسينيّ الـمـذاهـب لا يُـبـالـي
بـأعـداء الـمـهـيـمـن حيث كـانـوا ... فـأمـري واردٌ إحـدى الـلـيـالـي
بـمـا فـيـه الـدمـارُ لـكـلِّ ضـدٍّ ... ومـا فـيـه الـعُـلُوُّ لـكـل والـي
لَـعَـمْـرُكَ مـا وُلاةُ الـحـق طُـراً ... بـسـهـل الأرض أو مَنْ بـالـجبـالِ
أم تـر أنّـهـم رامـوا ثـلاً ... فـخـيّـبَ ظَـنَّـهـم مُـبـدي الـهـلالِ
وولّـوا هـاربـيـن مـعـاً جـمـيـعـاً ... عـلى خيـلٍ تُـبـادر كـالـسعـالـي
فـفـاز الـمـانـعـون لـهـم وعـزّوا ... وأضـحـى فـخـرُهُـم سـامٍ وعـالِ
وآب الـجـاحـدون إلـى شـبـامٍ ... عـلى حـال الـمـذلّـة والـنَّـكـالِ
فـلا زلـنـا الـزمـانَ لهم شجـاكـا ... ودامـوا الـدهـر في شـرٍّ الـوبـالِ
وصـلّى الله مـا طـلعتْ نـجـومٌ ... عـلى خـيـرِ الأنـام وخـيـرِ آلِ

ذكر الخبر عن نهوض الأمير ذي الشرفين إلى يناع من مَسْوَر[1] :

قال : فكاتب الشريف الفاضل وسأله جمع العسكر الكثيف وجند السلاطين والعُرَفاء من جميع المخاليف . فجمع الشريف الفاضل عسكراً كثيراً ، وقدم عليه السّلام في عسكرٍ زهى في أحسن عُدّةٍ وزي . قال : ونزل الأمير ذو الشرفين من مسور إلى بيت الجرابي في القوة القوية في جماعةٍ وافرةٍ من الشيعة الحسينية ، والتقى هو والشريف الفاضل وتكاثفت العشائر والمواكب . فلقد حالوا بينهما من السلام حتّى وصل أحدُهُما إلى صاحبه في ذلك المقام . فلمّا كان من تحت الليل أمر الشريف الفاضل إلى الأمير ذي الشرفين عليهما السّلام فسأله الإِذْنَ للقدوم عليه إلى المضرب ويسأله أن يُخْلي له المكان حتّى لا يحضُرَهما أحد . فرجع إليه الرسول بالإذن ، فسار من حيث لا يعلم أحد بمسيره . فلما اجتمعا في المضرب تراجعاً في الحديث وكثُرت بينهما المحاورةُ والمُشاورةُ بما علم الله ، إلّا أنه ظهر من رأْي الشريف الفاضل شيءٌ بعد حين وكان يكره خروجَ الأمير ذي الشرفين إلى يناع . فقال : أرى ـ يا جُعِّلْتُ فداك ـ أحد أمرين ولا أحِبُّ لك ثالثهما إمّا أن تُخْرِجَ من هذه العساكر / مع الشرفاء والسلاطين والعرفاء إلى يناع مَنْ يكفيك ما هنالك وتعود إلى مسور . [م ق 64أ] وأمّا الوجه الثاني نهضنا بجميع هذا العسكر وقصدْنا به إلى شبام ففتحْناها إن شاء الله ، ورددْتَ وجوه بني الصُّليحي وكفاكَ الله مؤونتهم . وأمّا الثالث الذي أكرهُهُ لك فالخروج إلى يناع والرأي بعد ذلك لمولانا الأمير ونحن له وبين يديه ! فلم ير الأمير ذو الشرفين إلّا التقدُّمَ إلى يناع . فلمّا كان من الغد وذلك في شهر رجب سنة ستٍّ وستين وأربعمائة سنة عزم على النهوض فاستعمل على مقدمته السلطان نشوان بن نشوان فنهض على جانبٍ من الليل وتتابع العسكر الأول فالأول . وكان الأمير ذو الشرفين في العقب في الشيعة والوادعيين والمقدمات من الهمدانيين والبكيليين فنهض بعد طلوع الشمس من بيت الجرابي وكانت المحطة سهل الباقر[2] . ثمّ نهض العسكر المنصور على تعبئته وشرح الأمير ذو الشرفين المحطة

---

(1) اللآلي المضية م 2/ ص 173 ـ 174 ، وأنباء الزمن م 1/ص 164 .

(2) الباقر بالباء الموحدة ، هو اليوم خراب وكان به حصن يقع في بني العباس من بلد كوكبان ، والباقر هو =

بالحيمة ولقيه السلطان عبد الباحث بالقِرى الجزيل للعسكر المنصور . فلمّا كان من الغد نهض الأمير ذو الشرفين حتّى طلع يناعٍ فاستقبله الشريفان الأجلّان ناصر الدولة وعزّها الحسن بن إبراهيم وليث الدولة وعضُدها حُميدان بن القاسم فيمن معهما من الشرفاء والسلاطين والعرفاء في مواكبَ حسنةٍ وحضرةٍ متمكّنة ، واجتمعت عساكرُ ضاق بها الفِجاج وسطع لمسيرها العَجاج . أخبرني غيرُ واحدٍ أنّ أصحاب الريح اعترضوا ذلك اليوم نيفاً وسبعين ريحاً فطلع الأمير ذو الشرفين فحطّ بالدار بيناع ومعسكر بني الصُّليحي ببيت حفير وصبّح لهم الخبر ورأت العينُ العَينَ وعظم عليهم الأمْرُ وخشيوا أن تلزم عليهم يقاعة فلا يجدوا إلى الخلوص طريقاً فأنهضوا مُدافع ابن الحسن بن يوسف الجنبي فيمن معه من الجنبيين حتّى لزم لهم رأس يفاعة ، ونهض باقي عسكرهم منهزمين إلى عُرّ ديبٍ من آخر ساعة ولحقهم سَرَعان العسكر المنصور فانهزم المدافع من يفاعة وقاتلوا أُناساً من أعقابهم وأخذوا شيئاً من أسلابهم . ثمّ أنزل الله على عسكر بني الصُّليحي لصباً من البَرَد وكاد أن يأتي عليهم ثُمّ انهزموا إلى جبل بيت خولان .

رجع الحديث إلى كون الشريف الفاضل بمسور :

قال : وأقام الشريف الفاضل عليه السّلام بمسور مدة أيام فأحكم أموره غاية الإحكام واستخلف على الجبل صنوه الشريف الأجل سنان الدولة وركنها أحمد ابن جعفر / بعد رجوعه من بيت بوس[1] وقرن عنتر[2] ونهض إلى ثلا في خيلٍ ضخمةٍ [م ق 64ب]
من الشيعةِ والهمدانيين والبكيليين ثمّ نهض أمام صنعاء[3] حتّى إذا صارت خيله

= غور سراة المصانع . الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 123 ، ح 1 ص 124 .

(*) في الأصل فوق السطر : رأس .

(1) بيت بوس : قرية من قرى ناحية سنحان على بعد 7 كم جنوب صنعاء وتقع ما بين : 23" 16' 15° شمالاً ، 11" 12' 44° شرقاً . خريطة ج. ع. ي، 1 : 50000 ، صفحة 1544C1 .

(2) قرن عنتر : حصن من حصون بني شهاب بالقرب من صنعاء . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 1 ص 122 .

(3) اللآلي المضية م 2/ص 174 ، وأنباء الزمن م 1/ص 164 ، وغاية الأماني 1/266 ـ 267 .

بسهل علمان[1] شنّ الغارة من ذلك المكان فأخذت الخيل أمامها يميناً وشمالاً حتّى بلغت جراف المعر ووصلت مزارع شعوب وغُلّقت الأبوابُ من صنعاء ووقعت فيها الهائعة وغَنمت الخيل ما لحقت وانثنى الشريف الفاضل من آخِر عشيته حتّى بات بطرفٍ من الخشب ثم استعاد إلى ثلا وكان غرضه عليه السّلام نثر مراكز بني الصُّليحي من جبل حضور فكان كما تأمله .

ذكر الخبر عن تخريج الشريف الفاضل إلى ذمرمر :

قال : خرج الشريف الفاضل من شوابه في شهر رمضان سنة سِتٍّ وستين وكان قصده إلى ناحية أكانط[2] ، وجهّز حمولةً عظيمةً من الحَبّ والزبيب إلى قلعة ذمرمر ، وسيَّرَ مع الحمولة ناساً من العسكر مع صنوه سنان الدّولة وركنها أحمد بن جعفر فأوصلوا الحمولة إلى ذمرمر وباتوا بالسر ليلةً ، وأغاروا يوم الثاني حتّى بلغوا أبواب صنعاء وكان يومئذٍ بقلعة ذمرمر سبأ بن شمر . فلما حصلت الحمولة إلى القلعة استعاد الشريف الفاضل إلى ثلا .

ذكر الخبر عن الخروج إلى دوبع :

قال : والذي هاج ذلك أنّ رُسُلاً للشريف الفاضل كان وجههم إلى ناحية السويق[3] وجنابه وكانوا من شيعته وأحبابه لقبض مالٍ من عامله على تلك البلدان .

---

(1) علمان بضم العين : قرية من عزلة سدس القرية ناحية بني الحارث في أسفل وادي ظهر على بعد 12 كم غربي صنعاء ، وتقع ما بين : 46" 27′ 15° شمالاً ، 43" 08′ 44° شرقاً . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 3 ص 610 ؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، جـ 2 ص 233 .

(2) أكانط هو كانط قرية من عزلة خميس القابض (كانط) ناحية خارف قضاء خمر . على بعد 14 كم شرقي مدينة ريدة وتقع ما بين : 40" 49′ 15° شمالاً ، 42" 10′ 44° شرقاً . التقسيمات الإدارية لعام 1985 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1544A1 .

(3) السويق من بلاد الأهنوم . وكانت سوق لهمدان تقام كل يوم خميس . انظر ، مسلم اللحجي ، كتاب فيه شيء من أخبار الزيدية ، ص 44 ب .

فلمّـا صاروا < . . . >(*) وثب عليهم أهـل المكـان فقتلوا منهم ثـلاثـة رجـال < . . . . . >(**) رجلان وأُخذ ذلك المال . قال : ولبث الشريف الفاضل يتوقع لهم الغِرّة وكان عنده لهم طلائع < . . . >(***) فلم يظهر إلّا أنه قد اشتغل عنهم وهو في ذلك < . . . >(****) منهم فرتّب مخرجـاً كثير الخيـل ثم رفع من ثـلا < . . . >(*****) وأخـذ في البَون حتّى حَطّ بـرأس عجيب . ووصل الشـريف الحسين بن إبراهيم في جماعةٍ من البَكيليين فلقيه < . . . >(******) بن واقد في جماعة من الوادعيين .

فلمّا كان من الغد رفع حتّى حطّ بوعار[1] من بلاد ظليمة وقد قَدَّمَ رسولاً إلى شهارة فلقيه من أهلها جماعةٌ من المسلمين من أهل الحقـائق والدين فـأمرهم أن يكونوا مقدّمة العسكر . فلمّا فرغ هو وأصحابُهُ من صلاة العشاء رفع طريق مدر بينة . فما كان ضحى النهار إلّا وقد شنّ بدويع المغار وتقدّمت رجالُ الشيعة مع أفراسٍ من سوابق الخيل فلحقوا جماعةً من المُحْدِثين فقتلوهم وتتابع العسكـر المنصور إلى المكان ولبث هنالك مدّة أيامٍ ثم رفع من هنالك إلى موضعٍ / في جانب البلد يقال [م ق 65أ] لـه الحول فأقام هنالك مدة أيّامٍ ووصل مَنْ وصل إليه بالطاعة من حَجور الشام استوفى مدافيع أهل الطاعة من أهل تلك البلدان وقفل الشـريف الفاضـل بذلـك العسكر حتّى صار بأَقَر وسَلَّم إليهم أرزاقَهم وأَجْمل في أُمورهم وحَبَـاهم وكساهم وأمـر لمقدّماتهم بكسوة حريمهم وأولادهم فراجعه بعضُ أصحابه ولـم يَدْرِ ما غـرضُهُ ؛ فقـال : يا مـولانا الشـريف ! ما المُـوجِبُ لكسوة امـرأةٍ(*******) لا تخرج ؟ فقـال لـه :

(*) بياضٌ في الأصل .

(**) بياضٌ في الأصل .

(***) بياضٌ في الأصل .

(****) بياضٌ في الأصل .

(*****) بياضٌ في الأصل .

(******) بياضٌ في الأصل .

(*******) في الأصل : مرة ، والتصحيح فوق السطر .

(1) وعار : قرية من عزلة سيران الشرقي ناحية شهارة . التعـداد السكاني التعـاوني لمحافـظة حجة ، ص 381 .

يا أبا فلان ! إذا راح إليها جميلَ الحال وراح بكسوة الزوجة والعيال كنتُ إذا أرسلتُ إليه للخروج حثّثْهُ على ذلك ، وإذا راح إليها بغير منفوعٍ قالت له : ضيّعْتَ مالَكَ وطرحْتَ أهلك وتبّطَتْهُ عن الخروج ! فهذا الحال الذي حملني على كسوة الحريم ! وفي هذا المخرج ما يقول مفرِّح بنُ أحمد :

< . . . >(*) وصف غزوتنا الأعادي ومخرجنا لدوبع من شبام
ونور الشمس في فرجات خيل مقبلة النجباه إلى ديام
ترامى(**) من ظليمة في وِعارٍ سَوَاهِم كالقِداح من السهامِ
ربطنا من عليهنّ المخالي وعِشْنا باليسير من الطعامِ
وقاية صدر بَيْنَةَ وهي تشكو إلى ركبانها غَسَقَ الظلامِ
صبحْنا الحيَّ من نِهمٍ صباحاً أشاب وليدَها قبل الفطامِ
صدمْنا جَمْعَهُم بدمٍ حلالٍ بظلمهم بسفكِ دمٍ حرامِ
لقد قَرُبَتْ مسافتُنا إليهم وزُرْناهم بشيءٍ من حِمامِ
سُقُوا من غبِّ ما اجترموا ودارت بساحتهم رحا الموت الزؤامِ
ولكنّ أمعنوا هرباً وفرّوا من أسباب الحِمام إلى الحِمامِ
وقد أُخذت بضعف الثأر منهم سيوفُ بوادرِ الجيش اللّهامِ
ودانت حيث كانت من حَجورٍ حجور في اليمان وفي الشآمِ
ووافت بالخراج على وفاةٍ لشيخِ الطالبيِّين الهُمامِ
وقد دلفت إلى عبلٍ وزافَتْ كتائبُنا فراحت في السوامِ
وراح العسكرُ المنصورُ منه بسعد الجَدّ والنِّعَمِ الجِسامِ

قال مفرِّحُ بنُ أحمد : رأيتُ للأمير ذا الشرفين كتاباً إلى صِنْوِه الشريف الفاضل يقول فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . الأمر الذي حمل عليه مملوك الشريف الفاضل الأجلّ / مولانا نفسه أمرٌ عظيم وخَطْبٌ هائل جسيمٌ فيه إمّا هلاكُ الإسلام والمسلمين [م ق 65ب]
وإمّا اجتثاثُ أصل الكَفَرة الظالمين وذلك أنني لما صرتُ بيناع وصار بنو الصُّليحي

(*) بياضٌ في الأصل . وهناك تصحيحٌ بخط مختلف : تحموا ! .
(**) في الأصل بخطٍ مختلف .

بجبل حَضور ورأيتُ أن أفتح عليهم الفتنةَ من ناحية ابن أبي الفتوح وكاتبْتُهُ وَثَوَّرْتُهُ للفتنة فصرفوا وجوههم إليه ، وقاموا بالفتنة عليه وعلمتُ أني إن لم أشغل وجوههم عنه أخذوه وانتظَمَ لهم بأخذه أخذي من يناع . فكاتبْتُ بني شهاب[1] وفتحْتُ عليه الفتنة من ذلك الجناب وقلتُ إليهم الأشعار وقاسيتُها بنفسي في الليل والنهار ودخلْتُ لهم تحت الكُلَف الكبار . ثمّ مضى في كتابه إلى ما أراد من مشورة الشريف الفاضل وخطابه وسأله المادّةَ والمنافعَ من ناحيته وجنابه فحمل الشريف الفاضل إليه إلى يناع كثيرا من الزبيب والطعام وأمّده بالقوم والدرهم والدينار وكان زمان غالي الأسعار قليل الأمطار منقطع الثمار بلغت فيه الصغيرةُ عمّا ذكروا ـ والله أعلَمُ ـ ديناراً ـ والله أعلم ـ فحمل كُلَف الكبار منهم والصغار ورسم للمقدّمات منهم لكلّ رجلٍ في الشهر مائة دينار مع النفقة والعطية على الإدْرار والحوائج المطلوبة والمواهب الموهوبة . وكان مما قاله الأمير ذو الشرفين من الأشعار إلى بني شهاب :

ألا أبلِغْ هُديتَ لنا السلاما ... إذا ما زرتَ أخوالاً كِراما
شهاباً لا عدمتُهُمُ جميعاً ... ولا زالوا معاً أبداً سَنَاما
وقل لَهُمُ وقفْتُ على مقالٍ ... لزيدٍ لا رأيتُ له حِماما
يحضُّهُم على سلم الأعادي ... ويأمرهم بأن يَذَروا القياما
وحذّرهم خرابَ الأرض طُراً ... وأن تضحي النساء إذاً أيامى
ولو ترك الجهاد لخوف هذا ... لما كشف الإلَه بنا الظلاما
وما برح القبائلُ من يمانٍ ... تُحيت الذُلّ ما داموا وداما
وما انقطع القرامطُ من بلادٍ ... بها قد كان مُلْكُهُمُ استقاما
ولا انتفت الفواحشُ من بلادٍ ... ولا قهر(*) الحلال به الحراما
ولا انتعش التقيُّ فصار حياً ... ولا انتصر الضعيفُ فلن يُضاما
ولا امتنَع المظّلومُ من التعدّي ... ولا هجر المعازفَ والمُداما
[م ق 66أ] وأنّى اليوم يقنع بالتواني ... رئيسٌ نسل شيخٍ كان حامى

---

(1) بنو شهاب بن العاقل ، تقع بلادهم في ناحية بني مطر ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 135 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 1 ص 119 .

(*) قبل : « ولا قهر » في الأصل : والمعاصي ! .

على الأصل الصريح فلن يبالي … بأرضٍ لا ولا رضيَ المقاما
على سلم القرامط حيث حلّوا … لبل(*) غرباً تغرُبُ ثمّ شاما
ألستُم رأسَ كندة حيث حلّت … فحتّى ما الخمول كذا إلى ما
وما فضل الرجال على الغواني … إذا لزموا المنازلَ والخياما
ولم يك منهم نفعٌ وضرٌّ … ولم يُشْجُوا القرامطةَ اللئاما
وما فَضْلُ الحُسامِ على عصاةٍ(**) … إذا ما أنت أغمدْتَ الحُساما
وما تغني السهام إذا أقامت … ببطن كنانةٍ مُلئت سِهاما
ولم ينك العدوَّ بهنّ يوماً … لتذكرة الجبان بها الصداما
ورُبَّ كريهةٍ كُرهت وفيها … رشادٌ للعواقب لن تُلاما
إذا فَخَرَ الكرامُ بنو عليٍّ … بأقوالٍ فخرْتُ بكم تماما
تماماً للمفاخر والمعالي … فلا نصحوا على العَليا نياما
كذا الدنيا لَعَمْرُكُمُ كلامٌ … فكونوا اليوم أطيبَها كلاما
ولا تَذَروا القيام على الأعادي … فتُضحوا بعد فعلكم نداما
فإنّ الله يقلعهم قريباً … ويثقم الطغاةَ بنا انتقاما
وفي الله العظيم لكم وفينا … عواضٍ إنْ هُمُ صرموا الطعاما
وإن قطعوا الكروم وإن أبادوا … بلاداً سوف تنتظم انتظاما
وما لكم الغداة بنا اعتياضٌ … فخافوا الله لا جَنْباً وَيَاما
ولا سنحان أو نهداً أخاه … فسِلمُ القوم يكسبهم أثاما
وعاراً لا عدمْتُكُمُ مقيماً … ونقصاً في البرية وانثلاما
وليس اليوم مثلكم براضٍ … لدين الله أو لكم اهتضاما
وكلّ الناس باين ذا الأعادي … سواكم فانظروا ساماً وحاما
ولا ترضوا لأنفسكم بهذا … ونارُ الحرب تضطرِمُ اضطراما
ودوموا الدهر في عزٍّ عزيزٍ … من الرحمن ما أنشا الغَماما
وصلّى الله ما طلَعَتْ نُجومٌ … على مَنْ كان منتجَباً إماما

(*) كذا في الأصل ـ ولم نهتد لقراءتها .

(**) في الأصل : عصا .

[م ق 66ب] وعـتـرتـهُ الـكـرامُ ذوي الأيـادي   بـه وبـهـم هـدى الله الأنـامـا/

رجع الحديث إلى مكاتبة بني شهاب [1] :

قال : ثم إنّ الأمير ذا الشرفين كاتب بني شهاب وواطأهُم على ما ذكرْنا من جميع الأسباب ورسم عليهم وصول رهائن تكون عنده ، فبعثوا إليه من سلاطينهم بستة رجالٍ فأقاموا عنده على أحسن حال . ثمّ قدم السلطان عبد الباعث إلى حصن أرهم(*) وخرج إلى بلد بني شهاب تخرجاً فيه عظماءُ الدولة ورؤساؤُها وخيارُها فقصدوا إلى بيت يرام[2] وذلك في شهر شعبان سنة ستٍّ وستين وأربعمائة . وأجمع رأيُهُم على أن يقصدوا قرن عنتر ووقف فريقٌ منهم في بيت يرام وجماعة في قيفان . وتقدّم الشريف سنان الدولة إلى بيت بوس ثم أرسل أمير بني الصُّليحي المتسمّي بالمكرَّم مَنْ كان من سلاطينه أن يقدموا ، فلما حصلوا مجمعين بصنعاء خرجوا إلى حارّة بني شهاب فنهبوا الزروع وأكثروا الخراب ثمّ تقدّموا إلى قرن عنتر فأحاطوا به وعزموا على أخذ مَنْ فيه . فلمّا رأى ذلك مَنْ به من الشرفاء والمقدمات والسلاطين والعرفاء ؛ وكان اللواء والأمر لبهاء الدولة وحُسامها الحسن بن إبراهيم بن سليمان فعبّأ العسكر المنصور أثلاثاً فجعل الشريف ناصر الدولة وعزّها في ثُلُث وصيّر الشريف ليث الدولة وعضُدها في ثلث ، وصيّر نفسه في ثلث . وعبّأ الأمير المكرَّم عسكرَهُ على ثلاثة ألْويةٍ ، ولزِم أهل قرن عنتر كلٌّ تعبئته قاعداً حتّى ابتدأهم بنو الصُّليحي بالحملة ثم فاروا عليهم فجعل الله الطائلة لأوليائه والنصر على أعدائه فقُتل من عسكر بني الصُّليحي مَنْ قُتل من الرجال وأُخذت منهم خيلٌ وبغالٌ واستقام القتالُ إلى بعض النهار ثمّ انصرفوا رائحين فتبعهم سَرَعانُ العسكر المنصور بنقيل حدّة [3] فقُتل منهم ناسٌ وأقامت الفتنة في الحازة يغدون على القتال ويروحون وأغارت خيل

(*) أرهم أو أدهم .

(1) اللآلي المضية م 2/ص 174 ـ 175 ، وأنباء الزمن م 1/ص 164 .

(2) بيت يرام : قرية من عزلة شهاب الأعلى ناحية بني مطر . التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، جـ 2 ص 254 ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، جـ 1 ص 78 .

(3) حدة : قرية من ناحية سنحان على بعد 5 كم جنوب غرب صنعاء . خريطة ج. ع. ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1544C1 .

الأمير ذي الشرفين التي كانت في بلد بني شهاب حتّى وصلت الغيل ، غيل البرمكي[1] ، ووقع الحصار الشديد على صنعاء حتّى صار الحَبُّ عندهم على أغلى سعرٍ من ربع المدّ ومن ثمنٍ بدينار ، وصار لا يخرج لهم سرحٌ ولا مالٌ إلاّ أُخذ ولا رسولٌ إلاّ قُبض أو قُتل وجاعوا جوعاً شديداً كما قال بعضُ شعرائهم[2] :

أما لولا الحسين أتى سريعاً　　لكان خروجُنا منها سريعا

فكم من سيّدٍ بطلٍ هُمامٍ　　على باب المدينة مات جوعا

في شعرٍ له طويل لم يأت الحفظ على كلّه . قال : ولمّا اشتدّ عليهم الأمر أجمع رأيُهُم بعد أيامٍ أن خرجوا مجمعين إلى المعلل[3] من بلد بني شهاب لزرعٍ كان فيه حتّى حطّوا في بعض / نواحيه . فلمّا علم الأمير ذو الشرفين بنهوضهم أمدّ [م ق 67أ] أصحابه بعسكرٍ كثيرٍ عليهم السلطان أبو العشيرة ابن عبّاد فلزم بيت يرام وجرى بينهم قتالٌ كانت الطائلةُ فيه لعسكر ذي الشرفين . فلمّا رأوا ذلك راحوا خائبين : ﴿ **وقيل بُعْداً للقوم الظالمين** ﴾[4] .

رجع الحديث إلى كون الأمير ذي الشرفين بيناع[5] :

قال : ووصل الأمير ذو الشرفين إلى حصن يناع في شهر رجب سنة ستٍ وستين وأربعمائة فأقام به ستة أشهر ، وخرج في الشهر السابع وهو المحرَّم أول شهور سنة سبعٍ وستين . وكان سبب خروجه وانتشار ونزول السلاطين والمقدّمات من الحصون فساد العشائر . فأمّا عشائر المغرب فكان فسادهم بسبب العمّال واستلحاق الأموال وسوء السياسة والغفلة عن الأصل الذي ينبني عليه ، ومالت بهم الدنيا فلمّا

(1) غيل البرمكي من غيول صنعاء ، يسقى مزارع بيت معياد جنوبي صنعاء ومتابعه من بلاد سنحان . الحجري : مجموع بلدان اليمن ، جـ 1 ص 117 .

(2) نقلها صاحب اللآلي المضية م 2/ص 175 .

(3) المعلَّل بفتح الميم وسكون العين المهملة ثم لامين أولهما مفتوحة بأعلى جبل حضور (النبي شعيب) وهي من روافد وادي الخارد الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 157 ، 211 .

(4) سورة هود/44 .

(5) اللآلي المضية م 2/ص 175 ـ 176 ، وأنباء الزمن م 1/ص 164 ـ 165 .

صاروا إليه فقد صرنا في شَغَبٍ وهمّ . قال : ولمّا كان الأمر كذلك تراسل العشائر وتوامروا وتعاونوا على الفساد في جميع تلك البلاد . قال : وأمّا فسادُ أهل المشرق فاستمالهم بنو الصُّليحي بالطمع وزخرفت لهم الخدَع ، وتمسّ على عوامهم وطغامهم بذلك الشريف حسين بن أبي الفتح وأعانه بنو الصُّليحي بدفع الأموال . فلمّا قَضَوا وطراً أهانوه وأذالوه(*) وقطعوا عنه ما كانوا أنالوه وكان عاقبةُ أمره خُسْراً . قال : ثم إنّ الشريف الفاضل أعمل الرأيَ في خروج الأمير ذي الشرفين فكتب إليه رَقْعاً ملطّفاً مع رجلٍ عمري ثمّ أدرجه في شعر رأس الرسول وحثّه على سرعة الوصول . فلمّا وصل إلى الأمير ذي الشرفين عمل على الخروج لأن يقع الإجماعُ على مكاسرةٍ حيث استقروا فبينا هو على ذلك إذ عزّز الشريف الفاضل إليه بوصول الشريف ناصر الدولة وعزها الحسن بن إبراهيم والسلطان نشوان بن نشوان وعلاء بن أبي الخير بن مكرم . فلمّا وصلوا بالأمير ذي الشرفين ألقوا إليه ما أودعهم الشريف وتجهّز الأمير ذو الشرفين للخروج واستخلف على يناع ليث الدولة وعضُدها حميدان بن القاسم والسلطان محمد بن ورقاء بن الدِعام . وخرج لأيّامٍ مضت من شهر المحرَّم سنة سبعٍ وستين فأخذ طريق سهمان[1] حتّى صلّى صلاة الفجر بحاز ولقيه الشريف الفاضل من قرية حضور المصانع إلى ثلا ، وأمسى الشريف الفاضل والأمير ذو الشرفين بقرية ثلا فأرسل للمقدّمات وأهل الرأي . ووقع الإجماعُ من الكلّ على قصد بني الصُّليحي بالجنّات[2] ومكاسرتهم . فلمّا كان في الليل / أتى [م ق 67ب] الشريف الفاضل رجلان من أهل عرض مَسْوَر من مشايخهم فقالوا يا مولانا قد خالف أهل حملان وفسد جميع أهل تلك البلدان ، ونحن نريد أن تبدأ بطلوع مسور وتطأ تلك البلاد بهذا العسكر فكأنّه أصغى إلى كلامهما فأصبح وقد خلف عن

(*) كذا أيضاً في اللآلي المضية م 2/ص 175 .

(1) سهمان : حقل واسع ناحية البستان (بني مطر) . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 3 ص 437 .

(2) الجنات : قرية من عزلة عمران قضاء عمران محافظة صنعاء ، على بعد 3 كم شمال مدينة عمران وتقع ما بين : 05" 41′ 15° شمالاً ، 32" 56′ 43° شرقاً . التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، جـ 2 ص 318 ؛ خريطة ج. ع. ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543B4 .

مكاسرة بني الصُّليحي(1) . فلمّا كان من الغد أمر باجتماع العسكر ثمّ قال اعلموا أنه قد أصبح لنا عدوّان وأحدهما أقوى من الآخر وهم العشائر وبنو الصُّليحي ؛ ونحن نبدأ بمن خالف علينا ثم نعود لبني الصُّليحي . فكأنّ نفوسَ العسكر انكسرت لذلك لأنّ محبوبهم قصد بني الصُّليحي ونهض بهم الشريف والأمير على كُرْهٍ منهم .

روايةٌ عن الأمير ذي الشرفين رواها غير واحد

قال : كان يقول ما آسى إلّا على اثنتين إذا ذكرتُهما شرد عني المنام وغصّني الماء والطعام ! أحدهما أن أكونَ قصدْتُ بني الصُّليحي إلى الجنّات ، والأخرى أن لا أكون رتّبتُ لهم ترتيباً يوم وصولهم إلى أَقِر .

ذكر خروج الشريف الفاضل من مسور وما كان في يوم شَرِس(2)

قال : ولما عمل الشريف الفاضل على الخروج من مسور شاور السلطان الحسين بن المنصور على ذلك . وواثق بين بني المنتاب وبين شيعته المتخلفين على المحارس والأبواب إنّ أَمْرَهُم لَوَاحد وأنّه لا يصل إلى الشيعة مكروهٌ من أحدٍ من قريبٍ ولا بعيد . ثمّ أنهض آخِر يوم الثلاثاء فخرج باب الشروح متوجهاً إلى قيلاب(3) ومعه كثيرٌ من أصحابه وشيعته قد خرجوا بما خَفّ من أموالهم وخلّفوا ما كان بمسور من حريمهم كنّةً على العقد والذمام ومتابعةً لأمر الشريف الفاضل عليه السّلام فلمّا صاروا في بعض النقيل أُخذت لهم هنالك آبالٌ وأثقالٌ ثم يمموا على صوبهم حتى أصبح لهم بالموشرة يوم الربوع ربوع لا يدور وهو يوم المحاق من الشهر . فشبّ أهل المكان الصريخ وتلاحم القتال بين العسكر وبين أهل تلك الناحية ثمّ امتدّ الصريخُ في جميع ذلك الجناب وأخذ الشريف في الوادي وجعل القتال يلحمهم بين الجبلين والغواير تتبعهم من كلا الجانبين حتى انتهوا إلى

---

(1) في اللآلي المضية م 2/ص 175 : فأصبح وقد حال (عن) الرأي الأول .

(2) اللآلي المضية م 2/ص 176 ـ 177 .

(3) قيلاب : على وادي قيلاب ، وتقع على بعد 7 كم شمال شرق مسور ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543B3 .

الظهيرة[1] وقد استُشهد منهم جماعةٌ فيهم الشريف أبو هجري سليمان بن داود الرسّي ومحمد بن زيد الترحي ومحمد بن أبي الخير المالكي ويحيى بن أبي الخير الصريمي ومنصور بن الحسن الحبشي وزيد بن أبي العشيرة النعامي في جماعةٍ من المسلمين رحمةُ الله عليهم أجمعين ؛ فكان وصولُهم الظهيرة نصف النهار وكانوا [م ق 68أ] عاملين على أنّ أهل الظهيرة لا يهيجون لهم/بقتالٍ ولا يَعْرِضون لهم بحالٍ لما كانوا عليه من الصيانة والرعاية من الشريف الفاضل فقدم إليهم رجالٌ من أصحابه فواثقوهم وأعطوهم الأحفاد وعاهدوهم والشريفُ الفاضلُ مُدِلٌّ بالجميل الذي يتفضّل به عليهم فلم يلبثوا أن وقعوا في أصحابه وأخذوا شيئاً من ثَقَله ودوابّه وأخذوا خيل الرجالِ الذين كانوا تقدّموا إليهم وغدروا أشرّ غدرٍ وختروا أقبح خترٍ فقُتل من أصحاب الشريف الفاضل هنالك رجالٌ ولم يخلص منهم بمن بقي من أصحابه إلاّ بعد القتال الشديد وحمل عليهم أصحابُهُ فقتلوا رجلين وخلصوا منهم قهراً فخلص الشريف بأصحابه إلى وادٍ يقال له وادي الغير فحطّ نهاره هنالك ووصله إلى ذلك المكان رسولُ السلطان أبي الفتوح بن عليان يخبره باحتشار البلاد وما قد جرى فيها من الفساد فتحقق الشريف أنّ الطريق قد لُزمت عليه وأنه لم يبق له مجازٌ فيما بين يديه . فلما جنّه الليل أمر بإيقاد النيار ثمّ رفع من ساعته راجعاً على إثره حتّى سلك في وادي مور ثمّ أخذ طريق قاوية[2] فأوقع فيهم أهلُ تلك الناحية فقُتل من أصحابه رجالٌ وأُخذ منهم رجالٌ ثمّ مضى من فوره فيمن بقي من أصحابه بعد جهدٍ قد ناله وكلالٍ من دوابّه . فأمر بالمحطة في موضعٍ يقال له المرفق من أعلى وادي بينة وقد رتّب له هنالك قرىً وأجزار والله أعلم بصحة الأخبار أنهم أرادوا يشاغلوه إلى أن يُحْكِموا فيه وفي أصحابه الرأي فرفع فيمن بقي معه من أصحابه وأمر الخدم فانتهبوا ذلك القِرى ونهض حتّى خلص إلى أَقَر كأن لم يخلُص ! وَمَنَّ الله بسلامته إلى حين .

---

(1) الظهيرة : قرية من عزلة نيساء ناحية المغربة قضاء حجة ، ما بين وادي الحجرة ووادي أخرف شرقي وادي مور ، وتقع بين : 25" 53' 15° شمالاً ، 44" 35' 43° شرقاً . التقسيمات الإدارية لعام 1985 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1543B1 .

(2) قاوية : قرية من عزلة الحمارين ناحية الجميمة قضاء حجة . التعداد السكاني التعاوني لمحافظة حجة ، ص 92 .

ذكر الخبر عن غارة البَون[1]

قال : ثم إنّ الشريف الفاضل والأمير ذا الشرفين أجمع رأيهما على غارةٍ في البون فنهضا حتّى صارا بسهل بهمان ولقيهما من كان من أصحابهما إلى ذلك المكان . فنهضا ساريين حتى أصبح عليهما بناحية عجيب . وكان الشريف الفاضل لم يرد لأهل البون سوءاً لمكان ذعفان بن يحيى ومعمر بن العمري(*) لأنّهما كانا من جملته فوقف إلى أن أنار النهار ثمّ نهض إلى ناحيةٍ قريب من ريدة ولقيه ذعفان بن يحيى ومعمر ابن المعمري من عثار[2] ثم برز الأمير والشريف كل ناحية . وقال الشريف الفاضل لأصحاب الخيل : من كان مُعِدّاً فليبرز إلى الأمير ومن كان حاسراً فليبرز إليَّ ! فبرز إلى الأمير الأكثر . فلما عرف كُلٌّ مكانه تقدّم الأمير فركض بأصحابه مغيراً وتبعه الشريف الفاضل غير بعيد فركضت الخيل حتى بلغت إلى ضبر الغيل / وأحاطت الخيل بصلّيت[3] فكان غرضهم لزم أبي مسلم العمري وقبض [م ق 68ب] خدمٍ كانوا لأبي الحسين بن أبي الفتح عنده لأنّ البَون كان مصروفاً إليه في تلك الأيام فانهزم أبو مسلم فاراً على فرسه وعادت الخيل إلى بركة صليت فوقفوا هنالك ساعةً من النهار ما دخلوا داراً ولا كشفوا مَحْرَماً ولا لحق أحداً من أهل القرية بأس .

رجع الحديث إلى ذكر مخرج شظب الآخر وشهران[4]

قال : ثم إنّ أهل شظب لمّا خافوا سطوة الأمير ذي الشرفين خاطبوه على الطاعة وأن يأمر معهم والياً فخشي الخديعة فقال لهم : لستُ بفاعلٍ . ما سألتهم حتّى تجعلوا عندي رهائن منكم إلى ما أطأ البلادِ وأوطىء فيها أهل الفساد ففعلوا ذلك وجعلوا عنده الرهائن برأس شهارة وكاتب بذلك الشريف الفاضل وهو بالجوف

(*) في اللآلي المضية : العمري .

(1) اللآلي المضية م 2/ص 176 ـ 177 .

(2) عثار : قرية من عزلة ثلث ضحيان ناحية خارف قضاء خمر . التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، جـ 2 ص 415 .

(3) صليت بكسر الصاد المهملة وكسر اللام ، بلدة خربة في حقل البون . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 220 ، 303 جـ 3 .

(4) شهران : قرية من عزلة عيال يحيى ناحية جبل عيال يزيد قضاء عمران ؛ التقسيمات الإدارية لعام 1985 ؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، جـ 2 ص 308 .

فنهض من هنالك في خيلٍ ورجالٍ ونهض الأمير ذو الشرفين من شهارة حتّى انتهى إلى رحابة من وطن السبيع[1] ورتّبا من هنالك قسمة العسكر . فتقدّم الشريف ناصر الدولة وعزّها الحسن بن إبراهيم بمن معه فباتوا ليلتهم تلك سارين حتى طلعوا من شرقيّ الجبل من ناحية ذبيل ، وتقدّم الشريف الفاضل والأمير ذو الشرفين حتّى حطّا في بلاد بني صريم . فلمّا أصبح تقدّما إلى درب شهران من بلد الأقهوم[2] فأمرا بخرابه بعد تخليته من أهله . وسبب ذلك كون أبي حاشد بن أبي الجبل في جملة بني الصُّليحي بالعرافة والخدمة فخشيا أن يلزم هذا الحصن الذي هو شهران . ثمّ وصل العلم بأنّ أهل شظب والجبر وعشائر المغرب وثبوا على ناسٍ من أصحاب الشريف ناصر الدولة فقتلوهم في قريةٍ تحت ذروة الجبل . وكان الشريف في عسكره في رأس الجبل فنهض الأمير ذو الشرفين في عصابةٍ من الشيعة وافرةٍ وجماعةٍ من بني صريم مُمِدّاً لهم حتّى طلع إليهم فلم يلحق من تلك العشائر أحد وانهزموا إلى بلد الجبر . فلمّا رآهم أصحاب الأمير في مصنعة بني حبشي رَأيَ العين وانحدروا إليهم انحدارَ السيل فولّوا منهزمين لا يلوي أولهم على آخِرهم . فأمر عليه السّلام بمصنعة بني حبشي فخُرّبت ثمّ استعاد إلى رأس شظب فأمر الشريف ناصر الدولة وعزّها بالوقوف بالناحية واستعاد فأمسى بثراب من بلد بني عبد[3] ثمّ التقى هو والشريف الفاضل إلى القصر الأسود ثم طلعا ذروةً فأمرا إليها برفع الحبوب ورتّبا فيها الشريف ليث الدولة وعضدها ، ثم استعاد كُلٌّ إلى ناحيته .

ذكر الخبر عن قصة عَمران[4]

[م ق 69أ] قال : ولما كان سنة ثمانٍ / وستين وأربعمائة سنة وتخلّي من الحصون الشرفاء والسلاطين وصاروا إلى مستقرّ عِزّهم بشهارة رأى الشريف الفاضل عليه السّلام

---

(1) السَّبِيع : بفتح السين وكسر الباء : قبيلة من حاشد من ولد السبيع بن السبيع . . . ابن مالك بن جشم بن حاشد . والسبيع من قرى عزلة بني قيس ناحية خمر ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 3 ص 415 ـ 416 ؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، جـ 1 ص 66 .

(2) الأقهوم وهي الأكهوم : عزلة من ناحية جبل عيال يزيد قضاء عمران ؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء ، جـ 2 ص 302 ـ 303 .

(3) بني عبد : عزلة من ناحية عيال سريح قضاء عمران ؛ التوزيع السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، جـ 2 ص 485 .

(4) اللآلي المضية م 2/ص 177 ـ 178 ، وأنباء الزمن م 1/ص 166 ، وغاية الأماني 1/268 .

الإقامة بخيله وحريمه في وادي بني الدِعام والهجرة منه بناحية عمران وعلى أنه يعين فيها زراعة ويجلب منها للمسلمين والإسلام نفاعة ، ويَرُدُّ غيل الخارد على قديمه وتشاور والأميرَ الأجلَّ ذا الشرفين على ذلك فأجابه إلى ما رام ولم يكن يرى مخالفته في فعلٍ ولا كلامٍ ؛ ثمّ جمع جميع العمال ، ومَنْ طمع بمعونته بشيءٍ من المال فارتسم كُلٌّ منهم من المعونة واحتمل كلّ ما يقدر عليه < من > المؤونة وعقدوا له في ذلك عقوداً وأعطَوه على ذلك خطوطاً وعهوداً ثمّ أرسل لمقدّماتِ نِهم وبني الدعام فلقيوه إلى الثلوث وقد صار أولاده بناحية حوث فعاهدهم على المحلّ والجوار وأخذ منهم العقود والأخفار مع الأَيمان المؤكَّدة والعقود المشددة ونزلوا به مجمعين حتى صاروا بالباطنة فجمع عليه السّلام السلاطين الدعاميين ومشائخ النهميين ، فأقبض النهميين خطام الجَمَل الذي عليه الحريم تأكيداً للجيار وتغليظاً للذمّة والأخفار .

وأقبض السلاطين الدعاميين خِطام الجمل الذي عليه حريم ولده الشريف محمد بن القاسم . فمضى كُلٌّ منهم بجاره إلى داره فلبث أياماً ثم شاورهم على مزرعة عمران والقيام بذلك المكان وكان قديم هذه المزرعة فيما ذكروا ـ والله أعلم ـ لقومٍ يقال لهم : بنو نشق ؛ كان الدعام قد زرعها في أيـامه وزُرعت أيضـاً في أيام النـاصر عليه السّلام وأُحضرت في ذلك شيمٌ قديمةٌ . قال : ثمّ نهض عليه السّـلام فقسم المزرعة ثلاثة أقسام فجعل لِنِهم ثلثاً وثلثاً لبني نشق وبني الدِعام وجعل له ولصنوه الأمير ذي الشرفين ثلثاً وأعطى كلاً من شيعته وأصحابه مواضع إلى ناحيته . قال : وأمسى هنالك وقد كره بعض من لا يؤبه له من نهم ذلك فأوقـدوا على ناحيـةٍ من الجبال ناراً وجعلوا ذلك للفساد شعاراً . قال ؛ فلمّا صلى العِشاء الآخرة أرسل لبني الدِعام ثم قال لهم : أنا أشتهي أعلم ما عندكم لي وما معي منكم ! فقالوا : نحن عندك وبين يديك ! قال : قد أَبْنتُ وجهي في هذا المكان ولستُ بمفارقِهِ آخِرَ الزمان وقد عملْتُ فيه على المحلّ والإقامة فإن جرى عليَّ حالٍ لم آو لآل القاسـم أن يطلبوا بدمي إلى يوم القيامة ! ثمّ صار بحريمه عليه السّلام إلى عمران وانتقل معه مَنْ له من الشيعة والجيـران[1] ، وحلّ بحلولـه رجالٌ من النِهميين من جميـع بلادهم

---

(1) كذا في الأصل . وفي اللآلي المضية م 2/ص 177 : وانتقل معه من كان معه من الشيعة وحلّ . . الخ .

بأهاليهم وأموالهم واستقبل عليه السّلام عمارة الساقية والدرب فتمّ عملُ الساقية وبلغ في الدرب إلى أن استقلّت / فيه الأبنية وبوَّبَ البابَ ، وتمّت عمارة دارٍ فيه فأخذ فيها أولاده . وكان هذا الصرم الذي معه يجري عليهم النفقات ويدرّ لهم الكفايات فيقرون صيفانهم من عنده يُعِدُّ إليهم[1] الدقيق ويؤْثِرُهُم على الصاحب والرفيق ويدفع من عنده ثمن الذبائح ، ويُجْري لهم جميع المصالح ، وكانت لَعَمْرُ الله أفعالُهُم فيهم جميلة . ثمّ استقبل عمل الودين فجمع فيه بقر الجوف مع بقر المزرعة وبقر خيوان أرسل لها الشريف الأجل بهاء الدولة وحسامها فعملت فيه أياماً حتّى كاد الماء أن يطلع وهو من الدرب على زهاء ميلٍ أو أقلّ منه بقليل . [م ق 69ب]

قال مفرِّح بن أحمد ؛ قلتُ له يوماً : يا مولانا ! لو أشرفْتَ على أولادك فإنّهم مرضى لا غنى لهم عن افتقادك ! فقال : إنّي قد آليتُ على نفسي أني لا أُفارقُ هذا الموضع حتّى يطلع هذا الماء ! قال : فلمّا كان من النصف من شهر صفر سنة ثمانٍ وستين تحدَّثْتُ معه عليه السّلام في بعض شأني وقلتُ له : يا مولانا ! إني لم أقف معك في هذا الموضع رغبةً في زراعةٍ إلاّ طَلَباً لسرورك واتّباعاً لك في جميع أمورك ! فقال : يا أبا فلان ! إنّ صاحبي إذا زهد فيما رغبتُ فيه عتبتُ عليه فأول ما تفعل فتجعلني بِحِلٍّ في الغفلة والنسيان وتعلم أني أرعى الناس لصحبةِ الصاحب وأعْرَفهم بما يكون له من الحق الواجب إلا أني ربما أدللْتُ عليه فلم أؤدِّ في بعض الأوقات ما يجب له إليه ؛ وَرِطْتُ في هذا المكان ووعدني جماعةٌ من الإخوان فأخلفوا بما وعدوه ولم يتمّوا لي بما عقدوه إلاّ ما كان من مولانا الأمير فإنّه يُحِبُّ مُتابعتي في جميع الأمور ولقد بلغني من بعضهم كتابٌ فيه جفوةٌ وخطابٌ ما ينبغي أن يكونَ من أهل المروءة ؛ فكيف يا أهل الدين والأُخُـوّة؟! فهممتُ أن أُدبّجه إلى مولانا الأمير فخشيتُ أن يجري بعضُ ما أكرهُهُ من الأمور ! قال مفرِّح بن أحمد : فأَبْثَثني كثيراً من أسراره وأخبرني بعجيب من أخبارهم وأخباره وعملْتُ في ذلك شعراً على لسانه فلمّا أنشدْتُهُ قبضه وطواه وقال إذا اجتمعنا يوماً من الزمان أنشدْتَهُ لي / <أمام>(*) جميع الشرفاء والإخْوان؛ وهو هذا الشعر :

(*) زيادة من المحققين .

(1) في اللآلي المضية م 2/ص 178 : يعدُّ لهم .

أسادات الملا من آل رسٍ — وشيعتنا بأقطار البلاد
ألستم تعلمون سعاي فيما — يعزّكم بجدّي واجتهادي
وصبري في حوائجكم وبَذْلي — لكم دوني جميع المستفاد
وإيثاري على ولدي ونفسي — لأهل محبّتي وذوي ودادي/ [م ق 70أ]
ولم أدخر سوى سيفٍ ورمحٍ — وسابغةٍ ومفتَرَعٍ جوادِ
لقد ناديتُكُم فخذلتُموني — ولم أكُ خاذلاً منكم مُنادي
دعوتُكُمُ إلى شرفٍ ومجدٍ — ومهتَجَرٍ ومحتَضَرٍ وبادي
ومعكر منعةٍ ورباطَ خيلٍ — وعُمْرٍ فيِّضٍ وقرار وادي
فكم من باخلٍ عني بمالٍ — لديه من طريفٍ أو تِلادِ
ومضطغِنٍ عليَّ على عتوبٍ — تجنّاها لدى النُّوَبِ الشِّدادِ
وقد أكسبْتُهُ مالاً وعِزًّا — أثيلاً في الحواضر والبوادي
ومرتفقاً لدى أهلٍ ومالٍ — وأمناً عن مُعاولة الأعادي
وذي عيشٍ خفيضٍ واغتماضٍ — لليل التِمّ أجمع في المهادِ
ولو غمضت عن الأعداء عيني — تمنّى بعدها طَعْمَ الرُّقادِ
وذاق العيش مراً بعد حُلْوٍ — وعاين بعد موتي ما أُصادي
ستفقدني القبائلُ من مَعَدٍّ — وتعرفُ حين تفتقدُ افتقادي
ويعلمُ أقرب الثَّقَلينِ مني — وَمَنْ عاشرْتُ من أهل البعادِ
مكاني حين يقبض من تولّى — مكانَ يدي على خَرْطِ القَتادِ
إذا ما لم يسدّ مكان سدّي — له غيري سوايَ من العِبادِ
ألا لله دمّ الشيخ هاني — ببيت الشعر في سَلَفي مُرادِ(1)
< أضاعوني وأيّ فتًى أضاعوا >(2) — فتًى فتحٍ لثغرٍ أو سَداد
فإن لم يرع حقّي فاحفظوني — ليومٍ فيه وَجْهُ الشرّ بادي

---

(1) ربما أراد بيت عمرو بن معدي كرب :
أريد حياته ويريد موتي — عذيرك من خليلك من مُرادِ
(2) تضمينٌ من بيتٍ للشاعر العرجي :
أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا — ليوم كريهةٍ وسداد ثغرِ

إلـى خِـلٍّ يُكـاتـبُنـي فـيُـوري   بِـغِـلْظَتـه الـزِنـادَ عـلى ا الـزِنـادِ
يُـغـاطـيـنـي سـواداً فـي بـيـاضٍ   يـروِّيـنـي الـبـيـاض عـلى الـسـوادِ
حـسـيـب الـكـلِّ هـذا الله فـيـمـا   تـولّـى مـن فـعـالٍ واعـتـقـادِ

قال : ولمّا كان في ليلة الثُلاثاء صبيحة الوقعة جمع أصحابه وقال : يا أصحابَنا ! لم أر مثل ما نحن فيه من الغفلة ! لقد أرسلنا أيدينا بالأشياء كلّها جملةً لا حراسةَ ولا عساسةَ فإذا كان من الغد إن شاء الله لم يغب أحدٌ منا من مجلسه ؛ وكان شادّاً بسلاحه على فرسه ؛ فلمّا أصبح مضى كُلٌّ منهم في نية وأصبح قد نسي تلك الوصية ونالته / عليه السّلام جناية(*) . [م ق 70أ]

فلما أشرقت الشمس سار معه بعض أصحابه إلى جانب الوادي فاغتسل وأمر بغسل ثيابه ولبس ثياب صلاته وأُتي له بثوبٍ لطيف من أداته فبينا هو بين يديه إذ أشرف الغَدَرةُ والفَجَرةُ الكَفَرةُ عليه فردّوا عليه السّلام فرحَّب بهم وقام وتحاموه في تلك الساعة فلم يُقْدِمْ عليه أحدٌ حتّى ضربه رجلٌ يقال له جابر بن عزيز لعنه الله بعصاً كانت في يده ؛ وقال : إضربوا شريفكم يا بِيضَ الأعناق ! فضربوه لعنهم الله وأخزاهم، ما كان أكفرهم وأرداهم! وقاتل دونه رجلٌ ترفى(**) يقال له محمد بن الحسين حتّى قُتل رحمةُ الله عليه ، وأُصيب دونه أبو القاسم بن محمد المالكي بضرباتٍ ، وقُتل الشريفُ القاسم بن إبراهيم في ناحيةٍ غير بعيدٍ رحمةُ الله عليهما جميعاً ، وثبتوا للدرب فنهبوه وللحريم فسلبوه ، وانتهبوا الخيل والسلاح والسيوف والرماح . وكان الشريف الطاهر العفيف محمد بن القاسم في الدرب وكرِه أن يولّي ويخلّي الحريم فلم يزالوا يخدعونه ويبذلون له ولحريمه الصيانة وفي أنفسهم ـ لعنهم اللّهُ ـ الغَدْرُ والخيانةُ حتّى آستمسكوا منه وأخذوا فرسه وسلاحه ومَضَوا به وبحريمه إلى أهاليهم فأمسَوا عندهم ليلتهم تلك على أسوأ حال وتبعهم في تلك الليلة الجحّافُ بنُ منيع ونباتة بن ربيع الدِعاميين فأخذوا منهم الشريف وحريمه إلى قرية عرق . قال : وكانت مواد بني الدِعام وصلت إلى الواديين فحملوا الشريفين

(*) كذا في الأصل .

(**) كذا في الأصل ، وليست في اللآلي المضية .

عليهما السّلام حتّى قُبِرا في حرث(*) الحسن بن الدِعام . قال : فلمّا اتصل بالأمير ذي الشرفين عليه السّلام قَتْلُ الشريفين كتب كتاباً إلى كافّة العشائر من وادعة وسفيان وإلى مَنْ كان من أهل محبّته من جميع البلدان وفرّقه نُسَخاً ؛ وهذه نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم . كتابي إليكم يا إخوتي وسادتي الأعِزّاء لديّ أطال الله بقاءكم وتابع نعماءكم وحصّن حماكم وكفاكم ووقاكم ولا أراني ما ساءكم عند وصول الخبر المهيل والخطب العظيم الجليل والأمر الفظيع والنازل المؤلم الفجيع الباهظ المُذْهِل الشنيع ما كان من غدر الكَفَرة الفجرة الأرجاس الأنجاس الملاعين الغَدَرة بتلك الشيبة التقية الطاهرة المطهَّرة فأَحْسَنَ يا إخوتي وسادتي عزاكم بالسيد الفاضل البَرِّ الكريم الواصل الزكيّ الطاهر الكامل مولانا ومالكنا . كان القاسم بن جعفر بن الإمام القاسم بن علي رضي الله عنهم ، كهف الأنام وعمود الدين والإسلام وغياث ذوي الإعدام وأبو الأيتام وواصل الأرحام ، ووليّ ذي الجلال والإكرام ، وناصر الدين ومجاهد المعتدين / وقدوة المهتدين وأنصح قرينٍ [م ق 71أ] وخدين . فلقد جلّ وعظُم مُصابه وفَجَعَ وأُوجع ذَهابُهُ فخلّفَ الله علينا وعليكم بأحسن الخلف ، وعلى العادين به والواقفين فيه بالهلاك والتلف ، وإلى الله جلّ وعلا وإليكم يا إخوتي وسادتي أشكو فعل هؤلاء الأنجاس العَذَرة الفَجَرة الأرجاس أشرّ وأخبث مَنْ علمْتُ من جميع الناس ؛ نِهم لعن الله نِهماً ، وأنزل عليهم النقمة العظمي ، وسفك بسيف انتقامه منهم الدماء ، وأباح بقدرته ما يحوطونه من الحمى فلقد أسخطوا الله وأهل السماء بهذا الفعل الشانع والغدر الصريح الشائع والاجتراء العظيم الفاجع ؛ وهو قَدَّسَ اللّهُ روحه ونَوَّر ضريحَهُ إليهم آمن وإليهم في حاله واكن ، وبينهم بنفسه وأهله وولده ساكن . قد جعلهم ذخيرةً ، واختارهم على كلّ العشيرة ، وآثرهم بالعطايا الجزيلة ، وحمل عنهم من الأثقال كلَّ صغيرةٍ وكبيرة . يراهم له أهلاً ولا يحترز منهم ليلاً ولا نهاراً أصلاً ، ولا يسمع من قائلٍ فيهم قولاً . أعطوه على النصيحة المواثيق والأيمان المؤكّدة ، والعهود اللوازم المشدَّدة . فلمّا اشتدّ أمانه وعظُم إليهم أركانه وبَعُدَتْ منهم أنصارُه وأعوانُه ، وأصبح في

(*) في اللآلي المضية : حرف !

وسطهم وظهرانيهم مكانه ، غدروا به أقبح غَدْرٍ ، وختروا في أمره أقبح خَتْرٍ ، وأتوافيه أشنع أمرٍ ؛ فيا لَلْعرب الكرام ، وأهل الوفاء والتمام ويا لكافّة أهل الإسلام : أيُفْعَلُ مثلُ هذا الفعل العظيم ، ويحدُثُ مثل هذا الحادث الجسيم على سيّد بني هاشم وشيخ أولاد إمامكم القاسم ، والمُحامي عليكم والمجاهد القائم ، والدافع بمهجته عنكم جميع العظائم ، ولا يكون منكم أَنَفةٌ ولا حَميَّةٌ ولا نكف ؟! ما أظنكم تفعلون ولا بذلك ترضَون . أما والله لئن لم يغضب العرب في هذا الطاهر التقيّ الذي قد ذهب ليحلنّ بهم من الله السخط والغضب ، وليصبّنّ عليهم النقم ، وليزيلنّ عنهم النِّعم ، وليستظهرنّ عليهم الأعداء ، وليفعلنّ بهم الردى ، وليقصدنّ بالمصائب والنوائب قصداً . ألَا إنّه كان لأهل اليمن أماناً وبركةً من الله وإحساناً ، وضياءً لهم ونوراً وبرهاناً ، وستراً صواناً ؛ فقتله الأشرار ظلماً وعدواناً ، وجرأةً على الله ومبارزةً له وعصياناً وأَشَراً وبَطَراً وطغياناً . فبالله جلت قدرته وبالعرب الكرام أوتاد البلاد وسراة العباد أستعينُ وإليه وإليهم أُنادي وأُشير وبه وبهم أستعين عند هذا الناجم الكبير . ولستم تجهلون يا كافّة وادعة ما بيننا وبينكم من الأمور في القديم والحديث

[م ق 71ب] من الدهور وما قد تضمنته منا ومنكم الصدور من الوداد الأكيد / والعهد الشديد مع قديم الجيار والمشاركة في النافع والضارّ ، واختلاط الكبار منا ومنكم والصغار . وإنكم بالحقيقة لنا أعوانٌ وأنصارٌ ولا نذكر منكم إلّا جميلاً ولا أُوليتم الأوَّلَ والآخِر منّا إلّا نبيلاً . وقد نجم هذا الناجم وجرت هذه العظيمة التي هي من أعظم العظائم التي تُعْقِبُ مَنْ فعلها ورضي بها عاراً وناراً وهلاكاً كبيراً ودماراً ، وشراً وتنكيداً وغياراً ! فرأيتُ عند ذلك اعتهادكم ، وأَخْذ ما عندكم في هذا وافتقادكم والعزاء لكم لعلّي بمشاركتكم فيما حلا ومَرَّ ونفع وضَرَّ وظنّي بكم فجميلٌ وأنا عليكم كثير التعويل فكونوا عند الظنّ بكم وجدِّدوا فعلكم المستحسَن بالمسارعة إلى نصري والمؤازرة لي في أمري . والسلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاته وصلّى الله على محمدٍ وأهله وسلَّم تسليماً .

من قصة أبي النار بن عليان الدعامي لعنه الله

ومما كان الشريف الفاضلُ ينيله من الجميل ويفعلُهُ معه من الفَعال النبيل يعطيه الخيل والأموال ، ويكسي له الحريم والعيال وكذلك جميع مَنْ سعى في قَتْله على

هذا المثال فآختاروا النارَ والعارَ وغضب الجبّار على العطايا السنيّة وطِيب الجوار فَعَلَتْهُمْ لعنةُ الله ولعنةُ اللاعنين ولعنةُ الملائكة والناس أجمعين . قال مفرِّح بن أحمد يرثيه عليه السّلام :

أقول لعينيَّ آبكيا إنْ بكيتُما ... دماً لا دموعاً وآسقِيا قبرَ قاسِمِ
وَبُلّا الثرى إن كان في بَلِّهِ الشِّفا ... وهل يشتفي ولهانُ شاجٍ بساجمِ
وقولا له ضاع الحمى بعدما ثوى ... وأفطر في أصحابه كُلُّ صائمِ
وذُقْنا هناة الذُلِّ والضَّيمِ بعده ... وجاء إلينا بعده كُلُّ ظالمِ
وقد كان مُخْشنّاً عزيزاً جوارُهُ ... يُحامي ولا يُغضي على ترك لازمِ
أصابت به الإسلامَ صمّاءُ صَيْلَمٌ ... وسُدّتْ به سُبْلُ العُلا والمكارمِ
وضاعف وجدي حين غيل ولم يَمُتْ ... بِسُمْرِ القنا في المأقَط المتلاحِمِ
ولم تعترك خيلٌ بخيل ولم تَعُدْ ... سَوَاهِمُ مُدْمَاةُ الكُلى من سَوَاهِمِ
ولم تُخضب البيض المواضي له دماً ... ولم تَحضر الساداتُ من آل قاسِمِ
مداعيسُ طعّانون في حَومة الوغى ... كبار الحيا فيها كبار العمائم / [م ق 72أ]
يَعِزُّ على أنصاره وحُماته ... بمصرع جنب الشيخ من آلِ هاشم
وذو الشرفين الملك الأوحد خيله ... قيام على أطوالها في المعالم
ولو وردت من دونه شُرَّع القنا ... إذا كان < . . . >(*) مسلم غير سالمِ
وخاضوا غمار الموت من دون حتفه ... بِسُمْرِ القنا والمرهَفات الصوارمِ
ولكن فما هدا(**) من الغدر خطّةٌ ... ووافى إلينا في ثياب المسالم
<ولكن تجبَّر عليه>(***) الغادرون وأقذعوا ... والامبابان(****) قد حاربوا غير نائم
عليه لهم يومٌ عَبوسٌ عصبصبٌ ... يدوم بمحذورٍ من الشَرّ قائمِ
وإن يمدد الجُرْدَ المذاكي إليهم ... مَعيناً ترامى شُرّعاً في الشكائم

وله أيضاً من مرثيةٍ في يوم الفطر في رمضان :

(*) بياض في الأصل .

(**) كذا في الأصل بخطٍّ مختلف .

(***) ما بين الحاصرتين في الأصل بخط مختلف .

(****) كذا في الأصل ، ولم نستطع قراءتها .

ـر القبرين يوم الفطر وآذكُرْ ... بيوم الفطر يومَك بالوَدِينِ
وقُمْ فاستعرض النسناسَ جمعاً ... تجد لا أهل لا دنيا ودينِ
غفولاً من معادِهِمُ غفولاً ... عن النكبات في قتل الأمينِ
تجد في الناس أكثرهم شريكاً ... براضٍ أو خذولٍ أو مُعينِ
بعين الله ما فعلَتْهُ نِهمٌ ... بسيِّدها ومعقلها الحصينِ
وما باعت من الحظِّ المُوَفَّى ... المُوفَّر منه بالحظِّ الغَبينِ
بعين الله شَيبتُهُ وجلّت ... تخضّبها العدا بدم الجبينِ
لقد لحص ابن ثعلب سَدَّ ثغرٍ ... أَقَرَّ به سخينات العيونِ
وأشجى أعْيُناً سرَّت وقرَّت ... بدولته المُزيلة للمجونِ
أبعد أبي محمَّدٍ المُرَجَّى ... لجَدْوى أو لدنيا أو لدينِ
أبو الحرب التي عَرَفَتْهُ بِكْراً ... يَروقُ شهيُّه غَضَّ الجَبينِ
وصاحبها عواناً حيث شابت ... وأعرض دونها جَمْعُ البنينِ
وقطب مدار كلكلها المشبَّى ... ذؤابته وطاحون الطحينِ
وأيّ مشير شيعته شنون ... على الأعدا ومحراب الفتونِ
وأيّ ثِمال معتصمٍ رهيقٍ ... يلوث يديه بالحبل المتينِ
[م ف 72ب] وأيّ مفرّقٍ لصدور مالٍ ... وأيّ مجمِّعٍ لِعدى عَرينِ/
أيا يوم الودين ويوم بانَتْ ... من اليَمَنِ الشمالُ مع اليمينِ
< ويا يوم الودينَ بَعُدْت كم ذا ... يفورُ عليكَ من قلبٍ حَزين >(*)
أضاربَ ذي العصا شُلّتْ وبانت ... يمينُكَ حين تضربُ باليمينِ
وأشقى من قُدارٍ في ثمودٍ ... وألعن جيش إبليس اللعينِ
مددتُ يداً يد الماضي عليها ... وهان عليك أمرٌ من غير هُونِ
فجلَّح ثجثج الغيثِ الهَتونِ ... وغَيَّضَ فَيِّضَ الماءِ المَعينِ

وله أيضاً من مراثيه في شهر رمضان :

يذكّرني بمن سلف الصيامُ ... وشجوي كُلَّما سُرَّ الأنامُ

(*) لخص : كذا في الأصل .

أشهرَ الصوم أنت على رجالٍ ... حلالُ الخير فيكَ لهم حرامُ
فليس لهم وإن صلّوا صلاةً ... وليس لهم وإن صاموا صيامُ
غفولٌ عن عقوبةِ ما اجتَنَوْه ... نيامٌ عن عيونٍ لا تنامُ
وللنَّكَبات بينهم عيونٌ ... تراهم كلّما دامت وداموا
تلاحظ معشراً غدروا وخانوا ... بجار حلالهم وطَغَوا ولاموا
وجاءوا بالنكير وما تنتْهم ... مطانبةُ البيوت ولا الذمامُ
أذى الملكوت حِلْمُكَ عن مُسيءٍ ... لعلمك أنّ قُوتَكَ لا يُرامُ
ونحن لعجزنا نشكو قلوباً ... لها من ظُلْمِ ظالمها اضطِّرامُ
ألست تبارك اسمُكَ في ثمودٍ ... على عجما دعتْكَ لها ثُغامُ
نصرت وصالح فيها عليها ... على أنْ سامها القومُ الطَغَامُ
فما أجَّلتها إلّا ثلاثاً ... وصبّحها عذابٌ وانتقامُ
وذا ابن نبيّك الطُّهر المصفّى ... وهذي ذاقةُ عجماً سَوَامُ
فصبّتْهم بدعوته وأفنى ... بأيديهم بقيَّتَهُ الحُسامُ
أسيِّدَ هاشمٍ حُزْتَ المرازي ... ونابتْنا بك النُوَبُ العِظامُ
أتسمعُ إن شكوتُ إليك بَثّي ... فتبلُغَني عوائدُكَ الجِسامُ
وتذكر يوم بير الدرب منّا ... ويوم جرى لعمرانَ الكلامُ
ظُلمنا بعد موتك واهتُضمنا ... وقدماً كان جارُك لا يُضامُ
وكنت فكان جارك مستقراً ... على كيدٍ منيعٍ لا يُرامُ/ [م ق 173أ]
بعيد الغور مجتنب المُحامي ... نسوم الخسف فيه ولا نُسَام

وله أيضاً من مراثيه عليه السّلام :

يوم الودين لقد تركتَ الدِّينا ... واهي العماد فلا سُقيتَ وَدينا
وتركتني بتجرُّع الغُصص التي ... سقّيتَني طولَ الزمان حزينا
لا(*) دَرَّ دَرّك من نهارٍ كالحٍ ... غادرْتَ حظُّ المسلمين غَبِينا
غدر الطُّغاةُ بقاسمٍ وبقاسمٍ ... والغدر كان به الغَدورُ قَمينا

(*) في الأصل : يادر ـ والتصحيح فوق السطر .

سـامى وجـاورهم وأجـزل في العـطا ... وسقـاهم بـعـد الـيـمـين يـمـيـنـا
كـفـروا أيـاديـه الجـسـام وأنْعُـمَـاً ... بـيضـاً أمتَنَ حـيـاتـهـم وحـيـيـنـا
بـسـطوا إلى رأسٍ لـو آنَّ مـقـبّـلاً ... حيّـاه تـقـبـيـلاً لـكـان مـكـيـنـا
قـتـلوا بـمـقـتـله الـمـكـارمَ والـعُـلا ... والـجـود والـدنيـا مـعـاً والـديـنـا
قـتـلوه واحـد عـصـره وبـقـتـلـه ... قـتـلوا ألـوفـاً جَـمّـةً ومئـيـنـا
صلّى الإلٓـهُ على قـتيـلٍ صـار بـالـ ... ـحصن المُقَـدَّسِ في التُّـراب دَفينـا

قال[1] : ولمّا كان في النصف من جُمادى الآخرة من شهور سنة تسعٍ وستين وأربعمائة رسم الأمير الأجلّ ذو الشرفين مخرجاً ، وأنهض الشرفاء والسلاطين والعرفاء لجمع الديوان فجمعوا عسكراً كثيراً . وكان بادىء أمر المشورة فيه أنه مخرجٌ إلى الشرف ونواحيه . فلمّا رأوا كثرة العسكر أجمع رأيهم على أن يسألوا الأمير النزول إليهم ليخرج بهم ، وعلم أنه لا يضمّ العسكر الكثيرة ولا يجمعهم لكثرتهم إلاّ أمره فانهضوا إليه ليث الدولة وعضُدها حُميدان بن القاسم ونهض معه < الحسن >(*) بن واقد والحسين بن إبراهيم بن يعقوب فاجتمعوا إليه وحقّقوا الأمر له فأجمع رأيُهُ على النزول فنزل إلى أَقَر فلمّا فرغ العسكر المنصور من السّلام جمع الشرفاء والمقدمات فشاورهم على المخرج أين يكون فأجمع رأيُهُم على الخروج إلى الشرف وكان قد عقد على نفسه أو حلف أنّه لا يخرج مخرجاً حتّى يخرج إلى الجوف الأسفل ولم يكن علم أحدٌ من الجماعة بالخروج إلى الجوف إلاّ الشريف الأجلّ سنان الدولة والسلطان الحسين بن إبراهيم . فلما رأى الأمير عليه السّلام شهوة الجماعة لخروج الشَّرَف قال لهم : إذا كان غداً إن شاء الله شرحْتُ على الناس وقدمتم أنتم وهم ، وعزم على الوقوف . فٱلتقى من الشرفاء والمقدّمات رجالٌ فقالوا / : إنّ مولانا ليس غرضه إلاّ الجوف فشاوروا الشريف ناصر الدولة فقال : إذا [م ق 73 ب] كان إرادة مولانا ذلك فأنا أَحَثُّ الناس إلى ما هنالك ! فتقدموا إلى الأمير بخبر الشريف فأجمع رأيُ الكلِّ على الخروج إلى الجوف .

قال : ولمّا عزم الأمير ذو الشرفين على الخروج إلى الجوف مخرجه الأول

(1) اللآلي المضية م 2/ص 179 ـ 180 .
(*) بياض في الأصل . والإضافة استناداً إلى ما سبق من ذكر للرجل باسمه الكامل .

الذي حمل فيه الشريفين كتب كتاباً بخطّ يده المباركة وجعله في بعض مخازنه . فلمّا تُوُفّي وصار الأمر إلى الأمير عمدة الإسلام وأمر بتأليف السيرة ؛ استخرجْتُ هذه الوصيةَ المذكورة في شهر رجب سنة خمس وثمانين وأربعمائة ؛ فأثبتُّ صدوراً منها مما لا غنى عن إثباته ، وأغفل ما كان يختصُّ به هو في ذاته . وهذه نُسْخَتُها :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله كثيراً ، كتب محمَّد بن جعفر بن الإمام القاسم بن علي هذا الكتاب يوم الجُمُعة لخمسة عشر مضت من جُمادى الأولى من شهور سنة ثمانٍ وستين وأربعمائة .

وهو يشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له شهادةَ عبدٍ مُقِرٍّ بربوبيته معتقدٍ لإلّهيته ، ويشهد أن محمداً عبده ورسوله ورضيه وصفوته من بريته شهادة من صدق بنبوته و < تقرّب >(*) إلى الله بمحبته ، وأشهد أنّ وَعْدَ الله ووعيده حقٌّ وقوله سبحانه صِدْق ، وأنه عَدْلٌ في حكمه رءوفٌ بجميع خَلْقه ، ويشهدُ أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلواتُ الله عليه كان خيرَ البريّة بعد نبيّها صلّى الله عليه وعلى أهله ، وأَولاهم بمقام الرسول وأبرعهم علماً وأكثرهم حلماً وأطوعهم لربه وأبذلهم في سبيل الله لنفسه وأكملهم في جميع صفاته . ويشهد بإمامة ولديه السبطين الإمامين الكريمين الحسن والحسين ابني الرسول وسليلَي البتول وأنّ الإمامة من بعدهما فيمن طاب من ذريتهما وآحتذى بحذوهما ، وكان في جميع صفاته كهما . ويشهد أنّ الحُسين بن القاسم بن علي المهدي لدين الله الذي بَشّرَ به على لسان رسوله الذي يملؤها عدلاً كما مُلِئت جَوراً ، وأنّه الغائبُ المنتظَر الذي أتى فيه عن الرسول الخبر ، وأنّه صادقٌ فيما آدّعى من جميع الأشياء إذ لا ينطقُ عن الهوى ولا يقول إلّا ما يُحِبُّ اللّهُ ويرضى . على ذلك أَموتُ وأَحْيا وأَلقى اللّهَ به يوم أَلْقى . وأُشْهِدُ الله وملائكتَهُ أني التائبُ إليه من كُلِّ ذنبٍ وخطيئة ، وأني لا أعصيه أبداً متعمداً . اللّهم اشهد عليّ بذلك ، وتُبْ عليَّ وتقبَّلْ مني إنك أنت التوّابُ الرحيم . ثم أقولُ من بعد ذلك : إنّي لمّا عَزمْتُ على النهوض للطلَب بدمِ الشريف الفاضل / [م ق 74أ] كان مولانا القاسم بن جعفر رحمةُ الله ورضوانه عليه والأَخْذُ بثأره لم آمن مصادفةً ما

(*) بياض في الأصل ـ والزيادة من المحققين .

لا بُدَّ للمخلوقِين منه ولا منصَرَف لهم عنه من الموت الذي هو حَتْمٌ عليهم وواصِلٌ بغير شَكٍّ إليهم إمّا شهادةٌ بأيدي الظالمين وإمّا أَمْرٌ من رب العالمين فرأيتُ إثْبات وصيّةٍ أُبيِّنُ فيها ما يحتاج من أخلف إلى إثباته . ثم مضى عليه السّلام بعدما فرغ من هذا الكلام إلى شرح ما هو له وعليه وتبيين ما كان من الأشياء على يديه فلم يدع من ذلك دقيقاً ولا جليلاً ولا كثيراً ولا قليلاً حتى بيّنه وفسّره . ثمّ ذكر في آخر كتابه أنه أضرب عن المخرج لتعذُّر بعض أسبابه . ثم إنه زال ما كان من معاذيره فتمّ على المخرج بعون الله وتيسيره .

رجع الحديث إلى ذكر خروجه عليه السّلام :

ثم نهض بمن معه من العساكر المنصورة ، واستعمل على مقدمته الشريفين ناصر الدولة وعزّها الحسن بن إبراهيم وليث الدولة وعضُدها حميدان بن القاسم . وكان في القلب . وجعل السلاطين عقباً . وكان قد بلغ الأمير أنَّ أهل الجوف راكزون بقرية عرق[1] بدوهم وقرارهم وأراد أن يحط بالباطنة[2] ويرتّب من هنالك ترتيب الفتنة فلم يرقب أول العسكر آخره حتى انتهوا إلى موضع يقال له الحشرة[3] . قال : ولمّا وصلت بنو بجير إلى الباطنة كان معهم نباتة بن ربيع الدعامي فالتمس الوصول إلى الأمير ذي الشرفين يطلب التودّي والأمان فلم يقدر عليه وواجهه في المقدمة الشريف ليث الدولة وعضُدها حُميدان بن القاسم فقال له : لولا أنك مع هؤلاء المشائخ لضربْتُ عنقك فانهزم إلى أصحابه فقال لهم : النجا النجا ولا نجا لكم ! قد جاء لكم ما لا كفا لكم به ! فهربوا لا يلوي أولُهم على

---

(1) العرق : قرية من عزلة رجوزة ناحية رجوزة قضاء برط . التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، جـ 2 ص 592 .

(2) الباطنة : قرية من عزلة وادي سفيان ناحية حرف سفيان ، وهي على وادي سريرة على 18 كم جنوب شرق سوق دعام ، وتقع ما بين : 15" 17' 16° شمالاً ، 49" 17' 44° شرقاً . التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، جـ 2 ص 467 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1544C2 .

(3) الحشرة : قرية من عزلة البلة والعبيد ناحية برط العنان قضاء برط . التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، جـ 2 ص 582 .

آخرهم . قال : ولمّا انتهى الأمير ذو الشرفين إلى الحشرة ولزم أول العسكر على آخره وصار يموج بعضهم في بعضٍ من الكثرة فقال السلطان محمد بن ورقاء : خرجْتُ مخارج بني الصليحي فكانَ أكبر مخرجٍ خرجوه مخرج الشحر[1] فهذا العسكر أكثر منه . قال : وأراد الأمير عليه السّلام الشرح عليهم فلم يَنتظم له لكثرته ومسابقتهم لدخول القرية وعجلتهم . فأمر من يتقدم من أصحاب الخيل الأول للزمهم ، وجعل أصحاب الخيل معه ولبس كُلٌّ منهم سلاحَهُ وأَخذ أُهْبته . فلمّا انتهى إلى ناحيةٍ من السهل واجتمع العسكر المنصور تكلّم معهم عليه السّلام بكلام فكان من كلامه أن حمد الله وأثنى عليه وصلّى على محمدٍ صلّى الله عليه وذكر ما كان من خروج أهل اليمن إلى جده القاسم بن علي رضي الله عنه واختلافهم إليه/مراراً [م ق 74ب] وأسفاراً حتّى تابعهم إلى مرادهم وصار معهم إلى بلادهم ونقل حريمه وأولاده فجعله بين حريمهم وأولادهم واختار السكنى بين وادعة(*) وبكيل . ثمّ ذكّرهم بقيام الشريف الفاضل عليه السّلام ومقابلته لبني الصُّليحي بالهِرابة وغيرها . ثمّ خروجه إلى الشام . ثمّ رجوعه منه بعد عظيم المحنة . ثمّ قيامه مع أهل اليمن بالفتنة والمجاهدة لبني الصُّليحي والذبّ عن أموالهم وبلادهم . ثم ذكر وصول مَنْ وصل إليه من مشائخ بني بحير ونِهم وبني الدِّعام عند وصوله إلى عِيان وما أعطوه مِن المواثيق والأيمان فنزل إليهم فجعل عندهم قراره ، وجعل مكانهم مستقرّه وداره . ثمّ ذكر وصول نِهم وبني الدِعام إلى شهارة وإنزالهم له ولحريمه وأولاده واختياره لجوارهم وبلادهم على مستَقَرّ عِزّه وبلاده . ثمّ قَصَّ ما كان من غدرهم وقَتْلهم للشريفين وكشفهم للحريم وأخذهم لِخِمار الشريفة من فوق رأسها وهذا لَعَمْرُ الله المنكَرُ العَظيم وتكلّم بكلامٍ واسعٍ مسموعٍ ما بقي من العسكر أحدٌ حتّى ذرفت عيناه بالدموع . ثمّ عبّأ عسكره أثلاثاً فجعل الشّريفين ناصر الدولة الحسن بن إبراهيم وليث الدولة وعضدها حميدان بن القاسم والسلطانين عبد الباعث ونشوان على ميمنته واستعمل الشريف سنان الدولة وسائر الأشراف على ميسرته . وكان في القلب في جماعة خاصته وشيعته . فسارت الميمنة إلى درب بني أرحب وسارت الميسرة

(*) في الأصل : واد ـ والتصحيح من المحققين .

(1) الشِّحْر : ناحية من ساحل حضرموت . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 3 ص 447 .

إلى درب بني أحمد ، وقصد عليه السّلام إلى درب نعمة . ثم خرج والشرفاء والسلاطين بجانبٍ من العسكر إلى ناحية خيل دهمة[1] لأنه أُخبر أنّ بني الدعام هنالك فغوى العسكر القوم حيث هم وبلغهم النذير فانهزموا إلى أقصى جبال دهمة . قال : وخرج الأمير في خيلٍ بقيت معه إلى دار عطية فأخرب ما كان فيها لِبِنْهِم من المنازل . قال : وتقدّم إلى ناحية القرى وقد أشار عليه بعض من يعرف الموضع من أصحابه أن لا يفعل فقال : لو لم يكن غيري لسرتُ وحدي ! فلمّا أشرفوا على القرى إذا بنهمٍ على خيولهم ، فلما ضرب الريح انهزموا إلى موضع يقال لـه : القاع . فسمعْتُ من جابر بن سالم يقول : إنْ لم يصل القاع ونحن به عَدّواً ذلك جُبْناً منا ! فتَمَّ الأميرُ على حاله إلى القاع فأمر بالقرية فخربت ولُحق منهم رجلٌ فقتل . فلمّا توجّه الأمير للمراح تبعوا على خيلهم وإذا أقبلت خيل الأمير ولوا وإذا ولت خيله تبعوا حتى انتهت إلى قريبٍ من دار عطية وتخلّف ناسٌ من الرجالة يشربون فحملت خيل القوم عليهم . فلما رآهم الأمير عطف رأس فرسه وحمل / عليهم هو ومن كان معه [م ق 75أ] فولوا منهزمين بعد أن سُلب منهم رماح . وانقطع لجامُ فَرَسِ الأمير فوقف وعاد إليه أصحابه فقال : كنتُ أُريد الحملةَ عليهم إلى القرى ولعل في هذا خِيرةً من الله ! فرجع إلى معسكره في القرية . قال : ولمّا كان يوم الجمعة أمر فنوديَ بالصلاة جامعة فصلّى بالناس ثمّ رتّب منسراً إلى القاع يكونُ كميناً أسفل من القاع فلمّا نهضوا إليهم ورأتهم خيل القوم ولّوا مُدْبِرين وطردتهم خيل الأمير فبينما هم كذلك إذ خرج الكمينُ عليهم فقَتلوا منهم قتلى كثيرةً ، وقُطّعت رؤوسهم ، وحُملت إلى قرية عِرْق ، وأقام الأمير بها ستة عشر يوماً يخرّبُ المنازل ويرعى الطعام فهي خرابٌ إلى يومِنا هذا .

قال : ثم أمر بالقبرين فنُبشا وأخرج الشريفان عليهما السّلام فجعلهما في تابوتين .

قال مفرّح بن أحمد ، سمعتُهُ عليه السّلام يروي أنه وجد في وصية يوسف الصّدّيق عليه السّلام يأمر في تحويله من مصر ودفنه في غيرها وكأنه ـ والله أعلم ـ قال : إذا وليها فلان ! وذكر أن هذا مستخرَجٌ من جزءٍ من تفسير التوراة فسرّه

---

(1) دهمة : من قبائل بكيل ، وقبائل دهمة هم ذو غيلان أهل برط والجوف ، ولهم مواطن في صعدة ومأرب . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 2 ص 336 .

المهديُّ عليه السّلام . قال : ولمّا توجّه للمراح وصار بالغتير[1] لقيه الخَبَرُ بقدوم أهل صعدة والربيعة متورّدين إلى عيان ومخاطبين في جعفر بن القاسم بن الشمّري ، فلمّا وصل إلى عِيان وقف بإزائها حتّى تكامل العسكر فشرح عليهم أن لا يدخلوا منزلاً ولا يضرّوا من القرية أحداً . ثم أمر بعراضة العسكر فعرض كلٌّ من الشرفاء والمقدمات عسكره . وقد كان وقعت بين العشائر منازعةٌ في قبري الشريفين فانصرم الحالُ بينهم على أنّ قبر الشريف القاسم بن إبراهيم عليه السّلام بِعِيان[2] ، وقبر الشريف الفاضل عليه السّلام بالحَضَن[3] .

قال : ووصلت بنو مالك من البطنة في الحقل والعسكر في تلك العراضة ، وأجمع أهل الحقل الربيعي والمالكي والصعدي فبذلوا الطاعة ولزموا الجماعة وعاتبهم الأمير وأوسع معهم في الكلام وقال لهم : قد كان من فعالكم ما قد علمتُم مع هذين الشريفين الماضيين رحمةُ الله عليهما ، وكانت أمورُكم مصروفةً إليهما وأنتم لنا رعيةٌ وأصحابٌ وبلدُكم لنا بلدٌ وجنابٌ ، ولسنا بتاركيها رَسَلاً ولا ندعُ رعيّتها هَمَلاً . فلمّا فرغ من هذا الكلام أجابه محمد بن علي الضراب فقال : يا مولانا ! علينا الطاعة فيما بقي ومنك العفو فيما مضى ! ثمّ قال : هذا شريفكم وصاحب بلدكم ناصر الدولة وعزّها الحسن بن إبراهيم فاسمعوا له وأطيعوا . فقالوا : سمعنا وأطعنا ورضينا وقنعنا . وأمر الأمير ذو الشرفين بالشيخ جعفر بن الحسن الشمري فأُنزل من شهارة / فوصل إلى بلده وأصحابه بعيان ، وكانت إقامته بشهارة ست سنين [م ق 75ب] إلاّ شهرين ومدفوعُهُ ثلاثة آلاف دينار . واستعاد الأمير ذو الشرفين إلى الحضن لقبران الشريف الفاضل عليه السّلام . وفي ذلك يقول مفرّح بن أحمد :

---

(1) الغتير : قرية من عزلة المرانة ناحية خراب المراشي قضاء برط . التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، جـ 2 ص 610 .

(2) عيان : قرية من عزلة دبكة ذو مقبل ناحية حرف سفيان قضاء خمر . وهي على وادي عيان على بعد 8 كم شمال مدينة الحرف . التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء ، جـ 2 ص 469 ، خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1644C1 .

(3) الحضن : ما يحمل اسم الحضن كثير خاصة في محافظة حجة . أما الحضن الذي دفن فيه الشريف القاسم فموقع من بلد وادعة الظاهر (قضاء خمر) ؛ انظر : يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، جـ 1 ص 268 .

سقى قبراً بأرض بني عُبيدٍ | بصحن الحضن رجّاش الغمامِ
مشاهد للإمام بحيث أضحى | الأمير ابن الأمير ابن الإمامِ
أشيخ بني عليٍّ حيث كانت | وعلياها بذي يَمَنٍ وشامِ
حَبَاكَ الله عنّا كُلَّ يومٍ | بأضعاف التحيةِ والسلامِ
على الشيب المزمّل في دِماهُ | على الأشلاء من تلك العظامِ
على مَنْ في الملأ الأعلى وطافت | به أيدي الملائكة الكرامِ
صلاة الله ما دامت صلاةٌ | وما ناحت مطوّقةُ الحمامِ
وسعد يرتبطه وسعد عَيْنٍ | رأتْهُ يوم يُبْعَثُ بعد عامِ
أما إنّ المنام يَشُوقُ قلبي | لرجوي أن أراه في المنامِ
أبضعة رحمةٍ في الحضن حَلّتْ | عقيبتها بأرض بني دِعامِ
تحلّت بعد أنعُمها ببؤسٍ | وبعد جميل قالتها بذامِ
وأعداها الأسيودُ من جُذامٍ | به وبرهطه داء الجُذامِ
بهم قطعوا وأنعمهم أزالوا | وأنفسَهُم رَمَوا دون الأنامِ
أزالوا نعمةً كانت عليهم | مجلّلةً من النِّعَم الجِسامِ
وإنْ عَمَّ المُصابُ به البرايا | فقد جُبروا بعترتِهِ الكرامِ
وليس لهم بمن قُتلوا بديلاً | ولا وَزَرٌ إلى غير الحِمامِ
ومن أيام ذي الشرفين حَرْبٌ | يشيب لِهَوْلِها رأسُ الغُلامِ

قال : فلمّا رُفع الشريف الفاضل عليه السّلام إلى قبره قام مفرِّحُ بنُ أحمد رحمةُ الله عليه خطيباً فتكلّم بكلامٍ أولُهُ : بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله حمداً يوجِبُ مَزيده وأشهد أن لا إلّه إلّا الله وحده لا شريك له شهادةً تُوجِبُ توحيده ، وأشهد أنّ محمداً صلّى الله عليه عبده ورسوله وحُجّته ودليله بعثه واختاره من جميع الخَلْق واصطفاه بالرسالة إلى الغرب والشرق ، صلواتُ الله العظيم على ذلك الروح
[م ق 76أ] الكريم ، / وأشهد أنّ عليّ بن أبي طالب أخوه ووليّه والخليفة بعده ووصيه وأنّ الإمامة بعده في ولديه السبطين الطاهرين الحسن والحسين فيمن كان من نسلهما كمثلهما ، وآحتذى بقولهما وفعلهما . أيّها الناس ! هذا الشريفُ الفاضل الأجلّ الكامل المبارك الأمير ، مفرِّج كرب المسلمين ، والساعي في مصالح الدين الذي

حبس نفسَهُ في الجهاد ، وقشع الظلمة عن العباد عـاش أكثر زمـانه عليـه السّلام لا تَجِنُّهُ دارٌ ولا يَقَرُّ به قرار ، يأكل اليسير من المعاش ، ويلبس الخشِن من اللباس ، محتسِباً لنفسه في سبيل الله ، باذلاً لها في جهاد أعداء الله ، ثَغَر عليهم الثغور ، ونشر عليهم الأمور ، أهون سيره في ذلك الحثيث ، ملأ البلاد مساجداً ومشاهداً فله على كل نجد مشهد وبكل ناحية مسجد . ليله في ذلك كنهاره وشخوصه أكثر من قراره . لم تزل تلك حاله عليه السّلام حتى أكرمه الله بالسعادة وختم له بالشهادة بأيدي أشقى من عاقر ناقة ثمود ، وأعظم جُرْماً عند الله من النصارى واليهود ، وقد أسبغ وضوءه ، ولبس لحاف صلاته ، وتأهّب للقيام بين يدي الله لمناجاته فضُرّجت من دمه شيبتُهُ ، وتخضَّبَتْ بعد الجلال هيبتُهُ وأتوا بالمنكر فيه غدروا به وبابن أخيـه وروّع حريمـه وأطفاله وانتُهب ثقله وأمواله بعد أن أكّد معهم الجيار ، وأُخذ منهم المواثيق والأخفار وجعل بينهم الدار وأعطى العطايا الكبار . ولقد اختار الله له داراً أفضل من دارهم ، ونقله إلى جواره من جوارهم ؛ يقول الله سبحانه : ﴿ **ولا تحسبَنَّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يُـرْزَقُون . فـرحين بما آتـاهم اللّهُ من فضله ويستبشـرون بـالـذين لم يلحقـوا بهم من خلفهم ألاّ خـوفٌ عليهـم ولا هُم يحزنون** ﴾[1] . ذلك سبيل آبائه الطاهرين ، وسَلَفـه المنتَجَبين الأئمّة الـطيِّبين . قتلتهم الأُموية بما كان في أيام الشرك ، وقتلتْهم العباسية على الخلافة والمُلْك . لقد جهـدوا في قطع هـذه الذريـة النبويـة الذين تَسْلَمُ بهم الأَدْيـانُ ، وتُسْقَى بِهِمْ الوديـان . وهم يـزدادون عُلُوّاً وسُمُوّاً ونمـواً . الثقـل الثقيـل ودعـوة إبـراهيم الخليـل عليـه صلواتُ الله الجليـل . يقول الله عـزَّ مِنْ قائـل[2]: ﴿**وجعلْنا ذرِّيَّتَهُ هم البـاقين**﴾ . أقـولُ قَولي هذا وأستغفرُ الله لي وللمؤمنين والحمدُ لله ربِّ العالمين .

قال[3] : وشمل الفسـاد كثيراً من العشـائر والبـلاد وتواطـأوا على الخلاف والفساد ، وتحالف الكل من بني صريم ونهم وبني الدعام وصناف ، وكاتبوا بني الصُّليحي وكان لهم لقاءٌ واجتماعٌ بلغوا فيه إلى ناحية المدحك وما يليه فأنهض الأمير

---

(1) سورة آل عمران/169 ـ 170 .

(2) سورة الصافات/٧٧ .

(3) اللآلي المضية م 2/ص 180 .

ذو الشرفين عليه السّلام الشريف الأجلّ ناصر الدولة وعِزّها الحسن بن إبراهيم في [م ق 76ب] جماعةٍ / من الشيعة وافرة إلى بلد بني شرحبيل وكانوا مستقيمين على الطاعة . قال : فهمّوا بالهجمة على المفسدين فرهبوا الوقوع في عشائرهم الوادعيين . فلما أصبح ولّى أهل الفساد منهزمين . وفي ذلك يقول مفرِّح بن أحمد على لسان الأمير ذي الشرفين :

أيُكفر حقّ ذي الشرفين ظلماً ... ويُغْفَرُ ذنبُ شانيه العظيمُ
ويُنسى عتقه لرقاب قومٍ ... أذلّ رقابها الجَور القديمُ
وقد قُتل الجحاجحُ واستُبيحت ... حمى الأموال وانتُهك الحريمُ
وقال الناس من داعٍ لواعٍ ... فكل الخَلْق مكروبٌ كظيمُ
فلمّا أنّ بدا الداعي وزالت ... عن الناس الكآبةُ والغُمومُ
جزوه كفاء نعمته عقوقاً ... وليس كذاك يفتعلُ الكريمُ
وكانوا كالملا من قوم موسى ... دعوا والّلهُ بالدعوى عليمُ
فما أن أتاهم ما تمنّوا ... عليه صار أكثرُهُم يخيمُ
وقالوا نحن أكثرُ منه مالاً ... وكيف يُطاع طالوتُ العديمُ
أنكفر حقّ ذي الشرفين لمّا ... تريّش محقلٌ ونشا يتيمُ
وقد علمت بنو قحطان جمعاً ... وعدنان الميامنُ والمُشيمُ
مقام الملك ذي الشرفين فيهم ... قديماً حين يَقْعُدُ مَنْ يَقومُ
أصان أعان فَرَّجَ حاط جَلَّى ... أقال أنال زال به الظّلومُ
ألا يا راكباً يُزْجي المطايا ... لهنّ بكل ناجيةٍ رسيمُ
أنخ بحلال وادعةِ بن عمرو ... لأنّهم العشيرةُ والحَميمُ
وأدنى الناس دون الناس داراً ... وصَحْبُ الجنب والجارُ اللزيمُ
وأبلِغْهم بأجمعهم مقالي ... وإن كنّا كما قال الحكيمُ
< فإنّك والكتابَ إلى عليٍّ ... كدابغةٍ وقد نَغَلَ الأديمُ >
أليس لكم غضبتُ وقمتُ فيكم ... ووالي الحقِ بينكم مُقيمُ
تعرّض لي المودة والتصافي ... وتُبذل لي العطايا والرسومُ
جعلناكم وإخوتكم بكيلاً ... كفافاً ما تُسامُ ولا تسيمُ

وناضلْنا عليكم والغواشي   غواشي الجور فوقكم نجومُ/ [م ق 77أ]
فكان جزاؤنا ما قد علمتم   بما في القاسِمَين أتى اللئيمُ
أيُقتل قاسمٌ ظلماً ويُمحى   بمقتله الصراطُ المستقيمُ
ويعتذر المشائخُ من بكيلٍ   بما فعل السفيهُ لمن يلومُ
فكيف الفرق أو يُلحى سفيهٌ   على سَفَهٍ وقد رضي الحليم
لقد غدرت بأجمعها بكيلٌ   بداعي الحق إلاّ مَنْ يقومُ
فقل لي للذي لم يَجْنِ عيباً   أنيقاً من يحاوره الدَّغيمُ
وقل لسراةِ وادعةَ بنِ عمروٍ   وَمَنْ لهم المحبّةُ والقديمُ
أنيبوا يا عشيرتنا وتوبوا   فإنّ الله توّابٌ رَحيمُ
ولا تبغوا عليَّ بغير جرمٍ   ولا سببٍ فإنّ البَغْيَ شُومُ
وبالله استعيذوا إنْ دعاكم   بصوت البغي شيطانٌ رجيمُ
على ما تعرضون لقاتِلينا   وكُلٌّ من رفيقته سَليمُ
دَعُوا للصلح يوم غدٍ مكاناً   إذا ما رامَ صلحاً مَنْ يَرومُ
فإني والبَنيّةَ والمصلّى   بحيثُ مِنًى وزمزمُ والحَطيمُ
لأكرَهُ أن أعود إذا التقينا   وقد كُلٌّ لصاحبه غَريمُ
ولمّا كفّني عنكم رجائي   عسى أن يستليم المُستليمُ
تطاولتم إلى أطواد ركنٍ   مَنيعٍ دون مبلغه النجومُ
وأدنيتم عداي فمن حذاري   وقوعي في البريء نجا السقيمُ
إذا صافى صديقُك من يعادي   فذنبُ صديقك الذنبُ الجسيمُ
عليّ بأن أُقيم لها رواها   **ولاء منا أنا من لا نقيمُ**
لأنّي قد حبستُ لذاك نفسي   وما لي كلّما هَبَّ النسيمُ
لأطلب ثأر شيخٍ بني عليٍّ   فَتَرْكُ الثأر مَنْقَصَةٌ ولُومُ
وأدعو مَنْ له حَسَبٌ شريفٌ   وأدعو مَنْ له دينٌ صميمُ
فإن أسلم أشبّ لهم عواناً   لها من كلِّ ناحيةٍ جَحيمُ
وإن أهلِكْ فقد أوصيتُ بعدي   بها من لا يَنام ولا يُنيمُ

قال[1] : ولمّا كان في ذي القعدة من شهور سنة تسعٍ وستين وأربعمائة اجتمع / الشرفاء والسلاطين والمقدمات بحضرة الأمير الأجلّ ذي الشرفين بشهارة [م ق 77ب] فاشتوروا وأجمع رأيُهم على المخرج إلى الشرف والذي هاج ذلك ظهور الخارجي الحطيط[2] بن عبد المجيد الأباضي وادّعى الإمامة ودعا إليها ، والتأم إليه جميعُ أهل الشرف وغيرهم من أهل البَغْي والسرف . والإمامةُ في اعتقادهم جائزةٌ في جميع الناس ، وكان غرضه الذي دعا فيه مناصبة الأمير الأجلّ ذي الشرفين والخروج عليه . فلمّا أجمع رأيُهُ عليه السّلام على المخرجْ أنهض الشريف الأجلّ ناصر الدولة وعزّها الحسن بن إبراهيم والسلطان يحيى بن محمد المالكي إلى صعدة ونواحي بلد خولان . وأنهض السلطان عبد الباعث ونشوان إلى ناحية البَون والمشرق من بلد همدان . وأُنهض رجالاً من شيعته إلى بلد وادعة مع الشريف الأجلّ ليث الدولة وعضُدها حُميدان بن القاسم . وأنهض الشريف الأجلّ سنان الدولة وركنها أحمد بن جعفر والسلطان الحسين بن إبراهيم إلى بلد بكيل وجعل للكلِّ ميعاداً لعشرة أيامٍ تمضي من ذي القعدة سنة تسعٍ وستين . فلمّا كان ذلك اليوم وصلوا للميعاد من جميع البلاد ونزل الأمير ذو الشرفين إلى خموس الأهنوم[3] فاستقبله مَنْ بها من العساكر الكثيرة والجيوش المنصورة ، وأمسى تلك الليلة بالخموس وشرح المحطّة بمور والثاني بالحول من بلد نهم وكان آخر النهار ووصلت قبيلةٌ من جحور يقال لها عاهم[4] وهم أهل محبّةٍ وطاعة فوصلوا في زي الحرب فلمّا رآهم العسكر المنصور بتلك الصفة استنكروهم فهش عليهم سرعان العسكر فقتلوا منهم رجلاً . وركب الشرفاء والسلاطين والمقدمات فردوهم وعرفوهم أنهم طاعة فغضب الأميرُ الأجَلُّ على العسكر ودخل مضربه فلم يصل إليه أحدٌ فأحاطوا بالمضرب وطمعوا أن يخرج إليهم الصباح فلم يصل إليه خاصٌّ ولا عامٌّ حتّى كان من الغد ودخل الشرفاء

(1) أنباء الزمن م 1/ص 167 . وجعل صاحب اللآلي المضية م 2/ص 181 ـ 182 خبر هذا الخروج بعد وقعة الصابة من بلاد الجبر .

(2) في أنباء الزمن : الحطيط . وفي نشرة غاية الأماني 1/269 : الخطيط .

(3) الخموس : بلد في شمال بلاد الأهنوم مما يلي بلادعذر؛ مسلم اللحجي ، كتاب فيه شيء من أخبار الزيدية ، ص 44 ب .

(4) عاهم من قبائل حجور الشام . الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 2 ص 240 .

والسلاطين والمقدّمات عليه وجثوا بين يديه وسألوه الرضا عن عسكره وبذلوا له النصف فيما جرى واعتذروا إليه ولم يُعلم مَنْ أصاب الرجلَ فخرج الأمير إلى العسكر فاستحلفهم ما علموا من قاتل هذا الرجل وألزمهم ديته فدفعها المقدّمات إلى بني عم المقتول ونهض العسكر حتى صاروا ببلد بني أفلح وهم أهل طاعة وكانت بينهم وبين أهل الشرف عداوة . ثمّ نهض الأمير ذو الشرفين بالعسكر إلى تعبئته حتّى حطّ بموضعٍ يقال له طهننة[1] بالقرب من حصن الأذن . وقد كان الخارجيّ الملعون ندب من أصحابه عسكراً كثيراً إلى جبل بالقرب منه اسمه **المَحْطُوَر** قال : فأمسى العسكر المنصور على حاله وأوقد أهل المغرب النيار على جميع جباله قال/ : [م ق 78أ] فسمعتُ الأمير ذا الشرفين يقول : إني لأرجو أن يطفي الله هذه النيار غداً إن شاء الله . قال : فلمّا أصبح أمر بالأبواق فنُفخت وبالطبول فضُربت وبالألوية فعُقدت . وعبَّأ العسكر المنصور أثلاثاً فكان هو بنفسه في ثلث فيه الخيل والشيعة وعُذَّر وبعض الأهنوم بإزاء حصن الأذن مقاتلاً للحطيط لعنه الله . وجعل الشريف ناصر الدولة وعزّها الحسن بن إبراهيم والسلاطين عبد الباعث بن أنس ونشوان ابن نشوان وأبو الفتوح بن عليان والنفيل بن أحمد ومن معهم . وجعل الشريف سنان الدولة وركنها أحمد بن جعفر والسلطانين الحسين بن إبراهيم ومحمد بن أنس في بكيل ووادعة فتوجَّه الشريفان وَمَنْ معهما للمحطور وَمَنْ فيه فشرع كُلٌّ منهما في ناحيةٍ وكان جبلاً صعباً شامخاً منيعاً . فالتقى القوم واشتدّ القتال وتنازلت الأبطال فقُتل من العسكر المنصور ثلاثةُ رجالٍ رجل صعدي ورجل من بني أفلح ورجل من ظليمة فاشتد أهل الجبل بقتلهم وسلبهم وتأسّدوا في قتالهم وحربهم حتّى أُصيب الشريفُ ناصر الدولة بسهمٍ وحجار . قال : وشرع الشريف سنان الدولة حتّى ركب الجبل من فوقه وانحطّوا على القوم فألزموهم السيوف قتلاً وسلباً فرامت الخوارج مخرجاً أو مهرباً فما وجدوا طريقاً في أي الجانبين والتقى عليهم جميع العسكرين فقُتلوا وسُلبوا وقُتل رئيسهم الحربي بن شرحبيل . فلمّا رأى أهل الإذن رايات العسكر المنصور قد علت وكتائبهم المخذولة قد قُتلت انفضّوا من حصنهم هاربين لا يلوي أولُهُم على آخرهم .

---

(1) هذه الأماكن كما يتضح بعد ذلك من النص موجودة بناحية الشرف .

وتقدّم الأمير ذو الشرفين فطلع حصن الأذن وأمر بالرؤوس فقُطعت وحملت إلى أَقِر فصُلبت .

وكان الشريف ليث الدولة وعضدها حميدان بن القاسم بذروة فنهض سليمان بن عامر الزواحي في جماعةِ الحجاز إلى ناحية البوَن وغرضُهُم ذروة ومن فيها . فلمّا وصلهم علم ما فتح الله على الأمير الأجلّ بالشرف من الظفر ووصلت رؤوسُ القتلى إلى أَقِر استعاد كُلٌّ منهم إلى موضعه . قال : وأقام الأمير ذو الشرفين وأمر بمنازل شرحبيل بن الحربي فخُرّبت . وأرسل إليهم السلطان أبا الفتوح بن عليان ورسمت عليهم المدافيع ووصل السلطان الحسن بن أبي الخياط من الجريب(1) فأنهض معه الأمير الأجلّ شكر بن علي إلى هنالك والياً . ووصل أحمد بن محمد الزوبعي من ناحية الراحة فأنهض معه السلطان يحيى بن محمد المالكي إلى هنالك والياً . وأقبلت عشائر المغرب من حَجور وغيرهم بالسمع والطاعة / والمدفوع . واستعمل السلطان نشوان بن نشوان على الشرف وأمره [م ق 78ب] بالإقامة في حصن الأذن ونزل عليه السّلام إلى طهننة فعيَّدَ بها عيد الأضحى ثم نهض قافلاً إلى مستَقَرِّ عِزّه شهارة . وفي ذلك يقول الأمير ذو الشرفين :

أيا شبه الغزالة في الرياضِ ... فؤادي من هواكِ على ارتماضِ
كما ارتمض الخوارجُ عند قصدي ... إليهم حيث صاروا في ارتماضِ
أقام الناكثون لهم إماماً ... حطيطاً عند كفّي وانقباضي
وظنّوا أنّ كفّي كان عنهم ... لعجزٍ كان عن شرفِ البياضِ
فناديتُ الكرامَ بني عليٍّ ... وأشياع الحسين وكلّ ماضِ
من الأنجاد همدان بن زيد ... وحمير مثل آساد الغياضِ
قصدْنا نحوهم ورداً إليهم ... كما قصد العطاشُ إلى الحياضِ
فذاقوا غِبَّ ما اجترموا وأمسى ... بهم من كان كالغضبان راضي
فنعماً للموالي والمصافي ... وبُعْداً للغواة بني أباض

(1) الجريب بفتح الجيم وكسر الراء ، كانت عاصمة بلد حجور ، وتقع في عزلة بني جل أو في جبل قلحاح من مخلاف الشرف بلواء حجة ، وهي اليوم أطلال وخرائب ؛ انظر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 127 ؛ عمارة : تاريخ اليمن ، ح 2 ص 250 ـ 251 .

قال مفرِّح بن أحمد : سألت السلطان نشوان بن نشوان عن خراج الشرف أيام ولايته فقال : كان الراتب ألفي دينار في كل شهر على الإدرار وألفي دينار في الأسواق وألف دينار في أشياء سوى ذلك ، فذلك خمسة آلاف دينار في كلّ شهرٍ حسب قانون البلد في السنة فكان مائة ألف دينار وعروض الثمرة(1) ، وشرب الأنعام وجميع المسائل .

رجع الحديث إلى غارة أقر

قال : فلما انصرف بنو الصُّليحي من غارة أقر رائحين إلى اليمن وكان قد وصل إلى الأمير عليه السّلام من ذكرت وصوله من بني حسن نهض بهم إلى بلد عُذَر(2) ولحقه إلى هنالك شرفاء من تهامة من بني حسن فصار عسكراً كثير الخيل والرجال فنهض عليه السّلام من هنالك طريق الفقمين ثم حط على مخترعة مذاب . ثم نهض من ليلته فلما كان صبيحة يوم الثلاثاء عبأ العسكر أثلاثاً فجعل الشريف ناصر الدولة وعزها في ثلث العسكر وجعل الشريف سنان الدولة وركنها في الثلث الثاني وكان هو عليه السّلام في الثلث الثالث فما كان إسفار النهار إلّا وقد سطع الغبار ووقعت الخيل في المغار وألمّت بهم الداهية من كل ناحية وكثُرت الغنائم مع العسكر ومَنَّ الله تعالى بالنصر والظَفَر/ فضرب الأمير مضاربه ببطن الوادي وأُتي بالسلطان همدان بن ربيع [م ق 79أ] الدعامي أسيراً وقُتل أنفارٌ من الناس وانهزم الباقون . قال : وجَعلت سوابقُ من خيلهم تطالع العسكر وهم يومئذٍ بنواحي الغيل(3) . فلمّا كان بعد يوم شدّ العسكر المنصور على اليحاوية(*) والخيل ونهض الأمير ذو الشرفين إليهم وجعل دليله طلائعهم عليهم حتى لحقهم بموضع يقال له كمنا(4) وأطردت سوابق الخيل من

(*) كذا في الأصل ، ولم نهتد لقراءتها .

(1) مكررة في الأصل .

(2) اللآلي المضية م 2/ص 180 .

(3) غيل مراد : نهر من أنهار الجوف سمي باسم قبيلة مراد التي تسكن في مناطق كثيرة من اليمن . وقرية الغيل من ناحية الغيل بالجوف على بعد 18 كم شمال غرب براقش ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 4 ص 703 ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة الجوف ، ص 26 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، قطعة رقم 1 .

(4) كمنا : محلة من قرية المقاشب عزلة همدان ناحية حزم الجوف . الهمداني ، الإكليل ، جـ 8 ص 175 ؛ التقسيمات الإدارية لعام 1985 .

الفريقين . فلما تراءى الجمعان ووقع الطعان هتف «الهاتف يا آل علي يا آل علي وتارةً يا آل الحسن يا آل الحسين ! اعتكر العجاج وأظلمت الفجاج وولّى القوم مُدْبِرين وخلّوا الظُّعُن والأموال والنساء . وقُتل السلطان منيع بن الربيع الدعامي وجماعةٌ منهم ، وأُسروا أبو الحسين بن نعمة الدعامي وغُنمت تلك الأموال وصار النعم كالجهام العظيم ولحق الظعن فلم يُكشف حريمٌ وكان فعل الشرفاء فيمن وليوه مشكوراً واستعاد الأمير ذو الشرفين[1] الفتح والغنم العظيم متوجّهين إلى ناحية[2] وقد كان العطاف بن بدر أرسل أنه واصل مأرب فوصل بعد نهض الأمير حتى حط **بالفجرة**»[3] من وادي مذاب وأحاطت به القومان من نِهم ودهمة من كل جناب ولحق الصريخ إلى الأمير ذي الشرفين إلى عيان فنهض من فوره عصراً حتّى أصبح في قرية بني الدِّعام[4] ثمّ استعادت اليحاوية والخيل لصرم ذكر لهم بالخارد من نهم خرج لهم منسراً فيه الشريف سنان الدولة وركنها حتى لحقوهم بالمناحي[5] فوقعوا في الأموال من الإبل والغنم والأثقال فغنموا وسلموا وانقلبوا بالخيل الكثير إلى المعسكر المنصور ورفع الأمير ذو الشرفين إلى معسكره بعيان فتبعه إلى هنالك آل الدعام متسلمين على أيدي مقدمات العشائر طالبين في أساراهم فأوجب الأمير ذو الشرفين وشرط عليهم شرائط فكان من كلامه أن قال : يا سلاطين لسنا ندري بما نثّق به منكم جاورنا الجوار وسامينا وأعطينا العطايا واستحلفنا الأَيمان فلم يتمّ لنا منكم شيءٌ بأي

---

(1) في الأصل بعد هذا كلمتان بخطٍّ مختلف غير مفهومتين .

(2) في الأصل بعد هذا كلمة غير مفهومة .

(3) الفجرة : قرية من ناحية الحميدات قضاء الجوف ، على بعد 8 كم جنوب الحميدات ، وتقع ما بين : 47" 24′ 16° شمالاً ، 32" 26′ 44° شرقاً . التعداد السكاني التعاوني لمحافظة الجوف ، ص 24 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1544C2 .

(4) قرية بني الدعام هي سوق دعام : قرية من عزلة الزاهر قضاء الجوف على بعد 3 كم شمال غرب الزاهر وتقع ما بين : 44" 19′ 16° شمالاً ، 03" 28′ 44° شرقاً . التقسيمات الإدارية لعام 1985 ؛ النتائج الأولية لتعداد 1986 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1644C2 .

التقسيمات الإدارية لعام 1985 ؛ النتائج الأولية لتعداد 1986 ؛ خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1644C2 .

(5) المناحي : من خارف على نهر الخارد . الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص 159 ، جـ 6 نفس الصفحة ، ص 283 .

ذلك ولسنا ندري بما يُستوثق به منكم وأنتم تَهاونون باليمين ونحن نثق بالله الحقّ المبين ونستحلفكم والله الناصر عليكم والمعين ! ثم قدّمهم على أعيان العسكر فاستحلفهم مائة يمين وأمر من يعدّها بالحصا فزادت على المائة عشرين واستحلفهم بالطلاق والعتاق والتسبيل وصيام عشر سنين والحجّ إلى بيت الله الحرام عشر سنين مُشاةً حُفاةً ثم حَبَاهم بعد ذلك وكساهم ومَنَّ عليهم بإطلاق أسراهم . ثمّ نهض إلى الخموس من بلد الأهنوم فأوفى جميع عسكره أرزاقهم وبذل الأموال الكثيرة وأعطى العطايا / الغزيرة . وفي ذلك يقول مفرّح بن أحمد : [م ق 79ب]

الآن الآن فارقني السقامُ ... ولَذَّ لِمُقْلةِ العين المنامُ
وزال الهَمُّ وانفرحت صدورٌ ... وآب مَسَرَّةٌ ونجا اغتنامُ
بنفسي طلعةً كشفت ظلاماً ... وطلعتها على غيري ظِلامُ
ورايات لأهل الحقّ بيضٌ ... تَحَفُّ بها الملائكةُ الكرامُ
وندوةُ معشرٍ وشعار قوم ... أغيروا ها هنا قُتل الإمامُ
دعا ذو المجد والشرفين صوتاً ... أنا الحسنيُّ فانقطع السآمُ
ولبّته بنو حسنٍ وقامت ... إليه حين آن له القيامُ
يقود الخيلَ من حَرَضٍ تراها ... كأنّ رعال بهمتها البَغامُ
لحاق الأطل سامية الهوادي ... يحفّ بها المخزمةُ النعامُ
عليها من بني حسن رِجالٌ ... مزاحيمٌ إذا وقع الزِّحامُ
مغاويثٌ لداعٍ مستغيثٍ ... يَعِزُّ بها وفيها المستضامُ
على أكتافها الأَسَل الضوامي ... كأنّ سيول شر علها الغمامُ
ونارٌ أُوقدت لِطُغاة نِهمٍ ... لها من كلِّ ناحيةٍ ضرامُ
أُريدَ بها العدوُّ فما احتيالي ... إذا اشتفعت صليتها دعامُ
يعز عليَّ بذلُهُم ولكن ... هُمُ بذلوا وعقّونا ولاموا
وكانوا من أعزّ الناس قدراً ... لدينا لو أطاعوا واستقاموا
بعثتُ إليهم مني نصيحاً ... لأنّ أخا النصيحة لا يُلامُ
وكم من نادمٍ في ردِّ نُصحي ... ولكنْ ليس ينفعه الندامُ
وكاتبت القبائل مستعيناً ... عليهم بالذي علم الأنامُ

وأشهدْتُ القبائلَ من بكيلٍ … وها هي ذي بحضرتنا قيامُ
عرضتُ عليهم إحدى ثلاثٍ … وليس عليَّ بَعْدُ لَهُمْ كَلامُ
يميلوا عن عداي ويتركوني … وإيّاهم وينعقدُ الذِّمامُ
وإمّا أن يبينوا كان عندي … لهم في ذلك النِّعَمُ الجِسامُ
وإلّا فاليقين بأنّ قصدي … إليهم لا سِواهُم والسلامُ [م ق 80أ]
فأوجب رأيهم قصدي وقيدت … إلى حصني الجماهيرُ العظامُ
وجرّوا لي العدوّ وأسعدتْهُم … بها جَنْبٌ وسنحانٌ ويامُ
ووُرّخ في حميدان فأُنجي … وسيق إلى سليمانَ الحِمامُ
وساموني بها خَسْفاً ومثلي … إذا ما سيم غيري لا يُسامُ
وابنُ الحرب ربّاني أبوها … صغيراً ما دنا مني احتلامُ
وترضعني بثدييها لباناً … فمنها اللحمُ مني والعظامُ
أنا ابنُ محمدٍ وأبي عليٌّ … وجدّي قاسمٌ وأبي الإمامُ
وفيٌّ في بني حسنٍ قويٌّ … وليس أخو بني حسنٍ يُضامُ
يُهاض بها جناحٌ هاشميٌّ … وريشٌ مَضْرَحيٌّ لا لُوامُ
دعوتُهم فلبّوني وقالوا … إمامك حيث شئتَ لنا إمامُ
سنزجي الخيل من كنفي شهارٍ … ولي بالله ذي العرش اعتصامُ
وأُغميت العيونُ فما أحسّوا … بها لولا كداها والقتامُ
ففاض عليهم الوادي بِسَيْلٍ … له بَرْقٌ بعيد لا يُشامُ
وهاضت نحوهم من كلّ أوبٍ … فضاق بسيله الوادي سنامُ
بوادي الأثل(*) في خلج ثلاثٍ … عوازب دهمة الجيش اللهامُ
ألا لم يعلموا مني بأني … إذا حاربْتُ قوماً لا أنامُ
ففروا بالذخائر والمواشي … وولّوا مُدْبِرين معاً وخاموا
بهذا العام يومهم الثلاثا … وذا عامٌ وذاك العامُ عامُ
بَغَوا فأعان بَغْيُهُمُ عليهم … وَحَلَّ بهم من الله انتقامُ
وسيفُ البغي للرحمن سيفٌ … على مَنْ سَلَّهُ ذَكَرٌ حُسامُ
وكتَّبْنا الكتائبَ بعد يومٍ … إليهم حين قيل لنا أقاموا

بأيدينا الصفائحُ والعوالي ... تهزُّ وفوقها للطَّعْنِ لَأمُ
وشدّوا بالظعائن والتقينا ... جِباهَ الخيل والنعمُ السوامُ
وقلنا مثل ما قالته عَكٌّ(*) ... وقالوا مثل ما قالت جُذامُ
وشدّوا شدّة العادي وراموا ... بها كسر الجماعةِ حين راموا/ [م ق 80ب]
وأظلم بالكديد الجَوُّ حتّى ... على عَطَنِ الجميع له عيامُ
ونادى بعضُنا بالاسم بعضاً ... وصاح الكهلُ منا والغُلامُ
أيا لعلي يا لعلي هذا ... طِلابُكُم وثارُكُم اللئامُ
فنادينا بها فيهم مراراً ... وبعضُ شعارنا الحسن النظامُ
فولّوا مُدْبرين ونحن فيهم ... سيوفُ الحق وانقطع الكلامُ
فما أنجاهم إلا هُراتٌ ... وقد هربوا وسليامٌ وحامُ
وحُزْنا الظعن عن عَرَضٍ ورُحْنا ... تُجَهْجِهُهُ حُمْرَهَا النَّعَمُ الجَهَامُ
ولولا الخوفُ خوفُ الله فيما ... يُخاف ويُتّقى منه الأثامُ
وقولي القتل إلّا في عدوٍّ ... عليكم يا بني عمّي - حرامُ
لما برحت بصحن الجوف فيهم ... عظامٌ في الفضا بِيضٌ رِمامُ
لقد شَفِيَتْ بناديها نُفوسٌ ... كثيرٌ ما لأكْثرِها اجترامُ
وَجَرَّ لأهله الجاني جناها ... كما جَرّت لأهليها عِصامُ
وألقح في الودين بها ضبوعاً ... فأنتجها لواكِمِنا التمَامُ
ألا يا راكباً يطوي الفيافي ... بجاوياً يزيّنه السنامُ
بقلبٍ كالمراوح ليس فيها ... عصامٌ بين أربعةٍ < . . . >(*)
إذا وقع الذبابُ عليه وشى ... عمامة رأس راكبه < قُمام >(**)
يقيم على طبائعه ذميلاً ... ويُمسكُهُ عن العَدْوِ الحَرَامُ
يشارك منحنى هاديه قوساً ... من النُشّاب أُوترها الزِّمامُ
أسرة أو تنيخ به ويُلقى ... على باب ابن وهّاس الخطامُ
ليَهْن بِها الأميرَ أخا المعالي ... وأُسرته بنو حسن الكرامُ

(*) في الأصل كلمةٌ غير مفهومة بخطٍّ مختلف .
(**) بياض في الأصل ، وكلمة غير مفهومة بخطٍّ مختلف .

وأبلِغْ مَنْ بمكّةَ من لؤيٍّ ... بحيث مِنًى وزمزمُ والمقامُ
وبالصفرا وينبع إنّ فيها ... لنا قومٌ لهم فيها مقامُ
وأبلِغْ بالمدينةِ لي قبوراً ... عليها لي من اللّهِ السَّلاَمُ
بما أعطى الإلّهُ على الأعادي ... كذاك يكون ما دُمْنا وداموا
[م ق 81أ] فيا ليت القبور ترى جداثاً ... وما ذاقت بأيدينا الطغامُ/
ويُنْشَرُ مَنْ مضى من سالِفِينا ... وشيخُ الطالبيين الهُمامُ
سلامُ الله كلّ صباح يوم ... عليهم كلّما غنّى الحَمَامُ
ويا عينُ انعمي لُقّيت نُعماً ... ولو أُرغمن آنافاً رغامُ

ذكر الخبر عن المخرج إلى بلد عُذَر(١) :

قال : ولما قُتل الشريفان عليهما السّلام بعمران كَثُر الفساد في عشائر المغرب ونواحيه وارتفع مَنْ كان من العُمّال . ثم إنّ الأمير ذو الشرفين رتّب مخرجاً إلى بلد حَجور إلى ناحية بينة وسخدا(2) وبلد قحطان(3) فيه جيمع الشرفاء والسلاطين والعرفاء . فلمّا صار العسكر المنصور بأُقَر ظهر الخلافُ من عُذَر فصرف العسكر حتّى حطّوا بشعب بارزا من القرية فلمّا صاروا هنالك تألّبت عُذَر وكثُرت إليهم الغور ، وجعلوا يرمون في نواحي العسكر ، وزربت على العسكر عُذَر طريق بلادهم . ثم أجمع الكُلُّ من عُذَر وتكاثرت إليهم جُلُّ عشائر المغرب الغَور فلمّا رأى العسكر ذلك اقتسم الشرفاء والسلاطين والعرفاء أثلاثاً فكان مع الشريف الأجلّ ناصر الدولة وعزّها الحسن بن إبراهيم ثلث ، ومع الشريف الأجلّ سنان الدولة ثلث ، ومع الشريف الطاهر العفيف محمد بن القاسم ثلث فلمّا تراءى الجمعان واقتتل الفريقان حمل الشريفان ناصر الدولة وعزّها وسنان الدولة ورُكْنَها بِمَنْ معهما على مَنْ يليهم فأوقعوا فيهم السيوف ، < . . . >(*) بهم الحتوف ؛ والشريف الطاهر

(*) في الأصل كلمة غير مفهومة بخطٍّ مختلف .
(١) اللآلي المضية م 2/ص 180 .
(2) سخدا : جبل في منطقة شهارة . أبو فراس ، السيرة المنصورية ، جـ 2 ص 327 .
(3) قحطان : عزلة من ناحية الحميمة قضاء حجة . والقحطانة عزلة من ناحية وضرة قضاء حجة . التعداد السكاني التعاوني لمحافظة حجة ، ص 85 ، 167 ـ 168 .

العفيف محمد بن القاسم < في . . . . القوم >(*) الجهة الأخرى فيمن كان معه . فبينا هم كذلك إذ جاءهم الخبر بقتل القوم فحقّقوا الحملة على مَنْ في <الوادي . . . >(**)، ولحم أعداء الله السيف فكانوا في ذروةٍ منيعةٍ فقطع عليهم الشريف بمن معه ، فلم يزل فيهم القتلُ حتّى أجنّهم الليل . قال : وأمر بقطع الرؤوس فقطع منها اثنان وستون رأساً ، وأنفذ الرؤوس إلى حضرة الأمير ذي الشرفين بشهارة فأمر بالرؤوس < أن تُحمل . . . >(***) فحمل منها ثلاثون رأساً إلى سوق الجرافْ < وما تبقّى >(****) إلى سوق أَقُر فصُلبت .

ذكر ما جرى بين الأمير ذي الشرفين وصنوه سنان الدولة وركنها من عتوب وأسباب لا يحتملُها لِصِغَرِ حالِها الكتاب[1] .

قال : فلمّا سمع بذلك أهلُ الفساد من أهل صعدة وما يليها من البلاد كاتبوا الشريف سنان الدولة على أن يصل إليهم فنهض من عِيان حتّى وصل إلى الحقل وصار في درب يرسم[2] فخرج علاء بن أبي الخير بن مكرم من القرية حتى صار ببلد الربيعة وافترق أهل / الحقل نصفان بل الأكثر صار في جملة الشريف أحمد بن [م ق 81ب] جعفر . فنهض الشريفان الحسن بن إبراهيم وحميدان بن القاسم في جماعة من الشيعة حتى صاروا بالحقل ولزموا موضعاً يقال له : تلمص[3] . ثم إنّ الذين في

(*) في الأصل ثلاث كلمات بخطٍّ مختلف .

(**) في الأصل كلمتان بخطٍّ مختلف .

(***) في الأصل ثلاث كلمات بخطٍّ مختلف . وفي اللآلي المضية : فقطع منها اثنين وستين رأساً وأنفذ بها إلى حضرة الأمير ذي الشرفين بشهارة حرسها الله . وأمر منها بثلاثين رأساً إلى سوق الجراف . وأمر بباقيها إلى سوق أقر فصُلبت .

(****) في الأصل بخطٍّ مختلف .

(1) اللآلي المضية م 2/ص 180 ـ 181 .

(2) يُرْسم من قبائل صعدة وهم من الكلاع . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 224 ، 237 ، 368 ؛ الحجري : مجموع بلدان اليمن ، جـ 3 ص 469 .

(3) تلمص : حصن في الجنوب الغربي من مدينة صعدة ؛ إسماعيل الأكوع : البلدان اليمانية ، ص 57 ؛ الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، جـ 1 ص 155 ؛ المقحفي ، معجم البلدان والقبائل ، ص 109 ـ 110 .

حزب الشريف ناصر الدولة وعزّها من أهل القرية عاملوا على دخولها وكان الأكثر من أهلها في جملة الشريف سنان الدولة وركنها فنهض الشريف ليث الدولة وعضُدها حُميدان بن القاسم في جماعةٍ من أصحابه ، فلمّا دخلوا القرية لحمهم القتال وأجمع عليهم أهلُ الأسواق فألجئوا إلى دار ابن الوراق . فلمّا اشتدّ عليهم الأمر فتحوا الباب وخرجوا للقتال من ذلك الجناب فقُتل من الشيعة رجلان وأُصيبَ الشريف ليث الدولة وعضدها بنبلٍ لم يصل إليه منها بأس وأُصيب علي بن أبي الخير بنبلٍ فمات منها من ساعته . ثم < إنّ نفراً من >(*) أهل القرية وصل إلى الشريف سنان الدولة يبشّره بقتل مَنْ قُتل فغضب وكاد أن يسيء عليه وقال : تبشّروني بقتل شيعة الأمير ؟ ثمّ تقدّم إلى < . . . >(**) مَنْ كان هنالك وعظم عليه ما جرى من ذلك < . . . >(***) ليث الدولة فخرج إليه فترجّل له وسلّم عليه < . . . >(****) ونهض بهم مجمعين إلى مستقرِّه وحسُنت الأحوال . وقد كان قبل ذلك لمفرِّح بن أحمد كلامٌ تكلّم به بين يدي الأمير ذي الشرفين عليه السّلام وإلى كلٍّ واحدٍ من الشريفين كلامٌ من نَثْرٍ ونظام ويحضّهم على صلاح ذات البَين فكان ذلك والحمد لله . وهذه نسخةُ الشعر :

أذا الشرفين أكفف يد الغضب التي ... لها في التجافي < . . . >(*****)
وَزَعْ فوران الغيظ بالصبر إنّه ... لأُنْجَدُ من صرم الشقيق وأمجَدُ
وصِلْ رَحِماً تشكو إلى الله قولها ... تجاذَبَ حَبْلِي أحمدٌ ومحمدُ
وراقِب بنيك الأكرمين فإنّهم ... بصلحكما من سائر الناس أسعَدُ
وقولهما يا عمّ لا تنأ عن أبي ... ويا أبتا لا يذخر العَمُّ أحمدُ
إذا ما العصا انشقت فمن يرأب الذي ... تشقَّقَ من صُلبانها ويؤيِّدُ
وَمَنْ يَصِلُ المقطوعَ أم مَنْ لهفوةٍ ... يضمّ إليها نشرُها ويُرَدَّدُ
إذا أنت لم تُرْج لشعثٍ ووصلِهِ ... فَمَنْ يرتجي الشملُ الشتيتُ المبدَّدُ

(*) عن الهامش الأيسر من الصفحة .
(**) بياضٌ في الأصل .
(***) بياضٌ في الأصل .
(****) بياضٌ في الأصل .
(*****) بياضٌ في الأصل مقدار كلمتين .

وإنّ ساءَ بالمعتوب يومٌ فإنّه ... يَسُرُّك بالإعتاب من بعدِهِ غَدُ

أبا جعفرٍ لا تعدَمِ الفضلَ إنّها ... سجّيتُك الحُسْنى التي لا تُقَيَّدُ/ [م ق 82أ]

تجاوز تفضّلْ واكظم الغيظَ عن أخٍ ... فما ساد إلاّ بالكمال المسوَّدُ

فإنّ شفاءَ الغيظ والغلّ من أخٍ ... لأعيى وإنّ الكظمَ عنه لأَرْشَدُ

إذا ما يدٌ هَمَّتْ بسوءٍ لها يَدٌ ... فأدناهما للخير عن تلك أبْعَدُ

وكُلٌّ يدٍ كانت ولا كان بينها ... بها أُخْتها أحنى وأعنى وأوجَدُ

أُعيذُكَ أن يُكفى سنانٌ مُذَلَّقٌ ... ويُهدم من علياك ركنٌ مُشَيَّدُ

وصُنْهُ ليومٍ تبتدي أين مُسْعِدٌ ... إذا لم يكن يلقي على الموت مُسْعِدُ

كيوم رُميدٍ والمَحَطْوَرِ أو ثُلا ... وذروةَ فيها كان للركن مَشْهَدُ

وشعْبٍ وفي أبواب صنعا ومثلها ... كثيرٌ كثيرَ عَدُّها لو تُعَدَّدُ

< . . . . . >(*) مروم يستفاد ويوجد ... وأنّ أخاً من بعده ليس يولَدُ

أقِلَّهُ أنِلْهُ خُصَّهُ أدنِهِ أرجُهُ ... فإنّ الرجا في أحمدٍ منك أَحْمَدُ

فما مال إلاّ طائِع القلب عارفاً ... بحقّك مُثْنٍ ناشراً ليس يَجْحَدُ

ويعلم أنّ الميلَ عنك ضلالةٌ ... وإنك في المفروض فَرْضٌ مؤكَّدُ

< . . . >(**) في المصدر الحالة التي ... < . . . >(***) مستقبلاً حين يورد

< . . . >(***) البعد صبراً وإنه ... لأعظمها شوقاً إليك وأفقَدُ

< . . . >(*****) القلب أبيض ... وقلب الرضى منه إلى الغير أسود

< . . . >(******) على التي ... يؤكِّدُها حقُّ الإخا ويشدِّدُ

وقد غضّه من ناصر الدولة الحيا ... ومنك وأكْداه الذِّمامُ المعقّدُ

وهل يختشي من ناصر الدولة الذي ... له دونه الرأيُ الرصينُ المسدَّدُ

ففي حلمه في فضله في اقتداره ... وإيفائه ما لم تنل من يدٍ يدُ

(*) بياضٌ في الأصل .

(**) بياضٌ في الأصل .

(***) بياضٌ في الأصل .

(****) بياضٌ في الأصل مقدار ثلاث كلمات .

(*****) بياضٌ في الأصل مقدار أربع كلمات .

(******) بياضٌ في الأصل مقدار خمس كلمات .

كان ذلك في شهارة في شهر ذي القعدة من شهور سنة < . . . . . >(*) وسبعين وأربعمائة . وله أيضاً إلى الشريف ناصر الدولة وعزّها الحسن بن إبراهيم بن سليمان :

أناصر دولة الملك المسمَّى ... بذي الشرفين مشهور الكمالِ
وسيفاً لا يُقاسُ إليه سيفٌ ... إذا انتُضي المهنَّدُ للنِّزالِ
وأفتحها لوجه الرأي باباً ... إذا انغلق الصوابُ على الرجالِ
[م ق 82ب] وأرجحها وأمنحها يميناً ... وأسمحها بنفسٍ أو بمالِ /
وهل أدعو بأعلى فيك مما ... دعاك به الأميرُ أبا المعالي
تَعَدَّ العَتْبَ منك على ابن عمٍّ ... شقيقٍ في الأُخُوةِ والفعالِ
نصيرك في الملمات البوادي ... شريكك في المرائر والحوالي
يجيبُكَ حين تشتجرُ العوالي ... فيطعنُ حين تَشْتَجِرُ العوالي
أبان العتبَ فاختلفَتْ إليه ... رُواة الزور بالقول المحالِ
ولو دَبَّ الوُشاةُ إلى رواسي الجـ ... ـبال لزلزلوا قُنَنَ الجِبالِ
دعا الهجران فالدنيا ظلالٌ ... تميلُ ونحن منها في ضلالِ
ولو حصلت إلى أخوين ملكاً ... بما ملك الأواخرُ والأوالي
لما عَدلت بصرم أخٍ أخاه ... ولا اعتاضا القطيعةَ بالوصالِ
تجاذبني محبتك تراعاً ... إلى مندوحةٍ خَطَرَتْ ببالي
وصار الشوقُ للواشين حامٍ ... بما جلبوه من قِيلٍ وقالِ
ومولانا الأميرُ فليس يَدْري ... بِمَيْلٍ عن يمين أو شمالِ
فدبِّرْ في الصلاح أبا المعالي ... بكلِّ طريقةٍ وبكلِّ حالِ
[م ق 83أ] وصِلْ رَحِماً حبائلُها شِباكٌ ... وعند الله أطرافُ الحِبالِ /

وللأمير عمدة الإسلام إلى عمّه سنان الدولة ؛ وقيل : إنه على لسان صنوه القاسم بن محمد :

لَعَمْرُك يا خِدْنَ المكارمِ والفخرِ ... لقد ضاق مما ضقتَ ذرعاً به صدري

(*) بياض في الأصل مقدار كلمة .

وإني عظيمُ الغمّ مما لقيتُ من الأمـ ... ـر مشغولٌ به دائماً فكري
وما كان حقّك اليوم ذا العلى ... ولا كنت أهلاً للقطيعة والهَجْرِ
ولكنْ جرى ما قد جرى فتلقَّهُ ... بكظْمٍ وصبرٍ نعم عاقبةُ الصبرِ
وسلِّمْ لأمر المالك الكلّ إنه ... حقيقٌ بأن تجري له تحت ما يجري
وأهلٌ بأن ترضى بحالاتِ أمره ... ولو أنّه إذ ذاك من أصعب الأَمْرِ
لتحرز ما تبقى من الذكر والثنا ... وتبلغَ ما ترجوه من دائم الأَجْرِ
أما إنّه لو قال لي البحر فآرمه ... بنفسك لم أعدل بنفسي عن البحرِ
بذاك أما والله يُكتسب العُلى ... ويُدْرَكُ مأمولٌ من العزّ والفخرِ
وليس اتّباع الأمر منه بناقصٍ ... لك ابن الأصولِ الزاكياتِ من القَدْرِ(*) / [م ق 83ب]
لبل ذاك والقرآن إرغامك العدا ... وكبتك للشاني البعيد ذوي الغدرِ
فلا تَعْدِلَنْ دون الذي قلتَ مَعْدلاً ... وعجِّلْ به يا ابن السمادعة الغُرِّ
وَصِلْ من قريبٍ فآعتذر في الذي جرى ... فلا بأس عند الأخ < . . . . >(**) العذرِ
وهيت فمولانا قريبٌ من الذي ... تحبّ سريعٌ نحو ذلك لو تدري
وأنت بحمد الله أحظى مكانةً ... لديه وأولى بالكرامة والبِرِّ
وأنت لعمري نسل والده الذي ... يراك لصرف الدهر من أنفس الذُّخْرِ
وما زال بين الصنو والصنو دائماً ... عتابٌ وما في ذاك وَضْمٌ لذي حِجْرِ
وقد أخذ الهجران يوماً بحظِّه ... فمهلاً من الهجران إيهاً من الكِبْرِ
فلم تلف يوماً للجاجة حامداً ... ولا عائِباً حسن التلطف في الحرِّ
فأَخْلِفْ نيار الحقد(***) غير معلّمٍ ... وأدرِكْ ذراعاً قبل تُفضي إلى عَشْرِ
فليس بمولانا بديلٌ من الورى ... ولو ظفرتْ يُمناك بالشمس والبَدْرِ
ولا تعتبن مولاي إني ناصحٌ ... مُدِلٌّ أقيك اليومَ من نائب الدَّهْرِ

(*) على ق 83 أ بخطٍ مختلفٍ مسألةٌ فقهيةٌ في « شأن الجمع بين المرأة وعمتها من الرضاعة » . وقارن بالمقدمة في وصف المخطوطة .

(**) في الأصل كلمةٌ غير مفهومة بخطٍّ مختلف .

(***) فوق السطر في الأصل : الغِلّ .

ذكر الخبر عن وقعة الصاية[*] من بلد الجبر[1] :

قال : وكان حدث في مخلاف السلطان أبي الفتوح بن عليان فرقةٌ بين عشيرته الحجوريين ببينة في سنة خمس وسبعين وأربعمائة فقُتل بينهم رجلان ؛ من كل فئةٍ رجل . فنهض إليهم زهاء مائة رجل فأصلح بينهم وعاقب أهل الحطام[2] ثمّ قدم إلى الصاية فلمّا صار بها طلب أهلها الصريخ في بلد الجبر فما كان أقرب الأوقات إلا وقد أحاطت بهم العشائر من جميع الجهات فقاتل هو وأصحابه قتالاً شديداً فما خلّصهم مع الله تعالى إلّا ما في أيديهم من السلاح ، وقتل منهم أربعةُ رجالٍ وقَتَلوا من العشيرة رجلين ، ونُهب ثقل السلطان وكثُرت القالة منهم وهم مع ذلك مستعدّون للهرب عند الطلب والأمير ذو الشرفين يمادي لهم في المهلة ويتوقّع منهم الغفلة مع أنه قد رتّب عليهم الفتنة ؛ وظنوا أنّها فتنةٌ كفتنةِ العشائر وأنّ الأمير ذا الشرفين عليهم غير قادر . فلمّا كان في رأس الحول رتّب عليه السّلام مخرجاً أنهض فيه ولده الأمير عمدة الإسلام الأجلّ الأوحد جعفر بن محمد في عِدّةٍ من الشرفاء والسلاطين والشيعة والعرفاء والدياوين فنزل الأمير عمدة الإسلام إلى أقر فعقد هنالك العسكر وتوجّه بهم
[م ق 84أ] إلى بلد عُذَر وقد كان جرى هنالك/ أبعاث < . . . >(**) باديتهم فتأدّوا إليه وتسلموا واحتملوا بالعقوبة وارتسموا فأقام هنالك حتّى استوفى جميع ذلك . وقد كان الأمير ذو الشرفين أتْبعهم إلى الأمير عمدة الإسلام بأحمالٍ من الزاد يُوهِمُهُم أنه يريد أقاصي البلاد فقسّم ذلك بين العسكر ورفع في بعض النهار طريق صعدة غير بعيدٍ حتّى يرجع العلم بذلك إلى أهل الصاية من عيونهم . ثمّ استعاد حتّى حط بالعسكر بعد العشاء الآخرة بوادي وعار وحرَّم على العسكر قيد النيار . وكتب إلى أبيه في غَسَقٍ من الظلام يعرّفُهُ بمكانه وما قد عزم عليه(***) في شأنه فما أخطأ في كتابة شيئاً من المُراد إلّا لطخةً على حرفٍ واحدٍ من المداد فلمّا كان في أعقاب الليل أمر بالشدّ

(*) الصاية : قرية من عزلة الجبر الأعلى ناحية المفتاح قضاء الشرفين ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة حجة ، ص 289 .

(**) بياضٌ في الأصل .

(***) من ، فوق السطر في الأصل .

(1) اللآلي المضية م 2/ص 181 . وقارن بأنباء الزمن م 1/ص 167 ـ 168 ، وغاية الأماني 1/270 .

(2) واضح من النص أن الحطام من بلاد وادي بينة .

على الركاب والخيل وشرح عليهم وعرّفهم أن قصده الصاية من بلد الجبر وجعل على مقدّمته السلطان أبا الفتوح بن عليان فيمن معه من الشيعة والديوان ونهض في بقية العسكر فما كان طلعة الفجر إلّا وقد صبّحهم الرجالُ بعد أن أعطوه جهدهم في القتال حتّى وصل الأمير عمدة الإسلام في جملة العسكر وقد اتّصلت بهم موادّ الجبر . فلمّا وصل الأمير عمدة الإسلام وتقدمت الراية إلى باب درب الصاية وانهزمت المواد . ولقد كان في هذه القرية من المنكر والفساد ما لم يكن في غيرها من سائر البلاد من شرب خمورٍ وارتكاب شرورٍ وفواسد كثيرة ومنكر كبير . قال : وحملهم البطر والأَشَر على أن سمَّوا هؤلاء الفواسد لعنهم الله بكبار الشرفاء ومقدّمات السلاطين والعرفاء وعملوا فيهم الرجز والغناء ، من قولهم لعنهم الله :

نحمي على الصاية بالسيوف ويلحق الأشراف بالحصوف
ونرجم الشيعة بالحتوف وندفع واجبنا لدوف

< فاسدة >(*) أكرم الله السامع والقارىء ؛ قال : فلمّا تقدّمت الراية إلى باب درب الصاية غشيهم العسكر فقُتل منهم الكثيرُ وفلت اليسير وأُسر منها أنفار فأطلقوا شهارة حتّى يفادوا أنفسهم بالأموال الثقيلة ، وأُخذت الغنائم الكثيرة .

ذكر الخبر عن وفاة الشريف الأمير ذي الشرفين محمَّد بن جعفر بن الإمام القاسم بن علي صلواتُ الله عليهم :

قال مفرِّح بن أحمد(1) ؛ سألْتُ الأمير عمدة الإسلام جعفر بن محمد بن جعفر عن خبر وفاة حي والده الأمير ذي الشرفين فقال : سألْتَ يا أخي / أطال الله مُدّتَكَ [م ق 84ب] وأدام نعمتك عن قصة وفاة حي مولانا قَدَّسَ اللّهُ روحه ونَوّر ضريحه ! والأصلُ في ذلك أنه كان كما تعلم في صِحّةٍ وقوةِ الجسد واعتدال الطبائع والمزاج فلم يكن يعتني بشيءٍ من الطبّ من غير جهلٍ به ولا قلّةِ معرفةٍ . وكان صلواتُ الله عليه كثير

(*) كذا في الأصل ، وربما كانت هناك كلماتٌ ناقصة . وفي اللآلي المضية : وهي فاسدةٌ لعنهم الله .

(1) اللآلي المضية م 2/ص 184 ـ 186 .

الاشتغال بدراسة كتاب الله تعالى وكتب أسلافه عليهم السّلام والنظر في الآثار والسِيَر والأحكام في الحلال والحرام وفنون العلم حرصاً منه على النظر في السلامة في الدين والتخلّص مما وقع فيه من أمور المسلمين ، والنهْي والأمر لأهل الإسلام بعد ذهاب الشريف الفاضل كان صنوه القاسم بن جعفر حتّى أنه كان موجب أجرى فيه شيئاً من الكلام فقال : والله ما يخلو يومٌ من الأيام حتّى أقفَ فيه على أثَرٍ من الأحكام ! وعليه مع ذلك من الكُلَف والقيام بأمر المسلمين وقضاء حوائج المحتاجين ما لم يكن ليقومَ به سواه حتّى حدث معه بسبب غفلته عن معاناة نفسه امتلاءٌ وغفل عنه حتّى حدث معه منه في سنة ثلاثٍ وسبعين وَجَعٌ دَبَّ في أظفار يده الشمال ثمّ صار في الأصابع على سبيل الخَدَر والفالج . ثمّ انتبه من تلك الغفلة وأخذ في قراءة كتب الطبّ والاستفراغ والفصد والحجامة على سبيل الفرع(*) من ذلك حتّى أفرط فيما يفعل ولحقه من الفصد غَشْو . ثمّ شرب شربةً قويةً . فلمّا أكمل الدواء وأحدّه مال إلى حوضٍ في جانب الدار مملوءاً ماءً بارداً فشرب منه فوق ما يجب أن يشربه ثمّ تقيّأه لعمري على المكان وقد أثّر معه ، غير أنه قد أحسن معاناة ذلك فخلص منه . ثمّ خطب امرأةً برحبة فدخل بها في آخِر سنة سبعٍ وسبعين ولم يلبث عندها إلّا خمسة أيّامٍ في عافية أصبحْنا وغدونا إليه للصباح فلم يظهر إلينا وكلما سألنا عنه قيل هو نائمٌ فطال علينا ذلك حتّى مضى عامَّةُ ذلك اليوم فقلنا ليس هذا بنومٍ ولكن لعله مشتغل ! فما زلنا ننتظر الإذْن لحوائج نشتهي مشافهته فيها حتّى وقت العصر . ثمّ إذا أنّ الصوت قد ارتفع في جانب الدار على حين غَفْلةٍ من الناس فلم يبق أحدٌ يُسْمِعُ له بأذُنٍ من صياح الحريم والجواري والصبيان ! وجرى شيءٌ بخلاف العادة لأنه لم يكن صوتٌ يرتفع أبداً في صغيرٍ من المرزية ولا كبير . قد قُتل القاسمان وهو من أكبر خَطْبٍ وشأنٍ فلم يكن شيءٌ من ذلك أصلاً . فهرج الناس من تلك الهائِعة والصياح وأغار الكلّ من أهل الحصن بالسلاح وعظُم الأمر ، وكاد الناس أن يقع بعضهم في بعض فحينئذٍ دخلْتُ الدار فقلتُ : ما القصة ؟ فقيل : مات الأمير ! فقلتُ في نفسي : لم يَمُتْ وهو مَغْشيٌّ عليه لسرعة الأمر الذي صار إليه فما زلت حتى ميزت الحريم / ـ وكان من عادته عليه السلام أن يحجب حريمه من كبار أولاده فضلاً عن [م ق 85أ]

(*) كذا في الأصل ، وربما كانت صحتها : الفزع أو الفراغ .

الخاصّ والعامّ ـ فدخلْتُ عليه وأدخلْتُ خواصاً من أصحابه إليه ، فنظرنا إليه ، وإذا إنّه حيٌّ إلاّ أنه لا يَدري بمن دخل ولا يَعْقِلُ من أَمْره بشيءٍ ، ولا يجري فيه النسم بالكلية إلاّ فُوافاً بعد فُواق ؛ فخرجْتُ إلى الناس فعرّفْتُهُم أنه متوجِّعٌ من غير بأس فما كادت أنفُسُهُم تسكُنُ حتّى أَدخلْتُ بعضَهُم عليه ، ثمّ انصرفوا وقمنا عنده عشيتنا في ليلتنا حتّى أصبح وعُوفي حَتّى مَنَّ اللّهُ بعافيته فكُلِّم وتَكلَّم وفَهِم وأَفهم من غير أن يفارقه الوجع وكان هذا في أيامٍ من شهر ذي القعدة إلى شهر ذي الحجة والمُحَرَّم ؛ يمرض حيناً وَيصِحُّ حيناً . فلمّا خشي ما لا بُدَّ منه ولا مَحيص عنه من هجومِ أمر الله تعالى عليه أرسل إليَّ ذات ليلةٍ فوصلْتُ إليه فقال لي : يا بني ! إنّ عمك كان عليه السّلام كما علمْتَ من الحرص في أمور هذه الهجرة والقيام وآلت الأمور إلى ما آلت إليه بعد رجوعنا من حصون اليمن فلم يستحلّ أن يقف في هذا الجبل خوف ضررٍ يلحقُهُ أو خَلَل . وقد علمت سبب ذلك ولم يغب عنك ما هنالك فطرح بنفسه بين الأعداء وهذا من أعظم الأشياء ، وإلاّ فلو سكن في حصنه واستقرّ في موضعه وأمنه حتّى يأتيه أمر الله لَسَلِمَ مما وقع فيه ، فاستهان تَلَفَ نفسه بسبب هذه الهجرة ومن أجْلها وطلباً لمصلحةِ هذه القلعة وأهلها ؛ وذلك رأْيـي من بعده ولو أردْتُ نثر أمور هذا الجبل لكان بكلمةٍ واحدةٍ إلاّ أني لم أستحلّ ذلك في الدين ولا أرى فيه صلاحاً للمسلمين ، ولستُ أُوصيك إلاّ بما رأيتُهُ لنفسي وما رآه عَمُّك لنفسه . فٱحذر أن تلْقى الله لأهلها بخذلٍ ولا تشرك في تعطيلها بقولٍ ولا فعل . وٱعلمْ أنّ معك فيها رجالاً إن استنصحْتَهُم نَصَحُوك ، وإن استعنْتَ بهم أعانوك ؛ أهل خبرةٍ بالأُمور وأهل دينٍ وورعٍ وتُقًى . ولمّا كان بعد ذلك في مَرّةٍ ثانيةٍ قال لي : يا بني ! قال جدُّك القاسم صلَواتُ الله عليه لبعض ولده : يا بُنيْ وأَلْجِ ظَهْرَكَ في الأمور كلِّها إلى الله فإنك تُلجيها إلى حرزٍ حريزٍ ومانعٍ من الضيم عزيز . فأنا أُوصيكَ بتقوى الله والالتجاء إليه . وٱعلم أنّ أهلَ هذه الهجرة لم يُؤتَوا أبداً إلاّ من قِبَلِ أنفسهم . الحصنُ منيعٌ والطعامُ كثيرٌ ، والمناهل معمورة والحرم للحَطب محرمٌ ؛ في جنسٍ من هذا الكلام . ثمّ دعا بكتابٍ كتبه إلى المهدي لدين الله عليه السّلام فطلبه أشدّ طلبةٍ وهَمَّ أن يودعني إيّاهُ فلم يجدْهُ . فلمّا تُوُفّي رضي الله عنه وجدْتُهُ بعده فاحتفظْتُ به . قال : واشتدّتْ عليه ، ودار يوماً كلامٌ فدعونا الله أن يطيل في عمره فقال : الله

أكبر أنتم في شيءٍ وأنا في شيءٍ أنا أُودُّ خِفَّةَ ساعةٍ أُميِّزُ ما لي فيها مما عليَّ ؛ فأمّا أَمْرُ الله فكائنٌ على / كلِّ حال ! فأحسنّا له الدعاء والابتهال ولم يمكنه كثيرٌ مما كان يريده [م ق 85ب] إلاّ أنه قال : ما ترك شيئاً يستطيعه من وصاياه . وقد كان لمّا حضر عيدُ الأضحى أمر بالصلاة في المسجد الجامع وأمرني فصلّيْتُ بالجماعة وخرج علينا بعد الفراغ من الصلاة بساعةٍ فصبَّحَهُ النّاسُ وهم في المسجد بالصعيد وصلّى هنالك صلاة العيد ومضى إلى السلطان محمد بن أنس في ذلك اليوم فزاره وكان وَجِعاً ثمّ آنثنى من عنده فلم يلبث أن آشتدّت به العِلّةُ فأقام آخِر شهر ذي الحجة والمُحَرَّم على حالةٍ مختلّة . فلمّا كان قبل موته بثلاثة أيامٍ أو قريباً منها رفع رأسه عليه السّلام في بعضٍ من الليل وأنا جالسٌ عند رأسه عليه السّلام فقال : يا بني ! إنك مستقبِلٌ أموراً صعبةً وهذا الشهر يفتح عليك أبواب المرض وربما قطعت عن الغرض والسهر يدعو إلى الأسقام فقدّم في حفظ الله واعمل على المنام فأصحابنا ها هنا عندي ، وإنْ بدت حاجةٌ وصلك رسولي . فلم أُحبّ مخالفته فلمّا أصبح غدوتُ لصباحه مبكّراً فوجدته مجهوداً غير ما كنتُ أعرفُ فشكى إليّ أنه لمّا كان في بعض الليل آشتدّ به التعب فلم أزل عنده حتّى ورد رسول الشريفين الحسن بن إبراهيم ومحمد بن القاسم يستأذنان عليه للصباح والزيارة ففتح لهما على تَعَبٍ عظيمٍ وخرجا من عنده في الحين . فقال لنا : ما ترون فيَّ أَمارات الموت ؟ فقلنا : يبقيك الله يا مولانا ! وَعَظُمَ علينا كلامُهُ ، وأمَرَنا أن نُجْلِسَهُ فأَجْلسناه مستقبِلَ القِبْلة فختم أعمالَهُ كُلَّها بالاستغفار والتوبة إليه والرغبة فيما عنده ولديه . وأُقيم لقضاء حاجةٍ فكاد أن يموت في طريقه على قربها وَرُدَّ إلى البيت فلم تكد نفسُهُ ترجع إليه . فلمّا سكن بعد ساعةٍ طويلةٍ التفت إليَّ ثم قال : شدّ . ثم ثنى فقال : شد في رفع الصوت وكن فيما أنت كائنٌ فإني لِمَا بي من الموت ! فمات رضي الله عنه في نصف النهار في ذلك اليوم رحمةُ الله عليه ورضوان وبركاته وإحسانه .

قال : وقد كان قبل موته بالشيء اليسير استأذنّاه للقيام إلى الصلاة نريد لنتفرّغ لنُمْسي عنده لما قد رأيناه فيه من التعب فقال : افعلوا وحُثّوا فإنّ الأمر قد اقترب ! فكنتُ فيمن قام فعمدْتُ في سرعةٍ إلى الطهور ، فما أكملْتُ حتّى قد بلغني الرسولُ بعلم موته فصلّيتُ كما يعلمُ الله ووصلْتُ وقد فَرَغَ الأمر . فاسترجعْتُ واستغفرتُ الله

واستعصمْتُ به وأرسلْتُ بالأمر إلى الشريفين الأجَلّين محمد بن القاسم والحسن بن إبراهيم ومقدّمات الجماعة ووقفْتُ عنده وكتمْنا أمره / عن الحريم والصغير والكبير [م ق 86أ] فما علم به أحدٌ غير مَنْ ذَكَرْتُ . واشتور الشريفان والمقدّمات فرأوا إقامة العزاء بأَقَر وأرسلوا إليَّ برأيهم في ذلك فرأيتُهُ أصوب ما يكون فكتبْنا الكتب إلى كافّة العشائر . فلمّا فرغْنا من الكتب أنهضْنا بها الشيخ ليث بن يحيى إلى بلد وادعة والسلطان الحسين بن إبراهيم إلى بلاد بكيل فنهضا وفرقاها في جميع النواحي .

فلمّا كان في ضحوة النهار من الغد يوم الأربعاء أَمرتُ بجميع الناس فاجتمعوا فقال لي بعضُ مَنْ حضر ، لمّا خرج الأمير أبو عبد الله أجرى مع الناس كلاماً واسعاً وخاطبهم خطاباً جامعاً فكان من قوله أن قال : قد علمتم أمر هذه الهجرة الطاهرة حرسها الله وقد صار أميركم عليلاً عن مشافهة الجماعة منكم ثقيلاً والواجب على الجماعة إتقان الحراسة وإثْبات أُمور العساسة وقلّة الغفلة في الليل والنهار والإعلان والإسرار فإنْ جرى على أميركم حالٌ كنتم غيرَ مُفَرِّطين فهو ممن يموتُ وبالله نستعين . وعليكم بالحزم والعزم وقّة الفَزَع والجَزَع والصبر فإنّه أعظمُ الأَجْر . وحاموا على حريمكم ودينكم واللّهَ أسأَلُهُ أن يكونَ يُعينُكُم . فأجابة الكافّةُ من الجماعة بالسمع والطاعة والاتّباع لأمره والازدجار عن زَجْره . فعندها قرأ الآيةَ من كتاب الله سبحانه حيث يقول[1] : ﴿ **وما محمدٌ إلّا رسولٌ قد خَلَتْ من قبله الرُّسُل أفإنْ مات أو قُتل آنقلبتم على أعقابكم . وَمَنْ ينقلب على عقبيه فلن يَضُرَّ اللّهَ شيئاً وسيجزي اللّهُ الشاكرين** ﴾ ثم عزّى لهم في الأمير ذي الشرفين عند فراغه من هذا الكلام فلم تُر إلّا عيناً قاطرةً أو باكياً أو مسترجعاً أو منتحباً ، وارتج الجبلُ بالبكاء من غير صوتٍ مرفوعٍ ولا صياحٍ مسموع . ثمّ قال للجماعة : قوموا في جهاز أميركم رحمكم الله ! فقاموا في الجهاز وشمّروا لإبْرازه . وحفر له في موضعٍ كان قد أوصى أن يُقْبَرَ فيه لأنه اشتراه من صميم ماله وطيّب حلاله فلمّا حُمل إليه وصلّى الشريف الطاهر العفيف محمد بن القاسم بالجماعة عليه ودُلّي في قبره وفُرغ من جهازه وأمره ، برز الجماعةُ من الشيعة فاشتوروا ورجعوا يعرضون من أنفسهم البيعة فأمر

---

(1) سورة آل عمران/ 144 .

الكُلَّ منهم بالإقْبال على شأنه والعودة إلى مكانه حتّى يكونَ من الغد ويُقْبِلوا إليه . فلمّا كان من الغد وصلوا مُجفلين فبايعوا له سامعين طائعين وذلك يوم الخميس الخامس وعشرين من شهر المحرَّم من شهور سنة ثمانٍ وسبعين وأربعمائة . قال : فلمّا فرغ من البيعة للشيعة أقبل على ترتيب الجبل وتفقُّد نواحيه وإحكام محارسه ومراشيه /. وأمر بترتيب العزاء إلى أَقَر فضُربت هنالك المضارب وحُمل القِرى من كُلِّ جانب . فلمّا كان يوم الأحد الثامن وعشرين من المحرَّم نزل بنفسه في جماعةٍ من أهل بيته وإخوْته والكافّة من أهل بيعته وشيعته في أحسن زِيٍّ وترتيبٍ ولقيه إلى هنالك في يومه ذلك عَمُّهُ سِنانُ الدولة وركنُها أحمد بن جعفر . [م ق 86ب]

قال : وآستخلف على الحصن صنوه الشريفَ الأَجَلَّ الحسين بن محمد بن جعفر في جماعةٍ مُرَتَّبين على الحراسة والعساسة . قال : وأقبلت العشائرُ من مخاليف شهارة بالطاعة والاستمرار والمعونة والإجرار فَرَتّب القِرى أثلاثاً ، وقدّم فيه الشرفاء والسلاطين ومع كلٍّ منهم من يُحتاج إليه من مستخدَمٍ أو مُعين . فكان هو وشيعتُهُ في ثُلُث ، والشريف ناصر الدولة وعزّها الحسن بن إبراهيم والسلاطين الهمدانيون في ثلث ، وجعل الشريف سنان الدولة وركنها أحمد بن جعفر ومحمد بن القاسم بن جعفر والسلطان أبو الفتوح بن عليان في ثلث . وأمر بالقِرى الجزيل وقوبل الناس بالمقال الجميل ، وقرّت الأمور على أحسن مجاريها ، وتكاملت عشائر شهارة من جميع نواحيها فحلفوا له على السمع والطاعة . قال : ولمّا وصلت كتب الأمير عمدة الإسلام إلى بلاد بني صريم وقُرىء عليهم الكتاب يوم السبت في سوق الجراف اشتوروا على العزاء والإجفال في الخيل والسلاح والرجال وتعاطوا على ذلك الأخفار ودار بينهم كلامٌ فقالوا : لا يتخلّف أحدٌ بفرس ولا سلاحٍ ولا عُدّةٍ ولا صلاح ، وننزل فنعزّي لأميرنا بأميرنا فإنْ وجدْنا ناجماً قد نجم وخَطْباً قد أَلَمّ كنّا على الاستعداد وبلغْنا معه إلى ما يحبُّ من المُراد وعلى ذلك بنى الكل من وادعة وحاشد وبكيل فأجمعوا على ذلك بلسانٍ واحدٍ ولا مواصلة ولا مكاتبة ولا مراسلة . فكان أول مَنْ عَزّى بعد أهل المغرب وادعة السفل من عبيدي وضموي وشرحبيلي ومالكي وعبدي وهرثمي ومعمري فوصلوا في العُدد والسلاح فعزّوا يوم الاثنين التاسع وعشرين من المحرم وحلفوا للأمير عمدة الإسلام بالسمع والطاعة

والكون في جملة الجماعة . ثمّ وصلت بنو ضَريم قاصيها ودانيها وجميع روادها ونواحيها في خيلٍ كثيرٍ وعُدَدٍ مشهورةٍ فعزّوا يوم الثلاثاء آخِر يومٍ من شهر المحرم ثمّ حلفوا للأمير عمدة الإسلام على السمع والطاعة . ثم وصلت قبائلُ بكيل في الخيل والرجال والسلاح والكمال فعزّوا أول يومٍ من شهر صفر وحلفوا للأمير عمدة الإسلام على السمع والطاعة / . ثمّ وصلت سلاطين بني الزواحي ، ووصل بعدهم سلاطين [م ق 87أ] بني المنتاب من مَسْوَر في جماعةٍ من وجوه حمير . ثمّ وصل ذعفان بن يحيى في جماعةٍ من همدان . ثمّ وصل أهل الحقل من صعديٍّ وربيعيٍّ ومالكيٍّ وغيرهم من خولان . وكل من وصل أعطى الأمير عمدة الإسلام بيعته ، فاجتمع هنالك خَلْقٌ كثير . فلما كملت التعزية على عظيم المرزية طلع الأمير عمدة الإسلام إلى مستَقَرّ عِزّه شهارة .

رجع الحديث إلى ذكر وصايا الأمير ذي الشرفين عليه السّلام :

فكان من وصاياه عليه السّلام إلى ولده ما كتبه بخط يده . بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلّى الله على رسوله سيدنا محمّدٍ وأهله وسلّم تسليماً . عبد الله وابن عبديه وإمائه محمد بن جعفر يشهد أن لا إلّه إلّا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحقّ لِيُظْهِرَهُ على الدين كُلِّه ولو كره المشركون . ويشهد أنّ الله عَدْلٌ في جميع أفعاله ، صادقٌ في جميع أقواله . وأنّ وعده ووعيده حقٌّ صدق لا خلف لشيءٍ من ذلك . وأنّ الساعة آتيةٌ لا ريب فيها وأنّ الله يبعثُ مَنْ في القبور . وأنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب خليفةُ رسول الله ووصيّه والقائم مقامه والإمام من بعده حجّة الله على خَلْقه . وأنّ الحَسَن والحُسين أبناء رسول الله صلّى الله عليه وعلى أهله وأقرب قرابته وأحقّهم بنسبه وولادته . وأنهما الإمامان وحُجّة الله على العباد بعد أبويهما والقائمان في الأمة مقامهما . وأن الإمامة من بعدهما فيمن طاب من ذريتهما وآحتذى بحذوهما وكان في جميع صفاته كهما . لا إمام يكون أبداً إلّا من نسلهما وعقبهما . وأنّ الحسين بن القاسم المهدي لدين الله الذي بَشّرَ اللّهُ به على لسان رسوله الذي يملؤها عدلاً كما مُلئت جَوراً ، وأنه صادق فيما دعا بريءٌ من الكذب والافتراء لقول الله جل وعلا : ﴿ **إنّما يخشى اللّهَ من عباده العلماء** ﴾[1] .

(1) سورة فاطر/ 28 .

اللهم إن هذه شهادتي الحق أشهد بها ولحُجَجك من خلقك أريد بذلك رضاك فاكتُبْني مع الشاهدين ، وآغفر لي ولوالديّ وللمؤمنين بحقّك العظيم يا ربَّ العالمين .

وبعد يا ولديَّ محمد بن القاسم بن جعفر وجعفر بن محمد بن جعفر فقد لم أذَّكر(*) أحداً من القرابة أصرف خطابي إليه غيركما إذ قد صرتما كبيري هذه الذرية التي لحيّ مولانا الشريف رضي الله عنه ولي . وأنا أُوصيكما وجميع إخوتكما بطاعة الله بدياً وإيثار رضاه وتصحيح ما بينكم وبينه وتحقيق تقواه فإن : ﴿ الله مع الذين [م ق 87ب] اتّقَوا / والذين هم محسنون ﴾(1) وكفى العبد أن يكون الله معه . ثم بِضَمّ هذه الذُرّيّة والقيام عليهم ولفّ شملهم وحياطتهم وحفظهم ولا تضيّعاهم فيضيعوا ولا تهملاهم فيُهْمَلوا وكذلك أهل هذه الهجرة : لفًّا شعثهم وحُوطا عزَّهم وحذّراهم التفرُّقَ والاختلاف فإنّ في ذلك للإلقاءَ باليد إلى التهلكة ولتكن الكلمة واحدة والرأيُ رأياً متفقاً والعزم متجدّداً فيما يجعل الله للجميع مخرجاً وبعد هذا فأنا مبيِّنٌ لكما أسباباً لا غنى عن بيانها . وإن كان كتابي هذا في وقت عَجَلةٍ وشغلٍ من أجل العلة ؛ كلّ سلاحٍ بيدي أو بيدي كثيرٍ من أهل الهجرة فإنه مكتَسَبٌ من هذه الأسباب الراجعة إلى بيت مال المسلمين يُنتفع فيها بسبيل الله لجهاد أعداء الله حتّى يكونَ لمولانا المهدي لدين الله صلواتُ الله عليه النظر فيها . كذلك كُلُّ كتابٍ نسخته بعد قيامنا بهذه الأمور موقوفٌ لمصالح الإسلام إلى ظهور مولانا المهديّ عليه السّلام .

ثمّ مضى في فصلٍ يتعلّقُ بخاصته وتفسير أشياء من تركته إلى أن أتى في فصلٍ من الكلام يقول فيه :

وأما كُلُّ شربةٍ شربتُها بعد ذهاب مولانا الشريف في عِيان أو بلد حَجور فراجعةٌ إلى بيت مال المسلمين ، موقوفةٌ لنظر مولانا المهديّ للدين عليه صَلَواتُ ربِّ العالمين .

ثم كان آخِر وصيته في تبيان ما خَلَّفَ من تركته ، وهذه النسخةُ مما وجدْتُهُ بخطِّ يده :

(*) في الأصل : ادذكر .

(1) سورة النحل/ 128 .

فصلٌ في الاستخارة والاستشارة لربّه والمناجاة له . وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم . أستعين بالله يا إلّهي وسيدي ما الذي ترى لي ونما تشير به عليَّ إلّهي وسيدي أنا مستقيمٌ بين خوفٍ ورجاء ، وبين إرسال وإمساك ، وبين قَرارٍ وفِرارٍ ، إلّهي وسيّدي فآغْفِر لي وآختَرْ لي بخيرتك . وتولَّ عوني بحَولك العظيم . إلّهي وسيّدي قد رأيتُ أن أتأنّى وأُقلّب الآراء وأجريها شيئاً شيئاً فوفِّقْني وسدِّدْني وأصِبْ بي الأرشَدَ من أمري . أولُ ما أعملُ عليه الصبر على ما أنا فيه وإنّي أقومُ به وأُقاسيه خشيةَ أن يكونَ انتِثارُهُ بأسبابي وأشرك في هلاك أهل الدين وأنا في خلال ذلك أستخيرُ الله .

ثم أتى بكلامٍ كأنه رآه في المنام فقال : اعمل الآن على مُداراة مَنْ أنت معه والصبر على ما تكره منهم والتلطُّف في جميع الأمور . وأَعمِلْ في ذلك عقلك وكذلك مَنْ تحت يدك ؛ عِظْهُم وتلطَّفْ بهم ، وحاسِبكَ مع الكُلِّ حسابَ أسيرٍ في أيدي قادرين . وإذا غضبْتَ فآذكُر قولَ الله[1]/ : ﴿ وإذا ما غضبوا هم يغفرون ﴾ ، [م ق 88أ]
﴿ **والكاظمين الغيظ والعافِين عن النّاس واللّهُ يُحِبُّ المُحْسِنين** ﴾[2] . وآذكر قُرْب الأجل وحُدوثَ العِلَل ، ومفارقةَ مَنْ فارقت من أخٍ وقريبٍ ومُخطىء ومُصيب وشباب وشيب ، فأنت تكونُ كَهُم عن قريب .

ومما رُوي من كلامه عليه السّلام أنه قال : مَنْ رام كشف هذه الهجرة فليدافع أو قال يمانع . ومما رُوي عنه أنه قال : بنينا أمورَنا على صِحّةٍ فمن أرادنا بسوءٍ كَشَفَهُ الله .

ومن كلامه ومناجاته لله سبحانه < في خلواته >(*) ما وجدْتُهُ بخطّ يده بعد وفاته : بسم الله الرحمن الرحيم . العقود سبعةُ وجوهٍ : **أولها** : مقاطعةُ بني الصُّليحي وأتباعهم وأعوانهم . **والثاني** : إيثار رضا الله سبحانه على رضا المخلوقين ، ولزم شهارة وترك مفارقتها إلّا لقضاء حاجة . **والثالث** : لا أنتفعُ مما يقبض بسبب الأمر والنهي بشيءٍ أصلاً إلّا من ضرورةٍ يُخاف منها الهلاك . **والرابع** :

(*) عن الهامش الأيمن من الصفحة .

(1) سورة الشورى/37 . وفي الأصل : والذين إذا غضبوا .

(2) سورة آل عمران/134 .

العدلُ بين النساء . **والخامس** : الذُلُّ لأوليـاء الله وحُسْنُ الخُلُق لهم والصبر على تعبهم وإلانةُ الجانب لهم ، وتركُ الغلظة عليهم ، والإحسان بقدر الطاقة إليهم إمّا بكلامٍ ليِّنٍ سَمْحٍ وإمّا بقضاء حاجةٍ ما يسهُلُ من حوائجهم . **والسادس** : الصلاةُ على أوقاتها . **والسابع** : الحرصُ والاجتهاد في الورع والصدق في الحديث وإلاّ فالإمْساك ، ولا تخف إلاّ الله ولا تَرْجُ غيره فكل شيءٍ زائلٌ فانٍ ذاهب ، واللّهُ عوضٌ بكلِّ فائتٍ وكفى .

وهذا لعمر الله من محاسن الكلام .

ومن كلامٍ له عليه السّلام : قسر النفس على طاعة الله وإلزامها المكروه في مرضاته ، والذل لأولياء الله ، ولزوم الصبر الشديد عند رؤية ما أكره من أحدهم ، والمعرفة بحقّ الفاضل منهم ، وترك الحقد عليهم ، والحرص في صلة الرحم ، واحتمال أذى من يؤذي منهم ، ولا أُخارج أحداً منهم قطّ إلى مكروهٍ بل أكونُ الدليلَ له إلاّ في سببٍ أعلم أنه رضا الله ، والنظر في مواصلة من تجهش(*) النفس إلى مواصلته ؛ فإنْ كانت مواصلتُهُ لله فأجتهدُ فيها وإن كانت مُداراةً فأصبر عليها ؛ وإن كانت هوىً فأرفضها ، ومقاطعة أعداء الله إلاّ لحال ضرورة ، والصبر على الحال التي أكونُ فيها كيف كان ضِيْقُها حتّى يجعلَ الله فرجاً ومخرجاً أو أُموت ، ولـزوم الصمت إلاّ بذكر الله سبحانه والحديث بسرور أولياء الله إذا كان السكوت جَفاءً أو الحديث مع بعض أعداء الله لموجب إمّا ردّ جوابٍ أو قضاء حاجة إن كانت ، أو مداراة ، أو الحديث في العلم والتعليم ، والإكثار من ذلك رضاءً لله سبحانه ، ولا تطلق كلاماً عاد فيه شكٌّ ، والزم الصمتَ على كلِّ حال ، والاستعداد لجهاد أعداء [ن 88ب] الله ولا تستقلّ من آلات الجهاد شيئاً ، وترك اليمين بالله لا بارّاً ولا آثِماً إلاّ ناسياً أو مضطراً مضرةً يُخْشى منها التَلَف .

ومن كلامه عليه السّلام : بسم الله الرحمن الرحيم : توطّن النفس على أنّ المؤمن يُمتَحَنُ في هذه الدنيا حيناً بالسقم ، وحيناً بتأخير النصر وعلوّ يد العدو عليه وما شاكل هذا مما هو كريهٌ إلى النفس ، ومما يكون به شماتةُ العدو وغمّ الصديق .

(*) في الأصل : تشهج

والفرج في خلال ذلك ينتظر في الليل والنهار . والموت كذلك أحد اليومين وقد فوجىء به الإنسان فلا يستطيع إقالةً ولا له نَظِرة . من كان يتحقّقُ هذا وجب عليه أن لا يغفل كلّ هذه الغفلة وقد للناس إليك حوائج فاجعل لهم نصيباً ، ولما لا غنى عنه نصيباً . انتبِهْ في أوان المُهْلة قبل أن تؤخَذَ بالكظْم ولا ينفعُ الندم ؛ شهادةً أشهد الله بها لأحرص على ذلك لله وفي الله تسميَةُ الذي أنا أخاف فيه ومن قبله المأثم . اللهم يا مولاي أنت عالمٌ بقصدي ونيتي وغرضي وهمتي فأَعِنّي على طاعتك واجتناب معصيتك ، ووفِّقْني وسدِّدْني برحمتك يا أرحم الراحمين . اللهم إنّك تعلمُ بحقيقة أنّ آثَرَ الأشياء اليوم عندي رضاك ولو علمْتُ منك أنك تريدُ مني أن أتخلّى مما أنا فيه لفعلْتُ ذلك معجَّلاً ولكنك تعلم أنّ الذي نحن فيه مُرْغِمٌ لأعدائك ، مُعِزٌّ لأوليائك ، مُخْرِجٌ لنا من تحت أحكامهم . وقد نظرْتُ بعقلي فبلغ غاية نظره أنّ الذي أنا فيه لك رضاً ومن غيره في طاعتك أرضى فأنا صابرٌ في ذلك لرجاء فرجك وثوابك وللثقة بعفوك وتوفيقك وتسديدك لأنك لو خلَّيتَني هلكْتُ وافتُضحت وتدمَّرْتُ . إلٰهي وسندي وقد علمت بقدر مبلغ علمي فلا تكلني إلى نظري ولا إلى شيءٍ من أمري ولا إلى أحدٍ من المخلوقين ولا تُخَلِّ بيني وبينهم يا ربَّ العالمين . فالكُلُّ من الخَلْق إلّا القليل لي مُضادّ ؛ إمّا عدوٌّ جاهدٌ أو مُعينٌ له مُعاضد ، وإمّا قريبٌ أو غير قريب حاسد ، وإمّاساخطٌ لم آت رضاه فقد اشتدّت لك بغضاه ، وإما مُسيءٌ بي الظَنَّ . هذا ما ذكرتُ منهم وأنت أعلمُ مني بهم . اللّهم وقد خرجْتُ من خيار المخلوقين بالكلية إلى خيارك ، ورميتُ بنفسي إليك وتوكَّلْت في كُلِّ أموري عليك ولم أُصبح أرجو أحداً غيرك ولا أخافُ سواك . اللّهم فلا تسلُبْني ولا تخذُلْني ولا تتركْني ولا تكِلْني إلى غيرك وارحمني وارزُقْني وسهِّلْ عليَّ أسبابَ حياتي ووفِّقْني لسبيل نجاتي . اللّهم / إنّ حاجتي من الدنيا القوت الذي يُعينُني على طاعتك فسهِّلْهُ لي [م ق 89أ] من حَلال رزقك . وقضاء الدَّين فسبِّبْ لي قضاءه والخلاص منه بقدرتك ، وعلى التوبة من الإغراق في الديون وتجنُّبها بجهدي من الآن وتحت يدي مؤونةٌ يا مولاي ليس عادتي أحد منهم بُدّاً(*) فسهِّلْ لي الرزق من أين شئتَ وكيف شئتَ فأنت العالِم بما يحتاجون والقادر عليه يا ربّ العالمين . وقدرتي قليلة وأنا كما تعلم ضعيف الحيلة

(*) كذا في الأصل . وربما كان المعنى المقصود : لا أجد عن الأخْذ منها بُدًّا .

فلا تكِلْني إلى نفسي ولا إلى الناس . يا الله يا عظيم . وسبِّبْ لي أسباب النجاة ، ووفِّقْني يا سيّداه وأعِنّي على حسن الاستعداد يا رباه . وخفِّف عليّ سكرات الموت بحقّك ، واجعل ذلك شهادةً بين يدي المهدي لدينك ، ووفِّقْني للذي تُحِبُّ وترضى ، واكْفِني شَرَّ نفسي خاصةً . وأنا أستعينُ بك عليها وعلى غوالب الأمور . ولا تؤاخِذْني بما فعل السفهاء منا . ولا تُشْمِتْ بنا عدواً . وعجِّلْ بظهور مولانا المهدي لدينك أو أمرٍ منه أو مواجهةٍ بحقّك العظيم .

وله عليه السّلام من هذا الكلام موعظةٌ لأهله وحريمه وحاشيته وخدمة خاصّةً ولغيرهم عامّة :

بسم الله الرحمن الرحيم . بالله أستعين وصلواته على محمّدٍ وأهله وسلّم تسليما . لم يخلق الله الخلق لغير معنًى ، ولا تركهم هملاً رَسَلاً بل خلقهم لعبادته وأوجدهم لإظهار حكمته . وأظهر حكمته فيهم لنعمته وأراد فيهم الخيرَ كلَّه برحمته . ثمّ جعلهم أصنافاً ذكوراً وإناثاً وأحراراً وعبيداً ، وأمر الجميع ونهاهم ، ودلّهم على هُداهم ، وحذَّرَهُم العقاب إن عصوه ، وبشّرهم بالثواب إن أطاعوه . ولم يجعل لهم من بعد تركيب العقول وإنزال الكتاب وإرسال الرسول وإقامة الحُجَج عُذْراً يعتذرون به ولا حُجَّةً تدفع عنهم عذابه إن خالفوا أمره . ونصحهم نُصْحاً بيِّناً ولم يشغهم ولم يخف ما يُرادون به عنهم ؛ فأخبر أنهم يموتون ثم بعد الموت يُبعثون ، ثم بعد البعث يُحاسَبون وعلى كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ من أمورهم وقولهم وفعلهم يوقَفون ثمّ بعد التوقيف والمحاسبة يُصْرَفون إمّا إلى جَنّةٍ ذات نعيمٍ عظيمٍ ، وإمّا إلى نارٍ ذات جحيمٍ وحميم . ثمّ بعد مصيرهم إلى الدارين خلودٌ أبيد ودوامٌ عتيدٌ لا انقطاعَ له أبداً لا بداءَ ولا غايةَ له ولا حَدَّ بل كُلٌّ مقيمٌ حيث قد صار إمّا في جنةٍ وإمّا في نار . هذا الذي ذكرتُ حقٌّ كما أنكم تنظرون . ثم قد أردتُ خلع الحجة من رقبتي إلى رقابكم وأُشهِدُ الله في ذلك على ما بيني وبينكم بأن آمركم بطاعة الله وأنهاكم عن معصيته فَمَنْ قَبِلَ سَلِمَ ومَنْ لم يقبل نَدِم . أطيعوا الله ربّكم وخافوا خالقكم وراقِبوا إلٰهكم الذي خلقكم وصوّركم / وأحياكم ورزقكم وأراكم آياته وأبان صنعه في أنفسكم ثمّ يُميتُكم ثمّ يُحْييكم ثم إليه تُرْجَعُون . استدلّوا عليه بصنعه ، ووحّدوه حق توحيده . لا تشبّهوه بشيءٍ من خَلْقه ، وقولوا بعدله في جميع أفعاله ، [م ق 89ب]

ونزّهوه من ظُلْم عباده ، وأيقِنوا بصحّةِ وعده ووعيده ، وآمِنوا بجميع رسله وبما جاءوا به وخاتَم النبيين خيرهم وسيّدهم محمّد صلّى الله عليه وعلى آله . ثمّ اعتقِدوا إمامة أهل بيته وإنّهم حُجَجُ الله في أرضه وهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين ابنا فاطمة البتول سيدة نساء العالمين ، وجميع مَنْ كان من نسل هؤلاء مثلهم وإنّ الأرض لا تخلو من حُجّةٍ لله منهم . وحُجَّةُ هذا العصر المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي ، وأنه حيٌّ سويٌّ حتّى يملأ الأرض عـدلاً كما مُلئت جَوراً ، وأنه الصادق في جميع ما آدّعى وقال : واعتقد ، وأولياؤه أولياء الله وأعداؤه أعداء الله . وأقيموا الصلاة في أوقاتها ، وتعلّموا طهارتها وحددوها وجميع معانيها فإنّها عمودُ الدين والفرض الدائم على جميع المتعبدين ، ولا تؤخّروا أداءها في أول أوقاتها إلاّ لعذرٍ ، ولا تعفروا وأنتم تجدون إلى الماء سبيلاً ؛ فإنّ ذلك لا يحلُّ ولا تُقْبَلُ معه صلاة ، وَمَنْ قطعها فعِظوه وآنهوه فإن لم يقبل فلا تكتموه ليجري عليه الأدب مع ما عند الله من السخط عليه والغضب . ومن وجبت عليه زكاة فليؤدِّها فإنّ الله لا يقبلُ صلاةً ممن لا يؤدّي الزكاة . واعتقِدوا صوم رمضان ولا يصح لأحدٍ صيامٌ إلاّ باجتناب ما أسخط الله من الفعل والكلام . واعتقِدوا تأدية الحج إذا قدرتم عليه ووجدْتُم السبيل إليه ؛ والسبيلُ الزادُ والراحلةُ وأمانُ الطريق . والأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر . أولَ ما يأمر الإنسان نفسه فيقول لها كلّ يومٍ طلعت شمسُهُ وكـلّ ليلةٍ يا نفسُ اتقي الله الذي إليه مصيرك وأطيعيـه ، واجتنبي معاصيـه واعملي بما يُرضيه تفوزي بثوابه الجسيم ، وتَسْلمي من عذابه العظيم . اذكري الموت والقبور والبعث والنشور وما عادك برين (*) من الأمور المالئة بهولها للصدور عند الموت وعند النفخ في الصور . فإذا أمر نفسه ونهاها وانقادت له وأطاعته ثم أمر بعد ذلك غيره ونهاه فهذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر < . . . . > (**) إلى أن ينفـع الله به صاحبه . ومن كان له والدٌ أو والدان فيبرهما بكلّ وجهٍ يقدر عليه . ومن كان له قرابةٌ وصلهم فوالى الوليّ منهم ووعظ العدوّ الذي يَعصي وعظاً حسناً جميلاً يستدْني به قلبه إلى طاعة ربِّه . ويكره الإنسان للناس ما يكره لنفسه . ولا تتركوا بعد معرفـة

(*) كذا في الأصل .

(**) بياض في الأصل مقدار كلمتين .

[م ق 95أ] ما ذكرتُ واعتقاده والقول به والتفقُّه في الدين / وعمارة هذه الأصول بالتعليم والتنبيه عليها وإليها دائماً . ذلك ما بقيتم . واجتهدوا في طلب العلم ما حييتم فإنّ الجهل أعظم المهالك والرضا به والإقامة عليه مُسْخِطٌ لله العظيم المالك . ولا تريدوا بشيءٍ من أعمالكم رياءً ولا سمعةً ولا جاهاً عند أحدٍ، ولا رفعةً ولا حاجةً من حوائج الدنيا ولا منفعةً . واجعلوا الأعمال خالصةً لله زائدةً عنده لا ناقصة ، ولا تجعلوا مجالسكم لغواً ولا حديثكم لهواً ولا تغتابوا أحداً ؛ فإنّ الغيبة تُحبط العمل ، ولا تستهزئوا بأحدٍ فإنّ ذلك مُحَرَّمٌ . ولا يخرجْ من فم أحدٍ منكم كذبةٌ فإنّ الكذب مُسْخِطٌ للرحمن ، مُوجِبٌ للنيران ، مُسْقِطٌ لاسم الإيمان . ولا تكثروا الحديث فيما لا يعني فإنّه يُقَسّي القلب ويُسْخِطُ الرب ، ولا تنظروا إلى ما لا يحلّ ، ولا تسمعوا ما لا يجوز ، ولا ترفعوا الأصوات ولا تظهروا لمن لا يجوز لكم الظهور إليه من القرابات غير ما يحلّ الظهارة لهم وهو الوجه والكفّان والقدمان والثياب التي على الأبدان وما سوى ذلك فمحرَّمٌ إظهارُهُ فٱحترِسوا منه . وإذا نزلت بأحدٍ مكم نازلةٌ أو هجمت عليه نائبةٌ وأصابه من مصائب الدهر مصيبةٌ أو لحقه من المِحَن محنةٌ تمسَّكَ بالصبر ولم يتعدَّ حدودَ الأمر الذي أمره الله به ووعده عليه الأجر ، ولا يسيء بالله ظنه ، ولا يسخط فعله بل يسلّم لأمر ربه ويحمده على كلّ ما فعل به من مكروهٍ أو محبوبٍ إذ هو عزّ وجلّ علّام الغيوب الناظر لخلقه الرحيم بعباده العلّام لما لا يعلمون ، الحكيم الغني العدل الذي لا يظلم ولا يجور ولا يفعل إلّا الصواب في جميع الأسباب . ولا تخونوا أحداً من خَلْق الله قليلاً ولا كثيراً ولا دقيقاً ولا جليلاً فإنّ الخيانةَ تُوجِبُ العقاب وتعود إلى العذاب ولا يغفرُها لفاعلها ربُّ الأرباب إلّا بعد التوبة الصحيحة والتخلُّص من تلك الجناية وآدابها بالنصيحة ، ولا تَشَاتموا ولا تَفَاتنوا ولا تَلَاعنوا ولا يؤذي بعضُكُم بعضاً . كونوا متوادين متبارّين متواخين على طاعة الله متعاونين متحابّين في ذات الله صابرين على حسن العشرة لله ورجاء ثوابه وخوف عقابه . فكُلُّ الذي ذكرتُ واجبٌ لبعضكم على بعض ، وفرضٌ يجب تأديتُهُ مع كُلِّ فرضٍ . ولا تحلفوا بالله ولا تجعلوه عُرْضَةً لأيمانكم في جِدٍّ ولا هَزْلٍ ولا في حال رضاً ولا في حال غضب فاحترِزوا من ذلك فإنّ كثرة الأيمان بالله وقلّة الاحتراز منها يؤدّي إلى الزلل والخلل وإبطال العمل فـ ﴿ اتّقوا الله حق تقاته ولا تموتُنَّ إلّا وأنتم مسلمون ﴾(1) . وكذلك

(1) سورة آل عمران/123 .

سائر الأيمان التي توجِب الكفّارات مثل الصيام اجتنِبوهـا واحترِزوا منهـا . وأنتن يا من تخرج من الجواري وتجيء / وتذهب فآعلمْن أنّ الحـاجة إلى خـدمتكن أوجبت [م ق 90ب] خروجَكُنَّ وإلاّ فهو مما لا يَحِلُّ لنا ولا لكُنّ إلاّ من أجل الضرورة التي ذكرت فآعملن بمـا أقولُ الآنِ وآمـرُكُنّ به ولا تَعَـدَّيْنَ ذاك إلى غيره . استـرن وجوهكن وجميـع أجسادكن عن أبصار من لا يتّقي الله . فأمّا مَنْ يتّقيه فليس يستحلّ النظر إليكن ، ولا تظهرن زينةً إلاّ في البيوت ، ولا تنظرن إلى أحدٍ من الرجال واتّقين الله ذا الجلال فليس يخفى عليه قولٌ ولا فعالٌ ولا نيةٌ ولا ضميرٌ ولا عملٌ من الأعمال . فآغضُضْن أبصاركن واحفظن أنفسكن ولا تكلّمن أحـداً من الأشرار ولا الأخيـار العبيد منهم والأحرار . وخَفْنَ الله ، واحذرْنَ النار ، فلا يلحَقنَّ أحداً منكن ضرر . فـالشاكي يشكو مثل هذا فاجتنْبَنَهُ وأعْرِضْن عنـه بالكليـة واحذرنـه . ولا تخرجن من هـذه المنازل ختراً، ولا تدخلن ختراً ولا أجدُ لكنّ في جميع ما أكره أثراً . اللّهم آشهد أني أبلغت واجتهدت وأمرتُ ونهيتُ ونصحتُ .

ثم قيد هذه الموعظة بشيءٍ من كتاب الله فيه ترغيبٌ وترهيبٌ .

تُوُفِّي الأمير ذو الشرفين عليه السّلام ساعة الزوال يوم الثلاثاء الثالث وعشرون في شهر المحرم سنة ثمانٍ وسبعين وأربعمائة . وكان ميلاده عليه السّلام في شهر رجب من شهور سنة ثلاثين وأربعمائة يكون عمره ثمانٍ وأربعون سنة . جاهد هو وصنوه عليه السّلام جمعاً عشر سنين وتفرّد بالأمر من بعد قتل الشريف الفاضل تسع سنين . فذلك تسع عشرة سنة . والمتقدّمُ من عمره كان مع صنوه مُدّةَ إقامتهما باليمن وفي مخرجهما إلى الشام .

رجع الحديث إلى روايةٍ مشهورةٍ عن المهديّ لدين الله الحسين بن القاسم صلوات الله عليه :

وقيـل إنها مـوجودةٌ بخـطّه نسختـها بسـم الله الـرحمن الـرحيم . قـال حسين بن القاسم : رُوي ـ والله أعلم وأحكم ـ أنّ قبل قيامي إمامـاً من آل محمد تكون دولتُهُ أقلّ من خمس عشرة سنةً بمُديدةٍ يسيرة . فإنْ يكنْ عالماً بالكتاب والسنة فهو إمامُ هدى . وهذا فما لا بُدَّ من كونه وبعده يكون حقٌّ عظيمٌ وَعَدْلٌ جسيمٌ . والله أعلمُ وأحْكمُ .

قال مفرِّح : حسبتُ ولاية الأمير ذي الشرفين من يوم حلف له الشريف الفاضل واستحلف لـه شيعته وأصحـابه وأشـار إليه ونصّ عليـه فكان أول ذلـك في ثلاثٍ وستين . وتُوُفِّي الأمير ذو الشرفين في سنة ثمانٍ وسبعين وأربعمائة لثلاثةٍ وعشرين يوماً خالية عن شهر المحرم وحسبتُ ذلك فإذا هو خمس عشرة سنة إلاّ مُديدةً يسيرةً بمقياس شهرين والله أعلَمُ وأحكَمُ .

روى لي الشيخ موسى بن الذؤيب وكذلك رواها لي الشيخ ليث بن يحيى أنه [م ق 91أ] قيـل / للأميـر ذي الشرفين وهـو بينـاع : لـو جعلْتَ من هـذه الأمـوال التي تُجبى قسـطاً يُحمل إلى شهارة فيكون بها ذخيرةً وعُدّة لحاجة ! فقال عليه السّلام : لم نأخذ أموال الناس لتكثيرها ولكن أُنفقُ أموال الله في سبيل الله ولم نؤْمَرْ بأخذ أموالهم إلا للذبّ عنهم والمدافعة عنهم .

فصلٌ في حال الأمير ذي الشرفين عليه السّلام :

كان حسن السياسـة ليّن الجانب مشهـور الـرئاسـة ، كثيـر الدراسـة معلوم الفراسة ، كثير الوفاء شديد الغلظة على أعداء الله ، رؤوفاً رحيماً بأولياء الله شهيراً بالبسالة في سبيل الله ، متورعاً متخشعاً يحذف الصلاة بأصحابه والله أعلم بصلواته في محرابه إلاّ أنه كان يُضحـي نائماً فيـدلّ ذلك على أنه بات قائماً . وكان لا يأكل شيئاً من الجبايات ولا ينتفع منها في خاصّته بشيءٍ في وقتٍ من الأوقات إلاّ أن يكون كُراعاً أو سلاحاً أو عُدّةً أو صلاحاً . وكان حسن النظر جيّد التمييز مُحْكِماً للتدبير في طلب الحلال ، كثير التصرف فيما يجوز له من الأحوال .

وأما صورةُ شخصه عليه السّلام فكان شـديد البنيـة أبيض اللون إلى حمرة معتدل القامة كثّ اللحية أبلج العينين عبل الساعدين تأخذه عينُ مَنْ رآه فلا يعدل به أحداً سواه فهذه صورة شخصه . وروى لي الشيخ موسى بن الذؤيب أنّ حيَّ مولانا الأمير ذا الشرفين عليه السّلام وهو في عنفوان الأمـر بيناع قـال : إذا قلع الله بني الصُّليحي بأيدينا إنْ شاء الله وزالت هذه القرمطة عن المسلمين عملت على أحد وجهين والله سبحانه المعين على سيرة العدل وأخذ الأعشار التي < . . . >(*) الله

(*) بياض في الأصل مقدار كلمة ربما كانت : فرضها .

سبحانه وصرفها في سبيل الله ، وطرح المكوس من الأسواق والجبايات والمحارس والغرامات . ونسخنا هذه الشريعة التي سرنا بها نريد بها لهذه القرمطة القليعة ، وعُدْنا إلى العمل بالسنة والكتاب . أو الوجه الثاني جمعْنا الناس وتكلمْنا معهم وقلنا لهم لم يكن أخذنا لما أخذنا ولا قيامنا إذ قمنا لرغبةٍ منا في شيءٍ من الدنيا بل احتساباً عن الإسلام وسعياً في مصالح الدين وقد أعان الله ونصر وكلٌ منهم فيلحق بموضعه وبلده كلٌّ أولى بشأنه والعامل بما يرى في مكانه ، وكُلٌّ منا لصاحبه عُدّة وذخيرة . من احتاج إلى صاحبه وهو يعرف .

قال مفرّح بن أحمد ؛ سمعْتُ الأمير ذا الشرفين عليه السّلام يوم قُبْران الشريف الفاضل عليه السّلام بالحَضَن وقد جمع الناس وتكلم معهم فكان من كلامه أن قال : تعلمون يا معاشر الناس أنه لولا خوف هذه اليد الطائلة التي لم يؤمَنْ شرُّها ولا يتقطع / ضرّها عن الإسلام والمسلمين وما يُخاف منهم في فساد الدنيا والدين [م ق 91ب] قتلاً وظلماً وكفراً وطغياناً لما زدت تعلّقْتُ من هذه الأمور بشيءٍ ولكنّي أخاف الله في تخْليتها مع كلامٍ كثير .

روى لي الشيخ الحسن بن واقد قال : سمعْتُ الأمير ذا الشرفين يوماً وقد حضر مجلسَهُ جْماعةٌ من أصحابه وأهل مودّته وخاصّته ومَحَابّه فقال : إني لأهتم بتخلية هذه الأشياء التي نحن فيها فأجد لذلك راحةً وسُلُوّاً ثمّ أرجع إلى نفسي وأذكر انتشار هذه الأمور بيدي وما يلحق الإسلام والمسلمين وما يقع من الضرر في الدنيا والدين فأرى التمسُّكَ بما نحن فيه أصلح للإسلام والمسلمين ، وأعلم أنّ في تخليته معصيةً لربّ العالمين ، وأصبر على ما أنا فيه وإن كان شاقاً عليَّ كريهاً إليَّ . والحمدُ لله وحده .

فصلٌ فيه ذكر الاحتجاج على القيام بما قام فيه الشريف الفاضل والأمير ذو الشرفين عليهما السّلام :

قال مفرّح بن أحمد : قد كنتُ قَدَّمْتُ في الجزء الأول من كتاب السيرة احتجاجاً من الآثار وروايات من صحيح الأخبار ورأيتُ أن أجعل في آخر الكتاب فصلاً فيه ذكر الاحتجاج على جواز هذه الأسباب مما آثره الشريف الفاضل والأمير ذو الشرفين ليقف على ذلك مَنْ أراد الوقوف عليه من خاصٍّ أو عام . قال ، قال

مفرِّح بن أحمد : سألْتُ الأمير الأَجَلّ ذا الشرفين بعد ذهاب الشريف الفاضل عن الحُجّة في جواز هذه الجبايات فقال : ما كنتُ أظنُّ أنّ أحداً يسألُني عن هذه المسألة كأنّه ـ والله أعلم ـ يومىءُ إلى قلّة حرص الناس على البحث عن هذه الحال ، وإغفال ما لا يجبُ إغفالُهُ في ذلك من السؤال ؛ فقال عليه السّلام : الأصلُ في هذا أنّ أمورنا كانت منوطةً بحيٍّ الشريف الفاضل عليه السّلام ثمّ نظرْتُ بعد ذهابه فيما يعود صلاح المسلمين والإسلام ، وراجعْتُ نفسي في تخلية هذه الأشياء والقيام بها فإذا تخليتُها لا يُبقي على الإسلام والمسلمين بقية ، ويأتي على هلاك الدنيا والدين بالكلية ؛ فرأيتُ التمسُّكَ بما نحن فيه أرجأ إلى ما يتيح الله فرجاً . وليس كثير من أهل العلم يجهل ما للمرتضى عليه السّلام من الأخبار الصحيحة والآثار المشروحة في تعظيم مقام صنوه الناصر لدين الله أحمد بن الهادي عليه السّلام في القيام لحرب القرامطة في أيامه وما كان من تعظيمه لقيامه في مقامه وذلك مشهورٌ وجليٌّ وبيِّنٌ غيرُ خَفِيّ .

وهذا كتابٌ كتبه الإمام المرتضى لدين الله محمد بن الهادي إلى الحق صلوات الله عليه إلى الريّان الهمداني جواباً عن كتابٍ / كتبه إليه : [م ق 92أ]

بسم الله الرحمن الرحيم فهمتُ ـ أكرمك الله ـ ما ذكرتَ من أمر هذه الأمة وغمّك وتتابُع أسفك على أمير المؤمنين صلواتُ الله عليه وكيف لا يوجَدُ على مَنْ أحيا الإسلام وجاهد على دين نبيّه عليه وعلى أهله السّلام وأظهر أحكام الكتاب والسنة وأمات الباطل والبدعة ؟! فقد كان صلوات الله عليه أنصح لهذه الأمة من نفوسهم وأشدّ شفقةً عليهم . ما وهن في أمر الله سبحانه ولا ونى . والموت حكم الله سبحانه على جميع خلقه لم يَفِر منه مَلَكاً ولا نبياً ، وآسى فيه بين بريته ، وحكم به على جميع عباده حتّى يَرِثَ الأرضَ وَمَنْ عليها وهو خَيْرُ الوارثين . ما لمؤمنٍ في هذه الدنيا فَرَحٌ ولا سرورٌ ولا غبطةٌ ولا حُبورٌ لما يُعاين فيها من شِرّةِ أهلها وبُعْدهم من الله عزّ وجلّ بقبيح أعمالهم مع تقربهم إلى الشيطان فيما هو سبب هلكتهم . فالدنيا حبس المؤمن وبلاؤه وجنّةُ الفاسق ورجاؤه فنسأل الله حسن الاستعداد لما يرضيه ويقرّب من الأمور إليه .

ذكرتَ انقطاع الكتب بيننا وبينك عن غير قِلىً منك لنا ولا تقصير في حقّنا ولعمري إنك كما وصفْتَ من نفسك لا نشكّك في ديانتك وإن انقطعت كتبك عنا

لمشغلةٍ تشدهك فمـا يسبق في قلوبنا قبحُ ظنٍّ بك ولا تقصير عندك . ونحن ـ أكرم الله وجهك عن النار ـ لك عاذرون وبالحمد ذاكرون ، نقبل عـذرك ونشكر فعلك فليتقرر ذلك عندك والقوة بالله وله . ذكرْتَ أطال اللّهُ بقاءك ما لم تَزَلْ عليه من جهاد هؤلاء الكفرة الزنادقة المعطِّلة عليهم لعنةُ الله ولعنةُ اللاعنين وقد تناهى إلينا ما ذكرت من تقيتك ويتصل بنا ما شرحْتَ من قيامك . ومثلك أكرمك الله بكرامته جاهد أعداء الله ونصب نفسه لهم وحرص في نكايتهم وتقرب إلى الله سبحانه في جهادهم فما بعد جهادهم من جهادٍ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر . وإنّا لنعلم أنك غير مقصّرٍ في ذلك لأنه لا يقصّر في حربهم رجلٌ له دينٌ ولا حُرّيةٌ . وبالله ما يخالطهم ويقرّ في جماعتهم مخالط فزالت تلك عليه وصْمةٌ عند الله وعند المسلمين . فأمّا ما يكذبه عليك من لا ينصفك ويتكلم فيك من لا يصدق في قوله عليك فليس نلتفت إلى قوله ولا يصدّقُهُ أحدٌ له معرفةٌ لأنك والحمد لله ممن لا يصبو إلى أهل المعاصي ولا يسير في طريقهم فكيف يتوهّم أحدٌ عليك أنك تصبو إلى الزنادقة والمجوس من حزب الشيطان ، وخصماً الرحمن فلا يستبق إلى نفسك من كلام جاهلٍ شيءٌ فلستَ / [م ق 92ب] عند أهل المعرفة والأديان إلاّ فـي المحلّ الذي يَسُرُّك والمنزلة التي تعظم قدرك فثِقْ بذلك وأعمل عليه . والحول والقوة بالله وله . فقد والله يا أخي طاب الجهاد لمن أراد الله والدار الآخرة وأيقن بوعده ووعيده إذا أصبح زنديقٌ مرتدٌّ عن الإسلام يُخْلِقُ الدين ويمحو سُنَن محمد خاتم النبيين مع تعطيله الكتاب وجحدانه الأصوب الصواب لعنة الله ولعنة الملائكة ولعنة الـلاعنين والناس أجمعين عليـه وعلى أتباعـه من جميع المخلوقين . فما التبس عليهم أمرهم ولا دخلوا إلاّ طائعين محبّين لردتهم والكفر الذي أدركوا به ما أمّلوا من لَذّتهم عجّل الله هلاكهم وكفى المؤمنين مؤونتهم . ثم كان آخِر أمره أن ادّعى النبوة وجحد الله سبحانه وأنكح الأمهات أبناءهن والإخـوة إخوتهن والبنات آباءهن ! فيا لها من عظيمةٍ ما أجلّها تقطّع قلوب المؤمنين وتنفي رقادهم وتواصل أشجانهم . لا عذر والله لأحدٍ في التخلُّف منهم والمجاهدة لهم على أيسر ما جاءوا به من شيعتهم فكيف على عظيم ما ارتكبوه(*) من ردتهم ولا جهاد والله بعد جهادهم ولا سبيل إلى الله يُتقرَّبُ به مثل قتالهم فبالله أُقْسِمُ لو وَجَدْتُ على ما

(*) مصوبة : (أظهروه) .

أُومِّلُ من حربهم أعواناً مؤمنين وفيما عند الله راغبين لما فترْتُ وقتاً عنهم ولا ونيتُ ساعةً من قتالهم فهم الأذلّون وحزبُ الله هم الغالبـون ؛ لكن اشتغل الخَلْقُ بكـدِّ دنياهم ، وتركوا ما أُعِدَّ لهم من النعيم المقيم والخلد الكريم ، وأَعرَضُوا عن الله العظيم وآتّلى بعضهم ببعضٍ فلا منتبه في أمر الله سبحانه أغفلوا القيام في طاعته فخـذلهم . فنحن كلّ يـومٍ ندعـوهم إلى الله فلا يجيبـون ، ونستنهضهم فـلا ينهضـون ونذكّرهم بالله سبحانه فلا يذكرون . قد رضوا بالذُّلّ والصَّغَار والقلة والهوان تُسبى حرمهم وتبدّل أديانهم وتُؤْخَذُ أموالُهُم مع سفك دمائهم فلا يزدادون مع ذلك إلاّ زهداً في الحقّ ومن الله سبحانه بُعْداً . فقدرين على قلوبهم والتبست عليهم أمورهم فهم كما قال الله سبحانه(1) : ﴿ **إنْ هم إلاّ كالأنعام بل هم أضلُّ سبيلاً** ﴾ . وقد كـان باليمن وغيره قومٌ يَتَمَنَّونَ الجهاد ويطلبونه ويخرجون لهم بزعمهم ويبغونه فلمّا قرب منهم وأَدَفَّ بهم وأناخ بساحتهم وضرب بكلكله في أفنيتهم جهادٌ لا يبلُغُهُ جهادٌ وكُفْرٌ لم يسبق إليه أحدٌ من الأمم ؛ فلمّا ظهر لمن كان يتمنى الجهاد ويطلبه نكصوا على أعقابهم فنعوذ بالله من الخِذْلان والترك لطاعة الرحمن ؛ وجب على كلّ مؤمنٍ عرف
الله سبحانه النهوض / إلى أعداء الله فأَمْرُهُم يسير وخطرهم حقيرٌ وما يُرْجى بحول [م ق 93أ]
الله من إزالتهم قريب(2) : ﴿ **إن تنصروا الله ينصركم ويثبِّت أقدامكم** ﴾ فليس آفة المسلمين إلا افتراق كلمتهم وتخاذلهم فيطمع عند ذلك فيهم عدوهم ويجد السبيل إلى الظهور عليهم . فاللّهَ اللّهَ عبادَ الله ! في الحذر والاجتهاد والنصيحة لله سبحانه **والأجداد** فقد والله زَكَت الأعمال بجهادهم وفُتِحت الجنان لمن تَقَرَّبَ إلى الله سبحانه بمحاربتهم وقد تَرَونَ ما المسلمون فيه وما يُمْسُون ويُصْبِحون عليه من ظهور الفسق والفاسقين وخمول الحقّ والمُحِقّين وما قد جـوهِرَ فيـه ربُّ العالمين من جحـدانه والنفْي لما أمر به والإبطال لأنبيائه مع ما نالوا به حُرَمَ إخوانكم المسلمين من هَتْك حريمهم وسبْي نسائهم . فحرُمَ إخوانُكم في الآفاق ، ويُنادى عليهنّ في الأسواق مكشّفات الشعور مهتّكات الستور مَغْشيّات بالفجور قد نيل منهنّ أقبح الأمور ! كيف العذر عند الله في ذلك والاعتذار ، لا كيف ! والله سبحانه يقول(3) : ﴿ **هذا يومُ لا**

---

(1) سورة الفرقان/ 44 .
(2) سورة محمد/ 47 .
(3) سورة المرسلات/ 36 .

ينطقون ولا يؤذَنُ لهم فيعتذرون ﴾ . واللّهِ ما هو إلاّ يوم جهاد القرامطة والصبر في الأموال والأنفُس في السَّعَة والشِّدّة أو الشرك بذي الجلال والإكرام والخروج من دين محمد عليه السّلام ثم لا يكونُ الخَلْقُ عند ذلك إلاّ خدماً لا يُحمدون وأعواناً لا يرجون بالذلة والصغار والاستكانة والهون تُذبّح أبناؤهم فلا يمتنعون ، وتؤخذ نساؤهم فلا ينتصرون . قد خسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين . قد كرهوا الجهاد على دينهم وتركوا المحاماة على أرضهم خوفاً لعدوٍّ هو أضعفُ منهم فطلبوا الحياة بالموت وظنّوا أنّ ذلك ينجيهم عمّا منه حاذَروا فأصبحوا يقتلون أنفسهم بين يدي أشرّ خَلْق الله وأبعدهم من رب العالمين فلا ما عنه حاذروا نجوا منه ، ولا ما تميل لهم من أموالهم نالوه وقد كرهوا الجهاد على دينهم وتركوا المحاماة على حريمهم فاستعملوا الفرار ورضيوا بالصغار عن غير قهرٍ وهم الأفشلاء من قلوبهم والضعفاء في نياتهم عن المجاهدة لعدو الله وعدوهم أَمَا إنهم لو اعتصموا بالله وغضبوا لكان عدوّهم أضعف منهم قوةً وأقلّ عدداً . وهل يقاتِلُهُم إلاّ أوباشٌ مجتمعون لا قبيلة مجتمعة ولا عشيرة ممتنعة لا تجمعهم حَمِيةٌ ولا يلفّهم حَسَبٌ ، من كلِّ بلدٍ واحدٌ أو اثنان . أشرار أهل بلدهم وأسخفهم عندهم خرجوا للنهب والسرقة وارتكاب المعاصي ، ليس معهم نصيبٌ ! ولولا ما قد امتحن الله به خلقه إذن لقد أزال مدتهم وأفنى جماعتهم . / ولن يضروا الله شيئاً وإن الله لَيَجزي خَلْقَه على [م ق 93ب]
فعلهم ويكافئهم على عملهم . قال رسول الله صلوات الله عليه : لتأمُرُنّ بالمعروف ولتنهُنّ عن المنكر أو ليسلِّطنّ الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم يدعو خياركم فلا يُستجاب لهم حتى إذا بلغ الكتاب أجله كان الله المنتصر لنفسه يقول ما منعكم إذ رأيتموني أُعصى أن لا تغضبوا لي ؟ أما والله لو غضب بعضٌ لله عزّ وجلّ ثمّ كان مع القرمطيّ عدد الحصى لأزاله سريعاً بعون الله سبحانه . وذلك قولُهُ سبحانه وقولُهُ الحقُّ ووَعْدُهُ الصِّدْق : ﴿ **وكان حقاً علينا نصرُ المؤمنين** ﴾[1] ولكن ليس يلقاهم إلاّ شارب خمرٍ أو ضارب طنبورٍ أو معتكفٌ على معصية ، وقد بَرِئَ اللّهُ منه وأَسْلَمَهُ لعمله . فإنّما مَثَلُهُ ومَثَلُ القرمطي نارٌ تَلْقَى النار فيُقوّي بعضُها بعضاً ، ويُضْرِمُ بعضُها بعضاً فيغلب أصبرُهُما ويولّي الله بعضَ الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون . فأمّا

---

(1) سورة الروم/47 .

يا أخي ـ أكرم اللّهُ عن النار وجهك ـ لو لقيهم عسكرٌ قد غضبـوا لله سبحانه وقدّموا أمره عزّ وجلّ على أمورهم وأخلصوا النيةَ على طاعة الله خالقهم يشيرون إليه بالمعرفة لله عَزَّ وجَلَّ والديانة والقرآن والتكبير والتهليل قد نفوا المعاصيَ من عسكرهم وأقاموا الحدود على أشرارهم مقيمون لصلواتهم مؤتون لزكاتهم مسلمون لحكم ربهم قد عرفوا وعد الله سبحانه ووعيده ، ونظروا إلى الدنيا بعين القلّة سادوا في طاعة الله عزّ وجلّ ، قد وضعوا الجنة بين أعينهم والنار وراء ظهورهم فهم من النار هاربون وللجنّةِ طالبـون يضربـون أعداء اللّهِ قُـدُماً ؛ إذاً لكـانت هذه الـردّةُ قد خملت ، وجمـاعتها قـد افترقت بعـون الله ولطفـه وما وعـد بـه أوليـاءه من نصـره قـال الله عزّ وجلّ[1] : ﴿ ولينصُرَنَّ اللّـهُ مَنْ ينصُرُه إنّ الله لقويٌّ عزيز ﴾ فهؤلاء القوم الذين وصفنا تسبق هيبتُهم في قلوب عدوّهم من قبل مقابلتهم إيّاهم ، وتنزُّلِ ملائكة الله في عسكرهم وتحفّ جيوشهم بها . ولا نطلب النصـر إلّا من الرحمن ، ونـطلب منه النجاة من أليم النيران . فأمّا نحن ـ أكرمك الله بكرامته ـ فلسنا نَدَعُ حَضَّ النّاس على جهاد هؤلاء الكَفَرة ، واستنهاضهم وتبصيرهم لمـا أوجب الله سبحانـه من ذلك . وما زلنا نحضُّ على جهاد الكَفَرة ونـدعو النـاس إلى قتالهم ونبيّن عُـوارَهُم ونشهر شهرتهم . وكلّما نهضنا لحربهم اعترضَنا دونهم حلفاءُ المعصية فحالوا بيننا وبينهم وشغلونا فيما نؤمّله من جهادهم فإذا انصرفْنا لم يقوموا لحربهم ولم يكن فيهم طاقةٌ لجهادهم وذلك لبُعْدِهم من الله ، وفسادهم(*) واشتغالهم بمعاصي ربّهم فلا يلبثوا [م ق 94أ] إلّا يسيراً حتى يكونوا سبباً لقوة الكَفَرة / على المسلمين فلا هم ينصحون للقتال ولا هم يدفعون عن رعيّةٍ ولا حريمٍ عند ساعة النِّزال . وهؤلاء المجوسُ الزنادقةُ فنيّتهُمْ في الإسلام وأهله شرّ نية وقدرتُهم أقبح مقدرة قد أظهروا من بِدَعهم ما قد بان للجُهّال به خَبَرُهُم . ولم يبق أحدٌ في شكٍّ ولَعَمري ما كان في بدء أمرهم شكٌّ إلّا لجاهلٍ مُتَعامٍ يخدعُ نفسه ويغشّها . ثم الآن قد تبيّن في أموره .

أُقْسِمُ بالله <أن> ظهروا وبلغوا شيئاً مما أمّلوا ـ وأرجو أن لا يُبْلِغَهُمُ اللّهُ ذلـك ـ ليدّعينج كبيرُهُم الربوبية وليعيدنّهم لعبادة النيران . فاتّقوا الله عبادَ الله وجـدّوا في جهاده

(*) في الأصل : وفساد .

(1) سورة الحج/40 .

وأجمعوا الكلمة في قتاله ولا يتقينّ بعضُكُم ببعضٍ فليس ينفع مداراته ولا تحول بينه وبين ما يكره إلّا ذُبابة سيفٍ أو سنانُ رمح . فالموتُ على طاعة الله خيرٌ من الحياة على ما لا يُرضي الله . وأنا أدعوكم إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم أن لا نعبدَ إلّا الله ولا نُشركَ به شيئاً ولا يَتّخذَ بعضُنا بعضاً أرباباً من دون الله ، ونحاكمهم إلى الله عزّ وجلّ وتنهض في حربهم غَضَباً لله سبحانه وأَنَفةً لما بُدِّل من أحكامه وغُيِّر من كتابه فقد قتلَ الإسلامَ الكافرون ، وحقّ لمن عرف الله والدارَ الآخِرة أن يقلّ سروره ويكثُر غمُّهُ وتسخُن عينه ويدومَ حُزْنُهُ على ما هذه الأمّةُ عليه ويعلمهم معلناً ويناديهم مجتهداً إلى ما فيه نجاتُهُم وعند الله سبحانه سلامَتُهُم فاستثقَلوا الحقَّ وملّوه ، واشتدّتْ عليهم أحكامُ الله عزّ وجلّ فحاربوه فاتّبعوا الهوى وسَعَوا إلى ميدان الباطل والبلاء فما ربحت تجارتُهُم وما كانوا مهتدين . فلمّا قامت حُجّةُ الله عليهم في ابن نبيِّه صلواتُ الله عليه استحقّوا من الله سبحانه البلاء وإزالة النَّعْماء وضربهم اللّهُ سبحانه بما قد ترى : ﴿ وما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ للعبيد ﴾[1] فاستوجبوا ذلك بفعلهم واستدعوه من الله عزّ وجلّ بمخالفتهم وردّهم للحُجَجِ البيّنة والبراهين النيِّرة : ﴿ فتلك بيوتُهُم خاويةً بما ظلموا إنّ في ذلك لآيةً لقومٍ يعلمون ﴾[2] . فلمّا نظر اللّـهُ سبحانه إليهم بعين المَقْت أَصْلاهم أشرَّ الخلق وولّى بعضَهم بعضاً . واختار تبارك وتعالى لابن نبيِّه ما اختار لنبيِّه صلّى الله عليه ، ونقله إلى دار الرضا ومحلّ الثواب ، وأراحَـهُ من صُحْبتهم والمُقاساة لهم ، وألْحقه بآبائه وأجداده الطاهرين صلواتُ الله عليهم أجمعين . فقد كان رحمةُ الله ورضوانُهُ عليـه لهم ناصحاً وهو عليهم مُشْفِقاً وهم للحقّ الذي جاء به كارهون ولما ينجّيهم عند الله سبحانه قالون ، فإلى الله نرغبُ في إعْزاز دينه وإظْهار حُكْم كتابه وأن يُلْحِقَنا بإمامنا صلواتُ الله عليه سائرين بسيرته حتّى يوصِلَنا بذلك إلى [م ق 94ب] ما يوصلُهُ إليه من ثوابه وحُسْن مآبه فأجزل اللّـهُ ثوابك في دعائك وشَكَـرَ سَعْيك وأَحْسن على طاعته عونك ؛ فما كانت المُصيبةُ به ـ صلواتُ الله عليه ـ بخاصّةٍ بل كانت عامّةً لجميع الأمة ويقولُ على فادح النازلة وعظيم الرزية إنّا لله وإنّا إليه راجعون ثم إنّا لله وإنا إليه منقلبون . خَطْبٌ ونازلةٌ جَلّت ومصيبةٌ عَمّتْ رضينا فيها بقضاء الله

---

(1) سورة فصلت/46 .

(2) سورة النمل/52 .

وسلّمْنا فيها لحكمه فهو أحكمُ بما نعانيه من موت الإسلام وقَتْلِ الأيتام وإظهار الآثام وإطْفاء ما جاء به محمّدٌ عليه السّلام . أيطمع الناسُ بفرارهم ومُداناتهم الزنادقة الملاعين بحياة ؟! هيهات هيهات ما النّاس إلاّ أحد رجلين رجلٌ غَضِب لله سبحانه وأَنِف على حَسَبه وحامى على حريمه فدفع عن نفسه وأهان عدواً لله وعدوّه فنال فخر الدنيا وثواب الآخرة وأصبح في دنياه من المسرورين وعند الله عزّ وجلّ من المأجورين أو رجلٌ جَبُنَ عن ذلك ورجا السلامة والخَفْضَ فأصبح بين أيديهم يسوقونه قد أخذوا حرمته واصطلموا ماله ثمّ أصبح صاغراً يقاتل على الزندقة ويسفِكُ دَمَهُ على غير المِلّة فإذا به قد وقع فيما كَرِهَ من الجهاد وأصبح يُقاتِلُ على معاصي الله ويسفك دمه بين يدي أشرّ الخَلْق وأبعدهم من الله فيكون مآبه أشرّ مآبٍ وداره أشرّ دارٍ جهنّمُ يصلونها وبئس القرار .

قال مفرّح بنُ أحمد رضي الله عنه : إذا كان هذا كلام الإمام المرتضى لدين الله عليه السّلام لرجلٍ من العوامّ وحثّه له على الجهاد فما يقولُ مَنْ أنكر ذلك على الذرية الزكية والعترة الطاهرة الحسينية والحجة الظاهرة الجلية ؟!

قال السيد أبو الحسين ابن هارون الحسني عليه وعلى آبائه السلام في **التجريد والبلغة**[1] : الجهاد جهادان جهادٌ يَلْزَمُ كافّةَ المسلمين كان فيهم إمامٌ أو لم يكن فيهم إمامٌ ، وجهادٌ لا يجب بل لا يجوز إلاّ مع إمامٍ تجبُ طاعته أو من يقوم مقامه بأمره . **فالأولُ** هو أن يحلَّ العدوُّ دار الإسلام فإنْ كان ذلك وجب على مَنْ أمكنه من المسلمين مجاهدتُهم ودفْعُهم . **والثاني** : هو الغزو إلى أرض العدوّ ولا يجبُ ولا يجوزُ إلاّ مع إمام .

ومن ذلك للقاسم بن إبراهيم عليه السّلام في كتاب **القَتْل والقتال**[2] ، قال اللّهُ سبحانه فيما أذن فيه من المعتدين بأعدائهم وبسط به أيدي المؤمنين للعدوان من

---

(1) وردت نصوصٌ بهذا المعنى مع اختلاف في الألفاظ في شرح التجريد لأبي الحسن المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني (ـ 411 هـ) ، ، نشر صنعاء 1985 ، م 5/ص 260 ـ 261 .

(2) كتاب القتل والقتال ؛ ضمن مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم ، مخطوطة بملك آل زيد بصنعاء ، نسخ العام 1065 هـ ، ص 324 (بترقيم حديث) .

سفك دمائهم : ﴿ فمن آعتدى عليكم فآعتدوا عليه بمثل ما آعتدى عليكم واتّقوا الله واعلموا أنّ الله مع المُتّقين ﴾[1] ، ﴿ ولا تُلْقُوا بأيديكم إلى التهلكة وأَحْسِنُوا ﴾[2] .
فأمرهم لسبب العدوان / لا لغيره بقتالهم وأمرهم بالإنْفاق في جهادهم وأخبر أنّهم إن [م ق 95أ] لم يفعلوا فقد ألقوا بأيديهم إلى التهلكة لأهل العدوان وصدق الله العزيز الحكيم[3] ، وأيّ هُلْكٍ أهلك لهم من استسلامهم لمن يريد قتلهم .

وقال زيدُ بنُ عليٍّ عليه السّلام : ولو أنّ رجلاً اجتمعت إليه طائفةٌ فبايَعَتْهُ فسار بالعدل واجتهد بالنصيحة وأدّى إليهم الأمانة وأدّى إليهم ما يؤدّي الإمام المُقْسِط وكان في ذلك لنا ودّه وإلينا يُرَدُّ أمره لكانت هذه دعوةً إلينا راجعةً وبنا قائمة ؛ إنْ ظهر الإمامُ العَدْلُ منا ودَّى إليه الطاعة ، وأَقَرَّ له بالمنزلة كَمُلَ له دينُهُ ، وإنْ هو لم ير منا إماماً محقاً يدعو إلى الحق فلا يعرف له دعوة فمات على ذلك فهو مبعوثٌ في زُمْرَتنا وتحت رايتنا . هذا قولُ زيد بن علي عليه السّلام .

وقال في كتاب **الدعامة**[4] عن السيد الإمام أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني الحسني عليه السّلام انتزعه الأمير ذو الشرفين وكتبه بخطّ يده ؛ قال رضي الله عنه[5] : إنّ الدعاء إلى القتال قد يقع ممن ليس بإمامٍ كما يقع ممن هو إمامٌ . وقد تكون إجابة الداعي إلى القتال واجبةً . وإن لم يكن إماماً في بعض الأحوال لأنّ المسلمين لو خشوا بوادر الكفّار أو[6] البُغاة متى لم يبادروا إلى قتالهم وانتصب أحدُهُم بالدعاء[7] إلى ذلك وغلب على الظن أنه إن لم يجب لحق الإسلامَ

---

(1) سورة البقرة/194 .

(2) سورة البقرة/197 .

(3) في القتل والقتال بعد هذا : الأعلى الذي لا يرضى لأوليائه أن يكونوا أذلّاء ، والذي لم يزل سبحانه يحوط العزّ لهم حوط العليم الخبير ، وينصرهم عند القيام بأمره نصر العزيز القدير ، وأي هلكةٍ . . . الخ .

(4) طبع الدكتور ناجي حسن كتاب الدعامة للسيد أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني (ـ 424 هـ) مرتين ، وسمّاه « نصرة مذاهب الزيدية » ، ونسبه للصاحب بن عبّاد .

(5) يبدأ النصّ على الصفحة 55 من نشرة ناجي حسن .

(6) في الأصل : و ـ والتصحيح عن الدعامة ص 55 .

(7) في الدعامة : للدعاء .

ضررٌ عظيمٌ لكانت إجابتُهُ واجبةً وإن لم يكن إماماً ولا كان ممن يَصْلُحُ للإمامة لأنّه من باب الأمر بالمعروف والنهْي عن المنكر الذي يصلُح له كُلُّ أحدٍ إذا دعا إلى ذلك على شرائط مخصوصة . وقال عليه السّلام[1] : إنّ مهادنة الأعـداء[2] واجبةٌ متى خُشي الضرر العظيم في تركها وأُمِّلَ الصلاحُ في فعلها عقلاً وشرعاً . ويدلُّ على ذلك ما حكينا عن مهادنة النبيّ صلّى الله عليه وعلى أهله عام الحُديبية على الوجه الذي هادنهم عليه وهذا مع توفير أصحابهم وشدّة بصائرهم وقوّة نيّاتهم وكراهيتهم للصلح حتّى بدا من أكثرهم من الإنْكار لكراهة ذلك ما هو مذكورٌ في كتاب المغازي ؛ وكان من عُمَر مخصوصاً في ذلك الباب ما تُغْني شهرتُهُ عن ذكره . وقال عليه السّلام[3] : ألا ترى أنّ مناظرة المخالفين وإيراد الأدلة عليهم وحلّ شُبَهِهم ما غَلَب الظنُّ أنهم ينتفعون بذلك ونقطع على أنّ ذلك تركُهُ معصيةٌ عـظيمةٌ مـع التمكُّن منه . وقـال عليه السّلام[4] : فكان طلب التحكيم منهم معصية ، يعني أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام إلاّ أنّ إجابته / إياهم إليها والحال في جوف الفتنة [م ق 95ب] العظيمة وانتشار الكلمة عند كَفّ أصحابه عن القتال وحثّهم إيّاه عليه السّلام على الإجابة على ما بيّنّاه وحكيناه كانت طاعةً لله عزّ وجلّ لا يجوزُ خلافُهـا لأنّ أحوال الضرورة تَحْسُنُ ويجب فيها ما لا يَحْسُنُ مع سلامة الأحوال . والذي[5] يجب أن يُعتمـد في هذا البـاب أنّ قتال البُغـاة من أهل القبلة كـان أمراً حـادثـاً في أيّـامـه عليه السّلام ، ومزيد تكليفٍ عظَّمَ اللّهُ به ثوابه وامتُحن عليه السّلام بذلك دون جميع الصحابة . وانضاف ثوابُهُ عليه السّلام على تحمُّل تلك المشقّة العظيمة التي لا يصبر

(1) نصرة مذاهب الزيدية (= الدعامة) ص 60 .

(2) في الدعامة ص 60 : إن الإمام متى خشي وقوع الفتنة . . . فله أن يفعل ما يؤدي إلى زوال هذه الأحوال . . ولهذه العلة وردت الشريعة بمهادنة الكفـار متى غلب ظن الإمام أن ذلـك يفضي إلى المصلحة . ولهذا هادن رسول الله ﷺ . . . الخ ، وعلى الصفحة 61 كلامٌ للهاروني أشبه بما ورد هنا .

(3) نصرة مذاهب الزيدية (= الدعامة) ص 62 .

(4) الدعامة ، ص 62 س 17 وما بعده .

(5) في نصرة مذاهب الزيدية (= الدعامة) ص 62 : والأصل الذي يجب أن يُعتمد في هذا الباب . . الخ .

عليها إلاّ مَنْ هو على مثل حاله في قوة البصيرة وإيثار الدين في جميع أحواله وأطّراح الدنيا وقلّة الفكر فيها إلى سائر ثوابه الذي صار به أفضل الأئمّة وأزكى الصحابة . فلمّا كان أمراً حادثاً لم يعهدْهُ القوم ولم يألفوه كان أدنى عارضٍ يعرض < يؤثر >[1] في قلوبهم إلّا أهل البصائر القوية من أعيانَ المهاجرين والأنصار الذين كانوا قد علموا ما سبق من النبيّ صلّى الله عليه وعلى آله من أمره بقتالهم وحثّه عليه وتعريفه ما له من الثواب العظيم على تحمُّله وحثّ أصحابه على معاونته وتحذيريهم مخالفته حين يقول صلّى الله عليه وعلى أهله : ستقاتل بعدي القاسطين والناكثين والمارقين وسيلحقُك كذا ويلحقُك كذا . فيقول عليه السّلام : في سلامةٍ من ديني يا رسول الله ؟ فيقول : في سلامةٍ من دينك ! فيقول : لا أبالي ! وحين يقول لعمّار : تقتلُكُ الفئةُ الباغيةُ وآخِرُ زادِك من الدنيا ضياحٌ من لبن . وحين يقول للزبير : لتقاتِلَنَّهُ وأنتَ له ظالم ! وقال : إذا رأيتُم معاوية على منبري هذا فاقتُلُوه . وبشّره عليه السّلام بقتل ذي الثُدَيَّة فلمّا قَتَل عليه السّلامُ الخوارجَ يوم النهروان أمر بطلبه وقد كان أخبر أصحابه بما عَرّفه النبيُّ صلّى الله عليه وآله من أمره فلمّا أجدُّوا في طلبه وظهر له من بعض أصحابه الشكُّ في ذلك والتحيُّر قبل استخراجه أخذ عليه السّلام يقول : اطلبوه ، فوالله ما كَذَبت ولا كُذِبْتُ ! جارياً على طريقته في قوّة بصيرته إلى أن استُخرج الرجلُ من بين القتلى كما وصفه فكبَّر وكبَّر المسلمون . وقال عليه السّلام[2] : ولو أنّ الإمام لو قال خلعْتُ نفسي لم يوجِبْ هذا انخلاعه . وقال عليه السّلام لمّا استُشهد أعيانُ المهاجرين والأنصار بين يدي أمير المؤمنين عليه السّلام في صِفّين كعمّار وهو الذي قال فيه رسولُ الله صلّى / الله عليه وآله : [م ق 96أ]
عمّار جلْدَةُ ما بين عينَي ! وقال : ستقتُلُكَ الفئةُ الباغية . هذا مع ظهور فضائله وكثرة سوابقه واختصاصه برسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وقد كان شوهد منه الحرصُ على القتال والرغبة في القتال ما شوهد حتّى كأنه لمّا رأى راية عمرو بن العاص بين الصفَّين . قال : هذه رايةٌ قاتلتْ رسولَ الله صلّى الله عليه وعلى أهله مرتين وما هذه بأهداهُنّ ! ورُوي في بعض الأخبار أنه قال : قاتلْتُ هذه الراية مع رسول الله

(1) نصرة مذاهب الزيدية (= الدعامة) ص 63 .
(2) نصرة مذاهب الزيدية (= الدعامة) ص 67 .

صلّى الله عليه وآله دفعتين وهـذه الثالثـة أَحَبُّهُنَّ إليَّ ! ورُوي أنه في اليـوم الذي استُشهد فيه رحمةُ الله عليه كان يغسل رأسه بالخطمي فسمع منادي أمير المؤمنين عليه السّلام يدعو إلى القتال فلم يغسل رأسـه وركب . قال الـراوي : فكأنّي بـه والخطميّ في رأسه وهو يضرب خاصرتي الفرس ويقول : إنّي لأشمُّ رائحة الجنة أو قال : إنّي لأشم رائحة الشهادة! وكان آخِرَ العهد به . واستُشهد <أبو> الهيثم بن التَّيْهان وهو أحدُ نقباء رسول الله صلّى الله عليه وآله وَمَنْ مَحَلُّهُ المحلُّ المعروف . واستُشهد خُزيمةُ بنُ ثابت على ظهور حاله وفضله وسابقته ؛ إلى غيرهم ممن لم ينكُرْهم خشيةً من إطالة الفصل وقويت بصائرُ أصحاب أمير المؤمنين عليه السّلام وعلموا أنّ لهم بهؤلاء المتقدمين من المهاجرين والأنصار أحسن أُسـوة حتّى ظهرت أمـارةُ الغَلَبة وأَحسَّ القومُ بالعجز والضعف حتّى رُوي أنّ مالك الأشتر كـان قد قـارب فُسطاط معاوية فالتجأ القومُ عند هذه الحالة إلى المكيدة التي التجأوا إليها برأْي عمرو ابن العاص من شَدِّهِ المصاحف على الرماح وإظهار الرضا بحكم الكتاب توصُّلاً إلى ما توصلوا إليه من إيقاع الخـلاف بين أصحاب أميـر المؤمنين عليه السّـلام وكفّ أكثرهم عن القتال للمكيدة التي أظهروها والشبهة التي التجأوا إليها ، واضـطرب أصحابُهُ عند ذلك وكفّ أكثرهم عن القتال وقالوا : لا نُقـاتلُ مَنْ يـدعو إلى حكم الكتاب وقد أنصفَنا قومُنا وسبيلُهُم أن يجابوا إلى ما التمسوا ! فخطبهم أميرُ المؤمنين ووعظهم وبَيَّنَ ما عليه من التماس إجابة القوم إلى ما أرادوه أنه خطأ وأن الواجب هو الاستمرارُ على مجاهدتهم لأنّ الذي أظهروه هو مكيدةُ معاوية وعمرو بن العاص .
وقال لهم : أَوَلسنا(*) نحن على كتاب الله ومتمسكون به ؟ والقوم قـد نبذوه وراء ظهورهم ؟ فامضوا على أموركم ! فلم يقبلوا منه ولم يُصْغُوا إليه حتّى سمع من ورائه بعضهم < يقول > : إن أجبْتَهم وإلاّ قتلناك كما قتلْنا عثمان ! وقال بعضُهم : فعلى ماذا ذبحنا الثور الأعفر ؟ وقرأ بعضهم : ﴿ **يُدْعَون إلى كتاب الله ليَحْكُم بينهم ثمّ يتولّى فريقٌ منهم وهم مُعْرِضون** ﴾[1] تعريضاً به عليه السّلام ومخالفة له .

(*) تعليق في الهامش الأيمن : (أو لسنا نحن على كتاب الله . . .) لعل به وهماً من الناسخ فتحقق إن شاء الله .

(1) سورة آل عمران/23 .

ثم خرج السيد الإمام أبو طالب عليه السّلام في كلامه إلى الاحتجاج على النواصب والخوارج في فصلٍ طويل[1] . ثم قال عليه السّلام[2] : في الأخبار المُجْمَع عليها وتجويز الشك في ذلك يؤدّي إلى تجويز الشك في الضرورات ولولا ذلك لبطل الأكثر من أمور الدين والدنيا لأنّا قد عرفْنا أنّ العوامّ مأمورون بالرجوع عند الحوادث والمشكلات إلى أهل الورع والأمانة من العلماء ولو لم يكن سبيلٌ إلى معرفتهم من الوجه الذي بيّنّاه لبطل هذا التعبُّد فقد علمْنا أيضاً أنّ الناس يحتاجون إلى معرفة الحُذّاق في الصناعات وأهل الأمانة منهم ولو لم يكونوا متمكّنين في معرفتهم لبطل أكثرُ أحوالهم وهذا بيِّنٌ لا لبس فيه . ثم مضى عليه السّلام في كلامه إلى ترجيح الحُجّة لأمير المؤمنين صلوات الله عليه في أمر التحكيم واضطراره إليه في فصلٍ طويلٍ[3] . ثم قال عليه السّلام في الدلالة على حاجة الناس إلى الإمام[4] : ما يَدُلُّ على ذلك ما قد علمنا من إطباق الصحابة على أنه لا بُدَّ بعد الرسول صلّى الله عليه في كلِّ وقتٍ من إمامٍ يُقيمُ الحدود ويَسُدُّ الثغور ويحفظُ البيضة ، ويقسم الغنيمة ، ويمنع من التظالم ، ويولّي الأمراء والحكام . ألا ترى أنهم مع اختلافهم في أعيان الأئمة لم يختلفوا في الحاجة إلى إمام ولذلك فزع أهل الاختيار عند وفاة النبيّ صلّى الله عليه إلى الاختيار لمن اختاروه والعقد له وأظهروا أنّ ذلك مما لا يسوغُ تأخيره . وفزع أصحابُ النصِّ إلى أمير المؤمنين عليه السّلام والتمسوا منه المبادرة إلى القيام حتّى أظهر من المعاذير التي اقتضت قعودَهُ على ذلك ما بيّنّاه فيما تقدّم . ثمّ مضى السيد أبو طالب عليه السّلام في النحو الذي نحاه مؤكِّداً للحُجّة في حاجة الرعية إلى القائم بأمورها . ثم قال عليه السّلام في بعض ما ذكر من التقسيم : والقسم الثاني ؛ يجوزُ لجماعة المسلمين القيامُ به وإن لم يوجَد الإمام وهذا كالأمر بالمعروف والنهْي عن المنكر على شرائط مخصوصة لأنّ ظواهر القرآن دلّت على وجوب ذلك ولم تشترط فيه وجوبَ الإمام . فأمّا الجهادُ وقسمةُ الغنيمة وما يتعلّقُ

(1) نصرة مذاهب الزيدية (= الدعامة) ص 69 ـ 72 .

(2) الدعامة ، ص 72 .

(3) ربما كان المقصود ما سبق أن ذكره ، لأن النصّ في نصرة مذاهب الزيدية (= الدعامة) في هذا الموضع قصير .

(4) نصرة مذاهب الزيدية (= الدعامة) ص 113 وما بعدها .

بذلك فعند كثيرٍ من الناس يجوز أن يتولّاه المسلمون وإن لم يوجَد الإمام . ثمّ مضى في كلامه عليه السّلام الذي نحاه حتّى قال : وإذا كانت الأمور التي لا يقوم بها الأئمةُ تتعلّقُ بها ألطافٌ دينية على وجهٍ فلا بُدَّ أن يفعل الله تعالى ما يقوم مقامها في باب اللطف إذا لم يوجد الإمامُ . ثمّ خرج عليه السّلامُ إلى فصلٍ فيه ذِكْرُ إمامة زيد بن عليٍّ عليه السّلام ونصر الزيدية / بالحُجَجِ القاطعةِ بشرحٍ طويلٍ حتّى قال في آخِر الكتاب[1] : وقد أوردْنا في نُصْرةِ مذاهب الزيدية[2] جملةً كافية لِمَنْ نصح نَفْسَهُ ونظر لدينه ، ونحن نسألُ الله تعالى أن يجعل ما نقولُهُ ونفعلُهُ خالصاً لوجهه إنه سميعٌ مُجيب . [م ق 97أ]

كتابٌ كتبه الأمير ذو الشرفين إلى مولانا المهدي لدين الله الحسين بن القاسم صلواتُ الله عليه :

بسم الله الرحمن الرحيم . حسبي الله وكفى . يقول عبد الله محمد بن جعفر بن الإمام القاسم بن علي : لمّا قتل صنوه الشريف الفاضل كان القاسم بن جعفر رضي الله عنه كثُر أعداؤه وخذله أولياؤه إلّا القليل منهم وقصده أهلُ البغْي وَمَنْ كان استقام معه بكَيدهم وغوائلهم . وبلغوا في ذلك غاية جهدهم ، وأشاح له كُلُّ عدوٍّ وعتيدٍ من قريبٍ وبعيدٍ ، وبثّوا الغوائل وفسد عليه جميعُ القبائل وصاروا بين مُباينٍ مُقاتل ومتربصٍ ومُخادعٍ خاتلٍ ومتَسَمِّرٍ بالتشيع ناكلٍ ناكص على عَقِبيه مُحايل وعدمت الديانة وكثرت الخيانة وذهبت الصيانة فنظر حينئذٍ في الأمور وأعمل فكره في التدبير وهو يومئذٍ بشهارة فلم يذكر ملجأً يلجأُ إليه ولا أحد من الخلق يعتمد عليه ، ولا علم ذلك بحيلةٍ من الحِيَل في سهلٍ من الأرض ولا جبل غير هذا المكان وغير مَن آلتزم معه من الإخْوان . فرأى أن الصبر والاستقامة سببُ النجاة عند الله والسلامةَ وأن لا يُلقي بيده إلى التهلكة ولا يتخلّى من معقل العز والبركة الذي جعله الله لأوليائه مخرجاً ومهاجراً وحرزاً وملجأً . فآعتمد كُلَّ الاعتماد على ذلك وعلم أنّه أقربُ

(1) نصرة مذاهب الزيدية (= الدعامة) ص 179 .

(2) كانت هذه العبارة سبب توهم ناجي حسن ناشر الدعامة (. . في نصرة مذاهب الزيدية) أنّ اسم الكتاب : نصرة مذاهب الزيدية ! .

المسالك . ثُمّ حَمَلَتْهُ الضروراتُ والأمور المُلْجِئات والأحوالُ المتعبات والنوائبْ المُعْضِلات ، وكثرة غوائل أعداء الله والعداوات وتخلّي الناس من المعونات وخروجهم من الأديان والمروءات على تَنَاوُلِ ما قدر عليه من مالٍ ، وما كان قبل وقوعه في الضرورة يراه غير حلال فأخذ ما أخذ بسبب الضِّيق والإِقْلال ولِمَا أَلَمَّ به من جميع الأحوال التي لا مندفع له عنها ولا بُدَّ له منها وإنه لا استقامة لمكانه ولمن معه من أعوانه إلّا بما يُقيمهم من الأقوات وما يُعينُهم على جهاد البُغاة حتّى يجعلَ الله له فَرَجاً . فرأى إثبات هذا الكتاب ليوقع فيه جميع الأسباب التي قبضها من بعض الناس وفيها شيءٌ من الالتباس لحال ما أَلَمَّ به من الضرورة والأمور المعروفة المخبورة والنوائب/ العظيمة المشهورة فإنْ تراخت به الأيام وانجلت عنه المِحَنُ الجِسام ولم [م ق 97ب] يعجل عليه الحِمام واتّسع به ما ضاق وسهَّلَ اللّهُ الأرزاق التي ليس فيها شكٌ ولا هي لأحدٍ مِلْك . عمل مع هؤلاء المذكورين أو مع ورثتهم عملاً واستحاط بذلك لوجه الله جَلّ وعلا ، وحرص واجتهد في الحلال والخلال من الأدنى منهم والقاصي . واللّهَ أسألُهُ البلاغَ والتوسيعَ والإسباغ والتفضل بالعفو والمغفرة والسلامة في الدنيا والآخرة فهو العالِمُ بجميع أموري والمُطّلع على ظاهري ومستوري وإني ما أعصيه اعتماداً ، ولا أقصد له عناداً ، ولا أُريد عُلُواً في الأرض ولا فساداً بل أنا مضطرٌّ مُصابرٌ متوقِّعٌ ناظر . فيا خالق الأرض والسموات وما بينهما وفيهما من الآيات ويا مميت الأحياء ومحيي الأموات اجعلني عندك من المعذورين في الدنيا والآخرة من المستورين السالمين من سخطك ، المأجورين الداخلين جَنّتك المبرورين الناجين بِمَنِّك عليهم المحبورين ولا تجعلْني من أهل الجحيم وثَبِّتْني على الصراط المستقيم بحقّك العظيم يا عظيم وحقّ كلّ ذي حقٍّ جعلْتَ له حقاً يا رحمن يا رحيم .

يقول محمد بن جعفر : وإن انقطع الأجل وفاته الأمل ودُعي فأجاب وتوفّاهُ ربُّ الأرباب < ومالكُ الرقاب فصار إلى التراب منتظراً للنشور والإياب >(*) والبعث والحساب فليحفظ له هذا الكتاب بعض الموثوق بهم من القرابات والأصحاب وليتقرَّبْ بذلك إلى الرحمن فحقّ الأخ في الله واجبٌ على الإخوان حتى يسلّموه إلى

(*) عن الهامش الأيسر من الصفحة .

الطاهر الأمين المهدي للدين مولانا أبي عبد الله أمير الغضب وقائد العُصَب الحسين بن الإمام القاسم بن علي صلوات الله عليه . ألا ثم ليكن منك يا مولانا الإمام عليك وعلى آبائك أفضل التحية والسلام ؛ التقرب إلى العليم السميع بالنظر إلى هذا التوقيع فأنت المأمولُ لتخليص الجميع من كلِّ أمْرٍ مُؤْلمٍ وجيعٍ فما كان جائزاً جَوَّزْتَهُ وزكَّيتَهُ مما ترى من الدعاء وباركته وما كان غيرَ جائزٍ تَحَمَّلْتَهُ ونفرت منه المملوك القِنّ لك وخلَّصته وسألت الله له المغفرة واستغفرته وشفعت له(*) إلى من اصطفاك واختارك واستوهبْتَه يا مولانا المهدي صلواتُ الله عليك وافعل ما سألْتُكَ بحقّ الله عزّ وجلّ وألحّ في المسألة للرحمن جلّ وعلا عن مُشابهة الإنسان وغير الإنسان أن يجنّبني من العذاب والهوان والخلود بين أطباق النيران وأن تتفضل عليَّ بالثواب والجنان ومُجاورة أهل البقاء والإيمان في دار السلامة والخلود والأمان فلم أكن من المُصِرِّين / ولا الراكنين إلى ما يرذل المغترين بل كنتُ من الملجئين [م ق 98أ] المضطرين وأنا مع ذلك فكثير الذنوب والجهل والخطايا والعيوب التي لا تكاد تنجو منها الجوارح والقلوب ؛ فأستغفر الله الغفور الرحيم ، وأتوب إليه التوّاب الكريم وأعُوذ وألوذ بالله العظيم . وقد وقعْتُ من ذلك ما ذكرت وفرضت في إثباته وجهدْتُ وما غاب عني ذكره فمصروفٌ إلى الله وإلى مولانا المهدي أمره ولله ولوليّه النظر في خلاصي . فما صرفْتُ قليلاً مما أخذْتُ ولا كثيراً في شيءٍ من المعاصي ولا تناولْتُ ذلك أَشَراً ولا بَطَراً وكذلك ما صار إليَّ أنا في خاصّتي من هذه الأسباب قليلاً ولا كثيراً إلاّ ما أنا ذاكِرُهُ ومُثْبِتُهُ في هذا الكتاب بل كنت مجنِّباً من يُغنيني حاله ويلزمني فرضٌ له جميع هذه الأسباب ومجتهداً في الطلب لهم من فضل ربِّ الأرباب وحريصاً في التحيُّل والاضطراب كُلُّ ذلك خوفاً للعذاب ؛ وتعرضاً للرحمة من الله والثواب .

وأمّا ما كان قبل ذهاب الشريف الفاضل فلم أُحِطْ به علماً ولا أدركته قيماً ، ولا جعلْتُ توقيعه لي هماً لصحيح ما بنينا عليه في ذلك من الاعتقاد وما قصدنا من المدافعة والجهاد ، ونفْي القرامطة من البلاد ، وإزالة ما قدرنا على إزالته من الفساد . فلَعَمري لقد عَمَّ نفعُ ذلك كثيراً من العباد ، وتخلّصوا من القرامطة بسبب

(*) في الأصل : فيه ـ فوق السطر .

ذلك القيام منّا والاجتهاد . وحمى أكثر الناس بلده ونزع من طاعتهم يده وأراح منهم نفسه وجسده . والناس مع هذه المِنّة وبعد خروجهم من المحنة لله ولنا غير شاكرين ولاعن العداوة فاترين ولا مُقْصِرين . فلا يُبلغ الله أعداءه أملاً ، ولا يضيّع لنا برحمته عَمَلاً . ثمّ ذكر عليه السّلام بعد فراغه من هذا الكلام أسباباً قد أُثْبِتَتْ في غير هذا الكتاب .

ذكر الصلح والهدنة

[م ق 98ب]

أوَّلُ مَنْ سعى في ذلك عبد الله بن محمد اللهاني ودلهام بن عبد الله الحرازي وكان رسم الحدود على بلد بكيل ومن مساقط غولة عجيب وقد قيل : إنه كان الرسم من بضعة بوسط البَون مشاهباً(*) لحدود الناصر عليه السّلام لبني حوال فلم يتمّ من ذلك شيءٌ ووقعت الفتنة . ثمّ سعى في الصلح الشريف إبراهيم بن سليمان ابن القاسم بحالٍ لم تتم . ثمّ سعى في الصلح أحمد بن المجاهر السنحاني بحالٍ لم يتم . ثمّ سعى في الصلح عبيد بن محمد والعطّاف بن أسعد البحيريان في حال الحصار على شهارة ـ قد تقدّم ذكره ـ بحالٍ لم يتم ، ثمّ سعى في الصلح يحيى بن الصبّاح بحالٍ لم يتم . ثمّ جرت الفتنةُ / على حالها وقامت الفتنة على ساقٍ إلى أن استُشهد الشريف الفاضل عليه السّلام بعمران . ثمّ سعى في الصلح والهدنة ذعفان بن يحيى بن حوشب اللعَوي ومحمَّد بن علي الطامي ووقعت المراسمة بين الأمير ذي الشرفين عليه السّلام وبين السلطان أحمد بن مظفّر على الهدنة على بلد الصيد ؛ صيد همدان وبل بكيل وكار(**) من مساقط غولة عجيب وما وراءها من البلدان مع قُرى استُثنيت وهي بيت شعيب وبيت سود وجامن وحمدة فتمّ ذلك إلى أن مات السلطان أحمد بن مظفّر . ثمّ حدث نقضُ الهدنة من قِبَلِهِمْ واجترأوا على ما كان من عقودهم فخرج سليمان بن عامر الزواحي إلى مخلاف شرف البياض من مخاليف شهارة ، وما كان من خروج أميرهم المتسمّي بالمكرَّم إلى شهارة حتّى بلغوا أُقَر وكان فيها من الحوادث ما قد تقدّم ذكره ؛ ولم يبلغوا إلى غير ذلك من الحال

(*) ربما كانت صحتها : مشابهاً .

(**) كذا في الأصل وربما كانت : حاز .

فانتقض عليهم ما يليهم من الأعمال . روى يحيى بن الصبّاح[1] أنه يوم توجَّه من عند الشريف الفاضل عليه السّلام إلى السلطان أحمد بن مظفَّر ساعياً في الهدنة سأل الشريف الفاضل فقال : يا مولانا أين أجدك إذا رجعتُ ؟ فقال له : سل عني السلطان أحمد بن مظفَّر ! فلمّا وصل إلى أحمد بن مظفَّر خبره بما وصل فيه من الخطاب واستوفى من السلطان أحمد بن مظفر ما ألقى إليه من الجواب ؛ فلمّا عزم على الانصراف قال للسلطان : أين أجدُ الشريف الأَجَلّ وإلى أيِّ موضعٍ أقصده ؟ فقال له : لِمَ تسألُني عن هذا أنتَ الذي وصلْتَ من عنده أم أنا ؟ فقال له : قد كنتُ سألْتُهُ إلى أيِّ موضعٍ أعود إليه وأين أجِدُهُ فقال لي : سل عني السلطان أحمد بن مظفر فعنده الخبر وصحة العلم بموضعي ! وإنما قال الشريف الفاضل ذلك لعلمه أنّ عيونهم معه في الليل والنهار وأنه لا يغبى عليهم مع كثرة العيون ما عنده من الأخبار ؛ ومع أنّه عليه السّلام لا يقر به قرارٌ ولا يعرف له إقامةٌ في دار . فلمّا قالها للسلطان أحمد بن مظفَّر ضحك وعَجِبَ من قوله ثم قال له أقالها لك ؟ قال : إي والله قالها ! قال : فإنك تجدُهُ في الموضع الفلاني فاقصده إليه . فلمّا خرج من عنده وودّعه وصار إلى ناحية السوق من صنعاء أتبعه رسولاً فردّه ؛ فقال له : وصلني الساعة عينٌ لي كان عند الشريف فذكر لي أنه نهض من حيث ذكرْتُ لك ساعةَ كذا من يوم كذا وصار إلى الموضع الفلاني فامض إليه تجدْهُ هنالك ! قال يحيى بن الصبّاح : فمضيتُ إلى الشريف الفاضل فوجدْتُهُ حيث ذكر السلطان فقصصْتُ عليه القصة فعجِب منها وما زاده ذلك إلّا حِرْصاً .

[م ق 99أ] وهذه نسخة الكتاب الذي وقعت المراسمة في الحدود عليه / بخطّ الأمير ذي الشرفين عليه السّلام . بسم الله الرحمن الرحيم . حرس الله عزَّ السلطان الأجلّ مولاي وأدام علوه وتابع سموه وكبت حاسده وعدوه . أصدر عبده هذه الأحرف البَرّة عليه مسلّماً ولأحواله مستعلِماً ومطلعاً ومفتقداً لا خلوتُ عنه أبداً ولا عدمته سرمداً . وقد لا شكَّ تحقق السلطان الأجلّ مولاي حرس الله أيامه وسرمد أنعامه ما أوضح خادمه في الكتاب الذي إلى الشيخ محمد بن علي ووصل إلى حضرته عَمَرها الله

(1) نقل مسلَّم هذه القصة عن السيرة ؛ قارن بالملحق الأول ، الفقرة رقم 4 ، ص 265 .

بطول أيامه فاكتفى بذلك عن إعادته في هذا الكتاب ورجع من جواب السلطان الأجلّ كَبَتَ الله حَسَدَتَهُ وطولَ مُدّته ما سكنت إليه النفوس وزال به العبوس فأوجب ذلك الانبساط إليه والإدلال عليه والثقة بما لديه فليكن في سعة خلائقه ومحمود شيمه وطرائقه الاحتمال وإسعاف السؤال ويحتمل الحال فقد أصبحنا منه وإليه ومعتمدين بعد الله تعالى عليه وجعلْناه بغيره من الناس عِوَضاً ، وصَيَّرْناه لنا بَدَلاً ممن مضى فما كان بأيدينا من معقلٍ أو بلدٍ فهو بيده وسبيل ذلك سبيل معاقله وبلده وكذلك نحن له ولسيدنا ولده ما بقينا وبقي الأبد ودام منا ومنهم أحد . وقد توجّه خدمُ السلطان الأجلّ مولاي أدام الله عزّه الولد جعفر بن محمد موالي الأشراف والأجِلّاء لمواجهة السلطان الأجلّ أسعد بن أحمد والسلطان عبد الله بن محمد والمُواثقة لهما وفصل الحال معهما والمسؤول من السلطان الأجلّ مولاي أن يكون عقده على الأمير وكافة بني الصُّليحي وعلى السلطان الأجلّ عامر بن سليمان وكافة بني الزواحي وجميع مَنْ هو منهم وإليهم ويكون صُلْحَ خِلْطَةٍ نَصِلُهُم ويَصِلونا ونأمنهم ويأمنونا ولا يغول أحدٌ منا صاحبه في نفسٍ ولا مالٍ ولا معقلٍ ولا حالٍ من الأحوال . وقد قطع خادم السلطان الأجلّ مولاي حرسه الله تعالى قطعاً أدلّ فيه على كرمه ومحمود شيمه بأنّ ذَرْوه على حالها بأيدينا وما يليها من البلاد كبلد بكيل قاصيها ودانيها والصيد وبني صريم وما يليهم من عبدي وشاكري وظاهري وشظبي وحبري ووادعي وحمدة لا غيرها من البون ، وإطْلاق أموال من هو معنا من شيعتنا مجاز(*) وغيرها من البلاد وما ذكر خادمه هذه المواضع لنفعٍ يلحقُنا منها ولكن لأمورٍ غيره جَهِلها . أمّا ذروة فهي لنا عونٌ على مَنْ جرى منه ما جرى في سيدنا ومولانا وشيخنا ومكبرتنا(**) من الغدر وسفك دمه ودم ابن أخيه على غير جرمٍ ولا حالٍ أوجب ذلك . وأمّا بلد بكيل فلنا بها تَبْل لا نزال نطلبه ونرجو أن ندركه ببركة السلطان الأجـل . وأمّا بلد وادعة الصريمي منهم / [م ق ٩٩ب] والآخر فأكثرهم شيعتنا ومحابّنا وبينهم المنازل والأموال وأكثرنا عندهم من قديمٍ وحديث حال ، وكذلك حمده . وأمّا شظب وبلد الجبر فمتّصِلات بشهارة فلو كانا

(*) كذا في الأصل ، وربما كانت : بحاز .

(**) كذا في الأصل ، وربما كانت : وكبيرنا .

إلى غيرنا ما زالت الشكية قائمةً والمجافاة متصلة دائمة ولا يؤمَنُ مع ذلك توغُر الصدور وحرصُ أهل الشرور في تغيير الأمور . ومن بعد هذا كله فإذا صح الائتلاف والاختلاط وجرى بيننا الوداد والانبساط فنحن خدمه والبلد بلده ما أحب أتيناه وما أومأ إليه أنفذناه ولو دعتنا حاجةٌ إلى ما في يده وإلى ناحية بلده لطلبنا منه ولما احترسنا في ذلك عنه إذ قد صار الأمر منا واحداً وأصبح كُلٌّ منا لصاحبه مساعداً . وهذه المواضع التي ذكرْتَ فلم يكن يرى مولانا السلطان الأجلّ أن يستخدم فيهنّ بعض مَنْ يرى، فيحسب أنَّا بعض مستخدميه وولاته في البلاد ومقدّميه فقد اخترْنا مواصلته وكرهنا مقاطعته فليكن عند الظنّ أدام الله سعادته في كلّ فنٍّ ! والله تعالى يقيه ويبقيه ويحميه ويكفيه ولا يُرينا سوءاً فيه . ولخادمه بكتابه أنس وسرور وجذل وحبور فلا يُخْلِهِ منه مانّاً بذلك عند الإمكان ولا بُدَّ خادمه بعد سكون الأحوال واشتهار الأُلْفة بيننا والاتّصال من اللقاء له حرسَ الله سلطانه وكبت أقرانه والمواجهة والمواصلة والمشافهة إن رأى ذلك أراه الله المحبوب صواباً وأعاد بتصويبه جواباً . وعلى حضرة السلطان الأجلّ مولاي أفضل التحية والسلام .

فلما تمّ البقاء وانصرمت الأشياء ولم يبق إلّا تسليم هذا الكتاب المُنشأ كان للسلطان ذعفان بن يحيى بن حوشب اللعوي غرضٌ في تخليف الكتاب وعلى يديه كان ابتداء هذا الخطاب والغرض الذي كان في خلده ألّا تخرجَ حمدةُ من يده فأبطن مع الشريف ناصر الدولة وعزّها الحسن بن إبراهيم كتمان الكتاب وأوهمه في إظهاره بعض الأسباب فأجمعا على إغفاله ووافقهما على ذلك القاضي محمد بن علي الطامي وهو أيضاً ممن كان الخطاب على يديه وكان يركن في كثيرٍ من الأسباب إليه . وكان من يشتهي إظهار الكتاب من الجماعة يظنون أنه قد أنفذ به ولم يعلموا بقصته وسببه . فلما افترق العسكران وراح كل منهم إلى بلد ومكان بحثوا عن الكتاب فوجد مع بعض الأصحاب فضاقت من ذلك صدورهم . ولما رجعوا إلى الأمير ذي الشرفين عليه السّلام وعَرّفوه بإغفال الكتاب عتب ذلك ولامهم فيما هنالك . وبهذا السبب خرجت هذه المواضع من يد الأمير ذي الشرفين عليه السّلام ولو ظهر الكتاب ما كان فيها مراجعةٌ ولا كلامٌ لشهوة أحمد بن مظفّر للصلح والالتئام .

رجع الحديث / إلى ذكر فصلٍ تأخر وكان موضعه عند ذكر الغارة إلى أقر . [م ق 100أ]
قال : ولمّا فسدت العشائر أظهرت بنو الدعام على الشريف سنان الدولة وركنها الخلاف واستدنوا أهل الفساد من نِهم ودبّة وصناف خرج من عندهم الشريف الأجلّ سنان الدولة وركنها بعد أن كان منهم ما كان بنفسه وحريمه إلى ناحية عيان . ثم استدعوا بني الصُّليحي فلمّا صاروا بالظاهر وأجمعت معهم العشائر أقبلوا إلى ذروة وبها السلطان الحسين بن إبراهيم فطلعوها من ناحية القبلة ونزل السلطان وأصحابه من ناحية مجزر[1] فصار إلى قرية أكانط ثم تمّ بنو الصُّليحي على مخرجهم حتى حطوا بحوث ثم نهضوا إلى المغرب فحط أميرهم بالغاذية[2] فيمن ثقل من العسكر وتقدمت خيله فأغارت بأقر فاستشهد ذلك اليوم الشريف سليمان بن إبراهيم رحمةُ الله عليه ، وجُرح الشريف ليث الدولة وعضدها حميدان بن القاسم بجراحاتٍ كثيرة ، ومَنَّ الله بسلامته وقطعت يد رجلٍ من الشيعة يقال له : حمير بن أبي الصيد . واستعادوا من فورهم . قال : وكان الأمير ذو الشرفين قد كاتب الشرفاء بني حسن بتهامة ؛ فاستنهضهم وكان قد عنده منهم خيلٌ عظيمةٌ وكان قد هَمَّ بالهجمة على ذلك العسكر فسبقوا بالغارة إلى أقر فلمّا ولّوا رائحين استعاد السلطان الحسين بن إبراهيم والتأم إليه من التأم من المشرق والصيد فطلعوا ذروة فأنزلوا مَنْ كان فيها من الديوان وسلبوهم وكرهوا قتلهم لأن أكثرهم من همدان وأخربوها فهي خرابٌ إلى هذا الزمان .

قال مفرّح بن أحمد : كنتُ قد وصلْتُ إلى حضرة الأمير ذي الشرفين قبل هذه الحوادث بأيام فقال لي : يا أبا فلان ! أنا أشتهي أن تواجه لي ذينك السلطانين وتعرض عليهما مني أحد ثلاث خصال إمّا أن يقاسوا معي ويشهروا أنفسهم بحالٍ يفعلونه في عدوّي ففعلْتُ لهم ما يُحِبُّون وأسعفْتُ لهم ما يطلبون ولم أختر عليهم

(1) مجزر : قرية في الجوف من بلاد نهم . الحجري : مجموع بلدان اليمن ، جـ 4 ص 689 .
(2) العادية : قرية من قرى ظليمة . الجرموزي ، النبذة المشيرة ، ص 21 . وغاذية : قرية من ناحية صوير بعد 12 كم جنوب غرب شهارة وتقع ما بين : 58" 06′ 16° شمالاً ، 25" 37′ 43° شرقاً . خريطة ج . ع . ي ، 1 : 50000 ، صفحة 1643D3 .

أحداً من الناس وأعقد لهم ما كان يمكن عقده . أو الثانية إن لم يفعلوا هذه الأولة كانوا يميلون مني ولا يبينون مع عدوي ولا يشبروني ولا أشبرهم فإن كرهوا هاتين الخصلتين فيعلموا أنّ الثالثة قصدي إليهم دون العشائر ودون آل الصُّليحي . وأقسم عليه السّلام : ما أخشى إلّا أن يُسار فيهم بغير ما أشتهي بما ظهر على أفواه الناس من الكلام ؛ وقد استعنت عليهم بمشايخ سفيان وكاتبت بـذلك أيضـاً صناف وذيبـان وأشهدْتُ الله عليهم وكفى بالله شهيداً . قال : فصادف وصولي إليهم خروج بني الصُّليحي وقد أبلغت الكلام إلى نُباتة بن ربيع الدُّعامي فتحدّثَ به مع مقدمات آل الـدعام < . . . . . . >(*) الصُّليحي قـد وعـدوهم ببنـاء درب ومـادة شيءٍ من المال !!

* * * *

تَمَّ المختصَر من كتاب السيرة بِمَنّ الله وعونه .

والحمد لله وحده وصلّى الله على سيّدنا محمدٍ وآله وسلّم تسليماً .

في شهر ذي الحِجّة آخِر شهور سنة 1026 هـ .

(*) بياضٌ في الأصل .

الملاحـــق

نصوص من تاريخ مسلَّم اللحجي

نصّان من كتابين للمتوكل على الله أحمد بن سليمان

كتاب « بيان الإشكال » لحُميدان بن يحيـى

الملحق الأول

نصوصٌ من «تاريخ» مسلَّم اللحجي عن أشراف آل القاسم والشيعة الحسينية

ـ 1 ـ

. . وقد[1] ذكر مفرِّح بن أحمد الربعي في كتاب سيرة آل القاسم الحُسينيين[2] بشهارة أنّ وقعة حاز هذه من آخر وقعةٍ كانت بين الصُّليحي وهمدان . وفيها قُتِلَ آخر مَنْ بقي من فرسانهم ورجالهم المنظور إليهم نحو علي بن ذعفان الحمّادي وقيس بن وُهيب ؛ وذلك في سنة ثمانٍ وأربعين وأربعمائة .

قال[3] : وفيها حصر الصُّليحي القاسم بن جعفر بن القاسم بن علي الرسّيّ وأهل بيته بهرابة من بلاد وادعة فأسرهم وَمَنّ عليهم . فطفئت جمرةُ الحروب عنه ولم يبق عليه معترضٌ ففعل ما شاء .

ـ 2 ـ

قصة حصار عَرَد

قال[4] : كان الصُّليحي قد أسر ملوكَ اليمن فكانوا حول ركابه لا يُفارقونه خوفاً من الخلاف منهم عليه . واستصحب من رؤساء الناس وأجلابهم مَنْ لا بال <له>

---

(1) تاريخ مسلَّم م 4/ص 19 ـ 20 . في ترجمة القاضي تبَّع بن المسلّم «القاضي بحوث من البَون ، وعلاّمة همدان في عصره ، وأحد شيوخ الزيدية المشهورين بالعلم والعمل وكثيرٍ من الفضائل» . وقارن عنه طبقات الزيدية ليحيى بن الحسين ، ص 77 ، ومطلع البدور لابن أبي الرجال م 1/ص 261 ـ 262 .

(2) نصُّ مفرِّح في السيرة ، ق 13 أ ـ 13 ب .

(3) اختصر مسلَّم اللحجي هنا نصَّ مفرِّح الطويل في السيرة ، ق 13 ب وما بعدها .

(4) تاريخ مسلَّم ، م 4/ص 177 ـ 178 ، أثناء ترجمة الشيخ إبراهيم بن علي الضامي (ـ 516 هـ) ؛ وقارن عنه بيحيى بن الحسين : طبقات الزيدية ، ص 75 . والحديث عن إخضاع الصليحي لآل =

ممن وراءه من قومه . وكان أمر عدد همدان وعنس والأبناء وبلحارث وبني شهاب وفراستهم ورجلتهم مهمةً ومُشْجيةً فلم يُبْقِ أحداً يُهِمُّهُ من أغيار الناس ورجالهم إلّا حمله على الخروج معه في سفره ذلك . وكان ذلك من مكايده لرجال اليمن وتعمُّله في استئصال شأفة الأماثل منهم . وذلك أنّ السـواءَ ـ وهي القلعة التي لجـأ إليها الكرنديون ـ وكذلك السمدَان من حصونهم أيضاً وقلاعهم بين أوديةٍ مُحمّـة المياه والأهوية ممغِنة لا يُشَكُّ في أنها تأتي على أهل البلاد النجدية من اليمن كصنعـاء وصعدة وذَمار وما يُواليها منها وتُهلكُهُم فكذلك على أهل الجبال العالية .

قال : فخرج معه نقاوةُ الناس وخيارهم فلم ينقلب من سفره ذلك بأحدٍ يَكْبُرُ عليه أَمْرُهُ بل مرضوا وماتوا . وأحسبُهُ ذكر أنّ منهم مَنْ مات هناك ، ومنهم مَنْ مات في بلده . وكان الصُّليحي لا يكترثُ للبلاد الوبيّة والمياه والمحمّة لأنه نشأ في بلدٍ من ناحية الأُخروج من أعمال حَراز كأخبث ما يكون في ذلك .

وأخبرني مالك وغيره أنّ الصُّليحي خرج يومئذٍ فيمن خرج به معه من الملوك **الأمير الشريف جعفر بن القاسم بن علي بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن إبراهيم** الحسني الرسّيّ فغدر به في الأمان الذي عقده للكرنديين على يده وبوساطته فعظُم عليه ما ركبه من ذلك وأخذتْهُ الحسرةُ فيقـالُ إنه مات في مُنْصَرَفه أسفاً بصنعاء . وأحسبُ هذا مما ذكره **مفرِّح بن أحمد الربعي في سِيَرِه لآل القاسم** بشهـارة أيام دولتهم بعد ذلك[1] . وذكر أنه كان ذلك سنة خمسين وأربعمائة . وهي الوسطى فيما أرى من سنيّ المجاعة المعروفة بسِنيّ دَحْنان < . . . > .

وهذا مع ما ذُكر في الأخبار من إعظام الصُّليحي لجعفر بن القاسم وأنه في مقامه عنده ما سبقه إلى صباحٍ قطّ بل يسبقه الصُّليحي فيُصبّحه قبلُ[2]

ـ 3 ـ

قال [أبو الخير أحمد بن عبد السلام بن أبي يحيـى] : كان الأشراف من آل

= الكرندي ؛ وقارن بحسين بن فيض الله الهمداني : الصليحيون ، ص 85 .

(1) هذا الخبر ليس في مختصر السيرة الذي بين أيدينـا . وخبر مـوت جعفر بن القـاسم في السيرة ، ق 21 ب .

(2) هذا الخبر ليس في مختصر السيرة .

القاسم قد حصروا بني الصُّليحي والزواحي وأعوانهم بصنعاء وشِبام[1] فأخبرني غير واحدٍ منهم مالك بن عبد الله ويوسف بن الذؤيب المعروف بمسعود ـ وكان من عُبّاد أهل الظاهر وأعِفّاء الحسينية وأهل الورع وَمَنْ يُمالُ إلى تصديق خبره في هذا ومثله ـ أنّ الأشراف أخذوا على أهل الدعوة الصليحية أقطار البلاد يومئذٍ ؛ فكان بعضُهم في قلعة ثُلا يحصُرُ مَنْ بكوكبان وشِبام ، وبعضهم بيناع وحَضور ، وبعضهم بالمعلَّل ثم بقرن عنتر يحصُرُ بيت بوس وصنعاء وَمَنْ بها ، وبعضهم بمشارق صنعاء يحصرونها . فكان منهم مَنْ هو بالمقطوع من جبل كَنِن . ومنهم مَنْ هو ببقج من جبال التناعُم ونواحي السّرّ والمشرق[2] وإنّ الأشراف طمعوا بالفتح فضايقوهم في الحصار حتّى لم يكن يوجد إلى الطعام سبيل ولا وجه[3] . واعتقدوا أنّ هلاكهم يُستباح معه كُلُّ محظور فضايقوا أيضاً مَنْ تحت أيديهم وفي مملكتهم من القبائل في الجباء حتّى أمروا بأخذ تسعة[4] أعشار أموالهم ! وقد ذكر العلّة في ذلك وإباحته مفرِّح بن أحمد الربعي في كتاب **سيرة آل القاسم** وأخبار دولتهم بشهارة مفصَّلاً[5] .

فأخبرني القاضي أحمد بن عبد السلام بن أبي يحيى : لم يزل ذلك كذلك حتّى نظر الشريفان القاسم ومحمد ابنا جعفر بن القاسم بن علي في ديوان دَخْلهما وخَرْجهما فوجدا ما يدخل نحو من سبعين ألفاً وما يخرج نحو من مائة ألف وأربعين ألفاً أو أكثر ! فأيقنا بتعذُّر الأمر واختلال الحال . فانصرف مَنْ بسنحان منهما < و > بمسور إلى شهارة ، وكتب إلى أهل حَضور والقلاع والعُمّال في البلاد بالانصراف < فانصرفوا > معاً في ليلةٍ واحدةٍ .

---

(1) تاريخ مسلّم ، م 4/ص 190 ـ 192 . ويأتي هذا النصّ في ثنايا ترجمة مسلّم للشيخ إبراهيم بن علي الضامي (ـ 516 هـ) . وقد نقل عنه هذه الترجمة مختصرة يحيى بن الحسين في **طبقات الزيدية** ، ص 75 .

(2) النص أيضاً في لواحق الحدائق الوردية ص 179 . وهو ليس في مختصر السيرة فربما نقله مسلّم عن السيرة ، وليس عن مختصرها .

(3) قارن بالسيرة ، ق 66 ب ـ 67 أ .

(4) في لواحق الحدائق ، ص 179 ، وأنباء الزمن م 1/ص 165 : سبعة أعشار .

(5) ذكر مفرّح في السيرة ، ق 10أ فتوى عن المهدي الحسين بن القاسم في جواز ذلك عند الضرورة ، لكنه لم يذكر أنّ الشريفين فعلا ذلك .

ذكـر مفرِّح بن أحمـد الرَّبَعي في « السيـرة » : أنهم انصـرفـوا من ثـلاثين حصناً[1] . فلهذا عُرفت هذه المجاعة بمجاعة عنتر . وقرن عنتر أكمةٌ معروفةٌ بأرض بني شهاب في شرقيّ المعلَّل عالية مُطِلَّة على قلعة بيت بوس وقاع صنعاء < وتُسمَّى الآن بظفار > . قـال القاضي أحمـد بن عبد السـلام : فأخبـرتْني الحرة الملكـةُ السيـدة بنت أحمد الصُّليحية أنهم حين استرخى الخناقُ بهم لانقضاء الحصار ؛ وقسم المكرَّم الملك الصُّليحي ـ وهو بعلُها ـ البلادَ بين الحجاز من جنده فرضاً من جراياهم ووظائفهم فرحوا بالانفكـاك < عن صنعاء > إلى دواخل اليمن فقصدوا مخلاف جعفر ونزلوا مدينة ذي جبلة . قال ؛ فقالت : يا قاضي ! ما خرجت يومئذٍ صُليحيةٌ وفي أذنها خرصٌ إلاّ الصُّفْر لشـدّة ما احتاجوا إليه من النفقة ، وعظيم ما نزل بهم من الفاقة في تلك المُدَّة(*) !

قال الشيخ مسلَّم بن محمد رحمه الله : أظنُّ أنا أن إبراهيم رحمه الله أخبرني بما يدلُّ على أنّ قدومَهُ البلدَ عندنا أول مرةٍ كان قبل ذلك لأنّ في أخباره ما يدلُّ على أنّ طلوعَ الأشراف مع الأمير محمد بن القاسم بن جعفر جبل شَظَب المرة الأُولى وقتْلهم لأهل رأس الجبل كان وقد صار في البلد مَنْ يتشيّع لأنهم إنما جذبوهم إلى جبلهم هذا طلباً لطرد عمّال الصليحيين عنه . وذلك أنّ في خبر إبراهيم رحمه الله وفيما سنُورِدُ منه أنّ أولَ معرفته من أهل جبل شَظَب كـان بالـدرهميّ بن جعفر رحمـه الله ، وأنه ورد عليه وهو إباضيُّ الاعتقاد فتاب عليه . وأخبرني مَنْ أثِقُ به أنّ الدرهميَّ حين سمع بقدوم الأمير محمد بن جعفر ـ وكان جيشُهُ أتى البلدَ من طريق وادي الثاجة ـ أقبل حتّى أشرف من حذاء الماجل المعروف بالجاهليّ غربيّ قرى(*) الظهر أو من رأس الجبل ؛ فلمّا رأى الرايةَ فرِح ومـد يـديه يقـول : مرحبـاً وأهلاً بـكَ يا ابنَ رسول الله ! فلمّا صار الجيش إلى أعالى الجبل وضعوا في الناس السيفَ فقتلوا مَنْ قتلوا منهم !

---

(1) الخبر عن الانسحاب موجز جداً في مختصر السيرة ، ق 68 ب ـ 69 أ . فربما نقل مسلّم عن السيرة الأصلية .

(*) الكلمة غير واضحة في الأصل ، وربما كانت : قرن .

ـ 4 ـ

الشريفان القاسم بن جعفر وحمزة بن أبي هاشم[1]

هما القاسم بن جعفر بن القاسم بن علي بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن إبراهيم ، وحمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم . لم يكن في زمانهما من آل رسول الله صلّى الله عليه أحدٌ أقومُ منها بعبادة الله تعالى فيما بلغني ولا أشدّ غضباً لله على أهل المعاصي . وكان القاسم أعلاهما عند الناس درجةً في ذلك . ولولا ما كان ينفّر عنه العامّة من أشياء كانت منه نحو اعتقاده حياة الحسين بن القاسم بعد اعتقاده لقتله ، وزعارة خُلُقٍ في مواضع قدّر بما < . . . . >(*) فيها طاعةً لله ويأتي الأمر بخلاف ذلك . ومساعدته في أخذ الأموال أيام حربه الصليحيين والقيام عليهم حتّى ضجّ منه الناس وندموا على < . . . . >(**) الأصلوح ، وعدم الأعوان الصالحين ، هذا ونحوه لما عُدِلَ به ولا < . . . . . >(***) عنه ؛ وإن كان وحيداً في قرنه وأقرانه ورجاله وزمانه معدوم المثل < على > كلّ حال .

فأمّا ما نفرّ عنه من خُلُقه فنحو ما أخبرني به بعض شيوخ الزيديين عن عبد الأعلى بن عُبيد الله قال(****) : أقبل الشريف القاسم بن جعفر في سنة قرن عنتر يريد حصر بني الصُّليحي بصنعاء فتلقاه الناسُ إلى عجيب ، وكنتُ من أشدّ مَنْ علمْتُ فرحاً به وسروراً بمقدمه < . . . . . >(*****) وإخلاصاً في حُبِّه وحُبِّ آبائه وأهل بيته . فحملني ذلك على كلامٍ < . . . . . >(******) حين رأيتُهُ لا لطمعٍ ولا رياء ؛ فقلتُ : فعل الله لك وصنع ـ ودعوتُ من الخير بما عرفتُ . ثم

---

(1) تاريخ مسلّم م 4/ص 208 ـ 213 .

(*) كلمة غير مقروءة .

(**) كلمتان غير مقروءتين .

(***) كلمة غير مقروءة .

(****) في الأصل : قال قال .

(*****) كلمتان غير مفهومتين في الأصل بسبب سوء التصوير .

(*******) كلمة غير مفهومة .

قلت: أصبْتَ الإيمـان ، وأطعْتَ الرحمن، وعصيتَ الشيـطان، وأقمْتَ القرآن! فقبض قبضةً من ترابٍ وحصىً فضرب بها وجهي فوقَعَتْ في عيني فما علمتُ أين أنا ولا أحسنْتُ إلى الرجوعِ من مكاني سبيلاً ! وقال، قال النبيُّ صلّى الله عليه : أحثوا في وجوه المدّاحين التُّراب ! فانصرفْتُ سيءَ الظنّ متغيّر القلب .

وأمّا اعتقادُهُ حياةَ الحسين بعد الاعتقاد < بموته >[*] فهو مـا أخبرني بـه بعضُ أصحابه المخلصين بعد الاعتقاد في محبته على وجه القول بذلك والحُجّة على صحّته ، وهو يوسف بن الذؤيب المعروف < بالمسعود >[**] وقد ذكـرْتُ صفته وهذا الحديث فيما تقدّم[1] . قال : كنتُ أرى أنّ < الحسين > بن القاسم قد قُتل حتّى صحبتُ الشريفَ القاسم بن جعفر ؛ وكان مستحقاً للإمامة < لكنـه لم > يَدْعُ إلى بيعة ! فـذكرْتُ ذلـك له فقـال : يا جُعِلْتُ فـداك ! قد كنت أرى < هذا > وأعتقدُهُ حتّى جاءت الشهادةُ العـادلةُ فـأزاحت الشهادةَ البـاطلة أو قال < . . . . > الباطلة ؛ حلف مدرك بن إسماعيل سبعين يميناً ، وذبـح سبعين كبشاً أنه مَرَّ به منصرفاً من وقعة ذي عرار[2] حياً سوياً . فذكر الخبر الذي تتداولُهُ الحسينية إلى الآن في حياته .

وأمّا المساعدةُ في أخذ الأموال فهو ما قد اشتهر في هذا الحصار في سنة قرن عنتر ، وما قد احتجّ على إباحتـه مفرِّح < بن أحمد > في سيرة آل القاسم أيام دوامهم بشهـارة ، وأنه يجـوزُ أخذ تسعـة < أعشار > أمـوال الناس عنـد خروج القرامطة . وهـذا قد سـطّره في هذه < السيـرة > فلا وجـه للإطـالة في نَسْخـه ها هنا[3] .

وأمّا عدمُ الأعوان فأقلّ ما في < . . . . > مع ما أدركنا في باقي دولتهم ما

(*) كلمة ممحوة في التصوير .

(**) كلمة ممحوة في التصوير .

(1) ذكره مسلّم من قبل ؛ قارن بالنص رقم 3 . كما ذكره في م 4/ص 15 وقـال : إنه من ظـاهر بين خريم بن وادعة ، « وكان ممن صحب الشريف القاسم بن جعفر بن القاسم بن علي الرسي » .

(2) يرد اسم المكان هكذا في المصادر التي بين أيدينا . فيُراجَع ضبط الأستاذ ماديلونغ السابق بوصفه : ذوعرر(؟) .

(3) قارن بما سبق .

أخبرني به العطّافي بن الموحم (؟) شيخ من أهل (؟)(*) بشظب ، وكان ممن يوثَقُ بصدقه ؛ قال : بُعثنا في أصحاب الشريفين < القاسم > ابني جعفر أيام سلطانهما علينا إلى غزير أود من بلد حمير < فكنت >(**) في رفقة قوم يروعُني صبرهم على الصلاة والوضوء لها في تلك الأرض < . . . > ذلك الوقت من شدة البرد . لقد كنتُ أراهم يُصْبحون يتوضّأون بماءٍ يحرق إحراق النار (؟) فتتشقّق أطرافهم وهم يصبرون وهي جامدة ، فإذا طلعت الشمس سالت بالدم ! قال : فانتهينا إلى موضعٍ من تلك المواضع فوضعوا أيديهم في النهب والسلب . فأشهد لقد رأيتُ منهم من يأتي إلى المرأة فيُدْخِلُ يده تحت ثيابها فيجيلها في صدرها ورقبتها وحيث أحبّ < . . . . >(***) الحُليَّ وما يكون على بدنها وما تَخْبؤُهُ تحت ثيابها من نحو ذلك ؛ وهو غاضٌّ بصره عنها أو مُلتفتٌ إلى خلف لا يستحلُّ النظر إليها !

فهذا مما جاء في أهل الديانة منهم فضلاً ممن كان فيهم من المؤلَّفة والفَسَقة والمُجاهرين بالمعصية ! إلاّ أنّ أهل اليمن لمّا أوقع الصُّليحي بهمدان في صَوف ، وقتل أبا حاشد يحيى بن أبي حاشد بن الضحّاك وأصحابه فزعوا إلى آلِ رسول الله صلّى الله عليه فلم يُصيبوا أفضل من القاسم بن جعفر ، وحمزة بن أبي هاشم . ذكر ذلك مفرِّح بن أحمد الربعي في السيرة[1] .

ومما يُعرف به القاسم بن جعفر من الغضب لله مع قيامه على الصليحيين مرةً بعد أُخرى أنهم لمّا صاروا إلى شهارة في شهر رمضان سنة ستين وأربعمائة ، وذلك بعد قتل علي بن محمد الصليحي وعجز المكرَّم ابنه وسائر ملوك الدعوة الصليحية عن الظفر بهم وقتلهم حاشد بن كديس و < جولة >(****) بن محمد ـ وهما من سلاطينهم ـ بالرحبة من نجد الحبْلة تحت شهارة ، وهزمهم هزيمةً بعد أُخرى لبثوا

(*) كلمة غير مقروءة بالأصل .

(**) كلمة غير مقروءة في الأصل .

(***) كلمة غير مقروءة ربما كانت : يأخذ .

(****) كلمة غير مفهومة بالأصل . وفي السيرة ق 42أ: حولة بن محمد.

(1) ذكر مفرِّح ذلك في السيرة ، ق 6ب ـ 7أ .

إلى سنة ثلاثٍ وستين ، ودعا جعفر بن الحسن الشمّري[1] وخطب للصليحيين على منبر الهادي إلى الحقّ يحيى بن الحسين عليهما السّلام؛ فقبض على الشمّري ورجع به إلى شهارة فلبث في سجنها إلى سنة سبعين وأربعمائة[*] . وأظهر النكرة < . . . . > فيما صنع حتّى مُدح بذلك . وقد قيل فيه الشعر . قال مفرّح بن أحمد الربعي[2] :

قُـدْنا من الجبل المنيع جيادنا ... أُرُنَ الأعِنّة كالصخور صلادما
فمضين شعثاً كالعشار بوادناً ... وسلكن شُرقاً كالظباء سَواهِما
يتبعن أشمط هاشمٍ وهُمامَها ... نجل الأئمة ذا المهابة قاسما
الماجدَ الورِعَ التقيَّ الزاهد ... البَرَّ الكميَّ البرهميّ العالِما[3]
يقصدن[4] هجرة جدِّنا الهادي به[5] ... أكرِمْ بهاديه إليها قادما
< وتحوطُ ساكنها فلمّا >[6] استعملت ... سكّان صعدة رأيَها المتفاقما
ودعا المغلّغ[7] فوق منبر جدّنا ... قُدنا إليها المأقطَ المتلاحما
فرجعن بالأسرى وكنّ مُرادنا ... دُون الغنائم والإياب غنائما

ذكره مفرّح في السيرة[8].

وأخبرني القاضي أبو الحُسين أحمد بن عبد السلام بن أبي يحيى بصنعاء قال : كان سبب جرأة الأشراف بشهارة على الصليحيين < . . . . >[**] صاروا

(*) فوق السطر تسع وستين .

(**) كلمة غير مفهومة في الأصل .

(1) الخبر عند مفرّح في السيرة ، ق 48ب ـ 50أ .

(2) السيرة ، ق 48ب ـ 50أ .

(3) في السيرة : الزاهد الورع التقي الفاضل البرّ الزكيّ البرهميَّ العالما .

(4) في السيرة : فدخلن .

(5) في السيرة : بنا .

(6) ما بين القوسين ساقط في الأصل ، عن السيرة .

(7) في السيرة : الملغلغ .

(8) السيرة ، ق 48ب ـ ق 50أ .

بشهارة بعد قتل علي بن محمد الصُّليحي بالمَهْجَم ، وظَفَر ابنه < المكرَّم >[*] أحمد بن < علي > على الحبشة ؛ قصدوا[8] إلى شهارة مع المكرَّم في ملوك الدعوة الصليحية وهو بشظب (؟) فأقبل حتّى نزل بموضعٍ تحت شهارة يقال له أُويّ . ونزل أحمد بن المظفَّر بجبلٍ يقال له أبو الجبجب[**] (؟) . ونزل عامر ابن سليمان الزواحي ناحيةً أُخرى . وقيل : نزل حاشد بن كديس وجولة بن محمد الصليحيان بنجد الحبْلة بموضعٍ يقال له : الرحْبة فأحاطوا بجبلي شهارة من كلّ جهة . فقسم الأمير جعفر بن القاسم الرسّي الأشراف والشيعة ثلاثة أقسامٍ مايةً مايةً ، وأصحب كلّ فرقةٍ (؟)[***] من دفوفٍ وطبلٍ وغيره < . . . . >[****] كلّ طائفةٍ منهم طائفةً من الصليحيين وجيوشهم فقُتِل حاشد وجولة وكثيرين من جيشيهما وانهزم باقيهم فانهزم سائر الملوك والعساكر أقبح هزيمة ، وقُتل مَنْ لُحق منهم . فلمّا كانت لذلك سنةٌ أو نحوها جهّز المكرَّم جيشاً آخر وقصد شهارة فانتهى إلى موضعٍ تحتها يقالُ له أقر . ثم لم يلبث أن انصرف . وفي السنة الثالثة أقبل كذلك فانتهى إلى ظاهر بني صُريم من وادعة .

ثم حادَّ الأشرافَ فكان حدّه وحدّ أهل دعوته من أسفل < . . . >[*****] من ناحية رَيدة من البَون الأسفل فَيمناً . وحدُّ الأشراف وشيعتهم من أعلى عجيب فشّاماً[1] .

وأخبرني القاضي أحمد بن عبد السلام بن أبي يحيى ، قال الشريف

(*) عن الهامش الأيسر .

(**) في الأصل : أبو الحنجف .

(***) كلمة غير مفهومة في الأصل .

(****) كلمة ممحوة في الأصل .

(*****) كلمة ممحوة ربما كانت : عجيب .

(1) خبر حصار شهارة في السيرة ، ق 37ب وما بعدها .

(2) ذكر صاحب مختصر السيرة ، ق 98أ وما بعدها أخبار مصالحات الأشراف مع الصليحيين مجموعة . وفي الهامش الأيسر هنا في الأصل : وقد صالح الناصر عليه (السّلام) بني حوال على هذه الحدود ، ذكره مفرّح . وقارن بسيرة مفرّح ، ق 98أ .

جعفر بن القاسم : أما إنّي سأُفْقِرُ بني الصُّليحي فأمّا القتل لهم فلا أَصِلُ إليه ! فتحرك لذلك بعد أن استقرّ الأشراف وشيعتهم بشهارة فصادفت حركتُهُ مجاعةً شديدةً أتت على صنعاء وأعمالها خاصّةً وعلى اليمن عامّةً فسلّمت إليه أعمال صنعاء ما في أيديها من الجبال والحصون وبقي بيت بَوس بأيدي الصليحيين فلزم أصحاب القاسم بن جعفر جبلاً فوقه يُعرفُ بقرن عنتر ، وحصرهم من ثَمّ ومن مقطوع < . . . > . وكانت في طاعته < . . . . > الفتوح وخَولان العالية . وعسكر بعض أصحابه بجبل تنعمة والسِرّ والمشرق كلّه . وبعضهم عسكر بناحية ثُلا < . . . . . > الزواحيين بشبام وكوكبان . وبنى ابنُ عمّه الحسن بن إبراهيم بن سليمان بن القاسم بن علي جبل ثُلا ؛ وهو أولُ مَنْ بناه ؛ فضايقوهم بصنعاء وشبام حتّى آذاهم ذلك بعد أن نال منهم الحصار إلى الهروب عن صنعاء إلى ذي جبلة ؛ وقد صار في آذان نساء الصليحيين أخراص الصُفْر ، وبيعت الآلاتُ والنيات والمراكب وحُليّ الأسلحة وغير ذلك[1] .

وكان من سبب ذلك أيضاً أنّ قبائل مشرق همدان من عُذَر وذيبان ونحوها كانت قد أقبلت إلى المكرَّم فحلفت على السمْع والطاعةوحرب الأشراف ، ولم يكن في خزانته ما يُعطيهم إيّاه فضرب لهم قدر صُفرٍ دنانير واحتيل على تلوينها صبغة < . . . . >[*] ، وكان العطاءُ أربعةً أربعةً . فأخذوا عطاءَهم ورجعوا على طاعته حتّى أتوا سوق حدفان من الرحبة فتقدّم بعضُ مشايخهم بدينارٍ مما معه < . . . . >[**] صوفٍ استرخصه فأعطاه البيّعَ فردَّهُ ثم أعطاه آخر فردَّه ثم ثالثاً فردَّه حتّى ردّ ما معه ! فقال : كيف تردُّ دينار مولانا ؟! فأدنوه من أنفه فشمَّ رائحة الصُفر ! فالتفت إلى أصحابه فأخبرهم فجعل كُلٌّ ينظر فيما معه من تلك الدنانير ويرمي به . ثم انصرفوا غِضاباً على المكرَّم وكانوا بعدُ من أشدّ أعوان القاسم عليه .

قال[2] : وإنّ القاسم ومحمداً ابني جعفر نظرا في أمر البلاد والحصون التي

(*) كلمة غير مقروءة .

(**) كلمة غير مقروءة .

(1) قارن ذلك بإيجاز في السيرة ، ق 66ب ـ ق 67أ.

(2) قارن بالسيرة ، ق 67ب ـ 68أ .

بأيديهما ـ وكانت نحواً من ثلاثين قلعةً ـ ومما يدخل عليهما من جبايات البلاد ؛ وكان ما يؤخَذُ من أكثر الناس نحواً من ثلاثة أرباع أموالهم إلى ما يوجدُ من الأعشار وما يُصطفى من الصوافي ـ فوجدا النفقة في كلِّ يومٍ سبعين ألف دينار ، وما يحصل من جبايات البلاد وما يُجبى من سائر الأموال سبعين ألف دينارٍ في السنة ! فسُقط في أيديهما وأيقنا بالهلاك لمن معهما فأخْفيا الأمر وكتبا في ليلةٍ واحدةٍ إلى جميع النواحي يأمران أصحابهما بالتخلّي عن المراكز والعساكر والقلاع ، والتخلُّص بالحيلة إليهما . وكان بمسور المنتاب فقلّدا أمر البلد المنصور بن الحسين بن المنتاب ، وأودعاه الحريم وانسلاّ حتّى هبطا بطن شرس ؛ وأُدرِكَ مَنْ عُلم بهزيمتهم من أصحابهما فنُهب نفرٌ وقُتل آخرون . فصارا إلى جبل شهارة فأقاما به ولحق بهما أصحابُهما . فكانت مدة كرتهما هذه ثلاثين شهراً .

وأخبرني القاضي أحمد بن عبد السلام بن أبي يحيى أنّ القاسم بن جعفر كتب إلى أحمد بن المظفّر الصليحي وهم بصنعاء في أيام المكرَّم بها ، وبعث بالمكاتبة رسولاً ؛ وكان ذلك في أيام حركته في بلاد همدان الشمالية وما يُواليها يطلب القيام إلى الأُصلوح . فقال له الرسول : أين أجدكم عند رجوعي ؟ قال : إسأل أحمد بن المظفَّر عني ! وكان كبير القوم ومجرِّبهم للأُمور ، وأخبر بالناس منهم . فلمّا < وصل > الرسول صنعاء وأخذ البردّ < وأراد > الرجوع ، قال لأحمد بن المظفَّر : أين أجدُ الشريف القاسم ؟ قال : ولِمَ تسألُني عنه ° قال : أمرني بذلك ! فضحك وقال : إنه شيطان ! ثم قال : أتاني الثقةُ بأنه تغذّى أمس ببني فلان ، وأمسى البارحةَ بمكان كذا ، وهو اليوم بناحية كذا ، وتجده غداً إن شاء الله عند بني فلان بمكان كذا ! فانصرف فأصابه حيث قال ! وهذا يدلُّ على دهاء الرجلين ، وعلى قلّة أمانة أهل العصر ، وقلّة حبّهم للدين ، وتقرُّبهم إلى الملوك للطمع .

فأخبرني مالك بن عبد الله بن الكنّاس المطعمي ـ وأحسبُ أنّي سمعتُ ذلك

(1) القصة في مختصر السيرة ، ق 99أ . وقارن باللواحق للحدائق الوردية ، ص 181 .

من يوسف بن الذؤيب مسعود عندنا وغيرهما ، ولعلّه في السيرة < لمفرِّح >[1] ، أنّ أحمد بن المظفَّر الصلَيحي وأصحابه منّوا النِهميين حيث هبط القاسم بن جعفر الجوف الأسفل لعمارة غَيل عَمران ؛ وكانوا كارهين لذلك ؛ على قتله شيئاً . فلمّا قتلوه جاءوا إليه للثّوب فأَنكر عليهم وقال : تقتلون ولد رسول الله صلّى الله عليه ، وتطلبون منا عليه المكافأة ؟! اذهبوا ! فذهبوا وقد ندموا .

— 5 —

< من ترجمة جُشيم بن عبد الله البَحيري >[2]

. . . وبلغني عنه أنه كان يرى رأْي الزيدية . وكان قد اتخذ كثيراً من مخالفيهم مساخر ومطاعن في دين من ينتسبون إليه . وكان يُولَعُ بجهّال الحُسينية الذين يعتقدون حياة الحُسين وأنه لا يموتُ حتّى يملأ الأرضَ عدلاً كما مُلئت جَوراً ، ويكون هو المهدي المُبَشَّر به .

. . . وأخبرني غير واحدٍ من الثقات منهم أسعد بن عبد الفاضل العُبيدي رحمه الله ـ وقد ذكرتُ فضله في الديانة والأمانة ـ عن مشايخه رحمهم الله أنّ رجلاً بالجوف الأعلى كان يُعِدُّ آلةَ الصلاة ويستجيدُها ؛ فيُعِدُّ القناع الأبيض الجيّد ودُرّاعةً بيضاء جيدةً للصلاة وكراً (؟) حسناً ومشعلاً جيداً حتّى يروقَ منظره ذلك منه الناظرين . ولم يكن يُسْمَعُ منه بعدُ ما يُعرفُ به علمُهُ أو جهلُهُ ولا مقدار عقله . ثم إنّ جُشيماً جعله من باله ؛ وقد رأى شمائله وتفرّس فيه الجهل حتّى أصابَ فُرصةً في سؤاله فسأله عن النبي صلّى الله عليه أحَسَنيٌّ أم حُسيني ؟! فقال : بل حَسَني ! لأنه من عشيرة أمّهدي ! يريد المهدي ، ويعني به الحسين بن القاسم !

قال . فلمّا رأى جُشيم ذلك قال . فأخبرني: آلله أقديمٌ أم عليّ بن أبي طالب ؟

(1) هذا الخبر ليس في مختصر السيرة . وهو عن مسلّم في لواحق الحدائق الوردية ، ص 181 ، واللآلي المضية م 2/ص 178 ، ولاحظ الشرفيُّ أنّ مفرّحاً لم يورده في السيرة . وفي غاية الأماني 1/268 : ويقال : إن المعامل على قتله هو المكرم أحمد بن علي الصليحي ، والله أعلم .

(2) تاريخ مسلّم ، م 4/ص 39 ـ 42 . في ترجمة جُشيم بن عبد الله البَحيري « وبحير بن صناف بن سفيان بن أرحب . . . وكان رجلاً شاعراً له نوادر قوية المعاني » .

قال : بل الله وإن تنظر فمن يذكر زمان صفّين ! فكـأنه شـكّ بعدُ لهـذا السبب .
وقالوا : فعند ذلك قال جُشيم قصيدةً فيها من جيّد شعره أولها :

الدينُ ثوبٌ نفيسٌ ليس يُبتَذَلُ

ثم قال :

مـا لي أرى < معشراً > بيضـاً ثيـابهم ومـن قلوبـهم بـالـمـيـل يُـكـتَـحَـلُ
مخـلاتُـهُ من لحـاف الصـوف مفعمـةٌ وقـلبُـهُ مـن مـعـانـي ديـنـه عَـطِلُ

وأخبـرني أسعد أيضـاً عن مشايخـه قـال : أصـابت النـاسَ مجـاعـةٌ ولِبَني < بَحير > مولىً له عيالٌ وبه فقرٌ وحاجة . فغلب على ظنّه أنه يعيش بالحيلة على ذلك الرجل الذي ذكرتُ خبره مـع جُشيم ها هنـا ، وذكرْتُ قـوله < إن > النبيَّ حَسَني ! لأنه من عشيرة أمّهدي ! أو قال : من قرابته ، وهو آخر مثله إلاّ أنّ الأقوى في ظني أنه هو . فأتى ذلك المولى جُشيماً فأخبره بغَرَضه ذلك ، ونلته (؟) فيه وسأله عارية ثيابٍ يخدعُهُ بها فأعاره ذلك ، وأعاره سيفاً ودرقةً . وكان منزل ذلك الرجل منتحياً عن مسجد القرية أو موضع مصلًّى له ، وبينه وبين موضع مصلاّه موضعٌ يكمن فيه الرجل . فلبس المولى الثيابَ والسلاح ـ وأحسبُهُ قال : أخذ في يده مشعلاً ، وقعد في ذلك الموضع . فلمّا انصرف الرجل من صلاة العِشاء مرَّ به فقام في وجهه وسلَّم عليه ولم يدْنُ منه وقال : أنا رسولُ المهـدي لدين الله الحسين بن القـاسم صلواتُ الله عليه إليك وهو بموضع شِعْب كبل (؟) ومعه طائفةٌ من أصحابـه منهم عيسى بن مريم عليه السّلام والخضر . ثم أخذ في خدعه بما يكون كالأمارة وإيهام علم الغيب أو أخبره بأسماء أهله أو بشيءٍ في منزله ونحو هذا < كِيما > يرى من أجله أنه صادقٌ فيما ادّعى . ثم قال : وقد أمرني أن آخُذَ من بيتك لهم عشاءً وخصّك بهذه الفضيلة لما أنت أهلُهُ أو نحو هذا الكلام . فانخدع الرجل وبادر حتّى ذبح من غنمه ذبيحةً وأمر بطعامٍ فصُنع فكـانت منه جفنـةٌ جيدةٌ وخـرج بها حتّى أتى بهـا الموضع . فاحتملها المولى وتوجَّهَ بها حيث يُوهِمُهُ أنه ليس من أهل البلد فلمّا وثق أنه لا يلقاه صار به إلى أهله فأكلوه ، وأصبحت الصَّحْفَةُ في صحن دار الرجل . وأحسبُهُ قد قيل : إنه وجد فيها رائحة طِيبٍ عَبِقة فقوي تصديقُهُ للأمر . فلمّا كانت الليلةُ المقبلةُ عاد المولى لمثل ذلك ، وعاد الرجل إلى عمل جفنةٍ أخرى فكان هذا

دأبه حتّى جاء الله بالفرج ، وانجلت تلك الشِّدّة .

ـ 6 ـ

< محمّد بن إبراهيم الصَبَري : حسينيٌّ متحمِّس >(١)

. . . وكان < لمحمد بن إبراهيم بن رفاد > أخٌ يقال له : إبراهيم كان إلى الضعف عن طبقته . فرأت منه الزيدية نحو ذلك فكرهت جواره . وقد كان لأهل السّبق على المكان بوَقَش شروطٌ معروفةٌ مشهورةٌ على مَنْ يجاورُهُم وذِمَمٌ من القبائل التي حولهم من بني شهابٍ وبني مطر وحُرْثان وغيرهم على النُّصرة لهم على مَنْ يتغلَّبُ عليهم في دارهم ممن يكرهون جوارَهُ. فكان قد أخرجوا أنصاراً عن جوارهم منهم إبراهيم هذا فصار إلى موضعٍ أعلى من وقش في رأس شِعْبِها يسكنه بنو قيس من بني مطر يقال له : بني عزّين . قال محمد : فأقبلْنا راجعين أنا وأخي ذات يومٍ من سوق لُدان إلى وقش وقد صحبنا محمد بن إبراهيم الصبري إليها وأحمد وحمزة ابنا الغمر بن أبي الهيثم بن أبي الدعيس بن محمد بن سلمة الشهابيين ؛ وكانا يريدان الإقامة بوقش للتعلُّم والاسترشاد . فكانا قد استصحبا ما يُحتاج إليه للطهور والصلاة والتوقّي من البرد والحرّ وغير ذلك ؛ وفيما معهما زربونان يحملانهما . قال ؛ فقال أخي لأحدهما : ما تريدان بالزربونين يا سلطان ؟ قالا : للتوقّي من البرد والتشقُّق على أقدامنا ! فقال مازحاً معرِّضاً بابن الصَّبَري : أَحِبّا الحسين بن القاسم تأْمنا من ذلك ! قال : فأصغى إليه ابنُ الصبري كالمعْجَبِ بقوله ـ وكان منخدعاً لهذه الأقوال ونحوها ! قال محمد : فخشيتُ أن يحفظ ابن الصبري الكلمة ويُرجف بها ، ويجعلها من عُدَّته لمذهبه ويزداد بها شراً فقلتُ لأخي مُسْمِعاً لابن الصبري : لو كان هذا يصحُّ لما كانت رجلا محمد ـ يعني ابن الصبري ـ على ما ترى من الشقاق ! وقد كان برجليه شيءٌ من التشقُّق منكر ! فكأنه ارعوى . فكان هذا ورعاً من محمد ابن إبراهيم بن رفاد رحمة الله عليه وحراسة لذلك الموطن من اللعب ، وللدين من أن يُدْغَلَ فيه بدغلٍ < . . . > ، ومن أن يكون بحيث يسمع دخول ظنٍّ أو وهم مكروهٍ في قلب جاهلٍ يمكننا إخراجه منه أو دفعه عنه .

---

(١) تاريخ مسلّم ، م 4/ص 256 ـ 258 . في ترجمة/ محمد بن إبراهيم بن رفاد (ـ 514 هـ) .

ولعلّ قائلاً يقول : وهل كان مثل هذا القدر من الكلام مما يُخافُ قبولهُ من ابن الصبري ـ على أنه من أبناء رجال الدين ، وممن نشأ على الديانة والأدب والفحص والنظر . فعلى هذا نحتاجُ أن نُورِدَ من حكاياته في الانخداع وقلّة التحرُّز ، وضعف الحراسة للنفس ، وحكايات مَنْ يحضُرُنا ذكْرُهُ من أهل مذهبه الذي أظهرهُ من الحسينية ما يدلُّ على صحّة ما قلناه ها هنا عن محمد بن إبراهيم بن رفاد رحمه الله .

أخبرني سعد بن أبي السعود بن أبي ثور الأبهري ـ وكان من أبناء شيوخ الزيدية وأهل التربية في الدين وهو يومئذٍ شابٌّ ؛ وقد بقي إلى وقت تصنيف هذا الكتاب ؛ وكنا قد تجارينا مثل هذا والتعجُّب منه والتحيُّر في قبول رجالٍ لمثل هذه الخرافات ! قال ؛ كنتُ في أيام الخريف برَيمة من أرض الأبناء عند صهرٍ لي كنتُ أنا أعرفُهُ من وجوه أهل الدين يقالُ له : سليمان بن سودة . فصادف ذلك أوان خروج الزوَّار والحُجَّاج إلى مكّة والمدينة ؛ قال ؛ فخرجْتُ ذات يومٍ عند طلوع الشمس فقعدتُ خارج القرية للدفء بها والحاجُّ يمرُّونَ بحيث أرى فعدل رجلٌ منهم إلى ماء رَيمة فتوضّأ ثم صلّى صلاةً أحسبُها الضحى عندهم وانصرف . فخطر ببالي أن أعرفَ به ما عند ابن الصبري في هذه الخرافات فكتبتُ إليه ـ وكان في بعض تلك النواحي ـ كتاباً أُخبره فيه أني رأيتُ أمراً عجيباً ؛ وذلك أني كنتُ في مكان كذا فلم أشعُرْ حتّى صرتُ أرى شخصاً بعد أن لم أكن أراه ! وإذا هو في ثيابٍ بيض قائماً يصلّي فبينا أنا أراه إذ صرتُ لا أراهُ ؛ فأُحِبُّ من تفضُّله ـ أطال الله بقاءه ـ أن تخبرني ما يقالُ في ذلك ! قال ، فأتى جوابُهُ يقول لي : الحمد لله الذي أسعده ووفّقه وهداهُ وسدّده ليعلم أنّ ذلك مولانا المهديّ لدين الله الحسين بن القاسم صلواتُ الله عليه ! في كلامٍ نحو هذا ! فليتمسَّكْ بحبل الدين، ويعتصم بعِصَمِ المهتدين ، ويفعل ويصنع ـ في كلامٍ ذكره . قال أسعد : فلمّا رجعْتَ إلى أهلي كنتُ لا أزالُ أعجبُ من كتابه ذلك < و > من < وجدْتُهُ يعجب منه وأُوقفُهُ عليه >[1] . فبلغه ذلك فكتب يُعاتبُني كتاباً فيه أبيات شعرٍ أولها :

أبا حسّانَ لِمْ فُتِشَ الكتابَ ... وخولفت المروَّةُ والصوابُ

---

(1) عن الهامش الأيمن من الصفحة .

قال : ولقيتُهُ بعد ذلك فقال : يا أبا حسّان ! أخبِرْني بما رأيتَ يوم رأيتَ الإمامَ شفاهاً الآن ! قال : فخشيتُ أن أُغالطه بشيءٍ فأُعينَهُ على الإرجاف بذلك بين العوامّ فقلتُ له : ويحك ! إنما رأيتُ رجلاً يصلّي على الروث < فهل الحسين بن القاسم ممن يصلّي على الروث ؟! >[1] فارتاع لذلك وسكت .

أخبرني[2] الشيخ الحسن بن أحمد الجنبي أحد شيوخ الزيدية وعلمائهم وعُبّادهم وأهل الورع والصدق منهم ، ومَنْ لا يُختَلَفُ في عدالته ؛ قال : قال لي محمد بن إبراهيم الصَّبَري محتجاً على إمامة الحسين بن القاسم : لقد بلغني أنّ الحسين خرج ذات يومٍ راكباً حصاناً ومعه أصحابُهُ فبينا هم يسيرون إذ تبعتهم مُهرةٌ لبعض أهل البَونَ فكلّما دنت منهم طردوها وهي لا تلبث أن ترجع إليهم ! فسألهم الحسين عن شأنها فقالوا : تطلبُ الحصان ليُحمل عليها ! قال : فنزل عن حصانه وأمرهم فحملوه عليها فضربها. قال الحسن : فقلتُ له : ما تريد بهذا الكلام ؟ قال : أحكي عدله ورحمته ! .

قال الحسن : قال لي محمد : وبلغني أنّ الحسين خرج ذات يومٍ بِرَيدةَ إلى السوق فمرّ بجزّارٍ يذبحُ شاةً فأتى كلبٌ حتّى دنا من مذبح الشاة في الأرض ليلَغَ من دمها فضربه الجزّارُ بالشفرة فجعل الكلب يولول ويقرّ ! فرأى ذلك الحسين فقال للجزار : إقطع الثربة وآدفعْها للكلب جزاءَ ما فعلْتَ به ! قال الحسن: قال محمد : فلم يزل الحُسينُ قائماً حتّى سلخ الجزار الشاة ثم قطع الثربة للكلب ! .

وهذا كلُّهُ من كلام محمد عن الحسين بهذا ونحوه احتجاجٌ على العدل والرحمة للبهائم ! وهذان خبران قد رأيتُهما فيما دوِّنت الحسينية من فضائل الحسين إلى أشباهٍ لهما كثيرة تطعن على عقل القائل والفاعل والقابل ! يأبى كُلُّ مُريدٍ تنزيه الحسين التصديقَ بها وتصحيحها عنه لأنّ فيه هذا العدل المحكيّ على الكلاب والجَور على بني آدم ، والتشاغُل بإنكاح البهائم بعضها لبعض وتلذيذها بذلك الذي

(1) عن الهامش الأيمن من الصفحة .
(2) تاريخ مسلّم م 4/ص 266 ـ 267 .

هو خاصة في بلاد أهل هذه الأخبار من البَوب وما حولها من صنائع الحجّامين والشغل ، يتكرَّمُ عنها العامّةُ من العرب فضلاً عن آل الرسول صلّى الله عليه ! فهل بقي في الدلالة على ضعف حَصاة ابن الصبري شيءُ أبين من هذا ونحوه ؟! .

وأخبرني الحسن بن أحمد بن زايد الجنبي عن محمد بن إبراهيم الصبري قال : لمّا أراد المهديُّ الحسين بن القاسم الخروجَ إلى الحرب في الوقعة التي غاب فيها قال لامرأته : إني سأغيبُ وإنكِ تلدين فإنْ ولدْتِ بنتاً فسمّيها باسم تشتقّينه لهان اسمي ! أحسبُ في الخبر : فإنْ ولدْتِ ابناً فسمّيه باسمي ، وإنْ ولدْتِ بنتاً فاشتقّي لها اسماً من اسمي ! قال: فولدت بنتاً سمتْها مهدية . ثم أودعها كتاباً إلى الحمل الذي في بطنها فلمّا ولدت البنتَ دفعت إليها الكتابَ بعد نشأتها فقرأتْهُ فإذا فيه[1] :

ـ 7 ـ

أخبرني[2] محمد بن إبراهيم بن حُميد بشطب ، وأحبُّها مما سمعتُ من محمد بن إبراهيم بن رفّاد أيضاً ، قال : كان الحسين السرّاج الصنعاني أحد متكلمي الزيدية وذوي المعقول منهم . وهو الذي ذكره ابن حُميد في أرجوزته التي أجابه عنها أبو السعود بن زيد رحمةُ الله عليه . فاضطُرّ للوصول إلى شهارة وبها يومئذٍ الأمير محمد بن جعفر بن القاسم بن علي الرسّيّ وأهل ولايته من الشيعة الحسينية فسألوه عمل سروجٍ كانت لهم أو نحو ذلك ففعل ولبث عندهم أياماً وربّما يتعرض له بعضهم فيغْطيه ويدعوه إلى القول بإمامة الحسين وحياته ونحو ذلك فربما يُداريهم ويُدافعهم(*) عن التصريح بما عنده إذ كان لا يرى فيهم معملاً لما يريدُ من تبيين الحقّ الذي يعتقده ، ولا يقدر لهم على إظهار منافرةٍ وخلافٍ ييأسون له منه حتّى يدعوه . فاجتمعت عليهم إجارةُ صالحةُ وهَمَّ بالانصراف إلى مسكنه وأهله فالتمس ذلك منهم فكأنه رأى بعضَ ما لا يريد من إقبالهم عليه واهتمامهم بحقّه . وخرج في بعض أوقات الصلاة إلى حَيْد شعفٍ يقال له : الحُوار بشهارة لقضاء الحاجة فرأى غراباً كان على طرف الجبل أمامه حين طار ثمّ غَفل عنه فأسرع التواري عن بصره

(*) بعد الفعل بياضٌ في الأصل؛ لكن يظهر أنه لم يسقط من الكلام شيء.

(1) بعد هذا بياض في المخطوطة! .

(2) تاريخ مسلّم ، م 4/ص 258 ـ 260 .

فخطر بباله أن يُظْهِرَ لهم ما يتقرّبُ به من قلوبهم وتَحْسُنُ به له عِشْرتُهم وليتيقّن ما يسمعُ به من تصديقهم بالكذب والخرافات . فلمّا رجع إلى المصلّى أقبل على مَنْ هناك وقال : إني رأيتُ شيئاً من صُنْع الله عجيباً يَرُوعُ مِثْلُهُ أهلَ العقول والتفكُّر ـ في كلامٍ نحو هذا ! ولقد وقع في نفسي منه شيءٌ فارتاعوا لتهوله وطالبوه بالكشْف عمّا رأى فتباطأ عليهم شيئاً كالمستحضر لأذهانهم أو نحو ذلك . فلمّا قويت مُطالبتهُم له بالخبر قال : خرجْتُ إلى جانبٍ من صَرْف هذا الجبل فظهر لي شخصٌ في الهواء يسير وأنا أراهُ ثم غاب عني ! وهذا شيءٌ عجيبٌ جداً ! فتفرَّقَ القومُ بذلك وأشاعوهُ في الجبل بين أهله وقالوا : تاب السرّاج ! وأقرّ بالحسين ورآهُ ! في نحوٍ من هذا القول . وبالغوا في الكلام بذلك حتّى انتهى إلى الأمير ـ وكان بخلاف القوم ـ فتهاوَن بذلك وأعرض عنه أو نحو هذا . وبادر القوم إلى السرّاج فجمعوا له ما كان له عند أهل الجبل من إجارةٍ فقبضها . وتزايد الإرجافُ بتوبة السرّاج وكثُر حتّى أنّ الأمير أحبّ أن يطّلع على ما عنده في ذلك وما سببُ ما يُقالُ إن كان في شكٍّ في وقوع ذلك منه كذلك . وعزم السرّاج على السَّفَر فدخل عليه مودِّعاً أو مستأذِناً أو نحو ذلك فلمّا صلح المجلس للكلام فَعَمَد في الخبر عن توبته وما يُرجَفُ به عنه في الجبل يسألُهُ عن ذلك ، فقال : نعم يا مولاي ! رأيتُ شيئاً ! فأخذَ عليه أن يَصْدُقَهُ ! قال ؛ رأيتُ غراباً يطير أمامي في الهواء ساعةً ثم غفلْتُ عنه والتفتُّ فلم أرَهُ فذلك ما رأيت ! فأحسبه ضحك وقال : قد عجبتُ أن يكونَ يجوزُ عليك ما يجوزُ على هؤلاء ! فلمّا دخلوا وبّخهم وأوضع في العيب لهم ، وأخبرهم بما قال السرّاج فتجدّدت عداوتُهم له ، وقد استقلّ مسافراً فلم يُرَعْ لما عندهم .

ـ 8 ـ

وأخبرني(1) مَنْ أثِقُ به من ظاهر بني صُريم من أهل الديانة والورع ـ ولم أترك أن أُسمّيه إلّا تقيةً عليه من شرّ أهل هذا الرأي وَمنْ يقبلُهُ الآن معهم من الأشراف ـ قال : كان في هجرة الشريف يحيى بن < عيسى > بن عيّاش الرسّيَ القاسمي أيام ادّعائه لظهور الحسين بن القاسم والخضر وعيسى بن مريم عليهم السّلام وكونهم

(1) تاريخ مسلّم اللحجي ، م 4/ص 260 ـ 266 .

عنده ؛ قومٌ قد هاجروا إليه . وكان قد استعمل استعمالاتٍ واحتال بحيلٍ قبِلها القومُ من عوامّ الحسينية ولم يلتفتوا مع ذلك إلى تكذيب من كذّبه من الأشراف والشيعة وما قالوا فيه من الشعر لا سيّما أمير شهارة يومئذٍ جعفر بن محمد بن جعفر بن القاسم بن علي الرسّيّ ونحوه وآخرون من الرعية كأحمد المعروف بالفحّاش الشاعر بخَمِر من ظاهر بني صُريم وغيره . وتوالت إليه الأرفاد ممن حوله من القبائل ، وأتاه البِرُّ من أكثرهم ، واتّسع عيشُهُ وعيشُ شيعته ! قال : فكان في هجرته هذه رجلٌ يقال له : سرح إذا أظلم الليل أتى إلى جذل شجرةٍ مُجَوَّفٍ فيضرب عليه بشيءٍ صليبٍ حتّى يعلوّ له صوتٌ عظيمٌ ثم يأتي فيقول : سمعتم صوتَ المهدي أم لا ؟! فلم يَزَلْ كذلك حتّى فطِنوا له فسقط .

وكان ابنُ عيّاشٍ قد وعد الناسَ لظهور المهديّ الحسين بن القاسم وقيامه بالأمر وقتاً عرّفه إليهم بابيضاض المَطْو - يعني عَذْق الذُّرة وهو سُنبلتُها - وبعَلّان . وعلّانُ عند أهلِ اليمن وقتٌ من آخِرِ وقت الحرّ وأول وقت البرد يُصادفُ أوله نزول الشمس آخِرِ الأَسَد وأول السنبلة ؛ ويشتمل من الشهور السريانية على أيلول وأكثر تشرين الأول . فمضى ذلك الوقت ولم يروا شيئاً مما قال فكذّبه بعضٌ . وكان قد أُرجف له بأنه يشفي العِلَلَ والأسقامَ بالمَسْحَ(*) بيده < بإذن > الله ونحو ذلك . فأتاه لذلك قومٌ من بلادٍ متباعدةٍ وتوهّموا البُرء في نفوسهم حتّى ادّعوه ثم لم يتمّ ذلك ولم يصحّ منه شيءٌ فأجمع الناسُ على تكذيبه فسقط ، وتفرّقَ أهلُ هجرته تلك .

وكان قد وقع إلى بلادنا مولىً حائكٌ أحسَبُهُ من موالي ظُليمة أو مَنْ يجاورُها من القبائل يقال له غدير ضخم أسود اللون لا عِلْمَ عنده ولا دين . وكان فيما أخبرني به عن نفسه وغيره عنه ؛ قد عظُمت منزلتُهُ عند هذا الشريف يحيى بن عيسى بن عيّاش وشيعته ، وكان يُرجِفُ له ويأتي لما يُوافقُهُ وينصُرُ رأيَهُ ذلك فوقع منه موقعاً رفع به منزلته حتّى صار ممن يتوسَّلُ به إليه ، ويشفع عنده ويقدّم ويؤخّر . ثم صار إلى أسواق المغرب فشرب الخمر وقطع الصلاة ، واستعمل الغناءَ من شعر العوامّ في بلادنا وما يُواليها . وانتهى إلى أخسّ طبقةٍ في الفسق والخلاعة .

وفيما ادّعاهُ الشريف ابن عيّاش خروج الحسين وقيامه في وقت ابيضاض المطو

(*) في الأصل : والمسح .

من عَلّان . يقول أحمد الفحّاش الحميري له ولوزيره غدير ، قد أنشدنيها غديرٌ وغيره :

من مُبلغٌ عني السلامَ الكثير يحيى بن عيسى والمرءُ حيٌّ غدير
ثم ابن همدان حليف الندى سفير مولانا ونعم السفير
قد وعدونا موعداً صادقاً فَصَرَّب المَطْوُ وراح الشعير

فكان هذا تقاضياً لوعد ابن عيّاش وغدير وعواض بن همدان ـ وهو أحدُ وزرائه وخواصّه ـ فيما أخبرني غديرٌ به من أخبارهم . ومعنى هذه الأبيات بعد أن مضى وقت الموعد . فكانت هذه الأبيات كالنداء على كذبهم ونفخ البوق به وشهرة فضيحتهم . وقوله : سفير مولانا ، أي رسوله بالسرّ الخاصّ إلى الخواصّ . وهذه كلمةٌ تُستعملُ باليمن في رسل الملوك المعظَّمين عندهم وعند مَنْ أُرسِلوا إليه . وقوله : صَرّب المطو ، أي صرّم يبدون الميم باءً في اليمن كلّه حتّى أنهم يقولون في الصرام الصراب . ويستعملونه في الزرع أيضاً .

وكتب الفحّاش إلى ابن عيّاش وأصحابه ورُويت عنه وبلغت إليه هذه الأبيات :

أبلِغْ ذوي الجُود والبراعة وَمَنْ بهم تُرتجى الشفاعه
أبلِغْ حُسيناً وصاحبيه إقرا سلامي على الجماعه
إقرا سلامي على رجالٍ حقوقهم عندنا مُضاعه
قالوا حُسينٌ وصاحباه عند ابن عيّاش في تباعه
يبشّرون الملا جميعاً بأوبة الحقّ كلّ ساعه

ثم قال :

إن يدي هذا فقد طلعنا معاً فُويق الملا سباعه
وإن تكن محنةٌ صبرنا وكان نقصاً على الجماعه
وسقطةُ المرء يا خليلي تأتي على قدر الارتفاعه
يا ربّ حبٍّ له جزيعٍ صغيّرٍ قد مضى فباعه
بأعْنُزٍ فوقها قرونٌ أصغرُها بالغٌ ذراعه

يريد أنهُم كانوا يأمرون مَنْ هاجر إليهم ببيع ماله وشِرى المعز لأنهم كانوا في ناحيةٍ من أسافل بلاد وادعة الموالية لبلاد حَجور. وظُليمة كثيرة الشجر دفيّة وعرة تصلُح للمعز. وقوله: جُزيع تصغير جزع ويُرادُ بها القطعة من الأرض المزدَرَعة وقد تُسمّى إذا عظُمت عندهم صربةً وضَرَعاً ولا تُسمّى صِرَبةً إذا صغُرت. وتباعة: موضع. فسار شعر الفحّاش وصار أمثالاً تُضربُ هَتَك بها ستر القوم ولا سيّما قوله:

وسقطةُ المرء يا خليلي تأتي على قدر الارتفاعه

وأخبرني غدير فيما أخبرني به من حُمْق أصحابه هؤلاء وجهلهم وقلّة التمييز منهم أنه أقبل في طريقٍ مع الشريف يحيى بن عيسى بن عيّاش وأصحاب له فإذا هم بدفترٍ لطيفٍ في الأرض فالتقطه أحدُهُم وناوله الشريفَ ـ أو كان الشريفُ هو الملتقط له ـ فنظر فيه العهدَ الذي يأخذه أهلُ الدعوة الباطنية لإمامهم صاحب القاهرة من مصر على مَنْ رغب في الدخول معهم فعرّفهم به وأراهُم أنه مما أَلْقاهُ إليه الحسين بن القاسم، وقرأ افتتاحَ الكلام الذي فيه عليهم فاستحسنوه وطربوا له ونشوا. ثمّ قرأ عليهم العهدَ وأخذَهُ عليهم لصاحبه الذي وُضع من أجله باسمه وكنيته ولقبه فلم ينتبهوا لشيءٍ من ذلك ولا أَنكرُوه فصار لا يأتيه أحدٌ للدخول معه في حزبه وحلول محلّه ذلك إلاّ أخذ ذلك العهدَ عليه! وكان غديرٌ قد حفظ ذلك العهدَ الذي في الدفتر وخطبته المقدّمة حفظاً تاماً فأردْتُ امتحانَ ما يقولُ فأمرتُهُ بقراءة ذلك عليّ! وقد كانت عندي كرّاسةٌ فيها ذلك فقابلْتُ بينهما فإذا هو عهدُ الأمير ابن المستعلي ولقب الأمير واسمه وكنيته! فغلب على ظني أنه قد كان يرى رأْيَ القوم، وقدّم خواصّه مَنْ ألقى الدفتر على الطريق! لِمَا أرادَ من الحيلة في أخْذه عليهم. وقد كان فيمن اختلط بأهلِ الدعوة الحسينية والدولة الشهارية بشرٌ كثيرٌ من شيعة أهل الدعوة الصليحية. ووقت ابن عيّاش هذا قريبٌ من وقت دخول الذؤيب بن موسى بن الذؤيب الوادعي في مذهب أهل الدعوة الصليحية وقوله بالباطن، وأحسُب داءَهما كان واحداً.

وكان في أهل الرأْي بشهارة ضريرٌ يُعرفُ بالبصير، بلغني أنه مولىً من أهل دَرْب شاكر الذي يلي أرض بني صُريم. فأخبرني عنه غير واحدٍ من أهل شهارة وغيرهم من الزيدية والحسينية أنه استعمل فيهم حِيلاً وتدليساً ومخاريق غَلَب بها على

أكثرهم حتّى أنّ الأمير محمد بن جعفر بن القاسم أيام مُلكه بشهارة كان يُداريه ، وأنه بلغ من انقيادهم له أنهم كانوا يأتونه بالنساء فيمسح على أجسادهنّ للتبرك . وأنه ربما يأتونه بالمرأة التي لا تحملُ فيمسح على ظهرها . وأنّ الأمير بلغه منه ما يَقْبُحُ فَهَمَّ به فانفصل إليه أكثر أهل شهارة فتركه !

فأخبرني الشريف أحمد بن محمد بن أحمد العلوي أحد ثقات المرحبيين أنّه قَدِمَ هذا البصير في نفرٍ من أصحابه للخريف إلى المدحك من بلاد وادعة فنزل على شيخ البلد ورئيسهم وكان يتوالاهُ ويصدّقه ويُكرمُهُ ويرفع منزلته ويعظّمه . ثم إنّه أخذه وأصحابه إلى عنبٍ من أعنابه فقسم لهم منه لكلّ إنسانٍ شيئاً وقسم للحسين وعيسى بن مريم والخضر لكلّ واحدٍ جزءًا . وكان يتولّى تفقُّد ذلك العنب وحراسته بنفسه فربّما يصبح في الغدوات يدور فيه ويتفقّده . فعمد البصير إلى شيءٍ من المسك أو الزباد ونحوهما فجعله في مواضع من الجزء الذي قَسم للحسين وعلى أول موضعٍ منه يطلع عليه ويقف عنده أجوده . فأصبح هذا الشيخ يدور ذات يومٍ في العنب وينظر فيه حبلةً حبلةً ، وأصبح في الأرض طلٌّ ونـدًى فاشتـدّت رأفةُ ذلـك الطبيب فلمّا مَرّ به شمّ تلك الرائحة وقد علت وقويت فصاح بأعلى صوته : أنا أشهدُ أنك يا حسين بن أمقاسم أمواحد أمقهار ! فسمعه الناسُ فسألوه فأخبرهم بما شمّ في ذلك العنب الذي للحسين أو دعاهم حتّى شمّوا وازداد يقينه ويقين مَنْ كان على رأيه وقويت بصائرهم في رأيهم ! .

وقوله : أمواحداً أمقهاراً وأم قاسم ـ يريد القاسم والوَاحد القهّـار ـ. وقد ذكرنا أنّ وادعة وَمَنْ والاها من بكيل يبدلون لام التعريف ميماً وهم إلى الآن على ذلك .

وبين الناس ببلادنـا وبلاد وادعـة وبكيل وظُليمـة وعُذَر والأُهنـوم أحاديث تُـروى وتدور تتضمّنُ الخبر عن غباوة أكثر من استجاب لهذا الرأي وقبله من هذه القبائل لو أوردناها لأتت على أكثر هذا الكتـاب وحالت بيننـا وبين الغرض المقصـود فيه من ذكـر الله تعالى وذكر أوليائه الصالحين من آل رسول الله صلّى الله عليه وعليهم ، وشيعتهم الأبـرار رحمهم الله ؛ واستحال التصنيف من الـوعظ والتذكيـر بالخيـر إلى الهزل واللعب لأنها تكون شبيهةً بما ضمّنه أبو العبّاس السجزي جراب الدولة كتابـه في

النوادر والمضحكات من أخبار المعتوهين والحمقى . إلاّ أني أُورِدُ من ذلك مَثَلا دالاًّ على سائر ما لم يُذكر منه ، ومذكّراً لمن عرفه به .

أخبرني غيرُ واحدٍ من الناس أنّ بعض المهاجرين من بني عُبيد من وادعة إلى شهارة ، وذوي التديُّن والتعبُّد منهم دخل منزله ذات يومٍ وله ابنةٌ حين بلغت قد طلع ثدياها وكعُبت كما يكونُ من الجواري بعد البلوغ ؛ فأتى وهي تطحن أو نحو ذلك من أعمال الطعام وقد أخرجت ثديها من كُمّها فرأى ثديها وقد ارتفع فأنكر ذلك وظنّها لا يكونُ ذلك منها إلاّ عن حَملٍ بولد ! وكان فيما أحسبُ يُدْعى جعفراً ؛ فالتفت إلى أُمِّها وقد اشتدّ غضبُهُ وقال : أنا أبو الفضلين ثم أنا أبو الفضلين ! أمصيبة قد نشرت وأنت تُخْفين مني ! فقالت : إنّ النساء بخلاف البهائم ، وإنّ البهائم يكونُ لها ضُروعٌ ولا تعظُمُ ضرّةُ البهيمة إلاّ عند قُرب ولادتها ، وليس النساء كذلك ! فوثب على الجارية فذبحها في الحال ولم يلتفت إلى قول أُمِّها !

وقوله : نشرت ، لغة تُستعْمل في بعض البلاد في الشاة والبقرة التي ترم صرّتها ، وتعظم ضروعها للدرور عند الولادة والوضع لحملها كما يقال رمّدت الضأن ونحوها . والضرة : لحم الضرع ، قال طرفة :

من الزفرات أسبل قادماها وضرّتها مركّنةٌ دَرورُ

ومن هذه الأخبار التي هي باقيةٌ ظاهرةٌ إلى اليوم يختلف فيها وإن كثُرت مالاتها (؟) إذ لا أزال أسمعُهُ يُعادُ في أكثر الأوقات بين العامّة والخاصّة من أهل هذه المخاليف . وهو أنّ رجلاً من بني صُريم بالجراف خرج من منزله إلى مجلس قومه فرأى شهارة في وقتٍ ظهر له شخصُها وعظُمت في عينه كما يكونُ من رؤية الجبال في الأيام التي يكونُ الجو فيها نقياً من القتام والغمام فحمله حُمْقُهُ على أن رفع رجله وأقسم بالله لأن يركض شهارة ليذرنّها دَقدقاً إلى ذَكار منها (؟) فوثب إليه أقاربه فأمسكوه وحالوا بينه وبين الركض وقالوا : اتّق الله يا أبا فلان ! إنَّ ثَمَّ أشرافاً وشرائف ومساكين نأثمُ فيهم ! فوقف وخلّوه ! وقد أمِنوا من شرّه على شهارة وأهلها !

قوله : دقدقاً ، أي دكاً متهدماً . وكأنه عندهم مأخوذٌ من دقدقة حوافر الدوابّ وهي أصواتُها عند السير ـ أو شبيهٌ بالدكداك من الأرض وأبدلوا الكاف قافاً كسائر

المُبْدلات . وتضعيف الدكّ وهو الهدم ونحوه ثم أُبدل . والله أعلم .

ـ 9 ـ

أخبرني(1) أسعد بن عبد الفاضل بن يحيى العُبيدي رحمه الله ، قال : أتى إبراهيم بن جابر بيت غفران من جبل حَضور وكان بها رجالٌ من الأغنياء وأهل السَّعَة يقولون بإمامة الحسين بن القاسم وحياته . فقصد المسجد وكان به معلِّمٌ لهم على مثل رأيهم مع زيادة حمقٍ فيه ؛ وذلك في وقت الزوال ، فسلّم عليه وقال له : أنت فلان الفلاني ؟ قال : نعم ! قال : وهذه بيت غفران الثلاث القروات ؟ قال : نعم ! قال : وبها من المشايخ كذا ومن الناس كذا ؟ وبك أنت وبمنزلك كذا وكذا من العلامات ؟ مما أحسبُهُ أن قد كان سأل عنه ؛ لأنه فيما ذكر لي ابنُهُ محمد ابن إبراهيم بن جابر قد كان ينزل عُصفران من ناحية البرويّة ـ وكان موضعاً قد نزل به عمُّهُ أحمد الحجازي أحد شيوخ الزيدية المذكورين في هذا الكتاب بعد خروجهم من سَناع وهو قريبٌ من جبل حَضور بحيث يمكنُهُ أن يقع إليه فيه أخبار أهله . وكان ببيت شعيب من شرقيّ جبل حَضور قومٌ من هذه القبيلة التي ينتسبُ إليها من عنز لا أرى إلاّ أنه كان ينزل بهم ويأتي كثيراً من نواحي حَضور .

قال أسعد : فلمّا سمع منه ذلك المعلِّم ذلك القولَ فزع له وخامره أمرٌ راعه ! ثم إنه قال للمعلم : فإني رسول المهدي لدين الله الحسين بن القاسم وصاحبيه ـ أو أحسبُهُ قال : وعيسى ابن مريم والخضر ـ وهم بشعب كذا من حَضور شعب موحش خالٍ من الناس ، وقد أمروني إليك بالسلام واختصّك الإمام بخاصّة سِرّه وأهمّ حوائجه ، وهو يأمرك بأن تلقي فلاناً وفلاناً من أهل هذه القرى الثلاث ـ فعدّ عشرةً من كبارهم وَمَنْ يجوزُ قولُهُ عليهم ؛ قال ، قال : فتأمرهم بأن يبعثوا إليه بمائة دينار كلّ رجلٍ منهم بعشرة دنانير ، ويكون نصيبك أنت أن تصنع له ولصاحبيه عَشاءً ، وأنا

(1) تاريخ مسلّم ، م 4/ص 335 ـ 336 . وقد اختصرنا بعض متعلقات الخبر هنا ليتناسق النص . وهو يأتي في ثنايا ترجمة إبراهيم بن جابر . . « الحجازي ثم العنزي . نسبه في هذه القبيلة من عنز الذين ينزلون فيما بين أرض جنب وسراة الحجر من الأزد . . . ويقول عنز بن وائل بن قاسط ، يذهب إلى أنهم إخوةٌ لبكرٍ وتغلب . . . » .

آتيهِمْ به ولا تخرجه إليّ حتّى تغيبَ الشمس . فأحسب ـ والله أعلم ـ أنه قال له : فهل أدعوهم إليك ها هنا ؟ قال : إنْ فعلتَ فإنهم لا يرونني ! فجعل المعلّم يفكّر فلمّا اشتغل انسلّ إبراهيم حتّى توارى في موضعٍ ، وأتى القومِ فلم يروه فعظُم عليهم الأمر وبادروا حتّى جمعوا الدنانير . فلمّا تفرّقوا برز للمعلّم فقبضها وواعده موضعاً منتحياً عن البلد يأتيه فيه بالعشاء وقت غروب الشمس ففعل ! وانصرف إبراهيم بالدنانير وبذلك الطعام إلى حيث يريد .

ـ 10 ـ

< جدلٌ مصطَنَعٌ بين زيدي وحسيني >

قال رجلٌ[1] من الحسينية لرجلٍ زيدي فيما يتعلّق بالقيامة والبعث و النشور قولاً . فقال : وهل يصحُّ أن تكونَ قيامةٌ وبعثٌ ونشورٌ وثوابٌ وعقاب ؟ قال : نعم ! قال : هل من دليلٍ على ذلك؟ قال: قول الله تعالى[2] : **﴿كتب ربُّكم على نفسه الرحمة ليجمعنّكم إلى يوم القيامة﴾** . وقال تعالى[3] : **﴿زعم الذين كفروا أن لن يُبعَثوا قال بلى وربّي لتُبعثُنّ ثم لتُنَبَّؤُنّ . . ﴾** . قال : وهذا كلامُ مَنْ هو؟ قال : كلام الله . قال : ما الدليلُ على ذلك ؟ وعلى أنه من الله ؟ قال : لأنه مُعْجِزٌ لا يقدر البشرُ على المجيء بمثله ! قال : يا سبحان الله ! من يقول هذا ؟! قال : لا خِلافَ فيه ولا ينفيه أحد ! قال : المدفوع والذي لا إجماعَ عليه ! قال : لِمَ ؟ قال : لأنكم رويتم زعمتم عن الحسين بن القاسم أنه قد جاء بما هو فوقه درجةً وأعلى منزلة . وقد كان يبطل كونه معجزة أن يؤْتى بمثله فكيف وقد ادّعيتم القدرة على المجيء بما هو أَبْهَرُ منه أو أَبْيَنَ ، أيّ ذلك قلتم فهو إثبات فضل ما جاء به الحسين عليه ! فلم يجد الحسينيُّ حيلةً إلّا الجحد والإنكار لذلك القول وأنه ما قاله الحسين ولا هو من كلامه . قال : فأما إنْ كان الأمر على هذا ولم يقل الحسين هذا فإنه صادقٌ وأنت سالمٌ من الهلكة التي عليها غيرك من القائلين بذلك . وقال له الحسيني : أتقول إنّ

---

(1) تاريخ مسلّم ، م 4/ص 345 ـ 346 .

(2) سورة الأنعام/54 .

(3) سورة التغابن/7 .

الحسين بن القاسم حيٌّ سويٌّ إلى الآن ، وإنه المهديُّ الذي ينتظرهُ الناسُ ؟ قال : لم أَرَهُ بعد ولا خلطة لي به ولا معرفة ! قال : إنه غائبٌ ! قال : كيف يعرفُ الشاهدُ الغائبَ من الناس بغير عيانٍ ولا خبرة ؟ قال : إنه سيظهر ويملأُ الأرضَ عدلاً كما مُلئت جُوراً ! قال : إذا كان هذا عرفْتُهُ حينئذٍ وأخبرتُك بما أعتقدُ فيه فأمّا الآن فلا كلامَ لي فيه . قال : فهل تقول إنه أفضلُ من رسول الله حينئذٍ أم لا ؟ قال : قد قلتُ حتّى أراهُ فأمّا الآنَ فلا قولَ لي فإن استعجلْتَ عليّ فصِفْهُ لي ! قال : إنه رجلٌ من ولد رسول الله صلّى الله عليه ـ فذكر نسبه وأباه وعلمه وديانته وفضائله على ما يعتقد فيه . قال : فعلى هذا هو شريفٌ من آل رسول الله صلّى الله عليه ؟ قال : نعم ! قال : ولآل رسول الله من الشَّرَف به صلّى الله عليه ما ليس لسائر أشراف العرب من قريش وغيرها ؟ قال : نعم ! قال : فكيف يلزمُني أن أُفضّل رجلاً على مَنْ لم يكن شريفاً إلا به ومن أجله ؟! فانقطع .

ـ 11 ـ

< من عقائد الحسينية >

أخبرني(1) علي بن يحيى بن مسلم اللُّداني بوقَش ـ وكان من أهل الدين ـ قال : لمّا تُوُفّي الشيخ علي بن أبي رزين رحمه الله بوقش كان من ورثته ابنتُهُ امرأةُ محمد بن إبراهيم الصبري فأقبل أحمد بن محمد بن إبراهيم الصبري إلى وقَش ـ وهي أُمُّهُ ـ مُطالباً بنصيبها في تركة أبيها . قال : فدخلْتُ عليه وعلى رفقته وكان معه له صهرٌ تحته أُختُهُ ابنة محمد بن إبراهيم يقال له < . . . . >(*) وكان من كبار الحسينية من أهل حَضور . وإذا بين أيديهم ماعزٌ لهم وهو يأمُرُ بإكرامها وصيانتها ويقول : أَرفُقوا بالأولياء ! فقال له الشيخ الحسن بن أحمد الجنبي رحمه الله : والحمير أَولياء ؟! قال : نعم ! قال : من أهل الجنّة ؟! قال : من أهل الجنة ! قال : فأنت ؟ قال : الله أعلم ! قال : فقد تيقّنْتَ أنّ الحميرَ تدخُلُ الجنّةَ وأنت شاكٌّ في

(1) تاريخ مسلّم ، م 4/ص 352 ـ 353 . وقارن عن محمد بن إبراهيم الصبري النص رقم 6 .

(*) بياض في الأصل . والغالب أنه هو الذي يرد اسمه في النص فيما بعد : علي بن يحيى .

نفسك ؟ قال : نعم ! فقلتُ أنا لعلي بن يحيى : إنّ عند الحسين بن القاسم مما هو مسطورٌ في كتبه أنّ البهائمَ تُبعثُ يوم القيامة وتدخل الجنّة وتتنعّمُ ، وأنّ الله تعالى لا يفعلُ ذلك بها إلاّ وقد جعل لها عقولاً تعرف بها ، وإذا جعل لها عقولاً لم يَجُزْ أن يجعلها في الصُّوَر التي تُستقبَحُ وتسوء ! فيجعلها في صُوَرٍ تُستحسَنُ . وهذا فهو رأيُ بعض أهل التناسخُ .

الملحـق الثانـي

1 - نصٌّ من كتاب « حقائق المعرفة »

للمتوكل على الله أحمد بن سليمان

ثم[1] قام بعده ولده الحسين بن القاسم فدعا إلى طاعة الله وإلى الجهاد في سبيل الله ثمّ بدا منه بعد ذلـك أنه هـو المهدي ؛ قـال : الذي تُمـلأ به الأرضُ عـدلاً كما مُلئت جَوراً ! أو قيـل إنه قال هو أفضل من رسول الله وكلامه أبهر من كلام الله ! وكان قد طلّق زوجةً له وانقضت عِدّتُها وتزوّجها رجلٌ فلمّا علم بنكاحه لها أخرجها منه بغير طلاقٍ ! وتشبّه برسول الله صلّى الله عليه وسلّم واحتج بقول الله تعالى : ﴿ **وما كان لكم أنْ تؤذوا رسولَ الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إنّ ذلك كان عند الله عـظيماً** ﴾[2] . وقـال في كتابٍ كتبـه إلى مُحَسِّن بن محمـد بن المختـار بن النـاصـر بن يحيـى الهادي عليه السّلام ـ وكان من فضلاء أهل البيت وعلمائهم ـ وقد سأله عن مسائل وأنكر عليه كلامه الذي تكلم به فردّ عليه كلاماً فظيعاً ، وسبّـه سبّاً شنيعاً ثم قال في كلامه : وما عسى أن تكون مسائلُك في علمِنا وإداوتُك في بَحْرنا ؟! وما فَضْلُ علمنا على جميع العلوم إلاّ كفضل الشمس على جميع النجوم ، وكلّ معجزةٍ من الله الواحد القيوم . وما الفرق بيني وبين الأئمة الأخيار إلاّ كفرق ما بين الليل والنهار ! وشتان ـ يا جاهل ـ بين النجوم والشمس ! وهل يوجد لنا نظيرٌ من الجِنّ والإنْس ؟! وقد علم الله مَقْتي للفُجّار ولكن يجوز ويحسُنُ عند الاضطرار . ثمّ أغرق في كلامه وأفرط وقال : ما يكون علم الأنبياء ؟! وَعَدَّ من موسى إلى محمّدٍ ﷺ وعلم

---

(1) كتاب حقائق المعرفة للمتوكل على الله أحمد بن سليمان ، مخطوطة مجهولة المصدر، ص 247 - 251 .

(2) سورة الأحزاب/ 53 .

الأئمة عليهم السّلام من علي بن أبي طالب إلى أبيه القاسم بن علي عليه السّلام ـ إلّا كعُشْر العُشْر من علمه . ثم قال : فأحضِروا التوراة والإنجيل والفرقان وكلّ علمٍ أَوجد الرحمن وتركه فإنكم تجدون قولي أقوى من ذلك حُجَجاً وأبْيَن بياناً وأوضح نوراً وأعظم برهاناً فما عسى أن تكون مسائلك ؟ وذكر كثيراً من جنس هذا . فردّ عليه محسّن بن محمد جواب عاقلٍ عالِمٍ يَذُمُّ فيه السبّ والكلام المعور ، وأورد من كلام الله حُجَجاً مثل قول الله : ﴿ **لا يُحِبُّ الله الجهر بالسوء من القول** ﴾[1] ، وكقوله : ﴿ **وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً** ﴾[2] ، وكقوله : ﴿ **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** ﴾[3] ، ومثل قوله : ﴿ **فاعفوا واصفحوا** ﴾[4] ، وكقوله : ﴿ **وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإنّ الله غفور رحيم** ﴾[5] . وأورد أيضاً أبياتاً من أشعار العرب منها قولُ الشاعر[6] :

ويُشتموا فترى الألوانَ مُشْرِقَةً لا عفوُ ذُلٍّ بل[7] عفوُ أحْلامِ

واحتجّ عليه في ادّعائه أنّ كلامَهُ أبلغُ من كلام الله بآياتٍ من كتاب الله منها أنّ الله تعالى قد تحدّى الجِنّ والإنْس بأن يأتوا بسورةٍ من مثله فما فعلوا ولا قدروا وذلك قول الله تعالى : ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنسُ والجِنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضُهُم لبعضٍ ظهيراً** ﴾[8] ، وبقوله : ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله** ﴾[9] ، وأمثال ذلك . وأورد في ذمّ الافتخار قوله تعالى : ﴿ **ولا تزكّوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى** ﴾[10]. وبما أشبه ذلك .

---

(1) سورة النساء/148 .

(2) سورة الفرقان/ 63 .

(3) سورة آل عمران/134 .

(4) سورة البقرة/109 .

(5) سورة التغابن/14 .

(6) البيت من أبياتٍ تُنسب لإبراهيم بن العبّاس الصولي (ـ 243 هـ) في عيون الأخبار 1/287 ، والعقد الفريد 2/279 ، وغرر الخصائص ص 368 ، ونصيحة الملوك المنسوب للماوردي ، ص 92 .

(7) في كل المصادر : ولكن . ويرد البيت على وجهه في النص التالي عن **الحكمة الدرية** .

(8) سورة الإسراء/88 .

(9) سورة الحشر/21 .

(10) سورة النجم/32 .

ونحنُ ننفي عنه هذا الكلام ونقول : هو مكذوبٌ عليه ولا يَصِحُّ عنه ، وهذا ادّعاء باطلٌ وفسادُهُ ظاهر . وإنما أردنا أن نبيّن القول فيه لأنّ قوماً من بني إخْـوته وشيعته قد صاروا يرون قوله هذا ديناً وقد صاروا فرقةً يناظرون عليه ويحيَوْنَ ويموتون عليه وينسبون من لم يقل به إلى الكفر . ويقولون لم يُقْتَلْ ولم يَمُتْ ولا يموتُ حتّى يملأ الأرض عَدْلاً كما مُلئت جَوراً . ويقولون : إنه يعلم الغيب وذلك لجهلهم وقلة معرفتهم لكتاب الله وسُنّة رسول الله ﷺ . ومن جهلهم أنهم قالوا : هو يحكم بحكم آل داود ! فإذا سألهم سائل عن حكم آل داود كيف كان ؟ قالوا : يعرفُ المُحِقَّ من المبطل من الخصمَين قبل أن يتكلّما ! ولم يعلموا أنّ داود عليه السّلام سئل عن نفسه فلم يعلم ، ذلك قول الله تعالى(1) : ﴿ **وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعضٍ فآحكم بيننا بالحق ولا تشطط وآهدنا إلى سواء الصراط . إنّ هذا أخي له تسعٌ وتسعون نعجةً ولي نعجةٌ واحدةٌ فقال اكفلنيها وعزّني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه** ﴾ ، إلى قوله : ﴿ **وظنّ داود أنّما فتنّاه فاستغفر رَبَّهُ وَخَرَّ راكعاً وأناب** ﴾ .

واعلم أن قولهم هذا غلط بيِّن من وجوه منها أن الله تعالى يقول : ﴿ **قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيّانَ يُبعثون** ﴾(2) ، وقوله أنه يعلم الغيب تكذيب لكتاب الله . وقال تعالى : ﴿ **وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموت إنّ الله عليمٌ خبير** ﴾(3) ، وقوله : ﴿ **ولا يحيطون بشيءٍ من علمه إلاّ بما شاء** ﴾(4) ، وقولهم : إن كلامه أبلغ من كلام الله وأقوى حُجَجاً تكذيبٌ أيضاً لكتاب الله لأن الله تعالى يقول : ﴿ **لئن اجتمعت الإنْسُ والجِنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضُهُم لبعضٍ ظهيراً** ﴾(4) ، وقال تعالى : ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً** ﴾ أو قال :

---

(1) سورة ص/ 21 ـ 24 .
(2) سورة النحل/ 65 .
(3) سورة لقمان/ 34 .
(4) سورة البقرة/ 255 .
(5) سورة الإسراء/ 88 .
(6) سورة الأنعام/ 31 .

أوحي إليَّ ولم يوح إليه شيء . ومن قال : ﴿ **سأُنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تُجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون** ﴾[1] . وأما قولهم : إنه أفضل من الملائكة والأنبياء عليهم السّلام فهذا ضرب من الجنون وغلط من ادعاء الربوبية وذلك أنه قد أتى في كتاب الله أن الملائكة موكلون بأمر الله . قال عز من قائل : ﴿ **والسابحات سبحاً فالسابقات سبقاً فالمدبِّرات أمراً** ﴾[2] ، وقال : ﴿ **قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم** ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿ **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾[4] ، فإن كان ممن يموت فَمَلَكُ الموت موكَّلٌ عليه ، والوكيل أفضل من الموكَّل عليه . وإن كان لا يذوق الموت فهو ربٌّ تعالى الله عما يقول الجاهلون علواً كبيراً . وأيضاً فإنّ الملائكة صلواتُ الله عليهم هم خزنة الجنة وخزنة النار . والخازن يكون أفضل ممن يخزن عليه فبطل قولهم : هو فوق الملكوتية .

وأما قولهم هو أفضل من رسول الله ولم يعلموا أنه ما استحقّ الإمامةَ إلاّ بفضل رسول الله ﷺ وذلك علم رسول الله ﷺ والقرابة من رسول الله ﷺ . ولو كان أفضل من رسول الله ﷺ لجعله في مكان رسول الله ولأنزل عليه الكتاب والمعجزات وهذا القول خروجٌ عن الحدود المضروبة والله تعالى يقول : ﴿ **فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتّقى** ﴾[5] ، وقال تعالى : ﴿ **النبيُّ أَولى بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾[6] ، وقال تعالى : ﴿ **ولا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم** ﴾[7] .

---

(1) سورة المائدة/93 .
(2) سورة النازعات/4 .
(3) سورة السجدة/11 .
(4) سورة قَ/18 .
(5) سورة النجم/32 .
(6) سورة الأحزاب/36 .
(7) سورة آل عمران/188 .

وأما قولهم هو أفضل من رسول الله لأنه يملك الأرض كلها ولم يملك رسول الله ﷺ كل الأرض فليس ملك الأرض يوجب فضلاً على رسول الله ﷺ وقد ملك آل داود ما لا يملكه أحد من بعدهم ولا ملكه أحد من قبل ؛ قال الله تعالى : ﴿ ولقد فتنّا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب . قال ربِّ اغفر لي وهب لي مُلْكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي إنّك أنت الوهّاب فسخّرْنا له الريح تجري بأمره رُخاءً حيثُ أصاب . والشياطينَ كلَّ بَنّاءٍ وغوّاص وآخرين مُقَرَّنين في الأصفاد هذا عطاؤنا فآمْنُنْ أو أَمسِكْ بغير حساب ﴾[1] . فصحّ أنه لا يُعطى أحدٌ بعده مُلْكاً في الدنيا واقتداراً مثل ما أعطى سليمان عليه السّلام . ومع ذلك فإنّ سليمان لم يدّع أنه أفضل الأنبياء لمّا أُعْطِي من ملك الدنيا ما لم يُعْطَوا مع مُلك الآخرة . وقد عُرض على رسول الله ﷺ ملك الدنيا فكره ذلك وقال : الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ويجمعها من لا عقل له . فلو كان الحسين بن القاسم قد ملك الدنيا بأسرها ثم افتخر بملكها وادّعى ما ادّعى[2] لكان ذلك قبيحاً منه فكيف ولم يكن من ذلك شيء ؟! وأيضاً فإن المؤمن لا يكون مؤمناً حتى يكون مستعظماً لسيئاته مستصغراً لحسناته ؛ قال الله تعالى : ﴿ والذين هم من عذاب ربهم مشفقون . إنّ عذاب ربهم غيرُ مأمون ﴾[3] . وبأقل قليل مما تكلم به تسقط إمامته ـ اللّهم إلاّ أن يكون الكلام مكذوباً عليه .

(1) سورة صٓ/ 34 ـ 38 .

(2) في الأصل : ما دعا .

(3) سورة المعارج/27 ، 28 .

2 ـ نصٌّ من كتاب « الحكمة الدرية »

وأما[1] الفرقة الثانية وهم **الحسينية** وذلك أنه ظهر لهم إمام يقال له : الحسين بن القاسم ودعا إلى الإمامة وألف في التوحيد كتاباً وسَمّاه **كتاب المعجز** وهذا أول الخطأ في تسمية الكتاب لأنّ المعجز كتاب الله وكان أكثر ما فيه أنه احتج على عُبّاد الأهْوية . ثمّ قال بعد ذلك : إنّ العرش هو الله[2] فبينما هو يحتجُّ على عُبّاد الأهوية حتى جاء بمثل ما قالوا ولم يسمع قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **فإن تولّوا فقل حسبي اللّهُ لا إلَه إلاّ هو عليه توكّلْتُ وهو ربُّ العرش العظيم** ﴾[3] . فكيف يكون الله عزّ وجلّ رب نفسه ولم يسمع قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **وترى الملائكة حافّين من حول العرش يسبّحون بحمد ربّهم وقُضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين** ﴾[4] . وقوله : ﴿ **ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذٍ تُعرضون لا تخفى منكم خافية** ﴾[5] .فكيف يكون تعالى محمولاً ؟

وفي كتابه أيضاً الذي سمّاه **المعجز** أنه قال : إنّ أسماء الله تعالى هي الله

(1) المتوكل على الله أحمد بن سليمان : كتاب الحكمة الدرية ، مخطوطة مجهولة المصدر ، ص 323 ـ 325 .

(2) هذه الدعوى ليست في نسخة المعجز التي اطلعنا عليها .

(3) سورة التوبة/129 .

(4) سورة الزمر/75 .

(5) سورة الحاقة/17 ، 18 .

والأسماءُ أشياءُ كثيرةٌ على ما ورد في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال : لله تسعةٌ وتسعون اسماً مَنْ أحصاها دخل الجنة . فجعل الله أشياء وقد قال الله عزّ من قائل : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾[1] فأدخل عليها الجمع والتأنيث ولام التمليك وقد يدخل اسم الكل والبعض كما يقول المصلّي باسم الله وبالله والأسماء الحسنى كلها لله فأحلّ كلّ ها هنا والتأنيث . ثم انتهى آخره بعد ذلك إلى أن ادّعى أنه المهدي وأنه يملك الأقاليم السبعة . ثم انتهى آخره بعد ذلك إلى أن قال : إنه أفضل من رسول الله وإنّ كلامه أَبْهَرُ من كلام الله ثم كتب كتاباً إلى إمامٍ مقتصِدٍ من بني الهادي إلى الحق عليه السّلام وكان إمام مسجد الهادي إلى الحق عليه السّلام بصعدة وكان عالماً عابداً عفيفاً ورِعاً زاهداً وهو المحسّن بن محمد المختار بن الناصر بن الهادي إلى الحقّ عليه السّلام وكتب إليه كتاباً يقول فيه :

أما بعد ؛ أيها الفاسق المنافق الرجس النجس البغيض المبغض فإنه بلغني أنك تهجوني وتزعم أني لستُ المهدي فأنت أنت ومن معك بكل علم أنزله الله والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان . وبكلِّ علمٍ أنزله الرحمن فلا يكون في علمي إلاّ كالمَجَّة في البحر . وما أنت يا مسكين ! وما الفرق ما بيني وبين الأنبياء الأخيار والأئمة الأطهار إلا كفرق ما بين الليل والنهار ! .

فردَّ المحسّن بن محمد رحمه الله جواب عاقلٍ عالمٍ فذمّ الرفث والقول الشنيع وأنشد من قول العرب[2] :

ويُشتَموا فترى الألوانَ مُسْفِرَةً   لا عَفْوَ ذُلٌّ ولكنْ عفوُ أحلام

واحتجّ عليه بكتاب الله وسنّة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم منها في ادّعاء الفضل قول الله تعالى : ﴿ فلا تزكّوا أنفسكم هو أعلم بمن اتّقى ﴾[3] . واحتجّ في القرآن بقول الله تعالى : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله وتلك الأمثالُ نضربها للناس لعلّهم يتفكّرون ﴾[4] .

---

(1) سورة الأعراف/180.

(2) انظر تخريج البيت ، ص 282.

(3) سورة النجم/32 .   (4) سورة الحشر/21 .

وهذا الكتابُ صحيحٌ منه وهو في أيدي أصحابه إلى اليوم وهو أيضاً عندنا في كتب بني الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين المبتدا والجواب ولا يمكن نفيه عنه لتواتر الأخبار ولقرب العهد ولإجماع المخالف والمؤالف أنه منه . ويجري من الجواب فيما ادّعاه قول الله تعالى : **﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أُوحي إليّ ولم يوح إليه شيءٌ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله . ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أَخْرِجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾**[1] . فهذا فيمن قال سأنزل مثل ما أنزل الله فكيف من قال : إنّ جميع ما أنزل الله في علمه كالمجة في البحر وهذا ضرب من ادعاء الربوبية . وقال الله تعالى : **﴿ ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلاً ﴾**[2] .

انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثماً مبيناً . ثم لأصحابه بعده أكاليم مستنكرة منها أنهم ادعوا أنه يعلم الغيب ، ومنها أنّ رجلاً من بني أخيه يقال له قاسم بن محمد بن قاسم بن جعفر زعم أنه يشافهه ويكالمه . وَحَدّثني مَنْ أَثِقُ به أنه قال له : هل رأيتَ المهديَّ أنت ؟ قال : نعم ! قال : كان معي في بيتٍ ثم قام وتهيَّأ للخروج فانفلق له جدارُ البيت فخرج منه ولم يخرج من الباب . وقال : إنه أمره بالحج إلى عيان فأقام يحجّ سنينَ كثيرةً وفتح شريعة الحجّ من مكة إلى عيان فأقام يحجّ سنين كثيرةً هو وقوم من أصحابه قدر مائة رجل ويزيدون . وكانوا يفعلون ذلك في أيام عيد عرفة حتّى قال فيهم < . . . > :

حَـجَّ الأَنـامُ إلى المحصّب من مِـنًى ... وإلـى مَـذَقّـة[3] حَـجَّ آلُ القـاسِـمِ

ولهم مخالط كثيرةٌ ! وفيما أوردنا من جهلهم وكذبهم وقلّة عقولهم كفاية .

(1) سورة الأنعام/93 .

(2) سورة النساء/49 .

(3) في الأصل : مذاقة .

الملحــق الثالــث

كتاب بيان الإشكال فيما حُكي عن المهديّ من الأقوال

تأليــف

السيد الإمام أبي عبد الله نور الدين حُميدان بن يحيى
رضي الله عنه وأرضاه

بسم الله الرحمن الرحيم

/ أمّا بعد حمد الله تعالى على جزيل الأمة ، والصلاة على محمدٍ خاتم أنبيائه ، وعلى السابقين المقتصدين من أبنائه ، والسلام على جميع الصالحين من أوليائه ؛ فإنّه لمّا صحّت لنا إمامةُ الإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم عليه السّلام ، لأجل تَكَامُل شروط الإمامة المعتبرة في كلِّ إمامٍ ، ولما خصّه الله تعالى به من الفضائل والخصائص المشهورة ، ولِما وَضَع ـ على حداثة سنّه ـ من العلوم الباهرة الكثيرة ، ولحسن سياسته وسيرته ، وظهور عدله ولطفه برعيّته ، واستظهاره بما أُوضح من الأدلّة الدامغة لجميع مخالفيه ، ولما رُوي عن إشارة النبيّ صلّى الله عليه وآله إلى قيامه في الوقت الذي قام فيه وأشباه ذلك ؛ مما عجز رَفَضتُهُ عن إنكاره لاشتهاره حتّى التجأوا إلى التحيُّل بأن يكونَ بعضُهم من خواصّه وأنصاره ـ ليتوصّلوا بذلك إلى اللَّبْس والتدليس في كتبه ، والصدّ بالكذب والتحريف عن سلوك مذهبه ، وحتّى أنّ من الناس مَنْ نسبه لأجل ذلك إلى الجهل ، ومنهم مَنْ وصفه بزوال العقل ، ومنهم مَنْ غلا ففضّله على السَّلَف ورفَضَ مَنْ بعده من أئمّة الخَلَف ـ أردْتُ إذ ذاك أن أعرِّف بالمعوَّل عليه إن شاء الله ، وما الذي يجب أن يُنْسَبَ من الأقوال إليه ؛ فانتزعْتُ من مشهور ألفاظه الصريحة المذكورة فيما أُجمع عليه من كتبه الصحيحة أقوالاً أخبر عليه السّلامُ فيها أنه قد كُذِبَ عليه في كثيرٍ مما يُنْسَبُ إليه ، وأقوالاً حَذّر فيها من الاغترار ببعض المتنسِّكين ، وربما سُطِّر في الكتب من مُشْكِل روايات المدلِّسين ، وأقوالاً عَلّمَ فيها كيف يُعمل فيما يقع في بعض العترة من الإشكال ،

وفي مُشْكِلِ ما يُنْسَبُ إلى الأئمة عليهم السّلام من الأقوال ، وأقوالاً عارض بها ما يُنْسَبُ إليه من البِدَع ، وكُثِّر بها عليه من الشيَع .

أما الأقوال التي أخبر فيها أنه قد كُذِبَ عليه فمنه قولُهُ في « **باب السَّلَم** » من كتاب « **مختصر الأحكام** »[1] : « ولستُ أُصدِّقُ بكلِّ ما رُوي عن رسـول الله لقلّة الثقات وطول الزمان . وها أنا أسمعُ في حياتي من الروايات الكاذبة عليّ ما لم أقُل ولم أفعل . فربما يسمعُ بذلك أولياءُ الله فيُصدّقون والعهد قريب » . **وقولُهُ** في بعض أجـوبته **لعبـد الملك**[2] **بن غطريف** : « وذكـرْتَ أني فضّلْتُ نفسي على الأنبيـاء عليهم السّلام ! وحاشا لله ما قلتُ ذلك في شيءٍ من الكلام » ! إلى قوله : « فمتى سمعْتَ أني فضّلْتُ نفسي عليهم ، أو ذكرتُ أني أعلمُ وأبدعُ منهم ؟! ما أحسبُ إلاّ أنّ ذلك نُقل إليك ، واشتبه اللفظ والكلام عليك » . **وقوله** في بعضها : « فذكرْتَ في كتابك أنك مسترشِدٌ معاتبٌ ثم حرَّفْـتَ قولي فصـحَّ أنك مُعـاند كـاذبٌ وأنت ـ والحمد لله ـ من دَرك ما رجوتَ خائب ، والله سائلُكَ عمّا حـرَّفْتَ من كلامنـا ، ومُناقِشُك على الكذب الذي أتيتَ به علينا ، والكلام الركيك الذي نسبْتَهُ إلينا » . **وقوله** في بعض أدعيته التي ذكر فيها أصنافَ رفضته : « ومنهم مَنْ هو مجتهدٌ في إهلاك عِرْضي واغتيـابي وانتقاصي » . **وفي بعضهـا** : « اللّهمّ طهِّرْني من كـذب الألفاف ، ونَزِّهْني من رواية الهَمَج السفساف » . **وفي بعضها** : « يا ربِّ ! أسألك الخلاص من عشرة مَنْ لا يعرفني فقد والله أقرحت عشرتُهم قلبي ! إنْ أمرتُهم بأمرٍ لم يقبلوا ، وإن نهيتَهُم عن منكرٍ لم يتركوه / ، وإن أدَّبتُهمْ بأدبٍ لم يحفـظوه ، وإنْ سمعوا مني روايةً لم يأتوا بها على وجهها ، وإن رأَوا حكمةً لم يقفوا على فهمها » **إلى قوله** : « وإنْ رأَوا مني علماً حرّفوه جهلاً » .

فصلٌ يشتمل على أربع مسائل مما يُنبِّهُ على النظر . **الأولى** : أن يقال : إذا ثبت بالدليل كون المهدي عليه السّلام إمام حقّ يجب تصديقه في كلّ ما قال وادّعى فهل يجب تصديقه فيما ذكر وأخبر به من أنه قد كُذبَ عليه في بعض ما نُسِبَ من

(1) ذكره المؤيَّدي في شرح الزُلَف ، ص 82 .

(2) قارن عنه ما سبق .

الأقوال إليه أم لا . **الثانية** : هل ذلك الكذب الذي أخبر به موجودٌ أم لا ؟. **الثالثة** : إذا كان ذلك الكذب موجوداً هل هو الأقوالُ المختلَفُ فيها أم الأقوالُ المُجْمَعُ على صحّتها . **الرابعة** : ما الفرقُ في التشنيع على المهدي عليه السّلام بين قول مَنْ زَعم أنه ترقّى من القول بتفضيله للنبي على نفسه والتكذيب لمن نسب ذلك إليه إلى القول بتفضيله لنفسه على النبيّ والرجوع إلى تصديق مَنْ كان نسب ذلك إليه ـ وأيّ بدعةٍ أفحش من هذه البدعة ؛ وهي جَعْلُ قول عبد الملك أصحّ وأشهر من قول المهدي عليه السّلام . رجع .

وأمّا **الأقوال** التي حذّر فيها من الاغترار ببعض المتنسّكين ، ومما يُسَطَّرُ في الكتب من مشكل الروايات فمن ذلك **قوله** عليه السّلام في « كتاب الردّ على أهل التقليد والنفاق »(1) : « وَمَنْ بان لك منه النفاق فلا تنبسِطْ إليه وإن تنسَّكْ ، وَأَعرض عن القبيح وأمسَك ؛ لأنه لا يؤمَنُ عند إظهاره لديانته أن يجعل ذلك سبباً للخيانة » . **وقوله** في « كتاب الردّ على الدعيّ »(2) : « ولم يُدْخَلْ على أمةٍ من الأُمَم إلاّ من مأمنها ، ولم تُفتَتَن القرونُ الماضيةُ إلاّ بمن يوهمُها أنه من المودّة على دينها » . **وقوله** في « كتاب الردّ على الدعيّ » أيضاً : « ولو كان مَنْ خاف من شيءٍ أو شكَّ فيه عقده في رقبته ، ويفحم عليه ، ودعا جميع المسلمين إليه لحكم الشكُّ على اليقين ، ولما فُرِّق بين الباطل والحقّ المُبين » . **وقوله** في « كتاب الرحمة »(3) : « وليس كلّ ما رُوي حقاً وما سُطّر كان صدقاً مما يخالف علماء آل الرسول ، وتُحيلُهُ ثواقبُ العقول» . **وقوله** في «كتاب التوفيق(4) والتسديد» : «فقد رأينا مَنْ يَتكبَّرُ عن الجهل وهو لا يعلم ، ويحمله الكِبْرُ أن لا يقول : الله أعلم !» .

فصل : انظر كم بين قوله عليه السّلامُ في هذا ، وبين مَنْ زعم أنّه مَنْ قال في أمره الله أعلم ! كانت النارُ أولى به ! .

وأمّا **الأقوال** التي علّم عليه السّلامُ فيها كيف يُعمل فيمن أُشكل أمره من العترة

(1) منه نسخةٌ ببرلين رقم 10267 ؛ GAS, I. 569

(2) ذكره المؤيّدي في شرح الزلف ، ص 82 .

(3) منه نسخةٌ ببرلين رقم 10317 ، واسمه الكامل : كتاب الرحمة وابتداء الله سبحانه لعباده بالنعمة .

(4) منه عدة نُسَخ من ضمنها نسختان فيما رجعنا إليه قارن GAS, I, 570

وفيما أشكل من الأقوال المنسوبة إلى الأئمة ؛ فمن ذلك قوله في رسالته إلى شيعة أبيه عليه السّلام : « ولا تقلّدوا أحداً من آل نبيّكم ممن اشتبه عليكم أمره منهم ، وكِلوه إلى ربِّكم ، ولا تُقَلِّدوه دينكم ، ولا تقاطعوا في الوقوف أحداً من إخوانكم . ومَنْ تبيَّن لكم رشده فاتّبِعوهُ ، وَمَنْ بان لكم غيُّهُ فاجتنِبوه . ومن اشتبه عليكم حالُهُ فارجوه ؛ وكِلوه إلى خالقه ولا تُعادوه ـ فالمؤمنون وقّافون عند الشبهات » . وقوله في « كتاب تثبيت إمامة أبيه » عليهما السّلام بعد كلام : « وإنّ قول أئمتنا لا يخالفُ مُحْكَمَ الكتاب ، ولا يحيل عن الحقّ والصواب . وإنّ ما اختلف من أقاويلهم تمسَّكْنا فيه بتأويلهم ، وتبرأنا إلى الله من تكذيبهم ، واعتمدْنا على قول ربِّهم ، واتّبعْنا من ذلك أَحْسَنَهُ وأقربه إلى الحقّ وأبينه ، وما اشتبه علينا من كلامهم رجعنا فيه إلى أحكامهم كي لا نبوءَ بآثامهم . لأنّ الله اللطيف بنا أرحم من أن يعذّبنا على ما يكون من وقوفنا وطلبنا لسبيل نجاتنا ، وما نرجو / من عفوه لحسن ظنوننا، واطراحنا لأهواء أنفسنا ، واعتمادنا على محكم كتاب ربّنا ، وسُنّة نبيّنا . والله على ذلك المستعان ، وهو حَسْبُنا وعليه التُّكْلان » . وقوله في « كتاب مُهَج الحكمة »[1] : « مَنْ أراد أن يستفيد من خاتم النبيّين ، ومن أمير المؤمنين فليقف على ما وضع الهادي إلى الحقّ صلواتُ الله عليه . وكذلك ما وضع المرتضى لدين الله عليه السّلامُ من العدل والتوحيد والحلال والحرام ، وغير ذلك من شرائع الإسلام ؛ لأنهما أخذا العلم الذي جاء به رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، ولا يُلْتَفَتُ إلى اختلاف المختلفين ، ولا يُعتمد على أقاويل القائلين . وإني وطئتُ من العلوم مُهَجَها ، واعتزلْتُ ـ والحمد لله ـ هَمجَها ! فما رأيتُ علماً أشفى ولا أبْيَنَ ولا أكفى مما أَتَيا به من خالص الدين ومحض اليقين روايةً عن خاتَم النبيين وسيّد الأولين والآخِرين أخذاه عن آبائهما ، وحفظاه عن سَلَفِهما أباً فأباً وجدّاً فجدّاً حتّى ينتهي إلى الأصل أمير المؤمنين عن سيّد المُرسَلين عن الروح الأمين وإخوانه الملائكة المقرَّبين عن ربّ العالمين ، وفاطر السموات والأرض . فالحمد لله الذي جَعَلَنا من المقتدين ، ومن علمهما مستفيدين . فمن علمهما استقيتُ ، وبهُداهما اهتديتُ ،

---

(1) ذكره المؤيّدي في شرح الزُّلَف ، ص 82 . وذكر سزكين له مخطوطةً ببرلين بعنوان : بناء الحكمة .

وبهما في جميع الأُمور اقتديتُ ، وفي آثارهما مشيت » . **وقوله في** « كتاب الرحمة » : « وليعلم مَنْ سمع لنا قولاً أنه منهما ، وأنا إن شاء الله لا نتكلّم بخلاف قولهما ، ولا نَدينُ الله بغير دينهما ودين مَنْ حذا حَذْوَهُما من ذريتهما . فمن سمع لنا كلاماً فليعرِضْهُ على كلامهما فما خالف قولَهُما فليس لنا ، وما وافق ذلك فهو منّا »! .

فصل : فإن قيل إنّ الفضلاء من قرابة المهدي عليه السّلام هم الذين رووا تلك الروايات وهي إلى الآن مشهورةٌ في كتبهم . **فالجواب** إنّ فضْل الفضلاء من قرابة المهديّ رحمةُ الله عليهم لا يمنع من اغترارهم ووجود الخطأ في كتبهم . وإنّ مُخالفة ما يوجد في الخطأ من كتبهم لا ينقُصُ من فضلهم . وذلك لأنّ جميع الفضلاء من الأنبياء وغيرهم يجوّزُ عليهم تصديق ما ليس بصحيحٍ ؛ ولذلك قيل : إنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أُذُنٌ ، ووصفه الله سبحانه بأنه يُؤْمِنُ للمؤمنين ، أي يصدّقُهم . وقال المهديُّ عليه السّلامُ عقيبَ ذكره للروايات الكاذبة عليه : «فربما يسمع بذلك أولياءُ الله فيصدّقون به والعهدُ قريبٌ» . فانظر كيف وصفهم بأنّهم أولياءُ الله مع تجويزه لتصديقهم للكذِب عليه . فإنْ قيل إنّ أولئك الفضلاء حكوا أنهم سمعوا تلك الروايات عن المهديّ عليه السّلام ؛ **فالجواب** إذا ثبت كونها خطأً فأكثرُ ما يجبُ في حقّهم أن نتأوّل فيهم كما نتأوّلُ في المهديّ عليه السّلام لو صَحّ أنهم قالوا ذلك ! ولم يصحّ ! بل في الرواية المشهورة أنّ عليّ بن القاسم رحمةُ الله عليه ـ وهو أعلمُ إخوة المهديّ وأخصّهم به ـ قال : ما صحّ عنده من كلام الناس إلاّ روايةٌ روتْها له امرأة المهديّ اللّعوية . رجع .

وأمّا الأقوال التي عارض بها ما شُنّع به عليه من الروايات ؛ فمما عارض به قولَ مَنْ زعم أنه فَضَّل نفسه على النبيّ صلّى الله عليه وآله **قوله في** « كتاب الردّ على مَنْ أنكر الوحْي بالمنام »(١) : « وليعلم مَنْ سمع قولنا أو فهم تأويلنا أنّ الوحْيَ الذي ذكرناه فيما تقدّم من كلامِنا أنّ الله خَتَمه بنبيِّنا هو هبوطُ الملائكة ، وما كان يسمعُ

---

(١) منه نسختان معروفتان إحداهما ببرلين رقم 10268 ، والأخرى اطلعنا عليها بضحيان . واسم الكتاب فيهما : الرد على من أنكر الوحي بعد خاتم النبيين .

موسى من المخاطبة ؛ فذلك الذي ختمه الله وقطعه بعد محمدٍ صلّى الله عليه لأنه علم أنه أفضلُ الآدميين فَفَرَّقَ بينه وبين أهل بيته أجمعين / بأن جعلهم له تابعين ، وبشريعته مقْتدين . ولو عَلم في ذريته أفضل منه لأزاحَ ختم النبوة عنه ، ولجعل بعده أنبياء مثله ، ولما أبـان على فضلهم فضلَه » . **وقولـه في** « كتاب تفسيـر غـريب القـرآن »[1] : « وبلَغَنا ـ والله أعلمُ ـ عن بعض الإمـاميّة ـ لعنهم الله ـ أنهم قـالوا محمدٌ رسولُ الله ، وخاتم النبيين المهدي ! وكذَب أعداءُ الله في قولهم ! بل محمدٌ خاتم النبيين ، وسيّد الأولين والآخِرين » . **وقوله في** « كتاب التوفيق والتسديد » : « وسألْتَ عن العقول هل هي مُسْتويةٌ أم بينها اختلاف . **والجواب** أنّ اختلافَ عقول الناس كاختلاف قُواهُم . فمن كانت قوته تبلُغُ أداء الفرائض وجبت عليه . وَمَنْ لم يُطِقْ فلا يكلّفه الله ما يعدمُ لديه ، ولا يَصِلُ بقوته إليه . وإنما العقولُ على وجوهٍ معروفةٍ ، وأحوالٍ بيِّنةٍ موصوفة ؛ منها عقولُ سادتنا الملائكة المقرَّبين . ومنها عقولُ الأنبياء المُرْسَلين ، وعقول الأوصياء المستخلَفين ، وعقول الأئمة الطاهرين . وبعد ذلك عقولُ المكلَّفين . فأفضلُ العقول عقولُ الملائكة الأكرمين . ثم عقول الأنبياء أكرم من عقول الأوصياء . ثم عقول الأوصياء أكملُ من الأئمة في العقول ، وأفضَلُ في الاعتقاد والقول . ثم للسابقين من الفضيلة على المقتصدين كمثل فضْل الأنبياء على الوصيّيـن .. وللأئمة المقتصدين من الفضل ما لا يكونُ لفضلاء المؤمنين . وأفضلُ الناس كلّهم فضلاً وأكملهم ديناً وورَعاً محمّـد خاتم النبيّين صلواتُ الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين » . ومما عارض به قولَ مَنْ زعم أنّ كلامه أبْهَرُ من كلام الله سبحانه **قوله في تفسير غريب سورة الأنعام** : ولا نعلمُ دليلاً أبْيَن من القرآن ، ولا أشفى ولا أوضح من الفُرْقان ، ولا أبهر ولا أنور في البيان مما جاء به محمدٌ وأهل بيته في البرهان » . **وقوله في** « كتاب تثبيت إمامة أبيه » عليهما السّلام : « ولا يقول أحدٌ إنّ كتب الأئمّة أولى من كتاب الله بالصدق ، وأقرب إلى الصواب والحقّ » . **وقوله في جوابه** لمن سأله عن معنى قوله : إنّ أدلّةَ المعقول أقـطَعُ للملحدين من أدِلّـة المسموع . **وقوله** : إنّ تفسير الأئمة عليهم السّلام للمتشابه أبْيَنُ من المتشـابه : « إنما معنى قولي أنه أقطَعُ للمشبّهين والملحدين أنه أبْيَنُ من المتشابه من كتاب الله

(1) منه عدة نسخ في العالم ؛ قارن بالحبشي ، مصادر ، ص 527 وGAS,I, 589

للمتعلّمين ! فأمّا أن يأتي أحدٌ بمثل آيةٍ من كتاب الله فلا يدّعي ذلك إلّا كاذب » .

ومما عارض به قولَ مَنْ زعمَ أنه **لا حجَّة** بعده **قولهُ** في « تثبيت إمامة أبيه » عليهم السّلامُ : « وأمّا قولُهُم إنّ كتب الإمام وما سَطَّرَ حُجّةٌ على جميع البشر فلعَمري إنّ قَبولَ ما فيها من الحقّ واجبٌ على جميع المخلوقين لا ما ذهبوا إليه من رفض الأئمة الباقين ، والتعلُّق بكتب الماضين . ولو كان ما قالوا عند مَنْ عَقَلَ صدقاً ، وكان ما نطقوا به من الزور حقاً لكان ذلك ردّاً لقول ربِّ العالمين ، وإثباتاً لقول المُخالفين . إذ كُلُّهم متعلّقٌ بكتب مَنْ عدِمَ شخصه ، رافضٌ لمن كان من الأئمة بعده . ولو كان لأحدٍ منهم أن يقف على إمامة رجلٍ مرفوضٍ بعده لجاز ذلك لمن كان من الروافض قبله . ولجاز لهم من ذلك ما جاز له ، ولصارت العوامّ أولى بالإمامة من آل نبيّهم ، ولنقضوا قولَ ربِّهم ، ولما كان لقوله : ﴿ **ولكلِّ قومٍ هاد** ﴾[1] معنًى ، ولكان تمرداً وعَبَثاً فتعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً» . **إلى قوله** : « وزعموا أنّ لله حُجّةً مغمورةً إذا لم يكن ثَمَّ حُجّة مشهورة غير مَنْ هو عندهم ، مُعارضٌ ، ولكلام الأئمة رافض ، والله سائلُهُم عمّا ذكروا من المُحال ، وأفحشوا في أولياء الله من المقال ، وأكذبوا / ما قال فيهم ذو الجلال ؛ فأخرجوا الله بحجّتهم هذا المغمورَ من الحكمة والعَظَمةُ والتدبير إذ زعموا أنّ الله يحتجُّ عل عباده ، وينفي الفسادَ من بلاده بحجّةٍ لا تُرى ولا تُبصَرُ ولا يُسمَعُ بها ولا تذكر ، ولا يأمر بمعروفٍ ولا ينهى عن منكَر ، ولا يردّ على أحدٍ من المُبْطلين ، ولا ينصر الحقَّ والمُحِقّين » **إلى قوله** : « وأيضاً فليس من حكمة الحكيم أن يحتجَّ على عباده بحجّةٍ من أهل بيت نبيِّه ثم يُخْفيها عنهم ويغمُرها ولا يُعْلمهم بها ويسترها ، ونظائرها من القول وأشكالها . وإنما معنى ما رُوي من الحُجّة الباطنة عن أمير المؤمنين عليه صلواتُ ربِّ العالمين هو المقتصِدُ من آل الرسول . وقد رُوي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه ذكر الحُجّة ثم قال : إمّا السابق ، وإمّا المقتصِد . وإنما سُمّي المقتصد لاقتصاده عن المثل[2] (؟) وسُمّي حُجّة لاحتجاجه على جميع العباد » . **إلى قوله** : « فكيف إلّا أنه قد قال بإجماعهم لو انتفعوا بعقولهم وأسماعهم : إني تاركٌ فيكم ما

(1) سورة الرعد/7.

(2) في مخطوطة المكتبة الغربية : المراد .

إنْ تمسكتُم به لن تضلّوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي . إنّ اللطيفَ الخبيرَ نبّأني أنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوضَ . ولا يخلو قولُه صلّى الله عليه وآله وسلّم : « لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض » من أن يكونَ باطلاً أو حقاً فنعوذ بالله من تكذيب الرسول ومُكابرة حُجَج العقول . ولقد كفر من كَذَّبَ كتابَ ربِّ العالمين ، ورَدَّ قولَ الرسول الأمين ، وتعلّق بـأوهامـه وظنونـه ، وقبِل وَحْيَ شيـاطينه ، واعتمـد على المُتشابه من الأقاويل ، وجهل مخارج السُوَر < إلى > السيرة والتأويل[1] ، وفارقَ مُحْكَمَ التنزيل ، واتّكل على الأقاويل المُهلِكات ، وقبل ما رُوي من المتشابهات ، وتبرأ من الأُمّهات المُحْكمات » . **وقوله في كتاب** « شواهد الصنع »[2] : « أصل الإمامة في العقول لأنّ الحكيم قد علم أنه لا بُدّ من اختلافٍ بين المخلوقين فجعل في كلِّ زمانٍ حياً مترجماً لغوامض الأُمور ، مبيِّناً للحَيرانِ من الشرور . ولا يعدم ذلك في كلِّ قرنٍ إمّا ظاهراً جليّاً أو مغموراً خفياً . فإنْ قيل : وما الظاهر الجليُّ ، وما المغمور الخَفيّ ؟ قيل ـ ولا قـوة إلّا بالله ـ: أمّـا الظاهـرُ فالسـابق المبذِّرُ لجميـع الخلائق . وأمّا الخفيُّ فالمقتصِدُ المحتجّ لله على جميع العِباد الآمر بالمعروف ، **والناهي عن الفساد** بغير قيامٍ ولا جهاد » .

ومما عارض به قولَ مَنْ زعم أنه مهديُّ عيسى ، وأنه لا بُدَّ لمهديّ عيسى من غيبةٍ قبل قيامه ـ تفسيرُهُ عليه السّـلام لقول الله سبحـانه[3] : ﴿**وإنْ من أهـل الكتاب إلاّ ليؤمننّ به قبل موته**﴾ ؛ قال : يحتمل أن يريد إلّا مَنْ قد آمن وأتى بالمستقبل بمعنى الماضي . ويحتمل إنّ ما رُوي عن الأئمة عليهم السّلام يُظْهِرُهُ في آخِر الزمان يدعو إلى طاعته وطاعة المهدي ، ويصلّي خلفه» ، **وتفسيره لقولـه تعالى**[4] : ﴿**ليُـظْهِرَهُ على الدين كلِّه**﴾ . قال : هو وعدٌ من الله سبحانه لرسوله فكان ما وعد » . **قال** : « وأمّا

---

(1) في مخطوطة الغربية : وجهل مخارج السير والتأويل .

(2) منه عدة مخطوطات إحداها في مجموعة السيد المنصور التي رجعنا إليها ؛ وقارن بالحبشي : مصادر ، ص 528 .

(3) سورة النساء/ 159 .

(4) سورة التوبة/ 33 ؛ وسورة الفتح/ 28

(5) سورة الأحزاب/ 27 .

في الخبر عن الأئمّة عن النبيِّ عليه وعليهم السّلامُ أنّ هذا الظهور يكونُ على يد المهديِّ عليه السّـلام يقهر جميع أديان الأمم » . **وتفسيره** لقوله تعالى : ﴿ **وأرضاً لم تطأوها** ﴾ قال : « أي ستملكونها . وقيل : سيملكها القائمُ من آل محمدٍ في آخِر الزمان » . **وتفسيره** لمعنى ما رُوي عن النبيِّ في المهـدي أنه يؤيِّم عِـرْسَه ! قـال عليه السّلام : « معنى يؤيّم عِرْسه أن يتركها عند قيامه اشتغالاً بطلبها[1] عنها » . **وتفسيره** لمعنى ما رُوي عن أمير المؤمنين عليه السّلامُ في الحُجّة البـاطنة / بـأنه المقتصد . واحتجّ على ذلك بقول النبي صلّى الله عليـه وآله وسلّم : ستـأتي من بعدي فِتَنٌ مُتشابهةٌ كقِطَعِ الليل المُظْلِم فيظنُّ المؤمنون أنهم هـالكون فيهـا ، ثم يكشفها الله عنهم بنا أهلَ البيت برجلٍ من ولدي خامل الذكر لا أقولُ خاملاً في حَسَبِهِ ودينه ؛ ولكنْ صِغَر سنّه وغيبته عن أهلِه واكتتامه في عصره ! فبَيَّن صلَّى اللّهُ عليه أنه يريد بذلك الاقتصاد لا ما ذهب إليه أهلُ اللداد .

فصل : انظر كيف يجوز أن يُضاف إليه ما عابه على غيره وسمّاه فِرْيةً وكفراً ولَداداً ونحو ذلك ! وكيف يجوزُ الخروجُ من هذا المعلوم المُجْمَع عليه إلى الروايات المظنونة المختَلَف فيها ! ومن أقوال أئمة الزيدية إلى أقوال غُلاة الإمامية ! .

ومما عارض به قول مَنْ رُوي عنه أنه لا يموتُ ولا يُستشهَدُ حتّى يقومَ في آخِر الزمان قوله في **رسالته إلى شيعة** جدّه القاسم بن إبراهيم عليه السّلام : « فالعياذُ بالله كيف يُـداري في الحقِّ مَنْ أصبح وأمسى منتـظِراً لسفك دمـه ، وقد وطىء وطـأة المتثاقل على أعداء الله » . **وقوله** في كتاب « **الدامغ** »[2] يصِفُ نفسه عليه السّلامُ : « وأُصبحُ متوقّعاً للموت والفناء ، وعادّاً الفقر أحبّ إليّ من الغناء » . **وقوله** في كتاب «**الأسـرار**»[3] : «فوالـدي أنـا في يـده مـا نمتُ نـومـةً حتّى أُنـاقِش نفسي وأتـذكّـر مـا اجترحْتُ في يومي رأْمسي ؛ لأنّ النائم ربمّا حيل بينه وبين انتباهه كما يُحالُ بين اليقـظان ومنامـه » . **وقولـه** في بعض أدعيته : وأكبـر همّي الشهادة في سبيلك ،

---

(1) في مخطوطة الغربية : بالجهاد .

(2) قارن بالمؤيدي ، شرح الزلَـف ، ص 82 .

(3) منه مخطوطةٌ ببرلين برقم 10321 ؛ GAS, I,570

الغضب لدينك . وأنا حريصٌ في ذلك . فيا ربّ لا تُخيِّبْ آمالي ، ولا تخترم دون الشهادة أجَلي ، وعجِّلْ يا مولاي ذلك ، وارحم تضرُّعي ! إلى قوله : وعليّ أن أبذُلَ جسدي وعِرضي ولساني حتّى يُفرِّقَ بين روحي وجسدي ، ويقطع فيه أَجَلي . اللّهمّ خُذْ بذلك عهدي وميثاقي واشهَدْ عليّ وكفى بكَ شهيداً . اللّهمّ إني أُشْهِدُكَ وأُشْهِدُ ملائكتك وحَمَلَةَ عرشك وأهل سماواتك وأرضك أني لا أَجِع ولا أَنثني ولا أستقيلُكَ في بيعتي حتّى ينقطعَ عُمُري ثم أزور قبري أو يذهب لك في العَطَب لحمي ودمي . انظر كيف يجوزُ أن يُضافَ إليه عليه السّلام أنه لم يفِ بعهده وميثاقه ! وكيف يجوز أن يُترَكَ تصديقُهُ في هذا وشبهه لأجل رواياتٍ لا دليلَ على صحّتها ، ولا ثقةَ بمَن أُسندتْ إليه من النسوان والمتشيّعين الذين حكى عنهم بعضُ إخوةُ المهديّ عليه السّلام .

ومما يُعارضُ به قولُ مَنْ زعم أنه كان يرى ما حُكي عنه في المنام قولُهُ عليه السّلام في « **كتاب الإمامة** »[1] : « واعلم أنّ الإمامة لا تصحُّ بالملاحم والمنام ، ولا تبطُلُ إمامةُ الأئمة بالأحلام ؛ لأنّ الرؤيا وإن كانت من حكمة الله جلّ جلالُهُ وعظُمت نعمتُهُ وأفضالُهُ ؛ فإنها تُحملُ على التأويل ، ولا يُعتبرُ ظاهرُها في جميع الأقاويل . والحكيمُ لا يُصرِّحُ بكلِّ أسبابه لما في النظر والتمييز من ثوابه . مع ما في النظر من لِقاح العقل وبُطْلان الحيرة والجهل . وربما رأيت الرؤيا للرجل وإنما المُرادُ بها سِواهُ من ذريته أو بعض إخوانه وقرائبه » .

فصل : يشتمل على مسائل ، **الأولى** : إذا كان للمهديّ عليه السّلام أقوالٌ مُجْمَعٌ على صحّتها وأقوالٌ مختَلَفٌ فيها ـ ما الواجب أن يتّبع من ذلك في وقت الفترة ؟ **الثانية** : إذا كان لا بُدَّ لله سبحانه من حُجّةٍ من العترة في كلّ عصرٍ ، وكان كُلُّ حُجّةٍ بعد المهديّ عليه السّلام لا يصدّق بما شنع عليه ؛ هل يجبُ الاقتداءُ به مع ذلك أم يجبُ رفضُهُ ؟ **الثالثة** : إذا كان مهديُّ عيسى عليهما السّلام لا يُعْلَمُ / أنه هو إلّا بعد ظهور عيسى ، ولا يُعلم أنّ عيسى هو هو حتّى يحيي الموتى ، فكيف يُعْلَمُ

---

(1) منه نسخة ببرلين رقم 10275 ؛ لكننا لم نستطع مقارنتها فلا نعرف إن كانت هي نفسها كتابه في تثبيت إمامة أبيه المذكور سابقاً ؛ GAS, I,569

مع عدم ذلك ؟ **الرابعة** : إذا كان فضلُ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم مُجْمعاً على كونه معلوماً بالنصّ فكيف يجوزُ نسْخُهُ بفضلٍ مختَلَفٍ فيه ؟ **الخامسة** : هل تصِحُّ إمامةُ مَنْ يدّعي خلاف ما أجمعت عليه الأُمةُ مع أنّ من شرط صحّة الجماعة ألاّ يُخالف شيئاً من الأدِلّة ، وأن يكونَ مقتدياً بمن قبله من الأئمة وغير مُخالفٍ لإجماعهم ؟ **السادسة** : لو صحّ القولُ بتفضيل المهديّ على النبيِّ هل يكونُ فضلهُ عليه معقولاً أو مسموعاً تفضُلاً أو مُجازاةً ، وهل يكونُ قبل ظهور عيسى أو بعده ؟ **السابعة** : إذا قام من العترة بعد المهديّ عليه السّلامُ إمامٌ ، وأنكر بعض ما يجبُ في كتب المهديّ عليه السّلامُ من الروايات هل يكذب أو يَصْدُقُ كما قال القاسم بن علي عليه السّلام في كتاب « **ذمّ الأهواء والوهوم** »[1] في مثل ذلك ؟!

واحذروا ـ رحمكم الله ـ من فتنة الهوى ، ومخالفة حُجَج الله التي تُعايَنُ وتُرى ، ولا تأتمّوا بالأخبار التي تَرِدُ عليكم من أئمة الهدى ؛ فإنّ الله لم يجعل حُجَجَهُ خبراً فاسداً ولا كتاباً مُفْرداً ليس معه من ذرية الرسل مُعين !

والحمد لله ربّ العالمين . وصلّى الله على سيّدنا محمدٍ وآله وسلّم . ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم .

---

(1) منه مقتطفاتٌ بمخطوطة ضحيان التي رجعنا إليها ، ص 333 ـ 334 : كتاب ذمّ الأهواء والوهوم

ثبت المصادر والمراجع

ـ أخبار أئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان . نصوص تاريخية جمعها وحقّقها ويلفريد ماديلونغ . بيروت 1987 .
ـ الإفادة في تاريخ الأئمة السادة لأبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني . مخطوطة ضحيان بجوار صعدة .
ـ أُفعول للقاضي إسماعيل الأكوع ؛ في الإكليل ، عـ 2 ، 1980 ، ص 9 ـ 30 .
ـ الإكليل للهمداني ، جـ 8 ، تحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع ، دمشق 1979 .
ـ أنباء الزمن ليحيى بن الحسين . 1 ـ 2 . مخطوطة بملك السيد محمد بن محمد المنصور بصنعاء .
ـ بلاد العرب للحسن بن عبد الله الأصبهاني ، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي ، الرياض 1968 .
ـ البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي للقاضي إسماعيل الأكوع . الكويت 1985 .
ـ بيان الإشكال فيما حُكي عن المهديّ من الأقوال لحُميدان بن يحيى . رجعنا إلى مخطوطتين وصفناهما في التمهيد . ونشرنا الكتيّب في الملحق الثالث .
ـ بين مكة وحضرموت لعاتق بن غيث البلادي ، مكة 1982 .
ـ تاريخ بني الوزير لمحمد بن العفيف بن الوزير . مخطوطة الجامع الكبير

(المكتبة الغربية) بصنعاء .
ـ تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى القرن السادس الهجري لأيمن فؤاد سيد . الدار المصرية اللبنانية. القاهرة 1988 .
ـ تاريخ مسلّم اللحجي = كتاب أخبار الزيدية من أهل البيت عليهم السّلام وشيعتهم باليمن : أ ـ سيرة الإمام الناصر أحمد بن يحيى منتزعة من كتاب أخبار الزيدية تأليف أبي الغَمر مسلّم بن محمد بن جعفر اللحجي . نشر ويلفريد ماديلونغ طبع Ithaca Press، 1990 ، ب ـ الجزء الرابع من تاريخ مسلّم اللحجي ، من نسخ العام 566 هـ . مخطوطة مجهولة المصدر ، رجعنا إلى مصوَّرةٍ عنها بمكتبة جامعة صنعاء .
ـ تاريخ اليمن الإسلامي من سنة 204 هـ إلى سنة 1006 هـ لأحمد بن محمد المُطاع . نشر السيد عبد الله الحبشي . دار التنوير، بيروت 1986 .
ـ تاريخ اليمن المُسمَّى المفيد في أخبار صنعاء وزَبيد لعمارة بن علي اليمني . تحقيق محمد بن علي الأكوع . الطبعة الثالثة 1979 .
ـ الترجمان المفتح لثمرات كمائم البستان لابن مظفّر . مخطوطة الجامع الكبير (المكتبة الغربية) بصنعاء .
ـ (كتاب) التفريع للقاسم بن علي العياني . مخطوطة المتحف البريطاني رقم 3977 .
ـ الجامع الكافي في فقه الزيدية لأبي عبد الله محمد بن علي الحَسَني العلوي ، 1 ـ 5 ، مخطوطة الجامع الكبير (المكتبة الشرقية) بصنعاء .
ـ جغرافية اليمن الطبيعية (للشطر الشمالي) لشاهر جمال آغا . دمشق 1983 .
ـ الجمهورية العربية اليمنية :
(أ) ـ خريطة 1 : 500000 ، مصلحة المساحة 1985 .
(ب) ـ خريطة 1 : 50000 ، المملكة المتحدة 1979 ـ 1985 .
ـ الجهاز المركزي للتخطيط (بالجمهورية العربية اليمنية) :
(أ) ـ التوزيع السكّاني ، صنعاء 1978 .
(ب) ـ النتائج النهائية للتعداد السكّاني التعاوني . صنعاء 1981 .

(جـ) - التقسيمات الإدارية لعام 1985 .
(د) - النتائج الأولية لتعداد 1986 .
ـ الحدائق الورديّـة في أخبار أئمة الزيدية لحُميد المحلّي ، 1 ـ 2 ، مخطوطة يمنية حديثة النسخ مصوَّرة بالأوفست ، بدون تاريخ .
ـ حقائق المعرفة للمتوكّل على الله أحمد بن سُليمان . مخطوطة حديثة النسخ (1377 هـ) ، صنعاء .
ـ الحكمة الدرية للمتوكل على الله أحمد بن سليمان . مخطوطة بملك السيد عبد الوهّاب بن محمد أحسن المتميّز بضحيان بجوار صعدة . نسخ العام 1254 هـ .
ـ الحور العين لنشوان بن سعيد الحميري . نشر كمال مصطفى ، بيروت 1985 .
ـ الدر المنثور في أنساب السادة والشيعة ، بحوث لأحمد بن يحيى بن أحمد بن علي ساري ، مخطوطة الجامع الكبير (المكتبة الغربية) بصنعاء .
ـ الدعامة في إثبات الإمامة لأبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني . مخطوطة بضحيان بجوار صنعاء .
ـ الدعامة = نُصرة مذاهب الزيدية ، نشر ناجي حسن ، الدار المتحدة للنشر ببيروت . أخطأ الناشر في نسبة المخطوطة واسمها ؛ إذ نسبها للصاحب بن عبّاد وسمّاها : نُصرة مذاهب الزيدية .
ـ الروض النضير للسياغي ، 1 ـ 5 .
ـ القاهرة . نسخة مصورة عن الطبعة الأولى . بدون تاريخ .
ـ سيرة الإمام المنصور القاسم بن علي العياني للحسين بن أحمد بن يعقوب . مخطوطة المتحف البريطاني رقم 3816 .
ـ سيرة المتوكّل على الله أحمد بن سليمان لسليمان بن يحيى الثقفي . مخطوطة الجامع الكبير (المكتبة الغربية) بصنعاء .
ـ سيرة المؤيَّد بالله للمُرشَد بالله ، مخطوطة السيد أحمد الشامي بصنعاء ، نسخ العام 1054 هـ (وقارن بالتمهيد ، ص 35) .
ـ سيرة الهادي إلى الحقّ يحيى بن الحسين لعلي بن محمد بن عبيد الله العبّاسي ،

تحقيق سهيل زكّار ، بيروت 1972 .
ـ شرح التجريد للمؤيّد بالله أحمد بن الحسين الهاروني ، 1 ـ 6 ، مصوَّرة بالأوفست عن مخطوطةٍ حديثة النسخ ، صنعاء 1985 .
ـ صبح الأعشى للقلقشندي ، 1 ـ 16 ، القاهرة 1912 وما بعدها .
ـ صفة جزيرة العرب للحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، تحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع ، مركز الدراسات والبحوث اليمنية ، صنعاء 1983 .
ـ صفة بلاد اليمن ومكّة وبعض الحجاز = تاريخ المستبصر ، لابن المجاور . اعتنى بتصحيحها أوسكار لوفغرين ، بيروت ، تصوير 1986 .
ـ الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن لحسين فيض الله الهمداني ، القاهرة 1955 .
ـ طبقات الزيدية ليحيى بن الحسين ، مخطوطة ضحيان بجوار صعدة .
ـ طرفة الأصحاب لعمر بن يوسف ابن رسول ، تحقيق ك. و. سترستين ، بيروت 1985 .
ـ العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك للخزرجي ، مخطوطة مصورة بالأوفست ، سلسلة وزارة الإعلام والثقافة بصنعاء ، طبعة ثانية 1981 .
ـ عَلَم الإفادة في تاريخ ذوي الشرف والسادة لناصر بن عبد الحفيظ ابن المُهَلَّا ، مخطوطة الجامع الكبير (المكتبة الغربية) بصنعاء .
ـ غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ليحيى بن الحسين ، 1 ـ 2 ، تحقيق سعيد عبد الفتّاح عاشور . القاهرة 1968 .
ـ في بلاد عسير لفؤاد حمزة ، القاهرة 1951 .
ـ في شمال غرب الجزيرة لحمد الجاسر ، الرياض 1970 .
ـ قبائل اليمن القديمة والحديثة لعمر رضا كحالة ، بيروت 1978 ـ 1979 .
ـ قرة العيون في أخبار اليمن الميمون لابن الديبع الشيباني ، تحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع ، القاهرة 1374 هـ/1397 م .
ـ قلب جزيرة العرب لفؤاد حمزة ، الرياض 1968 .

ـ اللآلي المضية لأحمد بن محمد بن صلاح الشَرَفي ، مخطوطة ضحيان . في ثلاثة أجزاء .
ـ اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية لمحمد بن إسماعيل الكبسي ، نشر محمد بن عبد الله الكبسي ، مطبعة السعادة بمصر، بدون تاريخ .
ـ اللواحق الندية للحدائق الوردية = مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار ـ لمحمد بن علي بن يونس الزُّحيف ، مخطوطة ضحيان .
ـ مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم الرسّي ، مخطوطة آل زيد بصنعاء .
ـ مجموع بلدان اليمن وقبائلها لمحمد بن أحمد الحجْري ، تحقيق القاضي إسماعيل الأكوع ، منشورات وزارة الإعلام والثقافة بصنعاء ، 1984 .
ـ محمد النفس الزكية وسيرته في أهل البغْي لرضوان السيد ، بمجلة كلية الآداب بجامعة صنعاء ، م 11/1990 / ص ص 105 ـ 132 .
ـ (كتاب) المصابيح (في تراجم أئمة آل البيت) لأبي العباس أحمد بن إبراهيم الحَسَني ، مخطوطة السيد أحمد الشامي بصنعاء .
ـ مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي لأيمن فؤاد سيد ، القاهرة 1974 .
ـ مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن لعبد الله الحبشي ، مركز الدراسات والبحوث اليمنية بصنعاء ، بدون تاريخ .
ـ معالم الآثار اليمنية لحسين بن أحمد السياغي ، صنعاء 1980 .
ـ معجم البلدان لياقوت الحموي ، نشرة Wüstenfeld. Leipzig، 1866 ـ 1873
ـ معجم البلدان والقبائل اليمنية لإبراهيم بن أحمد المقحفي ، صنعاء 1985 .
ـ معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواضع لأبي عُبيد عبيد الله بن عبد العزيز البكري ، تحقيق مصطفى السقّا ، الطبعة الثانية 1983 .
ـ منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان الحميري ، نشر عظيم الدين أحمد ، لايدن 1916 .
ـ المنية والأمل لأحمد بن يحيى بن المرتضى ، نشر محمد جواد مشكور ، الطبعة الثانية ببيروت ، بدون تاريخ .
ـ مؤلَّفات الحسين بن القاسم العياني ، اعتمدنا على مخطوطتين إحداهما بحوزة

السيد محمد بن محمد المنصور بصنعاء ، والأخرى بحوزة السيد صلاح الهاشمي بصعدة .
ـ هداية الراغبين إلى مذهب العترة الطاهرين للهادي بن إبراهيم بن علي بن المرتضى ، مخطوطة ضحيان .
ـ اليمن الخضراء للقاضي محمد بن علي الأكوع ، القاهرة 1971 .
ـ اليمن الكبرى لحسين بن علي الويسي ، القاهرة 1962 .

الفهارس العامة

1 ـ فهرس الأعلام

- ب -

- ت -

- ث -

- ج -

- غ -

- ف -

- ق -

- ك -

- ل -

- م -

- ن -

- هـ -

- و -

- ي -

* * *

2 ـ فهرس القبائل والبطون والعقائد والسكّان

- خ -

- د -

- ذ -

- ر -

- ز -

- س -

- ش -

- ص -

3 ـ فهرس الأماكن والمواطن والبلدان

4 ـ فهرس الفرق والمذاهب والجماعات

5 ـ فهـــرس الكتب الـواردة في النص

* * *

فهرس الموضوعات

1993/5/7

هذا الكتاب

سيرة الأميرين الجليلين

ينتمي النصُّ المنشور إلى أدب السيرة اليمني الذي بدأت رسائله وكتبه مطالع القرن الرابع الهجري. والنصُّ مفرّغ من أحد الزيديين هذا أهميةٌ استثنائية من ناحيتين:

فهو يؤرخ للأجزاء الشمالية من اليمن في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، وهي حقبةٌ تندر الأخبارُ في المصادر عنها. وهو من ناحية ثانية يروي وقائع انشقاق عقـدي وسياسي داخل الزيدية قادته «الشيعة الحسينية»، وامتدّ قرابة القرنين من الزمان. وقد تصدّت «الحسينية» للصليحيين الإسماعيلية، وحالت دون استتباب الأمر لهم بشمال اليمن؛ وإن لم تستطع إزاحتهم من السلطة.

دار المنتخب العربي
للدراسات والنشر والتوزيع